

الجامع لأعمال الشيخ المجاهد أبي أنس الشامي

عمر بن يوسف جمعة





الطبعة الأولى 1447 هـ - مشروع إتقان

بسم الله الرحمن الرحيم



الجامع

لأعمال الشيخ المجاهد أبي أنس الشامي

عمر بن يوسف جمعة

تقبله الله تعالى



الطبعة الأولى ١٤٤٧هـ

مشروع إتقان

مؤسسة صرح الخلافة

مركز إنتاج الأنصار





الفهرس







المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يسر إخوانكم في مؤسسة صرح الخلافة، أن يقدموا لكم الجامع الكامل لكلمات وكتابات الشيخ المجاهد أبي أنس الشامي -تقبله الله-. تم مراجعة الكلمات المفرغة مع الصوتي والمرئي وتصحيح الأخطاء والنقص، وتم مراجعة الكتابات نحويًا وإملائيًا، وتصويب الأخطاء التي وقعت في النسخ المنشورة. وتم توحيد علامات الترقيم والسير على منهجية معينة في هذا المجموع. وتم تخريج الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، واعتمد في التصحيح والتضعيف على أقوال أهل العلم بالحديث. وفي يوميات مجاهد من الفلوجة (معركة الأحزاب)، راجعها وعلق عليها ميسرة الغريب -تقبله الله-. وكذلك تم عزو الاقتباسات والأبيات الشعرية إلى الكتب، ووضعت مراجع إضافية في بعض المواطن، حتى يرجع القارئ إليها في نفس الباب الذي تحدث عنه الشامي. ووضعنا صفحة أخرى فيها المراجع وطبعات الكتب.

ومن مقاصدنا في هذا العمل، أن يخرج هذا الجامع على هيئة كتاب يليق بمقام الشيخ تقبله الله. وكذلك يكون النص من كلامه في حال الترجمة أو الاقتباس هو النص السليم دون أخطاء إملائية أو تحريف للمعنى، وما زاد أو تصرف الشامي على الاقتباسات وضع علامة [ ]، حتى لا يختلط على القارئ.

نسأل الله العلي العظيم أن يكون هذا الكتاب فيه خير للمسلمين، وأن يرزق الشهيد الشامي الفردوس الأعلى.

إخوانكم في صرح الخلافة



إعلام البرية بسيرة أبي أنس الزكية

باب عمر

هو الشيخ المجاهد العامل بعلمه الداعية الشهيد عمر بن يوسف جمعة الشامي، ولد في السالمية شرق جزيرة العرب عام ١٣٨٩هـ، ويرجع آباؤه إلى طولكرم في بلاد الشام.

فصل في نشأته

قال أبو سيف الشامي: عاش طفولته في كنف والديه، ورباه والده منذ نعومة أظفاره على حب اللغة العربية، فكان متحدثًا بالفصحى منذ أن بلغ الرابعة عشرة من عمره، وكان يكره اللهجة العامية ولا يمازح إلا بالفصحى.

كانت نشأته في بيوت الله تعالى، فتعلق قلبه بالمساجد، وحفظ القرآن الكريم في الخامسة عشرة من عمره.

فصل في زوجته وأبنائه

قال أبو سيف الشامي: في صيف عام ١٤١١هـ تزوج أبو أنس من فتاة فلسطينية، وكان أهلها يعيشون في جزيرة العرب، فعاشت مع زوجها في الأردن، حيث عمل الشيخ إمامًا في مسجد هناك.

رزق أبو أنس بمولودته الأولى عام ١٤١٤هـ، وسمَّاها ميمونة، ثم رزق بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات بابنه أنس، ثم بعده بسنتين جاء ابنه مالك.



قال أبو حمزة: كان خالص الودّ والحبّ لزوجه "أم أنس"، فما كان ينساها قط ولو في أحلك المواقف. وأذكر أنّنا في أثناء أحداث الفلوجة الأولى وفي لحظة من لحظات الضيق والشدة نظر إليّ مبتسماً قائلاً: "وداعاً أمّ أنس".

قال أبو سيف الشامي: كان يدعو لزوجته قبل المنام كل يوم.

قال أبو خطاب: كان كثير الدعاء للشيخ أبي مصعب ولزوجته أم أنس، فلم أرَ مثل وفائه لأم أنس.

ومما قاله:

دمشق في القلب *** قلبي في هوى حلب
أم أنس في قلبي *** قلبي في هوى أم أنس

باب دعوته وجهاده قبل العراق

قال أبو سيف الشامي: ذهب للدراسة الشرعية في الجامعة الإسلامية في الجزيرة العربية –المدينة النبوية المنورة– وهناك اجتمع بمشايخ الجهاد واقتنع بآرائهم وتشجع لها. حفظ الكثير من الكتب والمتون والأحاديث منها بلوغ المرام وعمدة الأحكام ومتون الفقه والأصول، حتى قال أحد تلامذته: إن أبا أنس كان يحفظ الكثير من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وفي بداية صيف العام ١٤١٠هـ؛ سافر إلى أفغانستان بصحبة زميله في الجامعة أبي همام الفلسطيني، ومكثا في معسكر الفاروق للتدريب العسكري نحو ثلاثة أشهر، وأجادا خلالها استعمال الأسلحة الخفيفة ومضادات الطائرات وتصنيع المتفجرات.

ثم أديا القسم على عدم استخدام ما تعلماه ضد المسلمين، وذلك بعد مبايعة أمير المعسكر على السمع والطاعة في المنشط والمكره.



عاد بعد ذلك وقد تحولت حياته وتغير حاله، فأضحى يُبشر بالجهاد في كل مجلس يجلسه، وازداد حرصه على طلب العلم والدعوة إليه.

غادر أبو أنس الأردن إلى جزيرة العرب مرات عدة للقاء المشايخ والعلماء وطرح بعض الأسئلة عليهم ومناقشتهم في أمور كانت تؤرقه كثيرا، منها الوجود الأمريكي في جزيرة العرب التي حرم على غير المسلمين المكوث فيها أو استيطانها، فكيف يمكن السكوت عن اغتصابها؟!

وكان محاورا ممتازًا، يملك الحجة القوية، والاستدلالات الرصينة، يساعده في ذلك سعة اطلاعه وسرعة استحضاره للدليل.

اجتهد أبو أنس الشامي بتدريس العلوم الشرعية في مسجده، وفتح ثلاثة مراكز لتحفيظ القرآن الكريم والفقه وأصوله، وأقام دورات شرعية، ونشط في الدعوة ونشر الكتاب والشريط والمجلة الإسلامية في أنحاء البلد، وتأثر بطرحه عدد كبير من الشباب.

وامتاز بشخصيته الهادئة، وخلقه الكريم ومرونته في محاورة المخالفين.

غادر أبو أنس الأردن إلى البوسنة والهرسك للتدريس والدعوة والجهاد؛ وبقي هناك سنة ونصفا، ثم عاد إلى الأردن ليعمل مدرسًا ومربيًا وواعظًا متطوعًا في مركز الإمام البخاري الذي ساهم بتأسيسه.

وكان صادق الهم، وعندما رأى أعداء الله من صدق همه وعزمه أوقفوه عن الإمامة والخطابة، لكن لم يثنِ ذلك عزم الشيخ بل وبقي داعيًا إلى الله عز وجل، يتجول في البلاد، يدعو في المنازل والمناسبات.

وبعد أحداث ١١ سبتمبر؛ أراد الشيخ الخروج إلى أرض الجهاد في أفغانستان وبحث في كل وسيلة للوصول إلى أرض الجهاد، لكنه لم يتمكن من ذلك، فعرف أن واجبه الدعوي



أصبح كبيرًا جدًا، فأخذ يحث الناس على الذهاب إلى أفغانستان ويحرض على الجهاد في سبيل الله.

وفي عام ١٤٢٣هـ؛ تم اعتقاله لإعلانه في صفوف طلابه وأتباعه أن النظام الحاكم في الأردن حوّل البلاد إلى ثكنة عسكرية أمريكية يأتمر بأمرها وينتهي بنهيها، وأن الحرب القادمة ليست ضد النظام العراقي وإنما ضد الإسلام، وذلك أثناء الاستعدادات الأمريكية لشن الحرب على العراق، وكان يدعو الناس إلى وجوب معارضة التوجه الحكومي في مساندة الأمريكان والتوجه إلى العراق لدعم الجهاد هناك، بعد ذلك تم إطلاق سراحه ليعود مجددًا إلى حث طلابه وأتباعه على الجهاد ضد المحتل الأمريكي في العراق.

وبعد أن شعر بأنه أدّى ما عليه من أمانة التبليغ؛ توجه إلى العراق، بعد أن أشاع خبر نيته السفر إلى جزيرة العرب للعمل، وذلك بعد عودته من أداء مناسك العمرة في شهر رجب من عام ١٤٢٤هـ. فحاول بكل وسيلة الدخول إلى العراق وما ترك بابًا من الأبواب التي توصله إلى هناك إلا وطرقه، حتى يسر الله له ذلك.

قال أبو أنس: كنت أعيب على الإخوة فيما مضى تأخرهم عن ركب الجهاد وقعودهم عن ترجمة النظر الفقهي الجهادي إلى حركة عملية على أرض الواقع. وكنت أجد منهم عوائق وعقبات دون السعي لاستثمار ساحات الجهاد التي فتحت في أرجاء شتى. مع العلم بأنني لم أكن في يوم من الأيام من دعاة الإصلاح بالمفهوم المنتشر حاليًا، صحيح أنني دخلت في بعض المؤسسات الدعوية وشاركت فيها. لكن ذلك كان من قبيل استغلال الهامش المتاح للدعوة وتأخير الدخول في أعمال لم نأخذ لها أهبتها ولم نلبس لها لأمتها، على أن ذلك هو السبيل لإحياء الأمة. فقناعتي الراسخة قديمًا أن ذلك هو الجهاد ولا أنسى أني وقبل مجيئي بأشهر معدودة إلى العراق دخلت في نقاش مع أحد الإخوة الأفاضل عن أسلوب التغيير وطرائق الحل الشرعي الصحيح، فكان من رأيه أن ذلك هو بناء مؤسسات شعبية قوية تكون أرضية صلبة للمغالبة والمطالبة.



حاورته طويلاً، وكان مما قلته له؛ إنني أخشى إلى أن ننتهي إلى ما انتهى إليه الإخوان المسلمون، فقد انقلبت مؤسساتهم من أرضية للمغالبة إلى قيد على الحركة، يقعد بها عن التقدم حفاظاً بزعمهم على المنجزات.

باب دعوته وجهاده في العراق

قال أبو سيف: بعد يومٍ من دخولنا في أرض الخلفاء التقى بالشيخ أبي مصعب الزرقاوي، قابل الشيخ أبو أنس شيخنا أبا مصعب كأنهم يعرفون بعضهم منذ سنوات، والله ما رأيت أخوين متحابين مثلما رأيتهما. تأثر الشيخ أبو مصعب تأثرًا عجيبًا. وبدأ أبو أنس مشواره الجهادي منذ اليوم الأول، وخرج مع شيخنا أبي مصعب يعدّان ويخططان لضرب العدو، ولقد كان من أوائل الجنود في عدة معارك. فكان جنديًا مطيعًا، وداعيًا ومفتيا للمجاهدين. وكان يقود بنفسه الكثير من المعارك ضد قوات الصليب، وكانت له مواقف وبطولات عديدة.

وقال أبو سيف: خرج أبو أنس مع عدد من المجاهدين لضرب إحدى السيطرات، فضربوها وساروا قليلاً، وفوجئوا بسيطرة أخرى فضربوها، ثم سيطرة أخرى وأخرى، حتى ضربوا ست سيطرات، وما عادوا حتى نفدت ذخيرتهم، فخَشُوا على أنفسهم فعاد بهم الشيخ.

وكان الشيخ -رحمه الله- مثالاً في الطاعة ولا يعصي أميره، وقد جاب أرجاء العراق للدعوة والنصح والتثبيت والتدريب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويؤلف بين قلوب إخوانه.

وبعد انتهاء معركة الفلوجة؛ استمر الشيخ في جهاده ودعوته، فأخذ يعلم المجاهدين ويربيهم، وأصدر بصوته عددًا من الدروس في الجهاد، وبث رسائله الجهادية العديدة من أرض المعركة على الشبكة العنكبوتية، وتابعها الشباب الصادقون في مختلف الأقطار، وبقي



مرابطًا مجاهدًا حتى ختم الله له حياته بالشهادة في سبيله –نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا– وذلك في معركة "سجن أبي غريب".

فصل في كونه مستشارًا للأمير

قال أبو حمزة المهاجر: أوّل معرفتي بالرَّجل أنّي دخلتُ يوماً أو بدعوة على أبي مصعب الزرقاوي –رحمه الله–، فلفت انتباهي شابّ في الثلاثينات من العمر يجلس على فَرْشَة مُقابلة كأنّه زهرة على بساط أخضر، جميل الصورة، نضر الوجه، ليس به نمش ولا سواد، ناعم الشعر، رائع القسمات، فناداه صاحبي فأقبل إلينا فلمحت البراءة في عينيه ثم تكلم، فتكلم بالفصحى بلا تقطع ولا تكلف بل يمازح ويلاطف بأدبٍ كبير، ثم جلس فاستشاره الشيخ أبو مصعب في عمل عسكري ما، فأشار واقترح بما يستطيع ويعرف، ثم صمت عمّا لا يعرف، وتلك والله شيم العلماء، ثم خلوتُ بالشيخ أبي مصعب وسألته عن الرَّجُل، فمدح وزاد في مدحه بما يدلّ على أنّ الرَّجُل وقع من الشيخ موقعه المناسب، ففرحت لأسباب أهمها:

١– أن الشيخ جعل مستشاره من أهل العلم والصدق والنصح.

٢– أن عادة الشيخ لم تتخلف عنه حتى بعدما صار معروفاً مشهوراً، فمنذ كان في أفغانستان كان يُقرّب ويأتي ويذهب مع أحد كبار طلبة العلم، وهذا يدل على فهم الرَّجُل وتحرّيه للشرع في أمره ونهيه، وتقريبه للعلماء، وتلك والله شيم الصالحين.

قال أبو عزام: كنا بداية ذي بدء نعمل في جماعة بغير اسم، ولم نكن نريد الإعلان عن الجماعة ولا اسمها، وكان هذا رأي الشيخ أبي مصعب الزرقاوي. ولكن الشيخ أبا أنس كان يرى أن البساط بدأ يُسحب من تحت المجاهدين الحقيقيين ليوضع تحت ناس لا علاقة لهم بالجهاد. فاقترح على الشيخ فكرة الإعلان باسم: (جماعة التوحيد والجهاد)، ولكن الشيخ رأى أن نتريث قليلاً لعل من يسبقنا من الإخوة الذين هم كفء، فنبايعهم وندخل تحت



لوائهم. لكن الشيخ أبا أنس ألح على الإعلان؛ حتى شرح الله صدر أبي مصعب الزرقاوي في مسألة الإعلان، فأعلن عن اسم الجماعة بعد استشارة مجلس شورى الجماعة.

قال أبو عزام: يقول الشيخ أبو مصعب، لم أتأثر بطلبة العلم في حياتي مثلما تأثرت بالشيخ أبي أنس والشيخ أبي عبد الله المهاجر.

باب في بعض المعارك التي شهدها

معركة الفلوجة الأولى

قال أبو حمزة: قد ألف الشيخ الفاضل أبو أنس الشامي فيها كتاباً أسماه "معركة الأحزاب" بيّنَ فيه بعض أيام الفلوجة وشيئاً من سيرة رجالها.

وقال أبو حمزة: التقيتُ الشيخ أبا أنس في إحدى المرّات قبل الفلوجة الأولى لـمّا زرت أحد الإخوة في زوبع وكان عنده الأخ الشهيد (مولود)، كان الجو ممحلاً فسألت عن الحال؟ فقال لي: "توبة أن أذهب مع الشيخ أبي أنس"، قلت: ولِمَ؟، قال: "يا رجل كدت أموت رعباً من فرط شجاعة الرّجُل، تخيّل بالأمس هاجم أكثر من أربع سيطرات في نفس الساعة، يخرج من واحدة ثم يهاجم الأخرى وفي كل مرة يأمرني أن أتوقف إلى جانب السيطرة حتى إذا ما توقفنا أمر الجميع بإطلاق النار وهكذا دواليك حتى كدنا نموت جميعاً من الرعب أو نقع في الأسر لكن الله سلّم".

ثم جاءت الفلوجة الأولى وكان للشيخ أبي أنس دور بارز جداً فيها لم يحكه الرجل عن نفسه لما كتب قصتها، لكن أبرز وأهم ما قام به:-

١) كان له الدور الكبير والهام في تحفيز الناس وخاصة الأنصار وتبشيرهم بالنصر وحثهم على الصبر والثبات.



٢) كان عمله يسبق قوله، فكان يحفزهم ويتقدم أمامهم فكان يسرع حينما يبطئ الناس.

٣) كان يشكل مع عمر حديد وأبي عزام -رحم الله الجميع- مجلسا أشبه بمجلس حرب يدير الأزمة ويسد الثغر ويشد العضد.

٤) كان لثقة الإخوة المهاجرين به عامة والأنصار خاصة عامل هام جداً في أن تسير الأمور على النحو المطلوب، فمثلاً لما كانت هناك مفاوضات، كنا نقول في كل شيء ماذا قال أبو أنس في هذا الأمر، هل وافق؟ هل أجازه؟

فما وافق عليه، وافقناه، وما رفضه رفضناه، لثقتنا بعلمه وشجاعته، وربّ قائل يقول وما دخل العلم بالشجاعة؟ فأُجيبه وأقول: نعم كنت مثلك لا أعرف هذا حتى جاءت الفلوجة الأولى.

مثلا حينما كان يشير أبو أنس بوقف القتال، كنا نحسب أن الرجل يرى الأصلح ديناً؛ لا جبناً ولا خورًا، فالجميع يعلم أن أبا أنس ليس بخبٍ ولا جبان، كما أن الرجل ناصح حريص ولا يتخذ قراراً إلا بعد أن يشير على شيخه ومن معه -فرحمة الله عليه-.

و مما أذكر جيداً ولا أنساه ما حييت، أنه زارنا يوماً في الجولان وكان قليلاً جداً ما يزورنا نظراً لأن إخوة الجولان كان معظمهم من المهاجرين وكان لا يرى حاجة ملحة للمجيء إليهم.

وقد زارنا الشيخ ونحن أحوج إليه من غيرنا في النصح ورفع الهمة وكانت الأمور أشد ما تكون ضيقاً، فسأل الحاضرين، من يعرف رمز الحزب الجمهوري الأمريكي (أهو الحمار أم الفيل)؟ فقال أحد الحاضرين أظنه الفيل يا شيخ، فالحمار رمز الحزب الديمقراطي، وأيّده آخر، فقال الشيخ: كنت أعلم هذا لكن أردت أن أتأكد، إن صَدَقَ ما تقولون فأبشروا



وأمّلوا، ثم تلا علينا قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ}، حتى أتى إلى نهايتها وأخذ يفسرها.

ثم أردف قائلاً: "اصبروا يا إخواني فوالله لجمعٌ كجمعِ الكفار في الأحزاب وسوف يفرق الله جمعهم في عدّة كعدّة الأحزاب، شهر أو قريب شهر".

ولقد صدق والله الشيخ، فكانت شهرًا أو قريبًا من الشهر، حيث استمر الحصار سبعة وعشرين يوماً، فالحمد لله على النعمة. وجاء الدور الأبرز للشيخ بعد المعركة، فالرَّجُل كان يُدْرك أن النصر لا بد من قطف ثمرته وعدم تركها للدّجّالين من الحزب اللا إسلامي العراقي، والصوفية الغلاة، والمشعوذين وغيرهم، فكان لا بد من وضع الأمور في مسارها.

فشكّل وأسّس (مجلس شورى مجاهدي الفلوجة) بالتنسيق وبأمر الشيخ أبي مصعب؛ كيلا تذهب الثمرة إلى من جاء بعد المعركة، فكان هذا المجلس تقريباً صمام أمان فيما بعد، وحلًّا لكثيرٍ من المعضلات.

ثم لعب الشيخ فيما بعد أحداث الفلوجة الأولى الدّور الأهم والأبرز في حياته كلّها، بل والذي أرجو من الله أن يجزيه عليه خير الجزاء.

فلقد بدأ الرَّجُل برصّ الصّف وتأليف القلوب على أبي مصعب وجمع الشمل له فبدأ بالأقرب وهي الفلوجة، فبدأ يطوف على كثير من المجموعات الصغيرة يُفنّد شُبَهَهم وينصحهم ويعظهم حتى جمعهم جميعاً تحت راية التوحيد والجهاد.

ثم بدأ بما حول الفلوجة ثم بغداد فكلما سمع بكتيبة أو سرية حسنة العقيدة والسلوك والعمل، جاء إلى أميرها وحاوره وما زال بهم حتى يدخلهم إلى صف التوحيد والجهاد.

وكان من مآثره أن سامراء لم يكن للتوحيد فيها أحد فزارهم وما زال يتردد بين سراياها وكتائبها حتى جعل سامراء كلها تقريباً للتوحيد والجهاد، ثم صارت فيما بعد كالفلوجة أو



أشدّ، ولقد ظلّت (الملوية) المئذنة الشهيرة في التاريخ الإسلامي والعراقي خاصة محاطة بعلم التوحيد والجهاد أكثر من ثلاثة أشهر.

ثم بدأ الشيخ الشهيد الحبيب يتخذ بعد ذلك طابعاً عسكرياً سامقًا مؤثرا. فأُشهِد الله أنه ما ثارت ثائرة قط في الفلوجة إلا وجدته من أوائل القادمين المتقدمين، يحرض ويقاتل ويفعل كل ما بوسعه، ثم رأيته بعد ذلك حاضراً في جميع لجنات التنسيق العسكري التي كانت تتم في الفلوجة وكان له الدور الأبرز بين الإخوة.

وما إن وصل الشيخ إلى المكان حتى بدأ القصف باستهدافهم وكان الشيخ خارج المنزل، وفجأة سقط صاروخ دمر البيت على أكثر من أربعين أخًا كانوا قد وصلوا لتوّهم ولم يفرقوا بعد إلى أماكنهم ، فصرخ الشيخ بأعلى صوته على الأخ الذي خارج المنزل وعلى الإخوة الذين لم ينزلوا من السيارة بعد، يأمرهم بالإسراع في الانتشار والابتعاد عن المكان لأنه يعرف كما يعرف جميع أهل الفلوجة والذين اكتووا بنيران القصف الجوّي الأعمى أن الطائرات الأمريكية في الغالب تقصف المكان أكثر من مرة في نفس الوقت، لكن شجاعة وشهامة ومروءة الشيخ لم تتخلف عنه حتى في أحلك المواقف، وأشد الظروف، ولو هتف به الموت من كل مكان. وفجأة سمع أنيناً يأتي من بين الأنقاض فأسرع نحوه وحاول مساعدة الجرحى والمصابين العالقين تحت الأنقاض حتى وصل إلى أخٍ يئنُّ بشدّة وكان عالقا وسط الركام فتبعه الأخ الشهيد أبو عبد الله سعد والذي حكى لي القصة وكان أبو عبد الله في طرف البيت يحاول إنقاذ أخ آخر وفي تلك اللحظة جاء الصاروخ الثاني فرمى بأبي عبد الله مسافة بعيدة لكن دون أذى يذكر والحمد لله.

قال أبو أنس: قبل الأحداث بنحو عشرة أيام أو تزيد قليلاً، وبأمر من القائد أبي مصعب الزرقاوي اجتمع المجلس العسكري في المدينة وجرى استعراض الوضع ودراسة المتغيرات وكانت النتيجة مؤلمة وقاسية. ووجدنا أننا بعد عام من الجهاد ما زلنا لم نحقق شيئاً على الأرض ولا يجد أحدنا شبراً يأوي إليه أو مكانا آمنا يلوذ به في بيته بين أفراد سِرْبِه.



واتفقنا أن تقسم المجاميع إلى مفارز تنتشر في الليل وتظل يقظى في النهار تحرس أطراف المدينة وتذود عن حماها. انتشرت الخلايا وكمنت السرايا وتقدمت أرتال عسكرية أمريكية وتتابعت الأحداث وحمي الوطيس ودارت رحى معارك عنيفة.

وقال: أثناء المعركة أرسل إلينا الشيخ أبو مصعب الزرقاوي يستشيرنا في المجيء ليشارك بنفسه مع الشباب ويُلحُّ في هذا وبقوة، وكان رأي جميع الإخوة الكبار أن لا يفعل، وسألناه بالله وأقسمنا عليه أن لا يفعل ضنًّا به وحفاظاً عليه، وحتى لا تتوحش أمريكا أكثر وأكثر إذا تسرب خبر وجوده في ساحة الفلوجة، ولكننا كنا معه على اتصال يوميّ، وكان رسوله في ذلك البطل الزاجل أبو عبد الرحمن من الجزيرة ناحية الرمادي. كان يغدو ويروح كل يوم بالبلم (الزورق) تارةً وسباحةً تارة أخرى والرصاص فوق رأسه، وكان لنا نعم الرديفُ والمعين، فبالإضافة إلى نقل الرسائل تولى نقل كميات من السلاح والإشراف على عبور كثير من الإخوة.

قال أبو عزام: وفي أحداث الفلوجة كان ينادي في المساجد: "يا أهل الفلوجة؛ حي على الجهاد، حي على الجهاد"، وكان يحث الناس ويذكرهم ويرغبهم بالحور العين، فأخذ الناس يتسابقون إلى الجهاد، فكان المحرك للشباب.

قال أبو خطاب: وكان يسمي معركة الفلوجة؛ بـ (معركة الأحزاب)، وكان يذكر الناس بسيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وعندما يذهب إلى أي مكان كان يكثر من الدعاء. أنهم في آخر أيام المعركة في منطقة جبيل نفذت ذخيرتهم، فشكوا الأمر إلى أبي أنس، فقال له: "اجمع لي الإخوة"، فعندما اجتمعوا، أخذ أبو أنس يدعو رافعا يديه: "يا رب الأمر أمرك ونحن عبيدك، خرجنا لنصرة دينك وأخذنا بالأسباب فلم يبقَ إلا نصرك، ولم يبقَ إلا مددك، اللهم هذا ذلنا ظاهر بين يديك وحالنا لا يخفى عليك، فأنزل علينا نصرك وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين"، وأخذ يثبتنا ويذكرنا بوعد الله بالنصر، فما لبثوا طويلاً إلا وقد أعلنت أمريكا انسحابها من الفلوجة تجر أذيال الخيبة والخسران.



وقال أبو خطاب: كنا في معركة الفلوجة نتنقل سويةً في مواقع القتال وجبهات المعارك، نتفقد الإخوة، ونمدهم بما يحتاجون من أسلحة ومؤن، وعندما يهجم العدو على جبهة من الجبهات، نأخذ مجموعة من الإخوة، وندخل إلى المعركة للتعزيز. فدخلنا معركة جولان الثانية، وكان العدو قد دخل بقوة راجلة تساندها الآليات المدرعة، وعددهم ما يزيد عن ٢٠٠ علج. وكنا بحدود ٢٥ أخًا أو يزيدون. دخلت الحي من جهة ودخل الشيخ من جهة أخرى. وبعد احتدام المعركة وتكبيد العدو خسائر فادحة، أجبر بعدها على الانسحاب وهو يجر أذيال الهزيمة. ذهبت أبحث عن أبي أنس، فوجدت الإخوة قد انحازوا إلى الخلف -وهذه ضرورة بعد كل معركة لأن العدو بعد الانسحاب والخسارة، يبدأ بقصف المكان بالطائرات والمدفعية فيضطر الإخوة للانحياز-، لكني لم أرَ الشيخ أبا أنس، فخشيت أن يكون قد أصيب. فصرخت بأعلى صوتي: "أبا أنس، أبا أنس". فخرج بين المنازل متجهًا نحوي وهو منهكٌ من الجري، وكان حافي القدمين، يحمل الآر بي جي بيده، فلما وصل إلي استلقى على الأرض وقال لي ممازحًا: "أبا خطاب، جهز لي سرية لأسترد نعالي". فضحكنا جميعًا في ذلك الموقف.

وقال: وفي آخر أيام المعركة، خصوصًا في معركة جُبِيل، نفدت عندنا الذخيرة بكاملها، وخصوصًا العتاد الخفيف؛ فشكوت الأمر لأبي أنس، فقال لي: "اجمع الإخوة"، فجمعت له الإخوة. فرفع يده بالدعاء فقال: "يا رب! الأمر أمرك ونحن عبيدك، خرجنا لنصرة دينك، وأخذنا بالأسباب فلم يبقَ إلا نصرك، ولم يبقَ إلا مددك. اللهم هذا ذلنا ظاهر بين يديك وحالنا لا يخفى عليك، فأنزل علينا نصرك وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين". وأصبح يذكرهم بموعود الله وسأل الله لنا الثبات؛ وما هي إلا ساعات حتى أعلنت أمريكا اللعينة انسحابها من حصار الفلوجة، وهي تجر أذيال الهزيمة وتلعق جراحها التي لم تلتئم إلى الآن.



وقال أبو حمزة: كانت نُقْطة الشّيخ عُمر حديد دائماً محِلاً لِقصْفٍ دائِم ومستمر، فلم يتركوا فيها أرضاً ولا بيتاً، آخرهم كان البيت الذي يُستخدَمُ مخزناً للذّخيرة، وكان ذلك قبل انتهاء المعركة بأيام، وكانت هذه الذّخيرة آخِرَ ما كان عنْدنا من عَتاد، فحزِنَ عُمر حُزناً شديداً، واشتكى إلى الشّيخ أبي أنس، فقال له: "يفرّجُ اللهُ يا عُمر"، وبعدَها جاءَ النّصْر والظّفر، وذلك بعد استِفْراغ الوسع في بذْل السّبب، فلمّا ذهَبَت أسبابُ الأرضِ، نزَلَ سببُ السّماء بفتحٍ مُبين.

قلت: من أراد تفاصيل المعركة فليراجع (لَفتُ الأنظَارِ لِمَا جَاءَ فِي مَعركَتَي الفَلُّوجَةِ مِن أخبَارٍ).

غزوة يوسف العييري

قال أبو أنس: كنا نتربص أيام معركة الفلوجة وننتظر ضربة البصرة البحرية، وذلك أننا كنا نؤمل أن تكون ضربة قاصمة تزلزلهم وتهُدُّ بنياهم فيضطروا إلى فك الحصار وتخفيف الضغط علينا. وكلما رُسِمت في شاشات التلفاز إشارة خبر عاجل تحفزت النفوس واشرأبت الأعناق.

حتى أذن الله بالفرج فكانت أولاً ضربات مراكز الشرط في البصرة وكانت ضرباتٍ موجعةً منكية -بحمد الله- وتبِعتها بحمد الله قاصمةُ الظهر لهم، غزوة يوسف العييري -رحمه الله- البحرية. صحيح أن العملية لم تكن تمامًا كما قُدِّر لها، وذلك أن دوريةً من أربعة عشر جنديًا بريطانيًا اشتبهت في أحد القوارب فأوقفوه وانتقلوا إلى قاربه للتفتيش فما كان منه إلا أن فجر فانتقل وإياهم إلى الدار الآخرة. وليسوا سواء إن شاء الله. فتوتر الجو وانكشف الأمر قبل أن تبلغ بقية القوارب منتهاها، ومع ذلك فقد كانت ضربةً موجعةً وحسبُك أنهم لم يُظهروا صورة للميناء ولميدان العملية، كما وانقطع ضخ النفط شهوراً متطاولة. وكان ينبغي أن تُفجّر ناقلتان كبيرتان وثلاث مدمرات حربية للقوات الأسترالية، كانت الضربة موجعة، ومع ذلك فنحن نُقِرُّ أنا لا ندري حجم الخسائر،لأن الموقع كان



على بعد خمسِ ساعاتٍ من الشاطئ؛ فكان تصوير الأحداث متعذرًا، ولكن حسبُك إضافةً إلى ما تقدَّم أن رئيس الوزراءِ الأستراليّ جاء سريعاً وفي زيارة خاطفة إلى العراق، وكفى بهذا شاهدًا.

معركة سجن أبي غريب

قال أبو عزام: قبل أن تبدأ المعركة؛ كان أبو أنس الشامي في سامراء يعلم الإخوة المجاهدين ويربيهم ويتلو عليهم القرآن ويحفظهم، وبعد أن انتهى من هذه المهمة، أرسل إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي ليطلب منه المشاركة في تلك المعركة، فقال له الشيخ أبو مصعب: "يا أبا أنس لو بقيت معنا لأننا نحتاجك"، فقال أبو انس: "والله لأن أقتل في سبيل الله من أجل تحرير أخواتي السجينات خير لي من أن أعيش". فكانت هذه الكلمات محفزة للشباب أن يذهبوا معه.

قلت: وقبل يوم من المعركة؛ جمع أبو أنس إخوانه المجاهدين، وألقى عليهم درسًا يرغبهم فيه الجنة، وكان مما قال: "نحن غداً يا إخوة بإذن الله ستكون معركة الفتح -يقينا بالله تبارك وتعالى سيفتح الله علينا- ونسأل الله تعالى أن يرى منا خيرًا، وأن يأخذ بأيدينا". وأخذ يدعو: "اللهم حرر بأيدينا إخواننا وأخواتنا، اللهم ألحقنا بالأحبة محمدٍ وحزبه، اللهم أحينا سعداء وأمِتنا شهداء، اللهم لا تخذلنا بذنوبنا، اللهم امنحنا أكتافهم، اللهم اجعل يوم غد فتحا مبينا". وعندما خرج للمعركة؛ ودّعه إخوانه المجاهدون.

قال أبو خطاب: وعندما قررنا تنفيذ عملية سجن أبي غريب، وخرج الإخوة، قمت بتوديع الشيخ أبي أنس، فودعني بوجه مبتسم، وقال لي ممازحًا: "سلم لي على أم أنس"، فقلت له: إنك لن تقتل في هذه المرة، وأسأل الله أن يردك سالماً معافًا ثم رجع من العملية بعد تأجيلها، وشد الرحال إلى العملية مرة أخرى، وكنت آخر شخص يودعه. ودعني أبو أنس وداع مفارق، ورأيت في وجهه نور الشهادة. فطلبت منه أن ينتظر حتى أطلب من الشيخ أبي مصعب أن يأذن لي بمرافقته في هذه المعركة، فأجابني: "لا أريد أن تفقدنا



الفلوجة نحن الاثنين؛ فإما أن تذهب أنت أو أذهب أنا". وقال لي أيضًا: "سلم لي على الشيخ أبي مصعب"، فعلمت أنه لن يعود، فقبلت رأسه وعينيه، وطلبت منه أن يشفع لي، فقال لي: "الوداع يا أبا الخطاب"، فقلت له: لا تقل الوداع وقل اللقاء، فقال: "لقاؤنا في الجنة إن شاء الله".

قال أبو ياسر: تحرك هذا الجيش بقيادة أبي أنس وكان يقول: "يا حبذا الموت على أبواب أبي غريب"، وكان الترتيب للمعركة بحسب ما أمكن وتيسر، وعندما ذكرنا ذلك لأبي أنس، قال: "علينا أن نقدم ما عندنا ونتوكل على الله". انطلقنا على بركة الله سبحانه وتعالى.

وكان من عادته أنه يدعو في كل حاله جالسًا أو ماشيًا، لنفسه وإخوانه، وعندما سرنا وركبنا السيارة كان يدعو الشيخ دعاءً بسيطا فقلت: فرصة أن أرفع يديَّ وأؤمن على دعائه، فلما أمنت، هو رفع يديه واسترسل في دعائه. وأخذ يسأل الله أن يفتح عليهم فتحا مبينا، وأن ينصرهم نصرًا مؤزرًا، ونسأل الله أن يثبتنا ويكتب هذا النصر بأسمائنا، وأن يختم لنا بالشهادة في سبيله. وألح كثيرًا على طلب الشهادة، وأكثر من البكاء. وتحمس الإخوة في الخلف، فأخذوا يؤمّنون وبكى بعضهم.

وعندما انتهى الشيخ، بشرني ببشارة، قال: "أبشرك يا أبا ياسر أن شيخنا أبا أحمد – يقصد الزرقاوي–، سوف يعلن بيعته للشيخ أبي عبد الله". دمعت عيناي، فقلت: يا شيخ أنت الآن كففت عن البكاء، وأنا أبكي.

قبل أن نصل إلى الهدف، قلت: يا شيخ لعلك تلقي على الإخوة كلمة، فقال الشيخ: "رأسي يتعبني". وكان أبو أنس مُجهداً، قد ظهر عليه أثر التعب، فهو لم يذق طعم النوم منذ أربعة أيام، ولكن كانت له إشراقة غريبة، شهد له بذلك الإخوة المجاهدون.



وصلنا إلى موضع المبيت، قريبا من ساحة المعركة، ونزلت السيارات، ونزل أبو أنس، وكان يستطلع الموقع الذي سنبيت فيه، ورجع مرة أخرى وركب السيارة فبدأت أقود السيارة، وصلنا إلى البيت الذي سنبيت فيها. نزل الشيخ حتى يرى الوضع في الداخل، فتأخر بعض الشيء فنزلت أراه، فدخلت عليه فسلمت عليه فقلت: الإخوة في الخارج ننزلهم في هذا المنزل أو في منزل آخر، قال: "لا، أنزلهم"، والإخوة منهم أبو محمد اللبناني، وأبو عمار –تقبلهم الله في الشهداء–؛ وكان الجميع يبتسم ويضحك، كأنه مقبل على زواج. فخرج الشيخ على إثري، وكنت أنزل الإخوة من السيارة، وفي هذه الأثناء وجدت الشيخ جالسًا يتكلم في مجمعٍ من الإخوة الأنصار، فجلست على مقربة منهم. وكان هناك صوت حيوانات (الواوي) –الثعلب–، فابتسم الشيخ –رحمه الله– وقال: "تسخر منا أم هي فرحة بنا؟". فقال الإخوة: "لا، إن شاء الله فرحة بك".

وسمعنا صوت الطائرة تحلق في السماء، وما هي إلا لحظات إذ سمعنا صوت الصاروخ ينطلق من الطائرة وسقط على البيت الذي كنا فيه، وبعد الصاروخ لم أرَ شيئا بدأ الغبار والدخان والتراب، وبعد أن تجلت الرؤيا ولكننا نجونا ولم نمت، ونفض أبو أنس عن وجهه التراب، فقلت: يا أبا أنس لو أخرجنا الإخوة من البيت وسحبناهم إلى الفلوجة، فقال: "جيد استعن بالله وابدأ بهذا"، فلم يفر من البيت، بل بلغ من الشهامة أن ذهب إلى الإخوة ليخرجهم، مع أن البيت كان مظنة القصف مرة أخرى.

فإذا بصاروخ ثان يسقط على المنزل، وأخبرني بعض الإخوة: أن الصاروخ نزل عليه أو بجانبه، وإذا بأبي أنس جريحاً على الأرض، ثم استشهد.

بدأ القصف المدفعي، استمر ربع ساعة، بدأت بسحب الإخوة إلى نهر، أتت طائرات مروحية. بدأ القصف المروحي وانتشر الإخوة، فانسحبنا انسحابا ثم من المنطقة ككل. كنا في مسيرة معنا أخ عراقي استطلع المنطقة، مشينا مسافة بسيطة وكان معنا بعض الجرحى. وعندما عبرنا هذه المنطقة، وجدنا أخا عراقيًا قال: "هنالك أخ جريح يتبع لكم". وطلبني



شخصيًا قال: "في مجموعتكم أخ يقال له: أبو ياسر". فقلت: أنا، فقال: "يحضر معي حتى يجلس مع هذا الأخ لأنه محتاج أن يراه". فذهبت فجلست معه فإذا به أخ من المجموعة. عرض علينا صاحب المنزل المبيت عنده، فإذا الأمر فيه خطر، فقلت: لعل المنطقة تطوق. فخرجنا متوكلين على الله، وقلت: نصبر على الجراح ولكن ننطلق، نخشى بعض الإخوة يقعون في الأسر، لا يحملون السلاح، وجراحهم ثقيلة بعض الشيء. ومشينا مسيرة نصف ساعة، ثم أتت سي ١٣٠، وبدأت تقصف القاصفة لقرابة الساعتين. بعد ذلك هدأ القصف، انطلقنا وواصلنا المسيرة، وسرنا ما يقارب ٣٠ أو ٣٥ كيلو مترًا. والإخوة بين تعب وخوف وجراح. أما الإخوة الباقون؛ فكان منهم من قتل، ومنهم من جرح، فانسحبوا إلى الفلوجة، وأخذ الإخوة يصبر أحدهم الآخر بهذه المصيبة، ويقول بعضهم لبعض: "لا تحزن إن الله معنا".

وذاع نبأ استشهاد الشيخ أبي أنس -رحمه الله-، وكان وقع المصيبة على المسلمين أليما شديدًا، فقد فقدوا عالمًا مجاهدًا وصديقًا ومعلمًا.

باب في بعض أخباره

قال ميسرة الغريب: وكنتُ قبيل الفلوجة الثانية قد رأيت أحد الأمراء قد حار كيف يوزع هذه الكمية القليلة من الزيت والزعتر على جميع الجنود الذين في حي الشهداء، فاستفسرته عن قصة هذا الزيت والزعتر، فبين لي أن الشيخ رفض أن يأكل منه حتى يأكل منه الجنود. ولهذا الزيت والزعتر قصة، وهي أن الشيخ أبا أنس -رحمه الله- كان مُغْرَماً به حتى أنه أوصى بإحضار شيء منه من بلده الأردن، فوصل الزيت والزعتر بعد مقتله -رحمه الله-، والزيت والزعتر له مكانة خاصة عند إخواننا الشاميين من بين الأطعمة.

قال ميسرة: وقبل وصولي إلى العراق حَصَلَتْ حادثة سمعتُ جزءاً منها من الشيخ وباقيها من غيره، وخلاصتها أن أحد الصحفيين الأجانب جاء بين الفلوجة الأولى والثانية يريد لقاءً صحفياً وقدَّر الله أن أبا أنس -رحمه الله- كان موجوداً (وكان يجيد الإنجليزية



فانبرى كالسهم وراح يرسل الكلام فلم يبْقِ ولم يَذر حتى ذكر وجود عرب مقاتلين، ولكن بعد فوات الأوان، انتبه. ثم انصرف وجلس على أحد الأرصفة وإذ بأمير الفلوجة آتٍ فتفاجأ به واضعاً يديه على وجهه كهيئة النَّدْمانِ، فناداه: ما بك يا أبا أنس؟ فرفع وجهه وحرك رأسه قليلاً يمنة ويسرة ثم أعاد وجهه إلى يديه، فلما عرف شيخنا –رحمه الله– بالأمر أرسله إلى بيتٍ لئلا يَخرج منه حتى حين، ووضع معه اثنان يؤمنان طلباته. فلما طال المقام وأبو أنس –رحمه الله– لا يقوى أن يسمع صوت الرصاص والنيران حتى يركض نحوها يستطلع الأمر لما طال المُقام –والشيخ هو الذي يحدثني الآن بهذا– أرسل أبو أنس لشيخنا رسالة (وهو صاحب الكلمات الرائقة والتشبيهات الساحرة)؛ وكان فيما قال له: "أنا خاتم في إصبعك"، فرقَّ له الشيخ، وأذن له بالخروج، –رحمهما الله– وجمع بينهما في الفردوس بخير.

قال الزرقاوي: رحم الله الشيخَ أبا أنس الشامي يوم أن قال لي يومًا مثبتًا ومسلِّيًا: يا فلان! سنبقى نحفرُ بالصخر حتى نصنع مجدًا لأمتنا.

قال أبو حمزة: كان لا ينسى قط ولا يفتر عن ذكر الله فكان الاستغفار سمة أبي أنس، فلا تكاد تسمعه إلا وهو يقول: "أستغفر الله"، حتى أنها صارت عادة أظنه لو حاول تغييرها ما استطاع، كما أني أظن أن ذلك هو سرّ نضارة وجه أبي أنس الشامي رحمه الله.

قال أبو خطاب: خرجنا ذات يوم إلى قاطع حي نزال، نتفقد الإخوة، وكنا قد استنفدنا الذخيرة الموجودة لدينا، ولم يبقَ من الذخيرة إلا ما يكفينا لمعركة واحدة. وكنت حينها مهمومًا؛ فصرخ أبو أنس وهو يشير إلى أحد المنازل في حي نزال: "ذخيرة! ذخيرة!". فاستبشرت لقوله وقلت له: "أين؟"، فأشار إلى شجرة النمق –الكِنار كما كان يسميها رحمه الله–، وكان يحب هذه النبتة، فضحكت وقلت: "يا أبا أنس، ليس الوقت وقت مزاح"، فقال وكأنه يريد أن يروح عن نفسي همها: "أبشر يا أبا خطاب؛ فالنصر قادم بإذن الله".



وقال أبو خطاب: نذكر موقفًا جميلاً مع الشيخ أبي أنس الشامي –رحمه الله–، وكان هذا الموقف قبل أحداث الفلوجة بأشهر، حيث كنا خارجين إلى منطقة الجزيرة –وكان مقرنا السابق هناك–، فتأخرنا في الجزيرة إلى الساعة الحادية عشرة ليلاً، فطلبت منه المبيت لخطورة الطريق، فقال لي: "توكل على الله وانطلق"، فخرجنا في طريق الجزيرة ليلاً، وعندما وصلنا الصقلاوية، تفاجأنا بكمين أمريكي على الطريق، فأوقفنا وكنت خائفًا جدًا على الشيخ أبي أنس، لكن برباطة جأشه المعهودة، تكلم معهم باللغة الإنجليزية، فلم يعرفوا هويته. وبعد أن فتشوني، وجدوا مسدسي –وكنت أحمله معي–، فأصروا على اعتقالنا، لكنه بلباقته أقنع الضابط الأمريكي بأن المسدس نحمله من أجل السراق وقطاع الطرق. فأخذ الأمريكي القذر مسدسي، وأطلق سراحنا بفضل الله ثم بسبب أبي أنس رحمه الله تعالى.

وقال أبو حمزة: من النكات التي تحضرني، أن الأخ الذي كان يحمل الرسائل جاء ليأخذها من أبي عزام وكان أبو عزام لم ينته بعد من كتابة تقريره اليومي، وقد بدأت ملامح الظلام تتدرج ولا بد للرجل أن يغادر قبل إطباق الظلام. وأخذ الشيخ أبو أنس يحث أبا عزام على سرعة الانتهاء فلما لم يجد لذلك أملاً، قال له: "مشكلتك يا أبا عزام أنك تسمع وتطيع أكثر من اللازم"، فضحك الرجل وضحكنا، ثم انطلق بالبريد.

وقال: قدم أبو المرضية بلاد الرافدين قبل أحداث الفلوجة الأولى بقليل وجاءت التعليمات إلى أسود التوحيد بالنزول إلى المدينة وحراسة مداخلها، ولأنّ الوضع قد أخذ بالتصاعد. حلّ أبو المرضية بحي الضباط ونزال، ولم يكن في ذلك الوقت يؤبه به فهو رجل كثير الصمت قليل الذكر، تزدريه العيون إذا نظرت إليه لصغر قامته ونحافة جسمه حتى قال فيه الشيخ أبو أنس الشامي –رحمه الله–: "تكاد تحمله على كفّك".

الحكمة في التعامل مع أهل البدع



قال أبو مصعب: الشيخ عبد الله الجنابي صوفي نخالفه ولا نتفق معه ومع هذا كان الشيخ أبو أنس الشامي –رحمه الله– يقبل رأسه وكنا نرجو فيه خيراً ونطمع أن نجلبه إلى طريق السلف وقد أهدى له الشيخ أبو أنس إحدى مؤلفات الشيخ ابن تيمية فماذا نريد من الرجل إذا كان رافعاً لراية الجهاد داعياً لقتال أعداء المسلمين فهو عندنا والله خير من المثبطين القاعدين عن الجهاد.

باب أخبار رواها بنفسه

قال أبو أنس: أذكر أيّام الجامعة أنّنا كنّا ندرس في بعض السنوات في السنة الواحدة ثماني عشرة مادّة، الإمام الشنقيطي –رحمه الله– صاحب (أضواء البيان) يذكر أنهم لم يكونوا يسمحون في بلادهم لطالب العلم أن يجمع بين فنَّين إلا أن يكون خارق الذكاء أَلْمَعِيًا لَوْذَعِيًّا، هذا يُسمح له أن يجمع بين علمين في وقت واحد.

وقال أبو أنس: أذكر أن أحد مشايخنا كان يحدِّث أحد الشباب فقال له: "طيب هنا أخطأ الألباني"، فقال: "لا، أنا أعلم أنّ الألباني لا يمكن أن يقول برأي إلّا بحديث"، فقال له –وقد وُفِّق–: "هذا الذي تقوله هو عين عمدة المُقلّدة".

وقال: عندما صليت في مسجد (بينو)، فأحد الشباب كان يصلي إلى غير سترة، فقلت له: "السُّنة أن تصلي إلى سترة"، رجع إلى البيت فرأى أخاه يصلي وقد لبس سترة (جاكيت) فقال له: "الشيخ أبو أنس يقول حرام أن تصلي بسترة"، فجاءني وقال: "أخي يقول حرام أن تصلي بسترة، هل قلت هذا؟" فقلت له: "لا، قلت غيره، والشكوى لله"، وهذا للأسف كثير والله المستعان.

وقال: أعرف أحد الإخوة عندهم محلات ذهب، يقول دخلت على أحد الإخوة، وهو يصلّي، فرأيت عنده صُلبان من ذهب، قلت له: "يا أخي اتقِ الله هذا لا يجوز"، فقال: "يا أخي قبل أيام جاءتني امرأة نصرانية ولم يكن عندي، اشترت بألفي دينار وبعد أن انتهت



الصفقة قالت عندك صليب؟ قلت لها: لا، قالت: لا أريد الشراء منك"، فذهب هذا الرجل مباشرة وجاء بصلبان!، وهي قاصدة هذا. فسبحان الله لم هم يكونون على صليبهم أحرص منّا على ديننا؟!

قال أبو أنس: فقدت نعالي في أحد المواجهات، فقلت مداعبا لأبي الخطاب: جهز لي سرية حتى أسترد نعالي، وتضاحكنا. وهذا النعال له قصة ظريفة كان قد بلِي واهترأ، وكان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي يُلحُّ علي أن استحدث آخر، وأنا أسوّف. وأقول له: هذا نعال عزيز عليّ فقد أهدانيها أخٌ عزيز من المدينة فلا أفرط فيها. وكان يمازحني ويقول: "لا أدري كيف يقاتل بمثل هذا النعل؟"، وكتبت في ذلك اليوم إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي أُبشّره بأن أمنيته قد تحققت وحيل بيني وبين نعالي.

وقال: ضربة الحلة على القاعدة البولندية، أثخنت فيهم أيما إثخان وأحيطت العملية بتكتيم وتعتيم، ومنعت الشرطة من الوصول إلى المنطقة، وقتل منهم أكثر من مئتي جندي، مع أن هؤلاء الذين قتلوا ممن هم حول القاعدة من الرافضة الذين كانوا يمدونهم بالخمر، ويبيتونهم في بيوتهم في الليل ثم يخرجون في النهار آمنين غير مروعين.

فضربة فندق الشاهين مثلاً؛ كانت للمخابرات، وللعلم فأكثر الفنادق الفخمة محجوزة بالكامل لجيش الموساد والسي آي إيه وأصحاب الشركات العملاقة، الذين قدموا ليظفروا بحصة في كعكة العراق.

وكذلك ضربة القصر الجمهوري؛ كانت لجيش العملاء والجواسيس الذين واطأوا المحتل وركبوا في قافلة الكفر، ولذلك صرحت الإدارة الأمريكية بعد الضربة بأنهم خسروا كثيراً من أصدقائهم.

وضربة الأمم المتحدة؛ كانت لجيش العملاء والمخبرين المتسترين بلافتة "الأمم المتحدة"، وعلى رأسهم: سيرجيو ديمللوا، الذي أعمل مبضع الجراح في إندونيسيا ففصل عنها تيمور



الشرقية، ومكر بأهل الإسلام في البوسنة، وجيء به بعد ذلك إلى هنا ليباشر عملية تقطيع أوصال البلاد في العراق، فيسر الله لنا؛ فكنا يد الحق الحاصدة بإذن الله.

وقال أبو أنس: "الرسالة"؛ التي تناقلتها الأنباء وتحدثت عنها الدنيا وتحير الناس في أمرها هي صحيحة صادقة النسبة إلى الأخ القائد أبي مصعب الزرقاوي، ولكن قد اعتراها بعض التحريف والتزييف.

قلت: يقصد الرسالة السرية من الأمير أبي مصعب لشيخ المجاهدين أسامة تقبلهما الله.

باب دعاة على أبواب جهنم

حزن أبي أنس على فتنة المقدسي في العراق

قال أبو مصعب: وقد أكرم الله عباده المجاهدين، وأولياءه الصادقين؛ ففتح عليهم في معركة الأحزاب معركةِ الفلوجة الأولى، فأَذَلَّ عدوهم، وردَّهم على أعقابهم خاسرين. وبينما هم يتفيؤون ظلال هذا الفتح المبين، ويعيشون أيامه؛ إذا بهم بما يعكر عليهم صَفْوَه، ويذهب حلاوته، إنَّه سهم جديد مُصَوَّب إلى نحورهم، ولكنه هذه المرة ليس من كنانة من وصفتُ حالهم من قبْلُ، بل هو من رجل محسوب على هذا المنهج، ومن أهل العلم، ذلكم كان مقالاً لأبي محمد المقدسي بعنوان: (الزرقاوي آمال وآلام، مناصرة ومناصحة).

وإن أنسَ، فلا أنسَ بكاء الشيخ أبي أنس –رحمه الله– عندما رأى الحزن باديًا على قسمات وجهي بعد قراءتي لهذه المناصحة لما فيها من تجنٍّ، وعدم تثبت، وقلب للحقائق! فواساني وقال: يا فلان، إن الله يدافع عن الذين آمنوا.

بعض فتن السرورية في العراق

قال أبو أنس: كنت فيما مضى أقول للإخوة إن منصب القيادة الشرعية في الأمة شاغر، ينتظر من يملأه، ولعل الله يهيئ المشايخ في السجن ليستوجبوا هذا المنصب



ويتسنمونه بجدارة. خرج المشايخ من السجن واشرأبت إليهم الأعناق وصوبت إليهم الأبصار.. ولكن.. حصل ما لم يكن في الحسبان وبدأ مسلسل التنازل شيئاً فشيئاً.

وقال: فالذي فجر هذه الشجون، أني اليوم جالست الإنترنت بعد انقطاع يزيد على سنة ونصف فتوجهت إلى موقع مجلتي المحبوبة سابقاً السنة. هذه المجلة العزيزة -سابقا- كان لي معها قصة حب قديمة، وذلك أني شهدت بدء انطلاقتها أيام أزمة الخليج، فوجدتها قائلة بالحق ناطقة بالصدق الذي ننشده، فكنت أستنسخ منها عشرات النسخ وأوزعها علانية أيام الجامعة الإسلامية، مغامرًا بسلامتي مضحيًا بمستقبلي!

وكان رفاقي يلومونني على تهوري بزعمهم، وكنت أجدني مدفوعاً لمثل هذا نشراً للحق الذي أؤمن به.

فتحت الموقع؛ وليتني ما فتحته! قرأت فيه مقالاً لمحمد سرور يثني فيه على هيئة علماء المسلمين ويمتدح فيه جمعها الناس الوطنيين ومعتدلي الشيعة، ونبذها للطائفية... إلخ. وامتدح في المقال رئيس هيئة العلماء وأثنى على دينه وعقله وحنكته، وتداعى إلى مخيلتي هذا الحارث الضاري وهو يسأل عن حكومة علاوي في إذاعة مونت كارلو فيبدي دهشته من معاداة الحكومة لهيئته مع أنها لم تعاد الحكومة. نعم، لم تؤيدها، ولكنه شخصيًا يتمنى لحكومة علاوي التوفيق والنجاح. وأعجب من هذا أن سروراً أثنى على استنكار الهيئة لذبح الكفار، وكأنه لم يقرأ السيرة النبوية مع أننا على كتابه في السيرة تربينا، وإلى الله المشتكى.

وأعجب من هذا أني رأيت في عدد قديم صدر قبل نحو سنة تحليلاً للعنف السياسي، كرر فيه الكاتب الأكذوبة التي روجت عبر وسائل الإعلام وبأيدي الأبواق الفكرية الإسلامية الوسطية!

وقال أبو أنس: أنا كسائر أبناء الصحوة من أترابي؛ تربيت على المحاضرات والنتاج الثقافي الشرعي الذي قاده الرادة الكبار -وعلى رأسهم سفر وسلمان- وقد تربع هذان



على عرش قلبي وقلوب أترابي في كل مكان. وكنت لا أزال أجاهد القلم وأحمي اللسان مخافة أن يزلا فيقعا في هذين العلمين.

ولكنهما للأسف يأبيان إلا أن يدفعانا دفعاً ويسوقانا سوقاً لنطاعنهما، لا كراهية لهما -علم الله- ولكن ذوداً عن الملة ودفاعاً عن الإسلام الذي تعلمناه منهما فيما مضى.

بالأمس طالعت مقالةً لسلمان يثبط فيها عن النفير إلى العراق، كما وانطوت على كثير من المغالطات التي تشي -لا بجهل بواقع الجهاد فقط- وإنما تكشف انحرافات في الأصول وتغيير عجيب للثوابت الشرعية.

ودعني أهمس في أذنك كلمة هي نتاج استقراء ومعايشة ومباشرة للجهاد هنا منذ سنة، وخلاصتها؛ أن الجهاد في الواقع هو جهاد سلفي بنسبة ٩٠% وتزيد.

أما نسبة الإخوة المهاجرين من وراء الحدود؛ فلا والله ما رأينا إخوانياً أو تبليغياً قد عبروا الحدود لنصرة إخوانهم والجهاد معهم، بل كلهم من أبناء الدعوة السلفية، على تفاوت بينهم في إدراك فقه هذه المدرسة.

وأما إخواننا الأنصار من أهل البلد؛ فجل من يجاهد هنا الذين ينبزون بـ "الوهابية"، التي كنت تنتسب إليها فيما مضى، وربما لا يدري الكثيرون أن أكثر مجاميع "المقاومة الإسلامية الوطنية" التي تقاتل هنا؛ هم من أبناء الدعوة السلفية، ولكنهم غرر بهم واستغلت سذاجتهم ورغبتهم الصادقة في الجهاد، واستُدرجوا عبر الدعم المادي لتسرق دماؤهم ويصنع المجد بجماجمهم على أيدي دهاقنة "الإخوان".

هذه شهادة أسأل عنها بين يدي الله وأذود دونها بين يدي الخلق، فهلم لنبتهل.

باب الشهادة

استشهد في (٢ شعبان ١٤٢٥هـ)



قال ميسرة الغريب: تهيأَتِ الجموع صَوْبَ أبي غريب بقيادة القائد الشجاع أبي أنس الشامي ومعه خيرة القواد الميدانيين لفكاك أسرى المسلمين الذين أسرهم الصليب وأعوانه ولم يقدم لهم العالَم الإسلامي والعالِم الإسلامي أكثر من اللسان. وكان الشيخ الزرقاوي –رحمه الله– يتفقد الإخوة عصر الخميس بسيارته فجاءنا أبو أنس يودعنا، ومد رأسه ليودع حبيبه الشيخ أبا مصعب، لقد كانت صفحة وجهه كالقمر المتلألئ حتى أنها لفتت نظري وقد انحدرت دموع الوداع منه فسألت عبد الرحمن البصراوي –السائق–: أكان أبو أنس يودع هكذا في كل مرة؟ لقد تسلل إلى نفسي شعور قوي أنه اللقاء الأخير بيننا، حقاً لقد جمع أبو أنس بين النقيضين عادة: الرقة والشجاعة، وهكذا كان الجيل الذي أعده نبينا عليه الصلاة والسلام فرسان في النهار رهبان في الليل.

وانطلقت الجموع وغادرنا مع الشيخ الراحل نتعشى في إحدى بيوتات الأنصار الذين أحبوه وأحبهم؛ وتجاذبنا أطراف الحديث وتطرقنا إلى القرضاوي ما له وما عليه، وإلى علاقة الشيخ السابقة بشيخ المجاهدين أسامة بن لادن وسبب عدم انضمامه في أفغانستان إليه، وأحداث (سبتمبر). كانت جلسة غزيرة، وإذ بأمير الفلوجة يدخل علينا ليخبر الشيخ بالخبر المفجع! كمين من الأمريكان، وتَزامَنَ هذا مع إعلان الفضائيات –الجزيرة وغيرها– نبأ: مقتل ٦٠ عنصراً من جماعة التوحيد والجهاد، فانقطعت شهيتنا للطعام، ولم يكن ثمة متسع من الوقت لاستجلاء الخبر فلا بد أن ننتظر على جمر الصبر إلى الصباح.

جاء الصباح الثقيل وتضاربت الأنباء عن القتلى من ومن؟ كلنا يستجلي الحادثة ويستبين الخبر، ويستلهم من مولاه الصبر؛ قُتل أبو عمار، وأبو محمد اللبناني، وتضاربت الأنباء عن أبي أنس، وتوجَّهْتُ إلى حي الشهداء وإذ بأبي ميسرة العراقي هناك في زيارة.

فما أن سَمِعَ نبأ أبي أنس حتى انفجر بكاء لدرجة أنه دَهشني! فما كنت لأتوقع منه كل هذا البكاء، ورحت أزيل غشاوات الشائعات بما استطعت من قوة بيان إلى حين تَبَيُّن الخبر، وجاء المساء، ودخل جنح الليل فَوَصَلَنا قرص فيه صور القتلى، فسارعت مع الشيخ



إلى الحاسوب وبدأنا ننظر الصور واحدة واحدة، وقلوبنا تَدُقُّ تنتظر المفاجآت، حتى خرج الوجه النَّيِّر والأصبع الموحدة والتراب المهال عليه -رحمه الله- فعرفنا أنه حق. لقد تجَلَّد شيخنا الراحل لهذا النبأ تجلداً كبيراً وكأني بدمعته قد احتبسها في محاجره ينتظر اختلاء منه بنفسه ليسكب كل ما جمَّعه فيهما، وسرعان ما وجهني إلى المضافات والمفارز وسائر الأحياء، وقال: "صارت مهمتك الآن صعبة"، يعني في المجال الشرعي بعد فَقْدِ أبي أنس، وطلب مني أن أجوب المفارز وأرفع الهمة، وأخفف الأحزان ببلسم الآلام.

وبسبب الحادث المفجع أصدر شيخنا -رحمه الله- أمراً بمنع كل الجوالات فانضبط الإخوة وكانت ضربةً موفقةً للعدو إذ استفاد كثيرًا من الجوالات فيما سلف. فعَجَباً الآن لإخوة -وخاصة المهاجرين- كيف يستعملون الجوال والمعصية تكتنف المتصل لحظة بلحظة حتى يغلق السماعة ويتوب ويعزم ألا يعود.

حسبنا عدد القتلى فإذا به حوالي الثلاثين، فما أكذب الإعلام، وما أكذب الجيش الأمريكي المفلس اللعين! وشتان ما بين الفريقين: المجاهدين، والصليبيين؛ فالشيخ أبو مصعب أبي وبشدة ذات مرة نشر خبر، فيه زيادة في عدد خسائر العدو عن الحقيقة، وقال بما معناه: "المسلمون ينظرون إلينا وينتظرون منا فلا يجوز أن نخونهم ونلبّس عليهم كما يفعل عدونا".

وقال ميسرة الغريب: وبعد تبَيُّنِ خبر أبي أنسٍ وجَّه شيخنا الإعلاميين ليُجَهِّزُوا إصداراً يتحدث عن أبي أنس وبدأ العمل، وكان مما استقرَّت عليه المشورة أن يتكلم كل واحد يعرفه من الأمراء بكلمة عنه، لكنَّ الشيخ لم تنفتح نفسه لأن يتكلم ولا بشِقِّ كلمة، وكان من رأي أبي ميسرة العراقي -رحمه الله- أن لا يتكلم الشيخُ بشيء وأن يُكْتَفى بكلام من يعرفه من سائر الأمراء.

وفكرتُ فرأيتُ خيرَ ما أتكلم فيه عنه أبيات من الشعر تعبر عن مشاعري وأحاسيسي؛ فاخترت أبياتاً من نسج أحد الشعراء المعاصرين، مطلعها:



عينُ جودي بدمعك الرقراق *** واسكبيه على أَعز الرفاق

ثم تم إنهاء الإصدار، فطلبتُ من شيخنا أن يشاهده ليدلي بملحوظاته قبل نشره على الملأ، فجلس ووضعت الجهاز أمامه وراح يعطي الملحوظات من أول (الفلم)، وكانت سيما وجهه أقرب إلى الحزن والذبول، فلما وصل إلى فِقْرَة "عين جودي... إلخ"، تَغَيَّرت ملامحُ وجهه وبدت علامات السرور والإعجاب عليه؛ فاهْتَبَلْتُ الفرصةَ وقلت له: أأعجبتك؟ فقال: "نعم"، والإلقاء جيد، فقلت: لِمَ لا تأخذها أنت وتلقيها. واسترسلْتُ أُذَكِّرُه بأن رفيقَ دربِه من حقه عليه أن يتكلم عنه ولو بشيء يسير، -وكان الشيخ لا يريد التكلم لأنه يرى أن أي كلام لن يوفي حق صاحبه أبي أنس-، فقال الشيخ بما معناه: "لا، لا، الأبيات أنت قلتَها لن آخذها". فورطْتُ نفسي وقلت له: لا عليك، أنا أنسج أبياتًا جديدة فهذه ليست من نسجي. فقال: "إذن آخذها شريطة أن تقول أنت غيرها"، فوافقْتُ والسعادةُ ملأت أحشائي لأن شيخنا سيتكلم بشيء.

فجهزْتُ له أبيات: "عين جودي..." واستأنفت مع الشيخ قائلاً: لماذا لا نكتب ولو كلمات قليلات قبيل الأبيات، وما عليك إلا أن تصف لي شعورك حين وصلك خبر أبي أنس وأنا أترجمه إلى لغة البيان، فكان إلقاؤه حقاً متميزاً عن سائر إلقاءاته البطولية، لقد كانت أحاسيسه ومشاعره تخالط نبرتَه وهو يرثي رفيق دربه. وبعد هذا نسجْتُ أبياتاً عن أبي أنس -رحمه الله- كان مطلعها:

وردٌ تألق في بستان أحزاني*** جُرْحٌ تَفَتَّق من أعماق وجداني

قال فيه ميسرة الغريب:

ورد تألق في بستان أحزاني *** جُرْحٌ تَفَتَّق من أعماق وجداني

أَنس الحبيب من الأحزان أنساني *** حزن تبسم في ديجور أكواني

روح رفيقٌ من الآمال أثناني *** قلبي الرقيق من الأنباء أشجاني

واستفرغ الدمع ممزوجًا بآمالي *** رفقًا بقلبي فإن البعد أدماني



لا تعذلوني فهذا الحب أشقاني *** واستل عيني فأبكاها وأبكاني

واهًا لفقدك يا أَنَسي وريحاني *** من كان غيرك لي حقًا كروحاني

ماذا أقول وهذا الرزء أعياني *** واستحبس النطق فاستلهمت كتماني

باب في تزكية الصادقين له

قال فيه أبو حمزة المهاجر: عَلَمٌ من أعلام الإسلام، لا تحويه السّطور، ولا لشرفه وفضله تُسعفني الكلمات، ولقد تردّدت كثيراً قبل الكتابة عن هذا الأسد وأخّرت الكتابة عنه لعل غيري يكون أصدق تعبيراً وأسعف بياناً، وعلم الله أنّ تأخري لسببٍ واحد، أنّي خشيت ألا أُوَفّي الرَّجُل حقّه في بيان فضله وشرفه وعلوّ منزلته ومكانته بين إخوانه وتاريخه في الدّعوة والجهاد ودوره في التّوحيد والجهاد، ثم في قاعدة الجهاد، وما مَنّ الله عليه وعلى إخوانه بالتبعية بوجوده بينهم.

فمن يتكلم عن هذا الشّهم الكريم، الشّجاع البطل، الأَسَد الهصور، العالم الرّبّاني، العالم العامل، الفقيه الحافظ، التقي النقي، السهل الواضح ثم المعلم المربي، المتمسك بدينه، الحريص على إخوانه، الناصح النصوح، الحييُّ المؤدب، الغيور على الدِّيْن والعرض، الجامع لشمل المؤمنين والمُفَرّق لصفّ المنافقين والكافرين.

بالله عليكم من يعدُّ قطرات النّهر؟، فنهرٌ كأبي أنس الشامي حريٌّ بمثله أن يتوقف عند وصفه، ويتأنى قبل أن يخاض فيه، ثم لا بُدّ أن يكون سليم الذّوق لا مرور الحلق حتى يستعذب صفاء مائه وخفّة مذاقه، وكيف لي بهذا وكلماتي يتقطّر الحزن من ثناياها وفؤادي يعتصر ألماً عند ذكره ثم بالحديث عنه، وإن كان ولا بُدّ حتماً فهاكم الرَّجُل وتلك نتفةٌ من سيرته وعلاقتي به وما يمكن أن أقوله عنه وأوّل معرفتي به.

قال فيه أبو محمد العدناني:

مِنْ شَامِنَا هذا أَبُو أَنَس الأبي *** بِفُكَاهَةٍ يُنْسِي الْمُصَابَ وَيُسْرِرُ



فِي الْعِلْمِ بَحْرٌ فِي الْحُرُوبِ مُهَنْدِسٌ *** حبرٌ الْحَدِيثِ وَفِي السِّيَاسَةِ عَبْقَرُ

قال فيه الزرقاوي: وصل خبر مقتله ولم أصدق بادئ ذي بدء، وبقيت بين الرجاء والخوف، حتى جاء الخبر اليقين! ذكريات تُلقي بظلالها، كلما تراءى أمامي شيء من أثر الجهاد والمجاهدين في أرض الخلفاء، أرض الرافدين.

شعرت وكأن جسمي انشق شقّين، وما كانت تستطيع العين إلا أن تُنفِّس بدمعات بين حين وآخر، قد كان رفيق دربي في الأتراح والأفراح، وفي الحل والترحال، كالظل لا يفارقني، صديق صدوق، نصوح شفوق.

رحمك الله يا أبا أنس، نِعمَ حامل رسالة كُنتَ، لقد تركت فراغًا لا يملأه أحد، وأورثت لِلقلوب لوعة لا يسكُنُ لهيبها إلا بلقياك في الجنان -بإذن الله، فوَالله لئن سُئِلنا لَنَصْدُقَنَّ، ولئِن استُشهِدنا لَنَشْهَدَنَّ: أنك كنت فارسًا من فرسان الإسلام حقًّا، وعالمِا عاملًا مجاهدًا، فسلامٌ على روحك في الخالدين.

عينُ جودي بدمعك الرقراقِ *** واسكبيه على أعزِّ الرفاقِ

أي خطبٍ قد أثار شجوني *** وأشاعَ الأحزانَ في أعماقي؟!

يا أخي يا أخا المودة والحبِّ *** فخذها من قلبي الخفّاقِ

إن حبي الشَّاميَّ خلٌّ وفيٌّ *** صاحب الفضل والسجايا الرِّقاقِ

لا تلمني على البكاء فإني *** قد وجدتُ البكاءَ حلوَ المذاقِ

إن فيه راحةً وعزاءً *** إنما الصبرُ أعظمُ الترياقِ

إيه يا شامُ قد فقدتِ عزيزًا *** فَكُسِيتِ الأحزانَ كالأطواقِ

قال أبو مصعب: إن أبناء هذه الأمة بحاجة إلى منارات حية تضيء لهم الطريق وتنير لهم السبيل، فها هو إمام لأحد المساجد في العراق، وكان أعمى البصر، مستنير البصيرة، يأتي إلى الأمير العسكري للقاعدة في بغداد -وذلك بعد استشهاد الشيخ أبي أنس رحمه الله تعالى- يطلب أن يقوم بعملية استشهادية، فقيل له: (يا فلان! إن الله قد عذرك)، فقال:



(إني أطلب الشهادة، لعل الله أن يدخلني الفردوس الأعلى، فأجتمع بالشيخ أبي أنس)، فوَالله إن دم الشهيد نورٌ ونار، وإن صدق دعوتنا باستشهاد علمائنا وقادتنا.



قسم التفريغ

الاختلاف بين العلماء وموقف المُكلَّفين منه

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧١-٧٠]. أما بعد؛

فإنّ خير الكلام كلام الله -عز وجل-، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

حديثنا اليوم عن: الاختلاف بين العلماء وموقف المكلفين منه. فنقول: الاختلاف سنة كونية جرت بها حكمة الله -تبارك وتعالى-، وقد قال الله تعالى: {أَفَلَمْ يَيْأَسِ..}؛ أي يعلم، {أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا} [الرعد:٣١]، ولكن {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن:٢]، {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ} [المائدة:٤٨]، {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}؛ أي بالائتلاف كما قال الإمام الطبري، {وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ} [هود: ١١٨-١١٩]؛ أي للخلاف، وقيل لعبادته[1].

[1] انظر: تفسير الطبري، (ج١٢/ص٦٣٣-٦٤٩).



قال الإمام ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (وَقَوْلُهُ: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ}؛ ولا يزال الخلاف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونِحلهم ومذاهبهم وآرائهم، [...] وَقَوْلُهُ: {إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ} أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين، أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم حتى كان النبي الأُمي وخاتم الرسل والأنبياء ، فاتبعوه وصدقوه و آزروه ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن من طرق يشد بعضها بعضًا: "إِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وإن النصارى افترقت عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً"، قَالُوا: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: "مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"[1]) اهـ[2].

لكن حديثنا أيها الإخوة هنا ليس عن الخلاف الجوهري الذي هو هُوَّة واسعة، والذي محلُّه قواعد الملّة وأصول الدين وكليّات الشريعة؛ إنّما حديثنا عن الخلاف الفُرُوعيّ الفقهي الذي جرى بين أئمتنا فاختلوا وتغافروا ولم يختلفوا فيتنافروا، يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله- معلقًا على قوله تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ}[النساء:٥٩]: (وقد تضمَّن هذا أمورًا. منها: أن أهل الإيمان قد يتنازعون في بعض الأحكام، ولا يخرجون بذلك عن الإيمان. وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام، وهم سادات المؤمنين وأكملُ الأمة إيمانًا، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلُّهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمةً واحدةً، من أولهم إلى آخرهم. لم يسوموها تأويلًا، ولم يحرِّفوها عن مواضعها تبديلًا)[3].

وهذا أمر عَجَب، يجده الإنسان جليًّا واضحًا إذا قلَّب صفحات كتب السنة التي تنقل أقاويل الصحابة -رضي الله عنهم-، فتجد الرجل يجيء من أقصى الدنيا فيمر بابن عمر ثم يُعرّج على عمران بن الحصين ثم يذهب إلى أُبيّ بن كعب فيسألهم؛ فكأنّما حُفِّظوا الجواب

---

[1] رواه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وصححه ووافقه الذهبي.

[2] تفسير ابن كثير ط. دار ابن الجوزي (ج٤ص٨٤-٨٥).

[3] أعلام الموقعين عن رب العالمين (ج١ص١٠١-١٠٢).



حتى يكادوا يتطابقون في الحكم -رضي الله عنهم وأرضاهم-، مع أنهم اختلفوا في الفروع، وهذا يُبيِّن كيف كانت عناية النبي ﷺ مُتَّجهة إلى تقرير قواعد الملّة وأصول الدين تقريرًا واضحًا بيّنًا لا لبس فيه بحيث لا تحدث فيه شُقَّة أو خلاف؛ بخلاف المسائل الفُروعية الفقهيّة، فإنّ صحابة النبي ﷺ قد اختلفوا، وكذلك أئمتنا ولكنهم تغافروا ولم يتنافروا.

وهنا يقع الناس بين طرفين ووسط؛ فإنسان لا يُفرِّق بين الخلاف الأصولي الذي يُحكَم على صاحبه بالابتداع والـمُفارقة للدين والملة أو الخروج منها تمامًا؛ وبين الخلاف الفقهي السائغ الذي تتسع دائرته ولا يوجب التهاجر ولا التنافر، فأناس تُميّع الأمور تمامًا، وأناس لا يفرّقون بين الخلاف في الأصول الذي هو من جنس البدعة، والخلاف الفُروعيّ الجائز أو الذي لا تثريب على صاحبه إذا كان قاصدًا معرفة حكم الله -تبارك وتعالى-.

وعندما يتحدّث الإنسان في هذا الباب ينبغي أن يستصحب أصلًا مهمًا يفزع إليه ويجعله بين عينيه؛ وهو إحسان الظن بأئمتنا -رضي الله عنهم وأرضاهم-، ومن كان له قدم صِدق في الإسلام فينبغي أن لا تُمحى أو تُهدر حسناته بزلّة أو خطأ وقع فيه، يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: (إذ كل أمة قبل مبعث محمد ﷺ فعلماؤها شرارها إلا المسلمين فإن علماءهم خيارهم)، وإلى الله المشتكى، وكأنّنا حقت علينا سُنّة بني إسرائيل في هذا الزمان، والله المستعان، (فإنهم خلفاء الرسول في أمته والمحيون لما مات من سنته بهم قام الكتاب وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا. وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته؛ دقيق ولا جليل)[1].

بل هم ما حلّوا ولا تبوَّأوا هذه المكانة في الأمة إلا بتعظيمهم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، إذًا فلا تثريب عليهم في هذا الخلاف، وخاصّة أن مقصد الجميع واحد وهو معرفة حكم الله -تبارك وتعالى- وتحرّي شرعه سبحانه.

---

[1] مجموع الفتاوى (ج٢٠ص٢٣٢).



ولذلك قال الإمام الشاطبي -رحمه الله- في بيان أنّ الخلاف في الأمور الفروعيّة راجع إلى الاتِّفاق: (ومن هنا يظهر وجه الموالاة والتحاب والتعاطف فيما بين المختلفين في مسائل الاجتهاد، حتى لم يصيروا شيعا ولا تفرقوا فرقا؛ لأنهم مجتمعون على طلب قصد الشارع، فاختلاف الطرق غير مؤثر، كما لا اختلاف بين المتعبدين لله بالعبادات المختلفة، كرجل تقربه الصلاة، وآخر تقربه الصيام، وآخر تقربه الصدقة إلى غير ذلك من العبادات، فهم متفقون في أصل التوجه لله المعبود وإن اختلفوا في أصناف التوجه، فكذلك المجتهدون لما كان قصدهم إصابة مقصد الشارع صارت كلمتهم واحدة وقولهم واحدا)[1].

ولذلك كما قلت اختلف أصحاب النبي ﷺ فأتَلَفوا -رضي الله عنهم وأرضاهم-، وقد عقد شيخ الإسلام -رحمه الله- فصلًا في توحُّد الملّة وتنوع شرائعها وتعدّدها، وجريان ذلك في أهل الشريعة الواحدة بنوع من الاعتبار، وخلاصة الكلام قبل أن نقرأه؛ أنّ الاختلاف الفروعي بين أئمتنا -رحمهم الله- في مسائل الشريعة والتَعبُّدَات بمنزلة الاختلاف بين الأنبياء والرسل -عليهم الصلاة والسلام- في الفروع والشعائر والتعبُّدات، نحن نعلم أن الأنبياء والرسل كما أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام-: "أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ؛ وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ"[2]؛ شرائعهم شتّى وأصول الملّة واحدة لم يختلفوا فيها، ولكن الشرائع تفاوتت، وكذلك الخلاف بين الأئمة في أمّتنا هو صورة أخرى للخلاف بين الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، يتّفقان من وجه ويختلفان من وجه.

الوجه الذي يتَّفقان فيه أن كلًا منهم مأمور أن يعبد الله بما أدّاه إليه اجتهاده؛ كما كان الأنبياء -عليهم السلام- مأمورون بما جاءهم من الدين، وليس من حقّ نبيّ على نبيّ أن يوجب عليه اتباعه إذا لم يكن الله أمره بذلك، بل كل منهم مأمور بالشريعة التي بلغته وجاءت إليه، وهكذا الأئمة المجتهدون كل منهم مأمور أن يعبد الله وأن يحكم بما وصل إليه اجتهاده وبما خلُص إليه بعد النظر والتأمل في البيّنات والبراهين الشرعية. ولكن وجه

---

[1] الموافقات، الشاطبي (ج٥ج٢٢٠).

[2] لا يوجد رواية بهذا اللفظ، لكن روى أحمد وابن حبان الحديث بلفظ مقارب: "الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، فَلَيْسَ بَيْنَنَا نَبِيٌّ". (صحيح) وروي كذلك عند أحمد بلفظ: "بَنَاءُ عَلَّاتٍ".



الاختلاف أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معصومون من الخطأ والزلل بخلاف العلماء والأئمة -رحمهم الله-.

يقول [ابن تيمية] رحمه الله: (الأصول الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع هي بمنزلة الدين المشترك بين الأنبياء ليس لأحد خروج عنها ومن دخل فيها كان من أهل الإسلام المحض وهم أهل السنة والجماعة. وما تنوعوا فيه من الأعمال والأقوال المشروعة فهو بمنزلة ما تنوعت فيه الأنبياء قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩]....)[١].

فقسم تنازعوا فيه ولا يمثّل خرقًا لإجماع ولم يعتبر من قبيل زلّات العلماء -وسنأتي لهذا إن شاء الله- فهذا من منزلة ما تنوّعت الأنبياء ولكن من وجه دون وجه، فوجه المشابهة أنه مأمور بالعمل بما أدّاه إليه اجتهاده كما أن كلّ نبي مأمور أن يعمل بما بلغه من الرسالة، (وليس لأحدهما أن يوجب على الآخر طاعته كما ليس ذلك لأحد النبيين مع الآخر وقد يظهر له من الدليل ما كان خافيا عليه فيكون انتقاله بالاجتهاد عن الاجتهاد ويشبه النسخ في حق النَّبِيِّ)[٢]؛ يعني عالم كان على رأي ثمّ ظهر له دليل كان خافيًا عليه، فإنه يصير إليه كما كان الأنبياء يحصل النسخ في شرائعهم لظهور بيّنات ولمجيء أوامر جديدة من الرب -تبارك وتعالى-.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وقد اتفق الصحابة في مسائل تنازعوا فيها؛ على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهادهم كمسائل في العبادات والمناكح والمواريث والعطاء والسياسة وغير ذلك)[٣]. فهذا وجه الموافقة بين خلاف الأئمة داخل الملة الإسلامية وبين شرائع الأنبياء.

---

١ مجموع الفتاوى (ج١٩ص١١٧).

٢ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج١٩ص١٢٤).

٣ مجموع الفتاوى (ج١٩ص١٢٢).



ووجه المخالفة أن الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- معصومون عن الإقرار على الخطأ، ولهذا فإن الله أمر كل واحد من الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بالتمسك بما هو عليه ظاهرًا وباطنًا، حقٌ يقينيّ، وليس كذلك الأئمة المجتهدون، بل يقال فيهم إنَّ الله أمر كلًا منهم أن يطلب الحق بقدر وسعه وطاقته، فإن أصابه وإلّا فـ{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}، وهو في جميع أحواله معذور أو مأجور؛ إمّا أجر وإما أجران كما في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-.

فمن ذمّه أو لامَه على ما لم يؤاخذه الله عليه فقد اعتدى، ومن جعل أقواله وأفعاله بمنزلة أقوال المعصوم وأفعاله ﷺ فقد اعتدى كذلك واتبّع هواه بغير هدى من الله، فالغلو والمبالغة وإضفاء العصمة على الأئمة مجانبة للحق، وهو كشأن النصارى، وإهدار كرامة أو مكانة ومقام الإمام بخطأ أو زلل وقع فيه لا ينبغي ولا يجوز أيضًا، وهو كشأن بني إسرائيل.

إذًا فليس المحظور جريان الخلاف في الفُرُوعيَّات؛ وإنّما المحظور التعصُّب والبغي على المخالف. ولذلك يا إخوة انظروا كيف فقه أئمتنا هذه الحكاية، ونحن بالذات -أتباع المدرسة السلفيّة- أحوج الناس إلى إدراك هذه الحقائق التي قرّرها أئمتنا؛ لأنّ كثيرًا من الناس لجهله وضيق عقله ولأنّه لا يعرف خلاف العلماء يضيق عقله ويقصر نظره ويبدأ يخاصم ويواصل ويفاصل على فروع وسع أئمتنا الاختلاف فيها.

صنّف رجل كتابًا سمّاه (الاختلاف) فقال له الإمام أحمد -رحمه الله-: (لا تسمِّه كتاب الاختلاف ولكن سمّه كتاب السَّعة)[١]، وشاع ألسنة أئمتنا -رحمهم الله-: (إجماعهم حجّة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة)[٢]، وقد ذكر هذا الإمام ابن قدامة -رحمه الله- في أول كتابه (المغني).

وهذه -يا إخواني- حكمة الله وسنّته القدريّة الكونيّة أن الناس لا بد أن يختلفوا؛ هي سنة قدريّة وهي أيضًا حكمة شرعيّة.

---

١ طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، (ج١/ص٢٩٧). الرجل هو إسحاق بن بهلول الأنباري -رحمه الله-.

٢ المغني، (ج١/ص٤). في الأصل: اتفاقهم.



يقول الإمام الشاطبي -رحمه الله تعالى-: (فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار، ومجالا للظنون)؛ أي فيها مجال للاختلاف، ولذلك الله -تبارك وتعالى- جاء في كثير من المواطن بنصوص غير قاطعة؛ يمكن أن تحتمل فيها وجهات النظر ويمكن أن تختلف زوايا النظر والقراءة فيها، (قد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق عليها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف)[١]. والنظريات تقابل الضروريّات، هناك أشياء ضرورية جعلها الله -تبارك وتعالى- موازين في حسّ الإنسان يزن بها الأشياء، وهناك أمور نظرية إنّما تدرك بالنظر.

النَّظري ما احتاج للتّأمُّلِ *** وغيره الضروريّ الجَليّ[٢]

فالله -تبارك وتعالى- في هذه المسائل الفروعيّة جاء بها بألفاظ مُحتمِلة قابلة للنظر، ولو كان الله -تبارك وتعالى- لا يريد الاختلاف قدرًا لبيَّن هذه الأمور بيانًا قاطعًا واضحًا لا لَبْس فيه؛ بحيث ينقطع عذر كلّ ناظر ومتأمّل، فالنظريات عريقة في إمكان الاختلاف، ولكن في الفروع دون الأصول وفي الجزئيّات دون الكليّات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف.

ولأن الكليات من المسائل التي قد بيّنها الشرع في الكتاب والسنّة وأقاويل الصحابة بيانًا واضحًا؛ عدّ أئمتنا الخلاف في هذا الباب من جنس الاختلاف البدعيّ؛ بخلاف الفروع الفقهيّة، ولذلك قال الإمام الزركشي -رحمه الله-: (اعلم أنَّ الله تعالى لم ينصب على جميع الأحكام الشرعية أدلة قاطعة، بل جعلها ظنية قصدا للتوسيع على المكلفين، لئلا ينحصروا في مذهب واحد لقيام الدليل عليه)[٣].

---

١ الاعتصام، (ج٣ص٩٣).

٢ السلم المنورق للأخضري.

٣ البحر المحيط في أصول الفقه، (ج٨ص١١٩).



مثال هذا؛ الله -تبارك وتعالى- قال: {وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ} [البقرة:٢٢٨]؛ القُرْء في العربية يدلّ على الحيض ويدلّ على الطهر، ولذلك اختلف الأئمة؛ وإن كان الصحيح هو مذهب الأئمة الخلفاء الأربعة ومذهب الإمام أحمد ومذهب أبي حنيفة أنه الحيض، لكن المقصود أن الله -تبارك وتعالى- كان قادرًا أن يقول: (ثلاثة حيض) وينتهي الأمر وتنتهي المشكلة، ولكن الله -تبارك وتعالى- من رحمته ومن حكمته أنه جاء بألفاظ محتملة؛ ومن المصالح الشرعية في هذا الباب والحكم أنّ العقول لا تجمُد بل تظلّ تتحرك وتعمل وتفكر وتتأمل.

والذي يقرأ خلاف الأئمة -خاصّة في مثل كلام ابن تيمية وابن القيّم- يجد عجبًا، خذ مثلًا قضية (القروء)، ابن القيم -رحمه الله- تكلّم عنها في (زاد المعاد)[1]؛ فيأتيك بأدلة على أنّ القرء هو الحيض؛ فإذا قرأت الأدلة تقول: والله القرء هو الحيض، ثم يأتي بأدلة القائلين بأنّ القرء هو الطهر؛ فتقول: لا، لا، والله القرء هو الطهر، ثم يرجع فيردّ عليهم فترجع، فبمثل هذا ينمو العقل ويتّسع لأنه إذا لم يعمل ركد وخمد، والله المستعان.

ولذلك عندما أدرك أئمتنا هذا الأمر لم تتّجه همَّتهم لحسم الخلاف الفقهي بل إلى إحياء فقه الاختلاف وأدب الخلاف، ولذلك قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (أما الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط ولو كان كلما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا لم يبق بين المسلمين عصمة ولا أخوة)[2]. وهذا الشافعي يقول ليونس الصَّدفيّ -رحمهم الله جميعًا-: (يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة)، قال الإمام الذهبي معلقًا: (وهذا يدل على كمال عقل هذا الإمام وفقه نفسه؛ فما زال النُّظراء يختلفون)[3].

متى لا يختلف الناس؟ عندما يكون الناس كلهم إمّعات وواحد فيهم مُقدَّم فإنّهم لا يختلفون، ولكن عندما يكون الناس أصحاب عقول فلا بد من الخلاف، ليس المقصود أن

---

[1] انظر: فصل في ذكر الخلاف في تفسير الأقراء هل هي الحيض أو الأطهار، مع أدلة الفريقين ومناقشتها، زاد المعاد، (ج٦/ص٢١٧).

[2] مجموع الفتاوى (ج٢٤ص١٧٣).

[3] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج٨/ص٤٠).



نتقصَّد الخلاف -كما سيأتي-، ولكنْ عادةً الذي يستعمل عقله لا يمكن أن ينطبق مع عقل غيره تمامًا؛ لا يستعمل عقله بالنظر المجرَّد وإنّما يستعمل عقله في فقه الشريعة.

ولهذا هذا الإمام أحمد وابن المديني -رحمها الله- تناظرا في مسألة فاختصما وارتفعت أصواتهما؛ فلمّا أرادا أن ينصرفا أخذ ابن المديني بركاب ناقة أو بغلة الإمام أحمد -رحمهما الله-[١]؛ إشعارًا بأنّنا أصفياء وبأنّ الودّ بيننا لم يتأثر.

ومن قرأ الرسائل -وقد ذكرها ابن القيم في أعلام الموقعين[٢]- التي كانت بين الإمام مالك والليث بن سعد -رضي الله عنهم جميعًا- في بعض المسائل يترادّان فيها ويتراجعان؛ يجد أدب أئمتنا -رحمهم الله- في هذا الباب الذي يجب أن نَرِثه وأن نتعلّمه.

وهذا الإمام مالك -رحمه الله- عندما قال له أبو جعفر: (إنّي عزمت على أمر)؛ وهو أن يجمع الناس على (الموطأ)، لأنّ في فتاوى الإمام مالك، فقال: (لا تفعل؛ فإنّ الناس قد سبقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث وروايات، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم وعملوا به ودانوا به؛ وإنّ ردَّهم عمّا اعتقدوه شديد، فدعهم وما هم عليه)[٣]، فقال: (لعمري لو طاوعني على ذلك لأمرتُ به)، ولذلك قال الإمام أحمد: (لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه)[٤].

تصوّروا لو أنّنا كنّا مكان الإمام مالك؛ يأتيك الخليفة ويقول لك: (أنا أريد أن أُلزم الناس بمذهبك)، هذا يوم السَّعْد!، ولكن ما كان هكذا أئمتنا -رحمهم الله-، **وأنا أقول حقيقيةً خلاصة الفقه؛ أن يعرف الإنسان وأن يفرّق بين الخلاف السائغ وبين الخلاف الذي هو من جنس البدعة**، فيفرّق بين الخلاف السائغ الذي لا حَرَج فيه ما دام المقصود

---

[١] رواه ابن عبد البر عن العباس بن عبد العظيم العنبري في جامع بيان العلم وفضله (ج٢/ص٩٦٨). كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكبا على دابة، قال: فتناظرا في الشهادة وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه.

[٢] انظر: أعلام الموقعين، (ج٣/ص٥٥٦).

[٣] رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (متمم التابعين)، (ص٤٤٠-٤٤١).

[٤] رواه عنه المروذي. الآداب الشرعية، ابن مفلح، (ج١/ص١٦٦).



معرفة حكم الله وليس المقصود أن تخالف؛ وإنما لا حرج فيه إذا كنت صادقًا متحرّيًا حُكم الله -تبارك وتعالى- قاصدًا إلى معرفة أمره، كما سنشير إن شاء الله، وبين الخلاف الذي هو من جنس البدعة الذي يُهجر صاحبه ويُقرَّع ويُعاب.

إذا كان الأئمة اختلفوا -رحمهم الله- فيا ترى ما الأسباب التي أوجدت هذا الخلاف؟

فنقول الأسباب راجعة في الجملة إلى أمور:

الأمر الأول: أن لا يعتقد أن النبي ﷺ قال هذا الحديث؛ لم يبلغه أو بلغه بإسناد ضعيف لم يصحّ عنده ولم يثبت؛ فلم يذهب إليه ولم يقل به، قال ابن تيمية -رحمه الله-: (وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفا لبعض الأحاديث؛ فإن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة [...] وهذا السبب هو الغالب على أكثر ما يوجد من أقوال السلف مخالفا لبعض الأحاديث؛ فإن الإحاطة بحديث رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الأمة فهذا لا يمكن ادّعاؤه قط)[١] اهـ.

وقد أشار لهذا الإمام الشافعي -رحمه الله- في (الرسالة)؛ أشار إلى أن أمرين لا يحيط بهما إلا نبي؛ اللغة العربية لسان العرب، وأحاديث النبي ﷺ[٢].

والأمثلة في هذا كثيرة؛ كحادثة (الجدّة) مع أبي بكر -رضي الله عنه-[٣]، وفي قصة عمر -رضي الله عنه- مع قضية مجوس هجر[٤] والرجوع عن الطاعون وما أشبه هذا، وهكذا سائر الصحابة -رضي الله عنهم-.

---

١ مجموع الفتاوى (ج٢٠ص٢٣٣).

٢ (ص٤٢-٤٣).

٣ رواها مالك في الموطأ. جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها، فقال لها أبو بكر: (ما لك في كتاب الله شيء. وما علمت لك في سنة رسول الله ﷺ شيئا. فارجعي حتى أسأل الناس). فسأل الناس. فقال المغيرة بن شعبة: (حضرت رسول الله ﷺ أعطاها السدس)، فقال أبو بكر: (هل معك غيرك؟) فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة فأنفذه لها أبو بكر الصديق.

٤ رواها عبد الرزاق في المصنف. أن عمر بن الخطاب لم يرد أن يأخذ الجزية من المجوس؛ حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر.



يقول ابن تيمية –رحمه الله–: (وهذا باب واسع يبلغ المنقول منه عن أصحاب رسول الله ﷺ عددًا كثيرًا جدًا. وأما المنقول منه عن غيرهم فلا يمكن الإحاطة به؛ فإنه ألوف)[١]اهـ. إذًا الأمر الأول أن لا يُظنَّ أن النبي ﷺ قاله، إمّا أنه لم يبلغه أو بلغه من وجه لا يصح.

الأمر الثاني النسيان؛ وإنّما سميّ الإنسان إنسانًا لنسيانه، وقد قال النبي ﷺ: "فَنَسِيَ آدَمُ، فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ"[٢]، ولذلك من الأمثلة الطريفة ما رواه الإمام أبو داود[٣] والترمذي عن ربيعة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة –رضي الله عنهم جميعًا–: (أن النبي ﷺ قضى بالشاهد واليمين)[٤]، فإنّ سهيلًا نسي الحديث بعد ذلك، فذكّره به ربيعة، فكان بعد ذلك يروي الحديث فيقول: (حدّثني ربيعة أنّي حدّثته عن أبي عن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قضى بالشاهد واليمين)[٥]، وقد ألّف أئمتنا كتاب (تذكرة المُؤتَسي فيمن حدَّث ونسي)، وهذا شأن بني آدم، وكم من العلم ينساه الإنسان خاصّة مع كثرة الذنوب، نسأل الله أن يتوب علينا.

الأمر الثالث: عدم اعتقاد دلالة الحديث على المراد؛ يعني بلغه وتذكّره لم ينسه ولكن لم يفهم منه الدلالة على المراد، إمّا بسبب أنّ الاستدلال موقوف على مسألة أصولية جرى فيها خلاف، يعني مثلًا الأمر يقتضي الوجوب.

وافعل لدى الأكثر للوجوبِ *** وقيل للنَّدب أو المطلوبِ
وقيل للوجوب أمر الربِّ *** وأمر من أرسله للنَّدبِ

---

١ مجموع الفتاوى (ج٢٠ص٢٣٨).

٢ رواه النسائي في الكبرى (عمل اليوم والليلة) والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. ورواه كذلك ابن حبان في صحيحه، والبيهقي في السنن الكبرى، وأبو يعلى في مسنده، والحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط مسلم.

٣ ما رواه أبو داود هو من طريق ابن عباس –رضي الله عنهما–.

٤ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

٥ انظر: التمهيد، ابن عبد البر، (ج٢/ص١٤٦).



إذًا هذه المسألة فيها خلاف، فيأتي هو تفريعًا على اعتقاده أن الأمر يقتضي الندب فيقول: هذا الأمر ورد إذًا هذا الفعل مندوب إليه، وغيره يقول بل هو واجب، فيختلفان بسبب أن هذا الأمر مُفرَّع على خلاف في مسألة في أصول الفقه.

الأمر الثاني؛ قد يكون في الحديث ألفاظ غريبة يخطئ الناس أو يختلفون في فهمها أو إدراك المقصود منها؛ مثل (المزابنة) و(المخابرة) و(المخاضرة) و(بيع الحصاد)، وقد اختلف الأئمة في تكييفها وتصورها.

الأمر الثالث؛ إنّ العربيّة -كسائر اللغات- قد يكون فيها مجال لتَحَمُّل وجوه النظر بالرجوع إلى العربية أو فهم مقصود المتكلم؛ كما ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: "لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"، ففهم بعض الصحابة أنّ المقصود الإسراع وردّوا الأمر إلى البيّن الـمُحكَم من أمر الشرع وهو أنّ الصلاة في ميقات مُعيَّن، فصلوا في الوقت وظنّوا أنّ المقصود الإسراع، ووقف أناس مع ظاهر الحديث فأخّروا الصلاة عن ميقاتها، فالأمر كان محتمِلًا، فإذا كان مقصود الإنسان أن يعرف حُكم الله وأن يُطيع الله وأن يَنْقَاد إلى الله -تبارك وتعالى- وإلى أمره؛ فإن أخطأ فإنه مأجور أجرًا واحدًا وإن أصاب فله أجران.

الأمر الرابع: الآن هو وصله الحديث وثبت عنده ولم ينسه وفهم المراد منه، لكن اعتقد أنه مُعارَض بما هو أولى بالأخذ منه، والمعارضة تكون من وجوه؛ الأمر الأول: أن يظن أنه منسوخ؛ فيقول هذا الناسخ وهو أولى بالأخذ لأنه متأخر وقد قامت البينة على ذلك وتعارض الحديثان ولا سبيل للجمع فأقدِّم الـمُتَأخِّر، فيظنّ أنه منسوخ.

الأمر الثاني: أن يَظُنَّ أنه مُعَارَض بالإجماع، وهذه مسألة تحتاج إلى مزيد بحث ودرس، ولكن على كل حال يقول شيخ الإسلام -رحمه الله-: (لكن لا يمكن العالم أن يبتدئ قولا لم يعلم به قائلا؛ مع علمه بأن الناس قد قالوا خلافه)[١] اهـ. وقد قال الإمام أحمد -

[١] مجموع الفتاوى، (ج٢٠\ص٢٤٧).



رحمه الله–: (إيّاك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام)[١]، وكان يقول: (كيف أقول ما لم يُقَل)[٢].

ولذلك كان شيخ الإسلام –رحمه الله– في بعض المسائل يُفرّع فيقول: (إن كان في المسألة إجماع فهو أولى ما أُخذ به وإلّا فالقياس [يقتضي ذلك])[٣]، وهذا مُفرَّع على أصل ينبغي أن نفهمه وهو أنّ هذه الأمّة معصومة عن الخطأ بمجموعها، فلا يمكن أن يعزُب الصواب عن مجموع الأمّة فلا يكون قائل به في عصر أو زمن من الأزمان؛ أن لا يكون في الأمّة قائلٌ بالصواب والحق.

بل شيخ الإسلام –رحمه الله– يقول فيه كقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} [آل عمران: ١١٠]، يقول: (هو يدل على أن الأمة لا تجتمع على خطأ فإذا أمرت بأمر فهو معروف وإذا نهت عن شيء فهو منكر، وأشد من ذلك وأعظم أن الأمة لا يمكن أن يكون معروف ولا يكون في الأمة قائل به)[٤]، فإذا كانت الأمة بمجموعها لم تأمر بأمر فهو منكر، وإذا لم تنهَ بمجموعها عن أمر فهو معروف، وليس فقط إذا أمرت بأمر فهو معروف وإنّما إذا لم تأمر بمجموعها بأمر فهو منكر.

الأمر الخامس: وهذا قد سرى في المتأخرين خاصةً؛ وهو التعصّب والهوى، وهذا سبب مذموم، وقد أفضى بكثير من المُتأخرين إلى تحويل الفرع أصل وجعله قاعدة يُواصَل ويُفاصَل عليها، كما كان بعضهم يقول: (هذا –ويشير إلى تحريك الإصبع في التشهّد– فرقٌ بين السلفيّ والبدعيّ)، لا والله كلامك هو البدعة، وهكذا تجد بعض الإخوة إذا خالفته في مسألة جزئية خاصّة.

---

[١] رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، (ج١/ ص٢٤٥).

[٢] رواه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة، (ج١/ص١٦).

[٣] مجموع الفتاوى، (ج٣٣/ص٢٤٧).

[٤] مجموع الفتاوى، (ج١٩/ص١٧٦).



أذكر أن أحد مشائخنا كان يحدِّث أحد الشباب فقال له: (طيب هنا أخطأ الألباني)، فقال: (لا، أنا أعلم أنّ الألباني لا يمكن أن يقول برأي إلّا بحديث)، فقال له –وقد وُفِّق–: (هذا الذي تقوله هو عين عمدة الـمُقلّدة)، وهذا صحيح، المقلد يقول: (الإمام أحمد لا يمكن أن يقول كلامًا من عنده)، الإمام أحمد لا يمكن أن يأتي بشيء من جيبه، ولا الإمام الشافعي ولا غيرهم من الأئمة –رحمهم الله ورضي الله عنهم–، فهذا الذي تقوله وتجعله أصلًا في أن تُقدِّم كلام الألباني على سائل الأئمة، هذا من الجهل؛ لأنه هو الأصل الذي اعتمد عليه المقلِّدة، فإذا جعلته أصلًا فتقليد من سبق من أئمتنا أولى بكثير من تقليد الألباني وغيره.

أما الذي يبْحَث للناس عن رخص فكأنّه يحاول أن يُخَفِّف عنهم أحكام الله ويبحث لهم عن مخرج، فهذا كأنه يقول: (إن دين الله تعالى شاق وفيه شدّة ولا يصبر عليه الناس ولا يحتملونه، وأنا أريد أن أخفّف على الناس فأنا أرحم بهم من الله)، والعياذ بالله!، وكما قلت: لازم المذهب ليس بلازم، ولكن هذه هي الحقيقية؛ الذي يتشرَّب حبّ هذا الدين والقناعة به وأنه هو الحق، يتحرّاه بدلائل الكتاب والسنّة ثمّ يقدّمه للنّاس على أنّ هذا هو الصلاح، وهو الترياق والدواء بإذن الله –تبارك وتعالى–، فأيضًا تتبع الرخص ليس جائز.

ولكن هنا نختم بأمر وهو أنّ أقسام الناس عمومًا في التعامل مع الشريعة ثلاثة أقسام، كما قال ابن عبد البرّ وغيره:

- هناك مجتهد؛ وهو من يتعامل مع دلالة الكتاب والسنة مباشرة، باجتهاد مطلق، وتصرُّف تام، وتحرٍّ كامل، وأهلية تامة.
- القسم الثاني هو طالب العلم؛ الذي شدا شيئًا من العلم وحصَّل بعض أصول النظر وله إدراك ومعرفة فيتحرّى في أقاويل العلماء، هو ليس أهلًا أن يُفْتِي في النوازل لأنّه لم تكمل أهليّته ولم تتمّ آلته، ولكنه قادر على الترجيح بين أقاويل العلماء ولا يخرج عن فلكهم.

- القسم الثالث هو العاميّ؛ وهذا لا حَرَج عليه أن يقلِّد من يثق بدينه وعلمه، لكن هذا العاميّ يسأل من يثق بدينه وعلمه ولا يَلْزم أن يعرف الدليل؛ وإن كان هذا هو الأفضل وهو الذي ينبغي أن نربّي الناس عليه، ولكن لا يلزمه، وهذا شبه إجماع، ولا يلزمه بعد ذلك أن يذهب ويسأل كل واحد من العلماء، إنّما يتحرّى من يثق بدينه له وعلمه فيسأله، ثمّ إذا تبيَّن له عكس الحكم بدليل من الكتاب والسنة فلا يجوز له أن يَعْدِل عمّا ظهر له من دلائل الكتاب والسنة ولا يُعْذَر.

والمثل الذي يشتهر عندنا: (حُطهَا برقبة عَالم واطْلَع منها سَالم)؛ هذا مثل يهودي في الحقيقية، واليهود كما جاء في حديث ابن عمر وأصل قصّة الرجل والمرأة اللَّذين زنيا، فجاء في رواية أبي داود: (اذهبوا بنا إلى هذا النبيّ، فإنه نبيٌّ بُعِثَ بالتخفيف، فإن أفتانا بِفُتيا دُونَ الرجمِ قبلناها واحتججنا بها عندَ الله، قلنا: فُتيا نبيٍّ مِن أنبيائِك)[١]، وهم لا يؤمنون به ولكن مقصدهم فقط تتبُّع الرُّخَصِ، فهذا الذي قاله اليهود: (فُتيا نبيٍّ مِن أنبيائِك)، هو نفس الذي يقوله لعامّة: (حطها برقبة عالم واطلع منها سالم).

لكن كما قلت يا إخوة؛ هذا الحديث والكلام كلّه في الفروع لا في أصول الملّة وقواعد الشريعة، فإن السلف قد فرَّقوا؛ فهم اختلفوا في الفروع فتغافروا ولم يتهاجروا، وأنكروا على المبتدعة، فعُلم أنّ الخلاف منه خلاف سائغ جائز، ومنه خلاف من جنس البدعة والمعارضة والمعاندة للشريعة، وهذا يُعرف بالتأمل في أقوال أئمتنا –رضي الله عنهم وأرضاهم– وما الذي أنكروه، سواء كان في الأصول العقديّة أو في بعض المسائل الفقهية التي شدّدوا فيها النكير على من خالف فيها وابتدع أو مرقَ عن الإجماع.

وكما قال أئمتنا: (لا يكون عالمًا من لا يعرف خلاف العلماء)، فإذا عرف الخلاف عرف بعد ذلك الفرق بين الأمرين، وكما قلت هذه حقيقية وخلاصة الفقه، والله أعلم.

والحمد لله، وصلى الله على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

---

١ سنن أبي داود من طريق أبي هريرة رضي الله عنه (صحيح لغيره).



الحث على طلب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهدِه الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠]. أما بعد؛

فإنّ خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

حديثنا الليلة أيّها الإخوة الكرام، كلمة قصيرة وتذكرة يسيرة إن شاء الله تعالى، ثم نفتح باب السؤال لمن أحبّ، وكلمتنا عن العلم وأهله والحَثِّ عليه، في زمان تقاصرت فيه الهمم، وضعفت فيه العزائم، وفترت فيه الإرادات، ورغب الناس عن دينهم إلا من رحم الله، وزهد الناس في العلم حتى أهل الخير، إلا من رحم الله وقليلٌ ما هم.

ومن الرزايا والبلايا التي تُبيّن كيف خَفَت نور الإيمان في قلوبنا، ونقص تقديرنا لديننا أن (الشريعة) أقل الدرجات؛ من أراد أن يدخل كليّة الشريعة فأقلّ درجة دون سائر الكليّات، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على هوان ديننا عندنا، وإلّا فدين الله يحتاج إلى عقول وإلى فحول وإلى رجال يَصِلُون الليل والنهار، ويَدْأَبون في الغدو والعشي لفهم دين الله وللبذل دونه والذبّ عن حياضه.



نُعرّجُ سريعًا على بعض ما كان عليه أئمتنا –رحمهم الله– في هذا الميدان، تذكرةً وشحذًا للهمة.

هذا يحي بن السعيد –رحمه الله– يقول: (كنت أخرج من البيت أطلب الحديث فلا أرجع إلا بعد العتمة)[١].

وهذا الربيع بن سليمان يقول: (كان الشافعي يجزّئ الليل، فثلثه الأول يكتب، وثلثه الثاني يصلي، والثالث ينام)، قال الذهبي معلِّقًا: (أفعاله الثلاثة عبادةٌ بالنيّة؛ كتابته وقراءته وصلاته ونومه؛ كلّ ذلك عبادةٌ لله إذا صلحت النية)[٢].

كما قال معاذ –رضي الله عنه– كما في البخاري: (فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي)[٣]؛ أحتسب في نومتي من الأجر ما أحتسب لصلاتي وقيامي لله –سبحانه وتعالى–.

وهذا كما قال الشاعر:

أَعَاذِلَتي على إتعابِ نفسي *** ورَعْيِيَ في الدُّجى رَوْضَ السُّهادِ
إذا شَامَ الْفَتَى بَرْقَ الْمَعَالِي*** فَأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيبُ الرُّقَادِ[٤]

(أعاذلتي)؛ العذل هو اللوم، كما يقولون: (سبق السيف العذل)، (أعاذلتي على إتعاب نفسي) أي يا لائمتي على ذلك، (ورعيي في الدجى روض السهاد): أي أنه يسهر طوال الليل. (إذا شَامَ الْفَتَى بَرْقَ الْمَعَالِي، فَأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيبُ الرُّقَادِ)؛ ولا يُنال العلم براحة الجسم، والنعيم لا يدرك بالنعيم.

وهذا الإمام أبو عاصم النبيل تُحكى طرفة عنه، يقال إن أنفه كان كبيرًا:

لك أنفٌ يا ابن حرب *** أَنِفت منه الأنوفُ

---

١ سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج٧ص٥٨٣).

٢ سير أعلام النبلاء الذهبي، (ج٨ص٢٤٨).

٣ صحيح البخاري.

٤ ابن نباتة السعدي.



أنت في القُدسِ تصلي*** و هو في البيت يطوفُ[١]

فتزوج امرأة فدنا منها بالليل وقد أطفأ السراج يريد أن يُقبّلِها؛ فدنا منها فقالت له: (نحِّ ركبتك عنّي)، فقال لها: (هذه ليست ركبة هذا أنف)[٢].

هذا الإمام أبو عاصم النبيل يُقال أنَّما قيل له النبيل لأنّ فيلًا قَدِمِ البصرة، فذهب الناس ينظرون إليه؛ تراكضوا وخفقت النعال وطارت، فبقي جالسًا ولم يفارق حلقة شيخه، فقال له شيخه ابن جريج: (ما لك لم لا تذهب فتنظر؟) فقال له: (لا أجد منك عوضًا)، الفيل يعوَّض ولو فاتني لم يفُتني كثير خير، لكنّ مجلسك لا يعوَّض، فقال له: (أنت نبيل)[٣].

وهذا أحمد بن حنبل سافر للحج مع يحيي بن معين –رحمهم الله جميعًا– على أن ينفروا بعد الحج إلى صنعاء في اليمن ليأخذوا عن عبد الرزاق –رحمه الله–، فلقيه يحيي بن معين في الطواف فقال له: (هذا عبد الرزاق هنا، كُفينا مؤونة السَّفر)، فقال: (لا والله لا أنقض نيَّة أبرمتها لله، ولا أسمع منه إلا في اليمن)، وسافر بعد الحج لصنعاء ليسمع منه. يقول أحمد بن حنبل –رحمه الله–: (لم يكن في قرية عبد الرزّاق بئر، فكنّا نذهب نُبكِّر قبل الصلاة على ميلين نتوضأ ونحمل معنا الماء)[٤].

هذا علي بن المديني –رحمه الله– يقول: (ربما أذكر الحديث في الليل فآمر الجارية تسرج السراج فأنظر فيه)[٥].

وكان الإمام أحمد –رحمه الله– يقول: (مع المحبرة إلى المقبرة)[٦].

---

١ ابن الرومي.

٢ تاريخ دمشق، ابن عساكر، (ج٢٤/ص٣٦٢).

٣ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، (ج٢/ص٢٥٠).

٤ مسند الإمام أحمد (ج٢٢ص٧٦).

٥ سير أعلام النبلاء، الذهبي (ج٩ص١٠٩).

٦ مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، (ص٣٧).

وسئل سهل بن عبد الله إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: (حتى يموت ويُصبّ باقي حبره في قبره)، وقال: (يا أصحاب الحديث اجْهَدوا أن لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر)[٧].

وقديمًا قالوا: (من خدم المحابر خدمته المنابر).

وهذا أبو حاتم يقول عن الإمام القعنبي تلميذ الإمام مالك وأحد رواة (الموطأ) -رحمهم الله جميعا-، يقول عنه: (ثقة حجة لم أر أخشع منه سألناه أن يقرأ علينا الموطأ، فقال: تعالوا بالغداة فقلنا: لنا مجلس عند حجاج بن منهال. قال: فإذا فرغتم منه؟ قلنا: نأتي حينئذ مسلم بن إبراهيم، قال: فإذا فرغتم؟ قلنا: نأتي أبا حذيفة النهدي. قال: فبعد العصر؟ قلنا: نأتي عارما أبا النعمان قال: فبعد المغرب؟ فكان يأتينا بالليل فيخرج علينا وعليه كبل ما تحته شيء في الصيف فكان يقرأ علينا في الحر الشديد حينئذ)[٢]؛ وهذا لأنهم شغلوا أوقاتهم وعمروها بالخير -رحمهم الله تعالى-.

ومن عجيب ما ذكره الإمام النووي -رحمه الله- عن القاضي أبي الطيّب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطَّبري، وليس هو صاحب التفسير ولكنه من علماء الشافعيّة من طبرستان، قال النووي: (الإمام الجامع للفنون المعمر -يعني طال عمره- بدأ بالاشتغال بالعلم وله أربع عشرة سنة، فلم يخل بدرسه يومًا واحدًا إلى أن مات وهو ابن مئة سنة وسنتين)[٣]؛ يعني ثمانيَ وثمانين سنة ما تخلّف عن الدرس قط!

وهذا عبد الرحمن بن أبي حاتم -رحمه الله تعالى- يقول: (كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسَّم لمجالس الشيوخ، وبالليل: النسخ والمقابلة)؛ يكتبون ثم يُقابلون بين نُسخهم ليستوثقوا من كتابتهم وضبطها. قال: (فأتينا يوما أنا ورفيق لي شيخًا، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا، فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقت مجلس، فلم يُمكنّا إصلاحها، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليها ثلاثة أيام

---

٧ سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج١٠/ص٤٠٢).

٢ سير أعلام النبلاء، (ج٨ص٣٦٩).

٣ المجموع شرح المهذب، النووي، (ج١ص٥٠٩).



–وهم لا يجدون وقتًا لطبخها وطهوها–، وكادت أن تتغير، فأكلناه نيّئة، لم يكن لنا فراغ أن نعطيها من يشويها. ثم قال: لا يُستطاع العلم براحة الجسد)[١].

يقول الإمام الأدفوي: (حكى لي الشيخ زين الدين عمر الدمشقي المعروف بابن الكتّاني –رحمه الله تعالى–: قال: دخلت عليه –أي على الإمام ابن دقيق العيد– بكرة يوم، فناولني مجلَّدة، وقال: هذه طالعتها في هذه الليلة التي مضت) اهـ.

هذا لأنّ بعض الناس أُوتوا سرعةً في القراءة مع حُسن فهم وضبط، وهذا أمر يُجرى فيه الآن وتُقام فيه دورات متخصصة خاصّة في بلاد الغرب؛ كيف تقرأ مجلدًا في يوم قراءةً واعيةً ومُتدبّرة وتخرج بخلاصته وعصارته، وهذا كان خُلق كثير من الأئمة الذين مضوا –رحمهم الله–.

وقال الأدفوي: (وأخبرني شيخنا الفقيه سراج الدين الدَّنْدري أنه لما ظهر «الشرح الكبير في فقه الإمام الشافعي للرافعي» اشتراه –ابنُ دقيق العيد– بألف درهم، وصار يصلي الفرائض فقط، واشتغل بالمطالعة إلى أن أنهاه، وذُكر عنده هو والغزالي في الفقه، فقال: الرافعي في السماء)، وإذا قال المتأخرون من الشافعية: (قال الشيخان)؛ فهما الرافعي والنووي –رحمهم الله جميعًا –.

يكمل الإمام الأدفوي: (ويقال –عن ابن دقيق العيد– أنه طالع كتب الفاضلية عن آخرها)[٢]. والمكتبة الفاضلية هي مكتبة ضخمة، طالعها كلّها.

قال السبكي –رحمه الله– في ترجمة الإمام ابن دقيق العيد: (ربما استوعب الليلة فطالع فيها المجلد أو المجلدين)[٣].

---

[١] تذكرة الحفاظ، الذهبي، (ج٣/ص٨٣٠).

[٢] الطالع السعيد الجامع أسماء علماء نجباء الصعيد، الأدفوي الشافعي (ص٨٥٠).

[٣] انظر طبقات الشافعية الكبرى (ج٩ص٢١١).



وجاء أيضًا في ترجمة المجد الفيروز آبادي، صاحب (القاموس المحيط)، وكلمة (القاموس) معناها البحر، والكتاب الذي يبحث فيه عن معاني الكلمات يسمّى معجمًا، لكن هذا المعجم اسمه القاموس، لكن لشُهرته صارت الناس تظنّ أن القاموس هو الكتاب الذي يبحث فيه عن معاني الكلمات.

قرأ صحيح مسلم في ثلاثة أيام متصلة في دمشق وأنشد:

قرأتُ بحمد الله جامعَ مسلمٍ *** بجوف دمشق الشام جوف الإسلامِ
على ناصر الدين الإمام ابن جهبل *** بحضرة حُفَّاظٍ مشاهيرَ أعلامِ
وتم بتوفيق الإله وفضله *** قراءة ضبط، في ثلاثة أيامِ[1]

وقرأ الحافظ أبو الفضل العراقي صحيح مسلم على محمد بن إسماعيل الخباز بدمشق في ستة مجالس متوالية، قرأ في آخر مجلس منها أكثر من ثلث الكتاب، وذلك بحضور الحافظ زين الدين بن رجب وهو يُعَارِضُ بنسخته[2].

وفي (تاريخ الذهبي) في ترجمة إسماعيل بن أحمد الحَيْري النَّيسابوري الضرير ما نصه: (وقد سمع عليه الخطيب البغدادي بمكة «صحيح البخاري» بسماعه من الكُشْمَيْهَني في ثلاثة مجالس -وتأملوا قدر هذه المجالس! - اثنان منها في ليلتين، كان يبتدئ بالقراءة وقت المغرب، ويختم عند صلاة الفجر، والثالث من صحوة النهار إلى طلوع الفجر)، قال الذهبي: (وهذا شيء لا أعلم أحدًا في زماننا يستطيعه)[3].

وقال الحافظ السخاويُّ: (وقع لشيخنا الحافظ ابن حجر أجلُّ مما وقع لشيخه المِجْد اللغوي -وهو الفيروز آبادي-، فإنه قرأ صحيح البخاريِّ في أربعين ساعة رملية، وقرأ صحيح مسلم في أربعة مجالس سوى مجلس الختم في يومين وشيء، وقرأ سُنَن ابن ماجه في

[1] الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، السخاوي، (ج١/ص١٦٢).
[2] لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، تقي الدين ابن فهد، (ج١/ص ١٤٥).
[3] تاريخ الإسلام، الذهبي، (ج٣١/ص٥٤).



أربعة مجالس، وقرأ كتاب النسائي الكبير في عشرة مجالس، كل مجلس منها نحو أربع ساعات، وقرأ صحيح البخاري في عشرة مجالس كل مجلس منها أربع ساعات)[١].

ثم قال السخاوي: (وأسرع شيء وقع له -أي لابن حجر- أنه قرأ في رحلته الشامية «مُعْجَمَ الطبَراني الصغير» في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، قال: وهذا الكتاب في مجلد يشتمل على نحو ألف حديث وخمسمئة حديث) اهـ. وابن حجر إمام مُحقِّق مُدقِّق -رحمه الله- فكان سريعًا ولكن مع استيعاب وضبط وفهم[٢].

وأمّا حب القراءة والمطالعة والتكرار؛ فهذا الحسن اللؤلؤي يقول: (لقد غبرت لي أربعون عاما ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري)[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: (وأعرف مَنْ أصابه مرَضٌ من صُداع، وحُمَّى، وكان الكتابُ عند رأسه، فإذا وجد إفاقةً؛ قرأ فيه، فإذا غُلب؛ وضعَه)[٤].

وهذا الإمام القرافي قال: (أقام الشيخ تقي الدين -ابن دقيق- أربعين سنة لا ينام الليل؛ إلا أنه كان إذا صلى الصبح اضطجع على جنبه إلى حيث يتضحى النهار)[٥]. يعني إلى الضحى الأول.

قال الزبير بن بكَّار: قالت بنت أختي لأهلنا: (خالي خير رجُلٍ لأهله، لا يتَّخذ ضرَّةً ولا سُرِّيَّةً)، يعني تقول لزوجة خالها: خالي أحسن زوج لا يتخذ ضرة ولا سرية، والسرية هي الجارية، فقالت: (والله هذه الكتب أَشَدُّ عليَّ مِنْ ثَلاَثِ ضَرَائِرَ)[٦].

---

١ الجواهر والدرر، السخاوي (ج١/ص١٦٤).
٢ الجواهر والدرر، السخاوي (ج١/ص١٦٤).
٣ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (ج٢/ص١٢٢٧).
٤ روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص١٠٩).
٥ الدرر الكامنة في علماء المئة الثامنة، ابن حجر العسقلاني (ج٥ص٣٥١).
٦ سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج١٠/ص٣٢).



وأمّا التكرار؛ فهذا الإمام الـمُزَني تلميذ الشافعي: (قرأت كتاب الرسالة للشافعي خمسمئة مرة)[٧].

قال البخاري –رحمه الله–: (لا أعلم شيئا أنفع للحفظ من نهمة الرجل، ومداومة النظر)[٢]؛ لأنه سُئل عن دواء للحفظ، فقال الدواء الوحيد أنْ يكون عندك رغبة وحرص وتعلّق وفكر وهمّ؛ فهذا هو الذي يورثك –بإذن الله– قدرةً وطاقةً على الحفظ والضبط.

قيل لليث: (أمتع الله بك، إنا نسمع منك الحديث ليس في كتبك. فقال: أو كل ما في صدري في كتبي؟ لو كتبت ما في صدري، مَا وسعه هذا المركب)[٣].

ولذلك يذكرون عن الإمام ابن حزم –رحمه الله– لما أُحرقت كتبه أنه قال:

فَإِنْ تَحْرِقُوا القِرْطَاسَ لاَ تَحْرِقُوا الَّذِي *** تَضَمَّنَهُ القِرْطَاسُ بَلْ هُوَ فِي صَدْرِي
يَسِيرُ مَعِي حَيْثُ اسْتَقَلَّتْ رَكَائِبِي*** وَيَنْزِلُ إِنْ أَنْزِلْ وَيُدْفَنُ فِي قَبْرِي
دَعُوْنِيَ مِنْ إِحْرَاقِ رقٍّ وكاغدٍ *** وَقُولُوا بِعِلْمٍ كَيْ يرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي
وَإِلاَّ فَعُوْدُوا فِي الـمَكَاتِبِ بَدْأَةً *** فَكَمْ دُوْنَ مَا تَبْغُونَ للهِ مِنْ سِتْرِ[٤]

قَالَ عَلِيُّ بنُ خَشْرَم: (ما رأيت بيد وكيع كتابا قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ، فقال: إن علمتك الدواء، استعملته؟ قلت: إي والله. قال: ترك المعاصي، ما جربت مثله للحفظ)[٥].

وهو الذي قال فيه الإمام الشافعي:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي *** فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ *** ونورُ الله لا يُهْدَى لعاصِ

---

٧ مناقب الشافعي، البيهقي، (ج١/ص٢٣٦).
٢ سير أعلام النبلاء الذهبي،(ج١٠ص٨٦).
٣ المرجع السابق، (ج٧ص٢١٤).
٤ المرجع السابق، (ج١٣/ص٣٨٣).
٥ المرجع السابق، (ج٧ص٥٦٥).



قيل للإمام الأصمعي: كيف حفظت، ونسوا؟ قال: (درست وتركوا)[١]؛ راجعت وحفظت وداومت، وحياة العلم مذاكرته، وتركوا فنسوا كل ما تعلموه.

وقال الإمام الأصمعي عبد الملك بن قريض -رحمه الله- وهو من أهل السنة، قال: (أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة)[٢]، الأراجيز هي القصائد الطويلة، سوى المنثورات والقصائد القصيرة.

سُئل أبو داود: (أيهما أحفظ: وكيع أو عبد الرحمن بن مهدي؟)، عبد الرحمن بن مهدي ووكيع ويحي بن سعيد القطان كانوا أئمة الحديث في زمانهم، ومعهم أيضًا الإمام شعبة وسفيان الثوري ومالك، فقَالَ أبو داود: (وكيع أحفظ، وعبد الرحمن أتقن، وقد التقيا بعد العشاء في المسجد الحرام، فتواقفا -يتذاكران الحديث-، حتى سمعا أذان الصبح)[٣]، وهذا حصل لكثير من الأئمة رحمهم الله جميعًا.

هذا هشام بن يوسف يقول: (أقام معمر عندنا عشرين سنة، ما رأينا له كتابا)[٤]، يعني: كان يحدثهم من حفظه، وكان -رحمه الله- جوّالًا في البلاد، فأتى اليمن فأحبه أهل اليمن وراودوه على البقاء فأبى، فاحتالوا له فزوجوه، فربض عندهم -رحمه الله تعالى-.

لكن هناك ثلاثة أمور ضعيفة في زماننا؛ ولذلك ثمرات قراءتنا -إن قرأنا- ضعيفة:

- الأولى: قلة الرغبة في الحفظ.

ولا شك: فاحفظ فكل حافظ إمام.

والحفظ هو الأساس الذي يستعمله الإنسان بعد ذلك في التفكير وفي الاستنباط وفي الضبط، ونحن للأسف فتَنَتْنَا الطريقة والأنموذج الأمريكي والبريطاني والغربي عامّة سوى

---

[١] المرجع السابق، (ج٨ص٣٢٤).
[٢] المرجع السابق، (ج٨ص٣٢٤).
[٣] المرجع السابق، (ج٧ص٥٦٥).
[٤] المرجع السابق، (ج٦ص٤٧٣).



الفرنسي؛ الذي يُركّز على الفهم فقط ولا يبالي بالحفظ، ولا شك أنّ هذا حَوَل، والطرف الآخر حَوَل آخر، والصواب أنْ يجمع الإنسان بين الأمرين؛ فإذا لم تكن تضبط الآية ولم تكن تعرف الحديث وتحفظه، فكيف ستستنبط وتستعله في الاحتجاج وفي الاستنباط وفي الفتيا وما أشبه هذا؟!

فالحقيقة الآن -للأسف- كثير من الـمُتَشرّعة والـمُتفقّهة تجده باحثًا، إذا بحث يبحث جيدًا و يأتيك بخلاصة وعصارة وضبط وتحقيق للمسألة، ولكن إذا نزعت منه كتابه ذهب كل شيء، ولا شك أن هذا انحراف.

- والأمر الثاني: ضعف المنهجية والخلل.

وكما قيل قديمًا:

من أجلِ كَوْنِكَ في البداية أَحْوَلا *** لا بُدَّ من شيخٍ يَقُودك أوّلا

مشكلة كثير ممّنّ يَشدو العلم ويرُومُه أنه لا يدري كيف يطلب العلم، وبالتالي يظلّ مُلَقْلَقًا مقلقلًا مضطربًا ساعيًا في كل واد، فيأخذ من كل بستان زهرة قبل أن يثبت ويتأصّل ويحسن الضبط ويتعمق. ولذلك قال الإمام أبو عبيدة -رحمه الله-: (من شغل نفسه بغير المهم، أضرّ بالمهم)[١].

أذكر أيّام الجامعة أنّنا كنّا ندرس في بعض السنوات في السنة الواحدة ثماني عشرة مادّة، الإمام الشنقيطي -رحمه الله- صاحب (أضواء البيان) يذكر أنهم لم يكونوا يسمحون في بلادهم لطالب العلم أن يجمع بين فنَّين إلا أن يكون خارق الذكاء أَلْمَعيًا لَوْذَعيًّا، هذا يُسمح له أن يجمع بين علمين في وقت واحد، وإلّا فعلم حتى يتقنه ثمّ ينتقل إلى غيره، ولكن نحن كما قال الإمام الزُّهري -رحمه الله-: (من رامَ أخذ العلم جُملةً ذهب عنه جملةً)[٢].

---

[١] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، (ج٢/ص ١٦٠).

[٢] جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر (ج١/ص٤٣١).



سُئل (فولتير)، ونحن أيّها الإخوة نستأنس أحيانًا بكلام بعض هؤلاء الكفار والحكمة ضالّة المسلم، ولكن علينا أن نتذكر دائمًا أنهم لن يهدونا وقد ضلّوا، ولن ينفعونا وقد خسروا دنياهم وأُخراهم والله المستعان، سئل عن من سيقود الجنس البشري؟ فقال: (الذين يعرفون كيف يقرأون)، وحقيقة هذه هي أعظم مشكلة يعاني منها طلبة العلم في هذه الأيّام.

قال أحمد الصُّويّان: (ومن اللطائف العجيبة أن ابن الجوزي كان يتكلم عن ضرورة ترتيب الأولويات لطالب العلم –الأهم والمهم وهكذا–، ثم يقول: «قد عُلم قِصر العمر وكثرة العلم، فيبتدئ بالقرآن وحفظه، وينظر في تفسيره نظرًا متوسطًا لا يخفى عليه بذلك منه شيء. وإن صحَّ له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتدأ بأصول الحديث من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك»[1]، ثم ساق ابن الجوزي علومًا يبدأ بها طالب العلم في عصره، قد يعجز عنها بعض المنتسبين إلى العلماء في عصرنا!)[2].

يقول ابن رجب –رحمه الله–: (قال أحمد بن يحيى: سمعت أحمد غير مرة، يقول: لا تكتبوا هذه الأحاديث الغرائب، فإنها مناكير، وعامتها عن الضعفاء)[3]؛ هذه بليّة ابتُلِيَ بها الناس بكل زمان، هناك إنسان يحب الغريب ويبحث عن الشاذ، ويتتبّع الأخبار الغريبة والمنكرة والشاذّة والضعيفة، ويترك حفظ الصحيح والتّفقُّه فيه، فيضيع عمره في جمع الأسانيد والتكثُّر بها من غير طائل.

قال أبو بكر الخطيب البغدادي–رحمه الله–: (أكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب على إرادتهم كتب الغريب دون المشهور، وسماع المنكر دون المعروف، والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ من روايات المجروحين والضعفاء، حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنبًا،

---

[1] صيد الخاطر (ص١٨٤).

[2] مقال (من آفات القراءة)، أحمد الصويان، مجلة البيان، العدد (١٤٩).

[3] شرح علل الترمذي (ج١٢ ص٦٢٣).



والثابت مصدوفًا عنه مطرحًا [...] وهذا خلاف ما كان عليه الأئمة من المحدثين والأعلام من أسلافنا الماضين)[١].

يقول ابن رجب: (وهذا الذي ذكره الخطيب حقّ. ونجد كثيرًا ممن ينتسب إلى الحديث، لا يعتني بالأصول الصحاح كالكتب الستة ونحوها، ويعتني بالأجزاء الغريبة، وبمثل مسند البزار، ومعاجم الطبراني، وأفراد الدارقطني، وهي مجمع الغرائب والمناكير)[٢].

وهذا كثير للأسف، تجد طالب العلم يريد أن يبدأ بطلب الحديث فيبدأ بقراءة (منتقى ابن الجارود)؛ طيب هل قرأت البخاري وهل قرأت مسلمًا؟ لا، ولكن يريد شيئًا غريبًا جديدًا، مع أنّ هذه هي أصول الإسلام وهي الصحاح وهي التي عُنِيَ بها العلماء وعليها المعوَّل وعلى أصولها تدور أحكام الشريعة. نعم تلك يوجد فيها فوائد، والإنسان بعد أن يثبّت هذه لا بدّ له -إذا أراد أن يتبحّر وأن يتوسّع- أن يرجع إلى هذه الكتب ففيها خير كثير، ولكن يذهب يترك الأصول والصحاح ويقبل على تلك.

وهذا يفعله الآن في واقعنا كثير من الشباب، يبدأ في الطلب فبدل أن يبدأ بالبخاري يبدأ بـ (السلسلة الضعيفة) للألباني، أو (السلسلة الصحيحة) له، نعم هذه فيها خير كثير وجهد مبارك وجمع، ولكن أولًا اقرأ (صحيح البخاري) وأنت مطمئنّ لتصحيح الإمام البخاري وما سارت عليه الأمّة وتلقّته بالقبول، ثمّ بعد ذلك إذا عظُمت همّتك ورَقَت عزيمتك اقرأ بعد ذلك هذه الكتب، لكن هذا لا شكّ أنه من الحول.

ولذلك قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (تركوا الحديث وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيهم!)[٣]. وهذا الأعمش يقول عن إبراهيم: (كانوا يكرهون غريب الكلام وغريب الحديث)[٤].

---

[١] الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، (ص١٤١).
[٢] شرح علل الترمذي (ج٢ص٦٢٤).
[٣] المرجع السابق، (ج٢ص٦٢٣).
[٤] المرجع السابق، (ج٢ص٦٢٢).



فهذا الأمر الثاني وهو ضعف المنهجيّة.

- أمّا الأمر الثالث: قلّة التعقُّل والتدبُّر.

الله تعالى قال: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: ٢٩]، وهذا هو كما أنه في كلام الله هو كذلك في كلام نبينا ﷺ.

يقول أحدهم: (التفكير هو الذي يجعل ما نقرأه ملكًا لنا).

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (مَا أَقَلَّ الفِقْهَ في أَصْحَابِ الحَدِيْثِ)[١]، يعني في كَتَبَة الحديث، فكما ذكرنا قبل ذلك؛ كثير من هؤلاء همّهم -كما قال الإمام أحمد- جمع الغريب والمناكير والشاذ، وهؤلاء أكثرهم لا ذكر لهم في التاريخ، وإنّما نبغ ونبل أئمتنا الذين أحسنوا الحفظ مع الفقه والضبط.

وقال الإمام إسحاق بن راهويه -رحمه الله-: (كنت أجالس بالعراق أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأصحابنا، فكنا نتذاكر الحديث من طريق وطريقين وثلاثة، فيقول يحيى بن معين من بينهم: وطريق كذا، فأقول: أليس قد صَحّ هذا بإجماعٍ مِنا؟ فيقولون: نعم، فأقول: ما مراده؟ ما تفسيره؟ ما فِقهه؟. فيقفون كلهم إلا أحمد بن حنبل -رحمه الله-)[٢].

قال ابن القيم: (فالفكرُ هو الذي ينقلُ من موت الغفلة إلى حياة اليقظة)[٣].

وعلى كل حال فالناس دائمًا درجات، وهذا الذي أشار إليه النبي ﷺ: "فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ"[٤].

وعلى كل حال ينبغي للإنسان أن يحرص أن يكون له دورٌ في حفظ هذا الدين؛ سواء بالحفظ أو بالفهم والاستنباط وحسن التدبر، أمّا أن لا يكون في العير ولا في النفير فهذا

---

[١] رواه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة، (ج٢/ص٣٩٢).

[٢] مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، (ص ٧٨).

[٣] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم، ابن القيم، (ج١ص٥٢٦).

[٤] رواه أبو داود وأحمد وابن ماجه وابن حبان والترمذي، وقال: حديث حسن.



هو البلاء، ولهذا قال [الأعمش][1] -رحمه الله-: (إنّي لأرى الرجل الشيخ الكبير لا يُحسن رواية الحديث فأشتهي أن أصفعه بالنّعال)[2]، في أي شيءٍ ضيّعت عمرك! في أيّ شيءٍ ضيعت عمرك وأنت لا تُحسن أن تقرأ كتاب ربك ولا تُحسن شيئًا عن حديث نبيك ﷺ؟!

ونحن في زمان لو أردنا أن نفعل ما يشتهيه الإمام الثوري -رحمه الله- لما لبسنا نعالاتنا في أرجلنا، ولحملناها في أكفِّنا!، نسأل الله السلامة، والشكوى لله.

ولذلك قال ابن القيم -رحمه الله-: (فرُبَّ شخصٍ يفهمُ من النصِّ حكمًا أو حكمين، ويفهمُ منه الآخرُ مئةً أو مئتين)[3]، والحقيقة سبحان الله خاصّة الإمام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله- الذي يقرأ لهما يجد من حسن الاستنباط ودقّة الفهم وعظيم الاستنباط شيئًا عجيبًا، رحمهم الله جميعًا. وهذا أمر نحتاجه، وخاصّة حسن الفهم.

إذْ قيل كَمْ مُخطِّئٍ صحيحا *** لأجل كون فهمه قبيحا[4]

كثير من النّاس كما قال الشاعر:

أقول له: عمروا فيسمعه سعدا *** ويكتبه حمدا وينطقه زيدا

يعني سبحان الله أنت تحدثه في الشرق وهو في الغرب!، ولذلك قال الإمام ابن القيّم -رحمه الله-: (ما أكثر ما ينقل الناس المذاهبَ الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة!)[5].

وللأسف هذه ظاهرة منتشرة جدًا، ما أكثر أن تسمع من يقول لك: (ابن باز يقول كذا وكذا)، تقول له: (متأكد؟)، فيقول: (أنا سمعته)، تذهب لتسمع الكلام فإذا هو في الشرق وهو في الغرب.

---

[1] في الأصل قال الشيخ: سفيان.
[2] رواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (ج١٠/ص٩).
[3] مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم (ج١/ص١٦٣).
[4] نظم السلم المنورق للأخضري.
[5] مدارج السالكين، ابن القيم (ج٣ص٢٢٠).



ولعلّي ذكرت مرة الموقف الذي حصل معي؛ عندما صليت في مسجد (بينو)، فأحد الشباب كان يصلي إلى غير سترة، فقلت له: (السُّنة أن تصلي إلى سترة)، رجع إلى البيت فرأى أخاه يصلي وقد لبس سترة (جاكيت) فقال له: (الشيخ أبو أنس يقول حرام أن تصلي بسترة)، فجاءني وقال: (أخي يقول حرام أن تصلي بسترة، هل قلت هذا؟)، فقلت له: (لا، قلت غيره)، والشكوى لله، وهذا للأسف كثير والله المستعان.

ونسأل الله تعالى أن يُحسن ختامنا، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يجعلنا من حَمَلة دينه وجند دعوته، آمين، آمين.

وصلى الله على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

فتح باب الأسئلة:

سؤال حول دراسة العلوم الدنيوية

جواب الشيخ: بسم الله، طبعًا هذه مسائل اجتهاديّة على كلّ حال، ولكن لا شك أنه ليس من العقل أن يدرس الإنسان ما لا يشتهي؛ لأنه لا يمكن أن يُبدع أو يُحسن أو يتقن شيئًا لا يحبّه ولا يشتهيه، لكن أحيانًا هناك قضايا مهمّة لا بد أن يعرفها الجميع، حتى مثلًا في الكيمياء والفيزياء أو في الرياضيات، هناك قضايا لا ينبغي للإنسان أن يجهلها، هذه ينبغي للإنسان رغم أنفه أن يدرسها.

ثم بعد ذلك إذا وُجد فيه ميلٌ إلى شيء يتخصّص فيه، وهذا الذي يفعله الآن عقلاء الغرب، وموجودة عندنا ولكن بطريقة مشوّهة؛ وهو قضية التخصّص التجاري والصناعي، هذا هو الأصل، أن يدخل في المجال الذي يحبه ويجد له ميلًا في نفسه ورغبة؛ حتى يُبدع ويتقن إن شاء الله. أمّا أن يدرس ويدرس.. فكما قال أحد العقلاء: (يقيء ما حفظه على ورق الامتحانات ثمّ ينساه)، ما الفائدة؟ نحن درسنا وتعبنا، والقنبلة الذرية والنووية...

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: الشكوى لله، نحن في آخر وقت كما يقولون، والإنسان يُسدِّد ويقارب، يعني لا ينبغي له أن يقصّر في المدرسة، هذا أمر بُلي به وفُرض عليه فلا يُقصّر فيه، وبعد ذلك هناك متَّسع؛ من أراد حقًّا يتعلم دينه وأن يحفظ كتاب ربه وأن ينظر في الخير عنده مُتَّسع، نعم المدرسة تأخذ شيئًا كبيرًا من الوقت ولكن عنده متسع.. الشكوى لله.

نحن نصرخ ونستحثّ ونحضّ النُّبغاء والنجباء والعقلاء أن يتّقُوا الله في أمّتهم، والحقيقة هذه القضية هي شرعيّة أيضًا؛ العلماء يقولون فرض الكفاية إذا لم يسدّ يأثم كل قادر على أن يسدّ ثغرة، يعني وجود العلماء هذا فرض كفاية، وهذا الفرض الآن حقيقةً لم يُسدّ، فيأثم كل قادرٍ على سد هذه الثغرة ثم لا يفعل. إنسان كان يقدر أن يسدّ هذه الثغرة؛ رزقه الله فقهًا وفهمًا وعقلًا وهمةً ونبوغًا، ثم يذهب فقط ليكون طبيبًا أو كذا يريد أن يستأثر بالدنيا، وتُترَك ثغور الإسلام المهمّة والأهم فارغة، ونحن في زمان كما ترى، إذا أردنا أن نعدّ كم طبيبًا في (صويلح) ؟ وكم مهندسًا؟ وإلخ، فسنعد بالمئات، ولكن إذا أردنا أن نعدّ كم عالمِا في (صويلح) تثق به [انقطاع في التسجيل] كلها، [...]

وكما قال الإمام الشاطبي -رحمه الله-: (إذا قلنا إن فرض الكفاية على القادر فهو أيضًا على غير القادر من وجه).

مثلًا الأمّة تحتاج إلى إمام، الإمام له شروط؛ أن يكون قرشيًا وأن يكون عالمِا.. إلخ، فالذي تتوفر فيه الصفات فهذا الأمر في حقّه فرض عين، ولكن الذي لا تتوفر فيه هذه الصفات.. يقول: (فرضه أن يحثّ وأن يحضّ من كان أهلًا للقيام بهذا الواجب)[1]؛ أنا مثلًا لا أستطيع أن أكون عالـمًا، ولكن من واجبي أن أحضَّ الذي يستطيع أن يكون عالمِا وأن

---

[1] يقول الإمام الشاطبي في الموافقات (١ج١ص٢٧٨): (طلب الكفاية؛ يقول العلماء بالأصول: إنه متوجه على الجميع، لكن إذا قام به بعضهم سقط عن الباقين، وما قالوه صحيح من جهة كلي الطلب، وأما من جهة جزئيه؛ ففيه تفصيل، وينقسم أقساما، وربما تشعب تشعبا طويلا، ولكن الضابط للجملة من ذلك؛ أن الطلب وارد على البعض، ولا على البعض كيف كان، ولكن على من فيه أهلية القيام بذلك الفعل المطلوب، لا على الجميع عموما."... "لكن قد يصح أن يقال: إنه واجب على الجميع على وجه من التجوز؛ لأن القيام بذلك الفرض قيام بمصلحة عامة؛ فهم مطلوبون بسدها على الجملة؛ فبعضهم هو قادر عليها مباشرة، وذلك من كان أهلا لها، والباقون -وإن لم يقدروا عليها- قادرون على إقامة القادرين، فمن كان قادرا على الولاية؛ فهو مطلوب بإقامتها، ومن لا يقدر عليها؛ مطلوب بأمر آخر، وهو إقامة ذلك القادر وإجباره على القيام بها؛ فالقادر إذا مطلوب بإقامة الفرض، وغير القادر مطلوب بتقديم ذلك القادر؛ إذ لا يتوصل إلى قيام القادر إلا بالإقامة من باب ما لا يتم الواجب إلا به، وبهذا الوجه يرتفع مناط الخلاف؛ فلا يبقى للمخالفة وجه ظاهر).



أساعده وأن أحثّه وأن أُعينه، مثلًا لو كنتُ تاجرًا وعندي إنسان قادر أن يكون عالمِا ولكنه يحتاج إلى تَفَرُّغ وأن يُكفَى مَؤُونة العيش؛ فيجب عليّ شرعًا –ليس تطوّعًا ولا تنفُّلًا مني– يجب عليّ أن أعينه بفضل مالي لينتصب لهذا الخير، وليتفرغ لسدّ هذه الثغرة.

وبهذا يشعر الإنسان فعلًا أنّ الأمّة كلّها آثمة على تفاوت، إلّا من سعى لإصلاح الخطأ وبذل جهده واستفرغ وسعه؛ وإلّا فلا شكّ أنّ الجميع آثم إلا من رحم الله، ونسأل الله أن نكون منهم.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ:... على كلّ حال هو باختصار؛

الأمر الأول: أن لا يتشعب، وهذه قضية مهمة، لا يقرأ كل فن في وقت واحد.

الأمر الثاني: أن يكثر من مطالعة وقراءة تراجم العلماء حتى تبقى جَذْوة العلم حية في قلبه، كلّما ضعفت جدّدها، في زمان المغريات والملهيات التي لا تحصى.

الأمر الثالث: أن يبحث عن من يعينه على الخير، فإذا وجد شيخًا فليلزم غرزه، وإلا على الأقل يبحث عن من يعينه من إخوانه من رفاقه وأقرانه، يتعاون معهم على هذا الخير.

وبعد ذلك كما قال ابن عبّاس –رضي الله عنهما– في البخاري: (الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره)[١]؛ يعني يبدأ بفن أو فنين إذا وجد في نفسه طاقة وسعة، ويبدأ بصغار الكتب، ثم يتوسَّع.

مثلًا في أصول الفقه يبدأ بـ (الورقات)، فإذا انتهى منها يقرأ (الوجيز في أصول الفقه) لعبد الكريم زيدان، ثمّ يقرأ كتاب (مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول) للتلمساني، ثم بعد ذلك يمكنه أن يقرأ مذكرة الشيخ الأمير –رحمه الله–، ثم بعد ذلك تنفتح أمامه أبواب الخير، وهكذا.

---

[١] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.



في القرآن يحرص على حفظ القرآن ويجعل له الجهد الأكبر ويقرأ مختصرًا في التفسير.

وفي الحديث يحفظ مثلًا (عمدة الأحكام) لعبد الغني المقدسي مع شرح مختصر في البداية، وهكذا، والله المستعان.

والآن الحقيقة عندنا قضية مفيدة في زماننا وهي الأشرطة والسلاسل العلمية، يعني هناك علماء شرحوا بعض الكتب وأنت لا تجد مثلهم في بلدك، [...] وشرحوا بعض الكتب كـ (عمدة الأحكام) و (بلوغ المرام)، فأنت قد لا تجد من يشرحها لك في بلدك مثلهم، ولكن عندك الأشرطة فتحاول أن تعوِّض النقص، لا شك أن الأشرطة لا تسد الثغرة كلها ولكن ما لا يُدَرك كلّه لا يُترَك جلُّه، والله المستعان.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: الله المستعان، يعني الاستخارة حقيقةً هي ثمرة الإيمان والثقة بالله والتوكل عليه، وشعور الإنسان أنه ضعيف حقًا وأنه عاجز وأنه لا يملك شيئًا إلا بحول الله وقوّته، وأن الخير من عند الله –سبحانه وتعالى–، وأن الأمور كلها بيد الله –تبارك وتعالى– إذا وثق بربه وشعر بمعنى التوكل عليه، وحاجته إلى الله، وفاقته الشديدة إليه في كل لحظة؛ فهذا لن يتنفس إلّا باستخارة.

ولذلك كان صحابة النبي ﷺ –رضي الله عنهم وأرضاهم– يستخيرون الله تعالى في شسع نعل أحدهم إذا انقطع هل يرفعه أو لا، لأنه قد يفعل فيلبسه فيمضي به إلى معصية أو إلى شر لا يدري به، فكانوا يستخيرون حتى في هذا الأمر اليسير، وهذا كما قلت لأن قلوبهم كانت موصولة بالله –سبحانه وتعالى–، والحقيقة الإنسان يجد هذا في نفسه؛ عندما يشعر بارتفاع منسوب الإيمان في قلبه يُدقّق، فلا يذهب لمشوار ولا يزور فلانًا ولا يشتري شيئًا حتى يستخير، فإذا شعر بقسوة في قلبه أو نقص فربّما يغفل عن مثل هذا، والله المستعان.



فهذا أمر يحتاج الإنسان أن يراجع فيه نفسه دائمًا، وأن يشعر فعلًا بأنه (يا رب ليس لي إلّا أنت)، وأن الخير من عنده وإلا فالله المستعان.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: لا.. الرؤية لا تُشترط، وإنّما كما قال النبي ﷺ: "إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ.. "[١]، أولًا يفكّر في الأمر ويقلّب وجوه النظر، ويسأل من يثق بعلمه، ثمّ يستخير إذا عزم، فإذ أمضاه الله تعالى فهو الخير، وإن صدّه عنه أو حال بينه وبينه؛ فهذا شرٌ صرفه الله عنه أو صرفه عن خير إلى ما هو أخير منه إن شاء الله تعالى.

الاستخارة تكون أيضًا بعد سؤال الناس؛ حتى لا تستعقد بعد سؤال الله أحدًا، يعني الحسم والحزم عندك يا رب، واضح؟

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: في حقّ نفسك تُخرج ما تظنّ أنه به تبرأ ذمّتك، تُقدِّرُ شيئًا يغلب على ظنك أنه به تبرأ ذمّتك وتخرجه.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: الحرام هو الحرام، لكن يظلّ إذا أراد أن يتوب يقدّر، فالحرام حرام وما بُنِيَ على حرام فهو حرام، والذي بُنِيَ على الحلال فهو حلال.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: الشكوى لله -عزّ وجل-، هناك قضيّتان؛ قضية هم فيها معذورون، وقضية لا عذر لهم فيها. معذورون في أنّ الخطوط الحمراء التي تضعها الدول كثيرة، وهذه لا طاقة لهم بها ولا يكلّف الله نفسًا إلا وسعها؛ وذلك لأنّ البنوك هي الأداة الاقتصادية والآليّة التي

---

[١] حديث الاستخارة. رواه البخاري.



تُطبّق الفكر الاقتصادي الموجود عند الدولة، فالبنوك هي حكاية ورسمٌ عمليّ وآلية تنفيذ للفكر الاقتصادي الذي تتبنّاه الدولة، ففي هذه الناحية يظلّ البنك الإسلاميّ لا بد أن يكون له حساب أو مدّخرات في البنك المركزي وما أشبه ذلك.

لكن القضية الثانية هناك أمور يكون فيها سعة ومجال، ولكن للأسف عندما يكون همّ الإنسان أن يبحث عن الرُّخص وأن يلفّق من أقوال العلماء ما يُرقِّع له، هذا لا يمكن أن يستقيم، هذا حرامٌ بالإجماع كما ذكرنا مرارًا، فهو لا يبحث عن حكم الله ولكن يبحث عن: فلان قال كذا خلاص حلال، وهذا لا شكّ أنه لا يبرؤه عند الله -سبحانه وتعالى-، وهذا هو الواقع.

وأمر آخر وهو حقيقةً صعب، يعني مباشرة إذا فُعِلَ ستضرب البنوك، والشكوى لله تعالى، كما حصل في (الريان) وشركات توظيف الأموال، الفكرة موقع البنك (...) البنك ينمّي هذه الأموال، فأنا وضعت المال لتنمّيه أنت؛ تفتح مشاريع مصانع وتجارة وإلى آخره، وهذا هو الذي يحرك البلد ويفتح مجالًا للأعمال والوظائف، ولكن الواقع غير هذا؛ الواقع أن البنك يضع رجلًا على رجل وينتظر، فلان يريد سيّارة، فبدل أن يعطيه النقود في يده يعطيها للآخر، وهذا الثاني هو الذي يتولّى كل شيء ويتعب ويبحث، والبنك يضع رجلًا على رجل، فحقيقة البنك أنّه مموِّل، هذا هو الواقع.

ولذلك هم يسكتون عنه، هم كما ترون يسكتون عن هذه البنوك ولا يُضيّقون عليها كثيرًا؛ لأنّها حقيقةً لا تقدّم البديل الشرعي الصحيح، ولكن لما حصل في مصر؛ مباشرة كسروه وحبسوه، قال لهم: (طيب أخرجوني، ثلاثة أشهر أكون رددت لأصحاب الودائع كلّ أموالهم، لا يبقى لأحد درهم عندي، سأردّ كل المال)، فرفضوا وبقي في الحبس، والناس كثير منهم خسروا أموالهم؛ وذلك أولًا حربٌ لله ورسوله ﷺ وللإسلام، والأمر الثاني تربية للناس أنّه: انتبهوا، حتى لو كسب لن نسمح له، فإيّاك أن تغامر بمالك، فبعد ذلك



الإنسان العادي يقول: حتى لو كسب الآن فبعد أيّام سيكسرونه، ويضعونه في السجن وأخسر أنا أموالي، فأنا لا أريد، واضح الفرق؟ هذا هو الفرق الأساسي.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: لا، هذا قول لبعض الناس ولكن ليس حديثًا.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: لا، مثلًا أنت عندك الآن (بقالة) وجاءك إنسان مُرَابٍ، فأنت تعاملك شرعي ليس لك علاقة به، ولذلك النبي ﷺ تعامل مع اليهود واقترض منهم وأكل عندهم، وأكثر أموال اليهود على مرّ التاريخ من الربا.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: الشكوى لله، على كل الحال المهم أن يكون تعامل الإنسان صحيحًا شرعيًا، وهذا من رحمة الله بنا وإلّا فلن نتنفس فحتّى الهواء ملوّث، نحن في زمان حتى الهواء فيه ذبذبات إذاعية وتلفزيونية، حتى الهواء ملوث والشكوى لله!.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: يعني كما قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (إذا كان الإنسان في زمان عاجزًا عن مباشرة القتال فإنّه يجب عليه أن يعد العدّة)[١]، ولا شك أنه من العدّة عدّة الجسد والقوة، فلا بد على المسلم أن يحرص على هذا وينوي الخير، وإن شاء الله يؤجر على عرق التدريب.

وهذا أمر نحن كلّنا مقصِّرون فيه إلا من رحم الله، يعني ينبغي له أن يكون قويًّا قادرًا، وصحيح أن الآن هناك مدافع وطائرات ولكن القتال يحتاج إلى جسد قوي يصبر على رُقيّ

---

١ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج٢٨ص٢٥٩): (وكما يجب الاستعداد للجهاد بإعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب).



الجبال والكرّ والفرّ والمشي في الصحراء، خاصّة أنّ المسلمين الذين يجاهدون في هذه الأيّام يجاهدون في ظروف صعبة، يعني ليس جيشًا نظاميًا حتى تجده راكبًا في الدبابة فقط، لا بل يقاتلون من جبل إلى جبل ومن مغارة إلى مغارة، هذا قتالهم؛ وهذا يحتاج إلى لياقة عالية جدًا، فهذه قضية ينبغي أن يحرص عليها الإنسان، هي صحة للجسد -إن شاء الله- وهي صحة للإيمان.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: على كل حال، هكذا أفتى العلماء، والشكوى لله، والحقيقة هناك قضية مهمّة؛ قضية أن يشعر الإنسان مرة واحدة على الأقل أنه يَسُوس نفسه ولا تسوسه.

يعني حقيقةً أنا لم أكن أتصوّر أنني في يوم من الأيام سأترك (البيبسي)، لأنّنا من الصغر لا يمكن أن (نتغدّى) من غير أن نشرب (بيبسي) أو (السفن) أو غيرها، ولكن الإنسان عندما يشعر بالعكس أنّني الحمد لله استطعت أن أدوس على شهوتي وأن أغلب هواي، وهذا الأصل في الإنسان العاقل أن يشعر بنشوة النصر أنّني الحمد لله رجل أستطيع أن أفعل ما أريد، ولكن تبعًا لهواي.

لكن للأسف هناك مثبطات كثيرة، بعض الناس يأتي ويقول: (شركة البيبسي توظِّف ٤٠٠ عائلة)؛ طيب لماذا نقاتل اليهود فاليهود يوظِّفون عشرات الآلاف؟ كل الشعب الفلسطيني يعملون في إسرائيل، فإذًا لا نقاتلهم لأننا إذا قاتلناهم سينقطع الراتب عن هذه العوائل ويموتون من الجوع؟! وهذا كلام فارغ لا يصلح، والله المستعان.

وقضية: (ماذا ستفعل مقاطعة البيبسي؟)، طيب هذا أول الخيط، والأصل أن ننمّي هذا الأمر وننفخ فيه ليكبر ويعظم -إن شاء الله-، نعم هناك قضايا لا نستطيع أن نستغني عنها الآن، لأنها قضايا مهمّة ولا يوجد عنها بديل، ولكن إذا وُجدت هذه الفكرة وهذه الهمّة وهذه الرغبة بإذن الله مع الأيّام نتقدم شيئًا فشيئًا، الآن نقاطع ٣% وبعد سنتين ٤% ثم



٥% إلى أن نتقدم إن شاء الله، وكما قيل: (رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة)، ولكن المثبّطون كثر، ومنّا نحن الملتزمون للأسف، ولكن هوى والإنسان ضعيف لا يريد أن يترك (البيبسي)، وصحيح أنه طيِّب، ومن غيره يصبح الصيف صعبًا، ولكن الشكوى لله، لا بد أن يكون رجلًا.

السائل: (سؤال غير مسموع).

الشيخ: يعني على كل حال أحيانًا النظر الجزئي يختلف عن النظر الكلّي، يعني مع الأيّام هذا واجب على الأمة أن تَسْعَى له، وهذا أول الطريق، على كل حال الإنسان ينبغي أن يجتنبهم، صعب أن تقول حرام ولكن ينبغي خاصّة للداعية وطالب العلم أن يجتنبهم.

وللأسف كما قلنا مرة في الجمعة؛ نحن أقرب الناس لأهل فلسطين نسبًا ومكانًا وخذلناهم، وللأسف هذه المقاطعة لا تكاد تجد لها ثمرة، حتى بين الملتزمين قليل، بينما في الخليج -والحمد لله- تجد من العوام من يحرص على هذا الأمر أكثر ممّا يحرص الدعاة عندنا على هذا الأمر.

والآن أبشّركم (السعودية) عملت بديلًا، أنتجت (بيبسي) اسمه (ستون كولا) كولا الحجر، ولكن أظنه سيصل إلى العالم كلّه قبل أن يصلنا، لأنّنا نحن عندنا زنادقة ليس لهم من همّ إلّا حرب الله ورسوله؛ ولذلك أي إنسان يحدث ضجّة شرعية؛ يتجاوز خطًا أحمر أو يخرق ثابتًا من الثوابت الشرعية يأتون به مباشرة، (مارسيل خليفة) لمّا غنّى سورة يوسف -عليه الصلاة والسلام- جاؤوا به مباشرة وعملوا له حفلة، (عبد الله الرويشد) لما حدثت له مشكلة سورة الفاتحة مباشرة جاؤوا به، وكانت أول مرة يأتون به؛ لأنه صار له إشكال وبعض الناس أفتى بكفره، والله أعلم بما حصل ولكن المقصود أنه صار هناك إشكال شرعي والرجل صار متهمًا أنه محارب لله ورسوله، فمباشرة جاؤوا به.



فليس هناك رجال!، إذا كنّا عجزنا عن مقاطعة (البيبسي) فكيف سنقوم بما هو فوق هذا، والحقيقة الأصل في المؤمن عندما يشعر أنه يحمل دين الله عليه أن يتحرك، يعني نضرب أبسط مثال، ذكرناه مرارًا ولكن للأسف النفوس ميّتة، كما قال الإمام ابن عقيل: (إذا أردت أن تعلم مَحَلَّ الإسلام من أهل الزَّمَانِ فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بِلَبَّيْكَ، وَإِنَّمَا انظر إلى مواطأتهم أعداء الشَّرِيعَةِ. عاش ابن الرَّاوَنْدِيّ وَالْمَعَرِّيُّ عليهما لعائن الله ينظمون وينثرون، هذا يقول: حديث خرافة والمعري يقول:

تلوا باطلا وجلوا صارما *** وقالوا صدقنا فقلنا نعم

يعني بالباطل كتاب الله عز وَجَلَّ، وعاشوا سنين وعظمت قبورهم واشتريت تصانيفهم، وهذا يدل على برودة الدين في القلب)[1].

يعني مثلًا تجد الناس تصلّي وهؤلاء على أبواب المساجد يدخّنون ولا يصلّون ولا أحد يقول لهم صلّوا، ثم نخرج فنشتري منهم. الشكوى لله، ليس هناك حُرْقَة على الدين، وهذا هو البلاء، (الحشاشة مَطْفِيَّة والمرَارَة)، والله المستعان. والإنسان لو يشعر فعلًا أن هذا معصية وحرب لله ورسوله وتقصير؛ يعني على الأقل ينبغي أن يكون موقفي سلبيًّا منه، كما قال الرسول ﷺ: "فإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ"[2]؛ يعني أن يكره هذا المنكر وأن لا يُعين عليه وأن يعتزله وأن لا يشارك فيه وأن لا يقوّيه، وإلا كان شريكًا فيه، ولكن للأسف الذي كان في الصفّ الأول يخرج ويشتري منه، وهو كان على باب المسجد يدخّن، وكلّنا ندخل ولا أحد يقول له: صلِّ يا أخي؛ طيب لو أنا قلت له وفلان وفلان وفلان، فمع الأيّام سيستحي، ولو أن الناس لم تشترِ منه وقالوا له: لِمَ لَمْ تصلِّ؟ لن أشتري منك، سيذهب أو يتوب ويرعوي أو على الأقل في البداية يصلي من أجل الناس ثم مع الأيام ينصلح وهذا الذي أمرنا الله به.

---

[1] الآداب الشرعية، ابن مفلح (ج١/ص٢٣٧).

[2] صحيح مسلم.



وللأسف هذا الأمر موجود عند النصارى، يعني أنا أعرف أحد الإخوة عندهم محلات ذهب، يقول دخلت على أحد الإخوة، وهو يصلّي، وجدت عنده صُلبان من ذهب، قلت له: يا أخي اتقِ الله هذا لا يجوز، فقال: (يا أخي قبل أيام جاءتني امرأة نصرانية ولم يكن عندي، اشترت بألفيْ دينار وبعد أن انتهت الصفقة قالت عندك صليب؟ قلت لها: لا، قالت: لا أريد الشراء منك)، فذهب هذا الرجل مباشرة وجاء بصلبان!، وهي قاصدة هذا، فسبحان الله لماذا هم يكونون على صليبهم أحرص منّا على ديننا؟! ولكن كما قال عمر -رضي الله عنه-: (إلى الله أشكو جَلَد الفاجر وعجز التقي)[1].

طيب نكتفي بهذا والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

[1] ذكره ابن تيمية في السياسة الشرعية (ص١٨) وفي منهاج السنة (ج٦/ص٤٠١). ولم يعزه.



مع القرآن

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠]، أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. كنت أعرف قديمًا في صغري شابين، كلاهما اسمه أحمد، جمع الله بين قلبيهما وألف بين فؤاديهما، فكانا يحبان بعضهما كأشد ما يحب الرجال الرجال. دار الزمن دورته ومرت الأيام والأعوام، وكان لا بد من قضاء الله المحتوم، أعني الفرقة والافتراق فسافر أحدهما للدراسة خارج البلاد. فكان أحمد الذي بقي إذا جاءته رسالة من أحمد الذي سافر يستقبلها بالضم واللثم والتقبيل، يضعها على عينيه ويعطرها ويطير بها فرحًا، ولا ينام حتى يكون ورده عشرين أو ثلاثين أو أربعين مرة، وهي تحت وسادته وخده. تُرى يا إخوة ما الذي حمل أحمد على أن يفعل برسالة أحمد ما فعل؟ إنه الحب الصادق والود الخالص لصاحب الرِسالة، وهكذا الأمر ولله المثل الأعلى أيها المؤمن، فيما بينك وبين الله تبارك وتعالى. إذا أحب المؤمن ربه تبارك وتعالى حقًا، احتفى برسالة الله إليه، وفعل بها ما فعله أحمد برسالة أحمد أو أكثر، تُرى ما هي رسالة الله إلينا؟ إنها القرآن، حديث الله وخطابه إلينا معاشر البشر. كان الحسن البصري رحمه الله



يقول: (إنَّ من كان قبلكم [جعلوا القرآن] رسائل من ربهم، فقرأوها بالليل، وأنفذوها في النهار)[١].

قرأوها بالليل، وعاشوها واقعًا ملموسًا في نهارهم. رضي الله عنهم وأرضاهم. ولذلك قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يُحب القرآن فهو يُحب الله سبحانه وتعالى)[٢]، (وإذا أحب الإنسان ربه تبارك وتعالى أحب كلامه وكتابه)[٣].

إن كنت تزعم حبي فلِمَ هجَرْت كتابي

أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي؟

وصدق عثمان رضي الله عنه وأرضاه عندما قال: (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربكم)[٤].

ولذلك قال تبارك وتعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ * قَالَ هِيَ عَصَايَ}، فقط؟ لا، {أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ} [طه: ١٧-١٨].

في العربية:

- خير الكلام ما قل ودل ولم يُطل فيُمل.
- خير الكلام قليل على كثير دليل.

موسى عليه الصلاة والسلام كلمه ربه، ما تلك بيمينك؟ أما كان يسعه أن يقول: (عصى) وينتهي كل شيء. لا، لكنه أطال واسترسل في الحديث: {عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ} قال بعض أئمتنا: (وما يمنعه أن يسترسل

---

١ ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (ج١/ ص٢٧٥)، وانظر: التبيان في آداب حملة القرآن، النووي (ص٥٤).

٢ رواه ابن المبارك في الزهد، وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص٥١) والبغوي في مسند علي بن الجعد، وعبد الله بن أحمد في السنة.

٣ هذه الزيادة ليست في الأصل ولا عند أحد.

٤ رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٥).

ويطيل النفس في الحديث، وهو إنما يخاطب الحبيب تبارك وتعالى، يكالم الله سبحانه وتعالى).

أيها الأخُ الكريم، ألم تجرب إذا لقيت حبيباً أن تُطيل الحديث وأن تُمطمطَ في الكلام حتى تبقى معه أطول وقت وفترة ممكنة؟

هكذا كان الأمر مع موسى عليه الصلاة والسلام لم لا يسترسل لم لا يطيل لم لا يزيد في أمد الكلام، وهو إنما يخاطب حبيبه ومولاه سبحانه وتعالى، فلم يختصر! لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام ربِكم.

هذا القرآن هداية الله سبحانه وتعالى إلينا، وبه تحيا هذه الأُمة كما قال سبحانه وتعالى، معاتباً لمن سبقنا من أهل الكتاب، يحذرنا من أن يكون شأننا كشأن أهل الكتاب: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد:١٦]، ثم قال تبارك وتعالى بعد ذلك: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧)}. يا تُرى ما وجه الربط بين ما أمرنا به وحذّرنا من أن نُعرض عن القرآن فتقسو قلوبنا، ويكون حالنا كحال من سبقنا من الأُمم، ما علاقة هذا بقوله في الآية التي تليها: {اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا}. قال الإمام ابن كثير –رحمه الله–: (أمر الله عباده بتدبر كتابه وألا يهجروه فتقسو قلوبهم وتقحط عيونهم)[١].

حدثنا ربنا عن ظاهرة كونية وهو أن الله تبارك وتعالى يُرسل الغيث والغمام تَسُوقُهُ الرِّيَاحُ إِلَى الْأَرْضِ الْجَرْداءِ وَالصَّحْرَاءِ الْقَاحِلَةِ الْمَيِّتَةِ، فيُنْزِلُ عَلَيهَا الْغَيْث فَتَهتزُّ وَتَرْتَجُّ وَتعُودُ وَاحَةً خَضْرَاءَ تُثْمِرُ أَحْسَنَ الثِّمَارِ وَأَحلَى الْأَزْهَارِ، هَكَذَا الأَمْرُ ولِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي حَقِّ كِتَابِ اللَّهِ لِقَلْبِكَ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ.

---

[١] نسبة هذا الاقتباس لابن كثير غير صحيحة.



فَنُورُ هَذَا الْقُرْآنِ فِي قُلُوبِ بَنِي الْإِنْسَانِ كَالغَيْثِ لِلْأَرْضِ الْمَوَاتِ، فَكَمَا أَنَّ حَيَاةَ الْأَرْضِ بِهَذَا الْغَيْثِ، كَذَلِكَ يُرْسِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُورَ هَذَا الْقُرْآنِ إلى القلوب الميتة فتحيا به فتهتز وترتج وتُثمرُ أحسن الأخلاق وأكمل الصفات والخصال لِمَنْ صَدَقَ مَعَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَلِذَٰلِكَ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام:١٢٢]، بأي شيءٍ يا ربنا؟ مَيْتٌ بِالشِّرْكِ والإعراض عن الله، أموات غير أحياء: {وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النحل: ٢١].

وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعَنَا مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا– أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ". وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَمُسْتَدْرَكِ الْحَاكِمِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا– أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "الْقَلْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ"[1]. الْبَيْتُ الْخَرِبُ الْمَهْجُورُ الَّذِي لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نور، وَإِنَّمَا هُوَ مَسْكَنٌ وَمَأْوًى للأشباحِ والشَّيَاطِينِ. وَلِذَٰلِكَ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا– أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا". فالبيت الذي لا يصلى فيه قبر! والصلاة مشتملة على قراءة القرآن. وهل يسكن القبورَ إلا الأموات: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}، {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} بأي شيء يا ربنا؟ بنور هذا القرآن.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ}؛ لأي شيء؟ {لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال:٢٤]. إذا دعاكم لما يحييكم فهذا القرآن به حياة القلوب، بإذن علام الغيوب سبحانه وتعالى. {فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} [الأنعام:١٢٢]، {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} [النساء:١٧٤]، { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

---

[1] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.



الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [المائدة:١٥-١٦]، {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الملك:٢٢].

هذا القرآن الذي أحيا الله به صدر هذه الأمة، هوَ هوَ الذي بين أيدينا، هوَ هوَ مفتاح مغاليق قلوبنا بإذن الله تبارك وتعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]، كان بعض أئمتنا يقول: (اللهم إن عليها أقفالها اللهم إن عندك مفاتيحها اللهم فَأْتِنَا أقفال قلوبنا بمفاتيحها)[١].

عمر رضي الله عنه وأرضاه، عمر الفاروق كان شديد البطش، عظيم الوطء، كثير النكاية لأهل الإسلام حتى كانوا يقولون: (والله لا يسلم عمر، حتى يُسلم حمار عمر)[٢]، يأسًا من إسلامه، وقنوطًا من إيمانه رضي الله عنه وأرضاه، فما الذي غيره؟ وما الذي بدَّله؟ وما الذي أنشأه إنسانًا آخر؟

آيات من كتاب الله تسلل نورها إلى قلبه، فانفتحت مغاليق فؤاده بهذا النور، {طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ} [طه:١-٥].

وقد ذكر بعض أهل السيرة أمرًا عجبًا عن أعرابي: جاء على قَعُودٍ له إلى مكة، فتعرض له النبي عليه الصلاة والسلام، ودعاه إلى الله، وتلا عليه شيئًا من القرآن: {فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ} [يوسف: ٨٠] إلى آخر الآيات. فما كان من الأعرابي إلا أن ترجل عن بعيره وخر ساجدًا. فرح بذلك النبي عليه الصلاة والسلام، وسرَّ وقرّت عينه، لكن فرحته لم تطل وسروره لم يدم عليه الصلاة والسلام، رفع الأعرابي رأسه قال: (يا محمد -عليه الصلاة والسلام-، والله ما

---

[١] نسب الدعاء ابن القيم في شفاء العليل (ج١/ص٢٩٧)، لشاب كان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه دون سند، وروى الثعلبي في تفسير بنحوه.

[٢] رواه ابن إسحاق في السيرة، ورواه عنه أبو نعيم في معرفة الصحابة، والبيهقي في الدلائل، والطبراني في الكبير.



سجدت لك ولا لربك) "ويحك، إذاً ما الذي أسجدك؟" قال: (ولكني سجدت لعظمة هذا القرآن)[١].

وقصّر عقل الخلق عن وصف وَحيهِ. وما هو في التحقيق شعر ولا نثر فأنى لشعر أن يحيط بوصفه، وبين يدي آياته سجد الشعرُ.

الفضيل بن عياض -رحمه الله-، أحد عباد هذه الأمة وزهادها، وهو من الثقات عند أئمتنا، رضي الله عنهم وأرضاهم، كان في أول أمره شاطرًا قاطع طريق، وارتقى ليلة إلى بيتٍ ليُكلم حبيبةً له في ظلمة الليل، في غفلة عن عين الرقيب، فانتهى إلى سمعه آيات تُتلى في جوف الليل، يقوم بها قارئٌ مقبلٌ على ربه سبحانه وتعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ} [الحديد: ١٦]. فتزلزل لها وحركت مشاعره، وأحيا الله بها فؤاده، فارتاع، ونزل باكيًا، وهو يقول: بلى والله قد آن، بلى والله قد آن، ثم انقلب إلى مكة يعبد الله تبارك وتعالى[٢]، حتى لقيه سبحانه وتعالى.

وها هنا قصة لطيفة، سواء صحت أو لم تصح، إلا أن فيها عبرةً وأثراً بإذن الله تعالى حكاها: الإمام ابن قدامة رحمه الله في كتاب التوابون[٣] قال: (حدثنا عبد الواحد المقدسي، قال: ركبنا سفينةً في ثبج البحر فلَّما نصفنا البحر هاجت الرياح وماجت الأمواج، وكدنا نغرق، فتعلقنا بالذي يعلم السرَّ وأخفى، والذي يكشف الضر والبلوى.

فدعونا الله تبارك وتعالى بقلوبٍ صادقة فأجاب الله دعاءنا وأغاثنا، فساقتنا الرياح، وقادتنا الأمواج إلى جزيرة، أرفأنا فيها ونزلنا نمشي في دروبها، فانتهينا إلى رجل يعبد صنمًا، فقلنا له: يا هذا، أنت لمن تعبد؟ فأشار بيده إلى الصنم، فقال: أعبد هذا؟ فقلنا: هذا لا يصلح أن يكون إلهًا، وعندنا في السفينة من يسوي مثله.

---

١ لم أجدها عند أحد.

٢ رواه البيهقي في شعب الإيمان، (ج٩/ص٤٣٠).

٣ هذه القصة لم تُروَ بهذا السياق عن أحد وإنما زيد عليها. انظر التوابون، (ص١٧٩).



قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سُلطانه، وفي الأحياء والأموات قضاؤه، قال: فكيف عرفتموه؟ قلنا: أرسل إلينا الملك رسولا من أنفسنا نعرف حسبه ونسبه، فآمنا به واتبعناه.

قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: بلّغ رسالة الملك ثم قبضه الملك إليه، فقال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حِسانا، كما قالوا: كلام الملوك ملوك الكلام. مع أننا الآن بحمد الله في زمن أكثر ملوكنا، الواحد منهم (طلطميس) لا يعرف الجمعة من الخميس، ولا يُحسن أن يُركب جملةً والله المستعان. قال: أروني كتاب الملك، فينبغي أن تكون كتب الملوك حِسانا، قال: فأتيناه بصحيفة من القرآن، فنظر فيها، وقال: أنا لا أُحسن هذا، وكان أُمِّيًّا. وقد قيل إن الأُمي نسبة إلى أمهِ لأنهُ استمر على الحالة التي ولدته عليها أمه، فلا قراءة ولا كتابة. يقول: فافتتحنا سورة، فجعلنا نقرأ، ويبكي حتى ابتلت لحيته. فلما فرغنا قال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصى، يقول ثم علمناه الشهادة، فنطق بها. وحملناه معنا في السفينة، فكان لا يفتُر عن ذكر الله تبارك وتعالى. فلما جنَّ الليل، وأخذنا مضاجعنا، قال لنا: يا قوم، يا قوم، هذا الإله الذي دللتموني عليه، أينام إذا جنّهُ الليل؟ قلنا: هو حيٌّ قيوم، لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام. {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ} [البقرة:٢٥٥]، والسِنة: مُقدمات النوم من نعاس وخفقان رأسٍ- فقال: بِئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام. يقصد أن المؤمن الذي صدق في حبه لربه سبحانه وتعالى، والذي تعلق فؤاده بمولاه سبحانه وتعالى، لا بد أن يكون له في خلوة الليل، وفي نجوة عن الناس، خلوة مع ربه يدعوه ويتضرع إليه، ويسأله خير الدنيا والآخرة، ويسأله الثبات والنصر والتمكين والعون على مصائب الدنيا وفتنها التي لا يحصيها إلا الله. يقول عبد الواحد: فكان لا يفتر عن ذكر الله حتى انتهينا إلى -عبدان- وهي المرفأ الذي سنرسو فيه، فقلت لأهل السفينة: إن صاحبنا هذا لا أهل له، لا ولد ولا تلد، ولا مال.ولا كسب، فجمعت له مالا من أهل السفينة، وجعلته في صرة، ثم دفعته إليه. قال: ما هذا؟ قلت: مالٌ تستعين به، فقال: دللتموني على طريق ما سلكتموها، أنا كنت أعبد



في جزائر البحر فما ضيعني، وكان يسوق إلي رزقي، أيضيعني بعد أن عرفته ووحدتهُ وأحببته؟ يقول عبد الواحد: ثم تفرقت بنا دروب الحياة، وكنت أعتاد صاحبي، واختلف إليه بين الحين والآخر، فزرته ليلةً وكان مريضًا، فعُدته فتحدثت عنده، وسَمَرتُ معه حتى غلبتني عيناي، فنمت عنده. فرأيت في النوم عجبًا، -ماذا رأيت، عبد الواحد؟- قال: رأيت كأن مقابر -عبدان- روضة من رياض الجنة، وفي تلك الروضة قبة من نور، وفي تلك القبة جاريةٌ لم ترَ عيناي أوضأ منها، وهي تقول لي: بالله عليك، عجل لي بصاحبي، فقد اشتد شوقي إليه، يقول: فانتبهت مندهشًا، كلمته فلم يجِب. ناديته فلم يجِب، حركته فلم يتحرك، وكان قد فارق الدنيا، فمن الغد كفناه وغسلناه وصلينا عليه، وواريناه الثرى. ونمت من الليلة القابلة، فرأيته يدخل إلى تلك القبة عند تلك الحورية، وهو يقرأ قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد:٢٣-٢٤]).

وقد قيل في بعض الإسرائيليات إن موسى عليه الصلاة والسلام سأل الله عن قضية النوم: قال: {يا موسى، خذ زجاجتين، فقِف بهما الليل بطوله، ولا تنم}، فصبر حتى إذا غلبه النعاس وخفق رأسه، سقطت منه الزجاجتان، فانكسرتا، فقال: {يا موسى، لو نمت لماجَ الكون}[١]. {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر: ٤١].

ويحنا أيها الإخوة الكرام، ألم يسمع أحدنا وهو في جوف الليل نائمٌ؟ نداءَ الحورية تناديه فتقول:

أتخطُب مثلي وعني تنام *** ونوم المحب لمثلي حرام
فقم في دجى الليل وسط الظلام *** بقلب حزين ودمع سجام
فمثلي يُزَفُّ إلى عابد *** كثير الصيامِ طويل القيام

١ رواه الطبري في تفسيره وعبد الله بن أحمد في السنة وابن أبي حاتم في تفسيره. قال ابن كثير: هذا حديث غريب رفعه، والأشبه أن يكون موقوفا، وأن يكون أصله إسرائيليا.



كانت أمنا عائشة –رضي الله عنها– تقول: (إن درج الجنان بقدر آيِ القرآن، فكلما استكثرت، كلما علت رتبتك، وارتفعت درجتك)[١].

وقد روى أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ قال: "يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا"[٢].

كلام الله، أيها الإخوة الكرام، ماذا يكون جوابنا إذا شكانا محمد عليه الصلاة والسلام غدًا. {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا} [الفرقان: ٣٠].

وفي القرآن ميزةٌ يعرفها من عاشها أو فتح الله عليه شيئا في فهمِ القرآنِ وتدبرِه، هذه الميزة وهي أن القرآن، تقرأه أحيانًا في بعض منعطفات الحياة أو المشاكل والمحن، وخاصة في ساحات الجهاد، فكأنما يتنزل عليك الآن غضًّا طريًّا، للتو يقول لك: سيحصل كذا وسيفعل فلان كذا، وينبغي لك أن تفعل كذا.

والله لَيقرأ المؤمن القرآن في بعض الأحيان، فكأن القرآن ينزل عليه هوَ هوَ للتو، يقول له: سيحصل كذا وكذا، وينبغي عليك أن تفعل كذا وكذا. ونسأل الله تعالى أن يغفر لنا وأن يرحمنا.

وَلَوْ أَنَّ عَيْناً سَاعَدتْ لتوَكَّفَتْ *** سَحَائِبُهَا بِالدَّمْعِ دِيْماً وَهُطَّلَا
وَلكِنَّها عَنْ قَسْوَةِ الْقَلْبِ قَحطُهاَ *** فَيَا ضَيْعَةَ الأَعْمَارِ تَمْشِى سَبَهْلَلَا
وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ *** وَأَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلَا
وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يُمَلُّ حَدِيثُهُ *** وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً
وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَا عُ فِي ظُلُمَاتِهِ *** مِنَ الْقَبْرِ يَلْقَاهُ سَناً مُتَهَلِّلاً
هُنَالِكَ يَهْنِيهِ مَقِيلاً وَرَوْضَةً *** وَمِنْ أَجْلِهِ فِي ذِرْوَةِ الْعِزِّ يُجْتَلَى

---

[١] رواه البيهقي في شعب الإيمان، وصححه الحاكم، قال ابن علان: شاذ.

[٢] قال الترمذي: حسن صحيح.



أبيات يُنَاشِدُ في إرْضَائِهِ لِحَبِيْبِهِ *** وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلاً إلَيْهِ مُوَصَّلَا
فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكاً *** مُجِلاًّ لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلا[1]

وكما قلت إذا جعل الإنسان لنفسه هدفًا يحفظ القرآن بإذن الله، لكن إذا لم يجعل، لو عاش ثلاث مئة سنة، وهو قادر على أن يحفظ القرآن، لكنه لن يحفظ لأنه لم يجعل هذا الأمر هدفًا في حياته.

يعني مثلًا: الآن أقول لك: ما رأيك أن نطوف حول الأرض مشيًا؟ فتستصعب الأمر وتستثقله، لكن بعض العلماء والباحثين في هذه الأيام يقولون: الإنسان العادي يمشي في حياته المتوسطة، ما يكفي للطواف حول الأرض أربع مرات، لكن لأنه هو لم يجعل من هدفه أن يطوف حول الأرض، فلذلك لا يطوف. وهكذا الإنسان إذا كانت خطواته في حياته مُبعثرة بلا هدف، يضيع وتضيع أوقاته وتذهب سنواته وعمره بلا نفع.

فلا بد للإنسان أن يجعل هذا الأمر هدفًا ليستعين بالله، وهنا أيضًا لا إفراط ولا تفريط، بمعنى: أنا أستطيع أن أحفظ القرآن في ثلاث سنوات، لا أكتب لنفسي سبع سنوات أو ثمانٍ، وأيضًا لا أُبالغ، بل شيء معتدل، لكن كما قلت، ينبغي للإنسان أيضًا أن يحاول أن يستثمر طاقاته.

الله تبارك وتعالى، يا إخوة، ماذا قال لنا؟ على لسان عباد الرحمن: {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا} [الفرقان:٧٤]، المؤمن لا ينبغي له أن يرضى بِالدُّون.

كما قال بعض السلف: (إذا استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد، فافعل)[2]. ينبغي لنا أن نتخيل أن هذه الحياة مضمار السباق والكل يمشي ويمضي إلى الله، مُبطِئٌ ومُسرع، فينبغي للمؤمن أن يشعر أننا في هذا المضمار نتسابق، فلا يرضى لنفسه أن يكون في ذيل القافلة. عليه أن يسعى ألا يسبقه إلى الله تبارك وتعالى أحد، {وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا}.

---

[1] أبيات متفرقة من متن الشاطبية، المسمى (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع)، الشاطبي المقرئ.
[2] قول وهيب بن الورد، انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (ج٩/ص٤٣٠).



ومما يذكر هنا أن البارودي، الشاعر المعروف، قال مرة لابنه: (يا بني، ماذا تنوي أن تكون؟) قال: (يا أبي، أُحب أن أكون مثلك)، فقال البارودي: (يا بني، لا تفعل، أنا كنت أحدث نفسي أن أكون مثل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكنت البارودي، إذا حدثت نفسك أن تكون البارودي، فماذا ستكون؟)[١].

ولذلك أنت تَقدِر أن تحفظ القرآن في ثلاث سنوات، ستحفظه في أربع، لكن على كل حال، المهم أن نجعل هذا الأمر هدفًا لنا وأن نسعى إلى تحقيقه، وأن نمضي في هذا ما دمنا أحياء وما دامت النفس تترجرجُ في صدورنا، فإذا اختارنا الله قبل ذلك، فالحمد لله، وإن مد الله في أعمارنا، فنحن في طاعة وعبادة وقربة إلى الله تبارك وتعالى.

ونسأل الله بمنه وفضله وكرمه أن يغفر لنا وأن يرحمنا، وأن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا خُلقًا، وفي القبر أنيسًا، وبين يديك شفيعًا، وإلى الجنة قائدًا، واجعلنا ممن يقرأ القرآن فيرقى، ولا تجعلنا اللهم ممن يقرأه فيشقى. اللهم اجعله حجة لنا، ولا تجعله حجة علينا، آمين آمين، وصلى الله على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين.

---

١ انظر: النظرات للمنفلوطي، (ج١/ص٢٨٣).



الجـهـاد، كيف نفهمه؟ وكيف نمارسه؟

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠]، أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

حديثنا أيها الإخوة الكرام؛ عن الجهاد، ما هو؟ وما موقعه في دين الله تبارك وتعالى؟ مع ذكر بعض ما ورد في فضله في كتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام.

ونحن نعلم أنه لم يرد في فضل شيء في كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ما ورد في فضل الجهاد.

وحسبنا كلمة شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- عندما قال: (أكثر الآيات والأحاديث في الصلاة والجهاد)[١].

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج٣٥/ص٣٦).



ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه الترمذي عن معاذ -رضي الله عنه-: "رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ -في سبيل الله عز وجل-"[١].

وكان عليه الصلاة والسلام إذا عاد مريضاً يقول: "اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَشْهَدُ لَكَ صَلَاةً وَيَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا"[٢].

فمن كان إذا شُفي لا يشهد الصلاة أو لا ينكي في أعداء الله؛ فلا شفاه الله!

وليس هذا بعجيب، فإن الصلاة عمود دين المرء فيما بينه وبين ربه عز وجل في خاصة نفسه، فإذا ترك الصلاة هدم دينه والجهاد عمود دين الأمة إذا تركته ذلّت، واستبيحت بيضتها، وأجلب عدوها عليها بخيله ورجله، وانتقص أرضها من أطرافها، وسامها الخسف والهوان.

ولذلك روى الإمام الطبراني في الأوسط بسند حسن كما قال الإمام المنذري، عن أبي بكر -رضي الله عنهم جميعاً- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "مَا تَرَكَ قَوْمٌ الجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ". وما ترك قوم الجهاد إلّا ذلوا[٣].

ولذلك -كما قلت- فقد طفح الكتاب والسنة بالحديث عن فضل هذه الشعيرة والدعوة إليها والحض عليها لأنها هي سياج هذه الأمة -وكما قلت- عمود الدين لأمة الإسلام.

ولذلك ثبت في مسلم عن سلمان -رضي الله عنه- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ فيه أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ".

---

[١] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[٢] رواه أحمد، وأبو داود، وابن حبان، والحاكم: وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-. والحديث صححه ابن حبان، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ولم يتعقبه الذهبي.

[٣] قال النبي ﷺ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ بِأَذْنَابِ الْبَقَرِ, وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا، لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ" (رواه أبو داود).



وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام - كما في الترمذي وحسنه- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- لرجل أراد أن يعتزل متعبدا راكعاً ساجداً صائماً، فقال: "لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَاماً، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ الله لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ". وفواق الناقة في رأي كثير من العلماء؛ ما بين الحلبة والحلبة، من قاتل في سبيل الله هذا الزمان اليسير وجبت له الجنة بإذن الله تبارك وتعالى.

ولذلك ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنهم أتوا النبي عليه الصلاة والسلام، فقالوا: (يا رسول الله ما يعدل الجهاد؟)، قال: "لَا أَجِدُهُ"، فكرروا عليه مرتين أو ثلاثاً كل ذلك يقول: "لَا أَجِدُهُ"[1]، ثم قال عليه الصلاة والسلام: "مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[2].

ولذلك قال الإمام ابن عبد البر -رحمه الله تعالى- معلقاً على هذا الحديث: (هذا من أجل حديث روي في فضل الجهاد لأنه مثّل بالصلاة والصيام وهما أفضل الأعمال)[3].

في مسند أحمد النبي عليه الصلاة والسلام قال: "وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ"[4]. وفي النسائي بسند صحيح - كما قال ابن حجر- عن أبي أمامة -رضي الله عنهم جميعاً- أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: (دلني على عمل)، فقال: "عَلَيْكَ بِالصِّيَامِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ". فالصلاة والصيام من أفضل الأعمال. ثم النبي عليه الصلاة والسلام جعل المجاهد في سبيل الله كالصائم القائم الذي لا يفتر... أظن قال: "وَهُمَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ"[5]. [قال ابن عبد البر -رحمه الله-] (وجعل المجاهد بمنزلة من لا يفتر عن ذلك ساعة، فأي شيء أفضل من شيء

---

[1] ركب أبو أنس حديثين مع بعضهما. تكملة هذا الجزء من الحديث هو: "هَلْ تَسْتَطِيعُ، إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ، أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ".

[2] وهذا جزء من حديث آخر رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ولفظه: "لَا تُطِيقُونَهُ".

[3] التمهيد، (ج١٨/ص٣٠٢).

[4] وله طرق أخرى عن ابن ماجه والحاكم. (صحيح).

[5] رواه مالك في الموطأ.



يكون صاحبه راكباً وماشياً وراقداً، ومتلذذاً بكثير مما أبيح له من حديث رفيقه وأكله وشربه وهو في ذلك كله كالمصلي التالي للقرآن في صلاته الصائم المجتهد!)[١].

النبي ﷺ سئل عن أفضل الناس قال: "رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللهِ، يَطِيرُ علَى مَتْنِهِ، كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً، أوْ فَزْعَةً طارَ عليه، يَبْتَغِي القَتْلَ والْمَوْتَ مَظانَّهُ"[٢]. فهذا أفضل الناس بشهادة خير الناس عليه الصلاة والسلام. وفي السنن عن عثمان –رضي الله عنه– أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ"[٣].

ولذلك فقه الصحابة رضي الله عنهم هذه الحقيقة. فهذا أبو هريرة –رضي الله عنه– يقررها لنا واضحة جلية قال: (لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود؛ أحب إليه من أن يقوم ليلة القدر –التي هي خير من ألف شهر– عند الحجر الأسود)[٤].

فاختار الرباط على أفضل الأزمنة –ليلة القدر– وأفضل الأمكنة –عند الحجر الأسود في بيت الله الحرام. ولذلك قال شيخ الإسلام –رحمه الله–: (إن الجهاد أفضل من الحج والعمرة ومن التعبد في المسجد الحرام –الذي تعدل الصلاة فيه مئة ألف صلاة في غيره من المساجد–)[٥].

وفي السنن عنه ﷺ قال: "مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، بَلَغَ الْعَدُوَّ أَوْ لَمْ يَبْلُغْ كَانَ لَهُ عِدْلُ رَقَبَةٍ"[٦]. كأنما أعتق رقبة، ومن أعتق رقبة أعتقه الله من النار.

---

[١] التمهيد، ابن عبد البر، (ج١٨/ص٣٠٢).

[٢] رواه مسلم. ذكره أبو أنس بالمعنى فصحح إلى الأصل.

[٣] رواه أحمد وابن حبان والحاكم والنسائي والترمذي، وقال: حديث حسن غريب. وصححه ابن حبان والحاكم.

[٤] رواه بنحوه سعيد بن منصور وعبد الرزاق وابن حبان، وابن عساكر في الأربعين في الجهاد.

[٥] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص١١-١٢).

[٦] رواه ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد، ورواه النسائي (حديث صحيح) والترمذي وأبو داود والطبراني في الشاميين بألفاظ مقاربة.



وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير –رضي الله عنه– أن رجلاً قال: (لا أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام)، فقال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–: (الجهاد في سبيل الله أفضل من هذا كله)، فقال عمر –رضي الله عنهم جميعاً–: (لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، ولكن إذا قضيت الصلاة سألته عن ذلك)، فسأله فأنزل الله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التوبة:١٩-٢٢].

وقال ابن تيمية –رحمه الله–: (المقام في ثغور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية؛ أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة، وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم)[١].

قال الإمام ابن قدامة –رحمه الله–: (قال أبو عبد الله –أحمد بن حنبل– لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد[٢]، وقال: لا نعلم شيئاً من أبواب البر أفضل من السبيل)، يعني الجهاد في سبيل الله. وقال الفضل بن زياد: سمعت أبا عبد الله وذكر له أمر الغزو، فجعل يبكي ويقول: ما من أعمال البر أفضل منه. وقال عنه غيره: ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال، والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن حريمهم، فأي عمل أفضل منه؟ الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم)[٣].

ولذلك جاء في الطبراني بسند رجاله ثقات، عن أنس –رضي الله عنهم جميعاً– أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن أجر الرباط، فقال: "مَنْ رَابَطَ لَيْلَةً حَارِسًا مِنْ وَرَاءِ

---

١ مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٥).

٢ الصواب أن من نقله الخرقي في المتن الذي شرحه ابن قدامة في المغني، انظر: المغني، (ج١٣/ص١٠).

٣ المغني، (ج١٣/ص١٠).



الْمُسْلِمِينَ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَلْفَهُ مِمَّنْ صَامَ وَصَلَّى"[١]. له أجر من وراءه ممن صام وصلى من أهل الإسلام، وهم آمنون بسيفه، وهو خائف في الله تبارك وتعالى، بذل مهجة نفسه دفاعاً وذوداً عن أهل الإسلام.

وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن جبر -رضي الله عنهم جميعاً- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ".

ومن الأحاديث التي تزلزل المؤمن من أعماقه وتهز كيانه، إن كان فيه قلب، ما رواه أبو داود عن أبي أمامة -رضي الله عنهم جميعاً- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[٢].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (لن يقوم الدين إلا بالكتاب والميزان والحديد، كتاب يهدى به وحديد ينصره وكفى بربك هادياً ونصيرا). كما قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [الحديد:٢٥]. فالكتاب به يقوم العلم والدين، والميزان به تقوم الحقوق في العقود المالية والقبوض، والحديد به تقوم الحدود على الكافرين والمنافقين، ولهذا كان أكثر الآيات والأحاديث النبوية في الصلاة والجهاد)[٣]، كما تقدم معنا.

وقال رحمه الله: (وقوام الدين بالكتاب الهادي والسيف الناصر، {وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا})[٤].

هذه كانت جولة سريعة، واستذكاراً سريعاً لبعض ما ورد في الكتاب والسنة في فضل هذه الشعيرة.

لكن تعالوا نتدارس سريعاً حقيقة الجهاد، والمراد منه:

---

[١] قال المنذري: إسناده جيد. ذكره أبو أنس بالمعنى فصحح على الأصل.

[٢] إسناده حسن.

[٣] مجموع الفتاوى، (ج٣٥/ص٣٦).

[٤] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٢٣٢).



قرر الله سبحانه وتعالى لنا حقيقة الجهاد والغاية منه في القرآن بأوضح بيان، وأجلى توضيح سبحانه وتعالى، فقال تبارك وتعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة:١٣٩]، {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:٣٩].

وتعالوا نحاول أن نفقه مراد الله في هذه الآية:

{وَقَاتِلُوهُمْ}: فنحن مأمورون بالقتال –وسنتحدث إن شاء الله من بعد عن حكمة استعمال هذا اللفظ.

{حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}: حتى تنقطع الفتنة وتمحى من الأرض، والفتنة في قول عامة المفسرين هي الشرك، {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}: أي فتنة المسلم عن دينه حتى يرتد مشركاً أعظم من قتله، فإنه لو قتل على الإسلام فهنيئاً له الجنة.

{فَقَاتِلُوا}: قاتلوهم حتى تمحوا الشرك من الأرض.

وهنا قد يتبادر أو يتقافز إلى الذهن سؤال: هل نحن حقيقة نقاتل حتى نمحو الشرك؟ ألسنا نسمح بالشرك في دولة الإسلام؟ ألسنا نسمح لليهودي أن يظل يهودياً، وللنصراني أن يظل نصرانياً، وللمجوسي أن يظل مجوسياً؟ وفي سائر الملل والأصناف خلاف بين الفقهاء إذا أدوا الجزية عن يد وهم صاغرون؟

بل إننا نذود عنهم بالغالي والرخيص ولا نسمح ليد أن تمتد إليهم بسوء ونحرسهم، وهم مشركون بنص القرآن، إذاً فكيف تقول إننا نقاتل حتى نمحو الشرك من الأرض؟

فنقول: نعم، إن الشرك الذي نقاتل حتى نمحوه من الأرض هو الشرك الذي يضاد آخر الآية: {وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ}، والدين في لسان القرآن: هو الدينونة لقانون وشرعة ودستور، كما قال تبارك وتعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام: {ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك}[يوسف:٧٦]، أي: في قانون الملك ونظامه ودستوره.



فنحن نقاتل حتى تدين الأرض كلها لشرعة الله تبارك وتعالى، وحتى يحكم العالم بكتاب الله وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، وحتى يمد الإسلام رواقه على العالمين، ويبسط جناحيه على الورى في ظل شرعة الله تبارك وتعالى، في ظل حكم الله، في ظل الدينونة لشرع الله تبارك وتعالى.

فليظل اليهودي إن شاء على شركه والنصراني على أن يدفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون أذلاء تجري عليهم سطوة الإسلام وقانونه –كما سيأتي معنا إن شاء الله.

وهنا إذا فقه الإنسان هذا الأمر أدرك ما يلي:

أولاً: أنه لا تعارض بين هذا وبين قول الله تبارك وتعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: ٢٥٦]، لا كما يزعم بعض من ينتسب إلى العلم حين ينسبون التعارض بهاتين الآيتين، أو بين هذا الفهم وبين هذه الآية.

فـ {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}: من حقك أن تظل على الدين الذي أنت عليه، على أن تؤدي الجزية عن يد وأنت صاغر، لكن أرض الله يجب أن تحكم بشرعة الله تبارك وتعالى.

الأمر الثاني: إذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة؛ فإنه يدرك حقيقة الزيف والتحريف الذي يقوده بعض من ينتسب إلى العلم من هذه الأمة حين يزعمون أن الجهاد هو الدفاع وأننا لا نقاتل الناس، وإنما ندافع عن أنفسنا فقط إذا غزينا! وليت شعري... هل غُزي المسلمون من أهل الأندلس، ومن أهل الصين ومن أهل بخارى ومن أهل سمرقند؟ بل حتى من أهل فارس!

فإننا نعلم أن رستم قال لجيش الإسلام: (إني أعلم أنه لم يخرجكم إلا الجوع والفاقة، فنحن نعطيكم مالاً وطعاماً وتعالوا من العام القادم... تعالوا، وسنعطيكم مرة أخرى!)، قالوا: (لا)، كما قال ربعي –رضي الله عنه–: (الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد



لعبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام)[١].

هذا العدل الذي شهد به التاريخ؛ حتى أن قبطياً يسافر من مصر إلى المدينة يشتكي ابن الأكرمين: ضرب ابنه -ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

ليس العجيب في هذه القصة أن عمر -رضي الله عنه- يقتص لهذا الرجل ويحكم بالعدل، فهذا شأنه رضي الله عنه، لكن العجيب أن هذا القبطي الذي كان ذليلاً فيما مضى، كان عبداً للعبيد في روما لا يملك من أمره شيئاً؛ إذا به يسافر مسيرة شهر في الصحراء ليشتكي: ابن الأمير ضرب ابنه.

فأي كرامة وأي عدل بسط رواقه في العالمين في تلك الفترة على أيدي صحابته رضي الله عنهم؟

والمقصود مرة أخرى؛ أن هذا زيف كاذب مخالف لفهم الأمة وحركة التاريخ، فإن الصحابة رضي الله عنهم خرجوا بهذا الدين وجابوا الأرض يحملون للناس واحداً من ثلاث؛ الإسلام أو الجزية أو القتال.

وهذا الإمام البخاري يروي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لعامل كسرى: (أمرنا نبينا عليه الصلاة والسلام رسول الله أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية).

وهذا الأمر كلمة إجماع بين علماء الإسلام، ولا يمكن أن تظفر بكلمة للأئمة المتقدمين تُفهم على وجه صحيح -لا على سبيل التحريف والتزييف- تخالف هذا.

---

[١] انظر: تاريخ الطبري، (ج٣/ص٥١٩-٥٢٠).



ولم تسمع الأمة بمقولة: الحرب الدفاعية وأن الجهاد دفاع، إلا في مصر منتصف القرن الماضي عندما أجلب المستشرقون بخيلهم ورجلهم وهاجموا الإسلام في ظل ضعف وانهزام نفسي لأهل الإسلام، وقالوا؛ الجهاد هو نشر الإسلام بالسيف.

فقام من قام، وأول من قام المدرسة العقلانية، ومن أشهر من قام بهذا (أبو زهرة) ثم تبعه تلميذاه (الغزالي) و(القرضاوي)، وانتشر الأمر بعد ذلك في الناس أن الجهاد هو الدفاع.

لكن تعالوا ننظر سريعاً بعض أقاويل أئمتنا في هذا الباب:

هذا الإمام ابن القيم –رحمه الله– يقول في بيان مراحل الجهاد: (وكان محرَّمًا لأول الأمر، ثم مأذونًا به، ثم مأمورًا به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأمورًا به لجميع المشركين)[١].

وهذا صاحب الدر المختار يقول: (هو فرض كفاية ابتداء وإن لم يبدأونا)[٢].

نحن نعلم أن الفقهاء يقولون الجهاد –هذا مذهب الجمهور– يكون فرض عين ويكون فرض كفاية.

متى يكون فرض عين؟

إذا غزيت أرض من أرض الإسلام واحتلت، أو إذا استنفر الإمام قوماً بأعيانهم، أو إذا حضرت الصف، في هذه الصورة يكون فرض عين، وما عدا ذلك يكون فرض كفاية

فإذا كان الجهاد يتعين، إذا احتلت أرض المسلمين صار عيناً، وإذا لم تحتل كان فرض كفاية.

فما هو فرض الكفاية هنا إذاً؟

---

١ زاد المعاد، (ج٣/ص٨٦).

٢ الدر المختار شرح تنوير الأبصار، علاء الدين الحصكفي، (ص٣٢٩).



أليس هو الغزو وطلب الأعداء في بلادهم ومبادأتهم بالقتال ودعوتهم إلى الإسلام؟

ولذلك قال ابن عبد البر –رحمه الله–: (وكل من أبى الدخول في الإسلام أو أبى إعطاء الجزية قوتل)[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (فكل من بلغته دعوة الرسول ﷺ إلى دين الله الذي بعثه به فلم يستجب له؛ فإنه يجب قتاله {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ})[٢].

وهذا الإمام الشوكاني –رحمه الله– يقول: (أما غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل فهو معلوم من الضرورة الدينية)[٣].

وصدق رحمه الله، فهو معلوم من الضرورة الدينية.

وهذا الشيخ محمد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة –رضي الله عنهم جميعاً– يقول: (لو اجتمعوا –أي أهل الإسلام– على ترك الجهاد اشتركوا في المأثم). ثم يقول: (وإن قالوا –أي الأعداء– للمسلمين وادعونا –بيننا وبينكم هدنة وسلام– على أن لا نقاتلكم ولا تقاتلونا، فليس ينبغي للمسلمين أن يعطوهم ذلك، لقوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ} [آل عمران: ١٣٩]، ولأن الجهاد فرض فإنما طلب الموادعة على أن تترك الفريضة ولا يجوز إجابتهم إلى مثل هذه الموادعة، إلا أن يكون لهم شوكة شديدة لا يقوى عليهم المسلمون عند ذلك تكون هدنة مؤقتة كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام في الحديبية)[٤].

ثم يقول: (وكذلك لو قالوا للمسلمين؛ وادعونا على أن نعطيكم في كل سنة مالاً معلوماً –كل سنة نعطيكم مبلغًا كفوا عنا على ألا تجروا علينا أحكامكم– نعطيكم مالاً ندفع لكم ما شئتم لكن لا تجروا علينا أحكامكم –فليس ينبغي الموادعة على ذلك، لأنهم

---

[١] الكافي، ابن عبد البر، (ج١/ص٤٦٦).

[٢] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٣٤٩).

[٣] السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، (ص٩٤٥).

[٤] نقله السرخسي في شرح السير الكبير (ص١٨٩-١٩٠) بتصرف يسير من أبي أنس.



لا يلتزمون شيئاً من أحكامنا، وإنما ينتهي القتال بعقد الذمة بما فيه من التزام أحكام الإسلام فيما يرجع إلى المعاملات)[1] يكون الإسلام هو المهيمن وفيما بينهم هم على دينهم على ملتهم ما أدوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وكانت الغلبة لأحكام الإسلام ولدستور القرآن .

ولذلك قال عبد الكريم زيدان: (وأعمال الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم تؤيد ما قلنا وقاله الفقهاء، فإنهم فتحوا البلاد المجاورة، وأبطلوا أنظمتها ونفذوا فيها القانون الإسلامي، وأدخلوها في سلطان الدولة الإسلامية، وصارت جزءاً منها، ولم ينكر عليهم أحد مطلقاً، فيكون هذا النهج مجمعاً عليه من قبل الجميع، وهو أعظم إجماع قام على مسألة شرعية).

وهنا قد يسأل سائل يقول: أرأيت يا شيخ، لو أن دولة من الدول، أو بلدًا من البلدان أذنت لنا بالدعوة، وبناء المساجد، ونشر الخير، وإقامة المراكز الإسلامية، وأعطتنا ساعات في التلفاز وفي الإذاعة، وسمحوا بنشر الكتب والمطويات، فهل يجب أن نقاتلهم؟

نقول: نعم.

لماذا؟

لأن الجاهلية هي نفسها صدٌ عن دين الله تبارك وتعالى، إن الجاهلية والإسلام كالليل والنهار يتصارعان أبداً، سنة الله تبارك وتعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ} [البقرة:٢١٧].

ولا يمكن أن يبسط النهار ضياءه إلا إذا قضى على فلول الظلام، ولا يمكن أن يمد الليل سلطانه إلا إذا طرد فلول الضياء، فهما على النقيض يتصارعان دائماً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والجاهلية نفسها كما قلت هي صدٌ عن سبيل الله تبارك وتعالى، إن الله من رحمته بالعبد يأمره بالأمر، ويأمره بما يعينه على أن يلتزم هذا الأمر.

[1] المرجع السابق، (ص ١٩١).



أرأيت لو كنا في أمريكا –مثلاً– فدعوت رجلاً إلى الإسلام، فراقه الأمر وأعجبه واقتنع، لكنه نظر ثم جاء فقال لك: يا أخي والله دينك ممتاز لا غبار عليه لكن يا أخي أنا لا أستطيع!

لماذا؟

يقول: لأنك تطلب مني أن لا أزني وكل ما حولي دعوة إلى الفجور، تطلب مني أن لا أشرب الخمر ودعوات الخمر ميسرة، والخمر في كل طريق وفي كل مكان، وتريد مني أن لا أتعامل بالربا، والمجتمع قائم على الربا وتريد مني... وتريد مني... وأنا لا أقوى على هذا، هذا تيار جارف يجرف كل من يقف أمامه ولا طاقة لي بمصارعة هذا التيار.

هذا الأمر نجده في بلادنا التي قد تلتزم ببعض شعائر الدين، كم من الناس تذكره وتدعوه وتعظه فيقول لك: يا أخي والله أنا أتمنى أن أكون ملتزماً، لكن لا أستطيع –هيك الناس بدهم، هيك المجتمع– أليس هذا ما يقوله الناس في بلادنا؟ فما ظنك بتلك البلاد؟

وجرت سنة الله في الناس أن الناس لا تنقاد إلا للقوة، فإذا اجتمع الحق والقوة دخل الناس في دين الله أفواجاً.

ألسنا نعلم أن هذه الأرض –العراق والشام ومصر وغيرها من بلاد الإسلام– كانت أرض كفر، لم يكن فيها للإسلام قائمة، لكن –وخلال غمضة من عمر التاريخ– صارت أرض إسلام كانت وما زالت، وستظل بإذن الله تبارك وتعالى أرض إسلام، كيف تم هذا؟

حسّان بن ثابت –رضي الله عنه– حدثنا فقال:

دعا المصطفى دهراً بمكة لم يجب*** وقد لان منه جانب وخطاب
فلما دعا والسيف صلت بكفه *** له أسلموا واستسلموا وأنابوا

بربكم هل يمكن أن يكون في التاريخ داعية أخلص وأحرص وأقدر على هداية الناس ودعوتهم من نبينا عليه الصلاة والسلام؟! هل يمكن أن يكون هناك إنسان أبلغ وأفصح



وأحسن طريقة وأهدى سبيلاً في دعوة الناس وفتح أقفال قلوبهم من نبينا عليه الصلاة والسلام؟! هل يمكن أن يكون في التاريخ أناس يفقهون قوارع القرآن ويدركون حقائقه كالعرب الأوائل الأقحاح الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم؟!

ومع ذلك بعد ثلاثة عشر عاماً من الدعوى، كم آمن معه عليه الصلاة والسلام؟

كم هم الذين هاجروا إلى المدينة؟ مئة ويزيدون قليلاً!

فلما دعا والسيف صلت بكفه *** له أسلموا واستسلموا وأنابوا[١]

دخل الناس في دين الله أفواجاً، لأنهم رأوا حقاً وقوة، إن الناس في كثير من الأحايين – كما هو واقع المجتمعات – تعرف الحق ولكنها لا تقوى على تكاليفه وليست مستعدة للتضحية في سبيله.

ألسنا نرى أن أهل الإسلام في مجتمعاتنا إذا حصلت انتخابات كان الإسلاميون في الغالب هم الذين يفوزون!

فالناس تريد الإسلام لكنها لا تستطيع أن تضحي في سبيل هذا الدين، فإذا رأت حقاً تحرسه قوة تحفظ لهم دنياهم ولا يخسرون ملاذهم وحوائجهم وثرواتهم في هذه الحياة، دخلوا في دين الله أفواجاً، لأن هذا الدين هو الذي يناسب فطرهم، فهو دين الله تبارك وتعالى.

لكن عندما يرون حقاً ضعيفاً والذي يأتيه تُصب عليه أنواع العذاب ويحارب ويهجر ويطارد ويلقى في السجون ويعذب – فالجاهلية قد كشّرت عن أنيابها وهي تتربص بهذا الدين وأهله – فيقول لك: يا أخي أنا أؤثر السلامة – وحط راسك بين الروس وقول يا قطّاع الأمريكان ويا قطّاع الروس – هذا هو المثل الذي عندنا!

لكن إذا وجدت حقاً بقوة تحرسه؛ فإن الناس تدخل في دين الله أفواجاً.

---

١ حسان بن ثابت رضي الله عنه.



ثم قولوا لي بربكم: لما توفي النبي عليه الصلاة والسلام -وقد دخل الناس في دين الله أفواجاً- فلما قُبض عليه الصلاة والسلام ماذا حصل؟

خرج الناس من دين الله أفواجا.

كيف رجعوا إلى الإسلام مرة أخرى؟

بالسيف!

بالله عليكم لو أن أبا بكر والصحابة رضي الله عنهم قالوا؛ تعالوا نسير قوافل دعوية ونرسل دعاة نكفلهم يدعون إلى الله ويعلمون الناس ويردون عن الشبه، أكانت تقوم لدين الله قائمة؟

لا والله أبداً... لكنهم رجعوا بالسيف.

وبعد ذلك انطلقت الفتوحات وتمكن دين الله، وضرب جرانه في هذه الأرض بالسيف فـ:

السيف أصدق أنباء من الكتب *** في حده الحد بين الجد واللعب[1]

الجاهلية -كما قلت- لا يمكن أن تهادن الإسلام، وواهم ومخطئ من يظن أن الجاهلية يمكن أن تفسح للإسلام، وأن تتنازل له طوعاً عبر صناديق الاقتراع وعبر الانتخابات وما أشبه هذا، هذا جاهل واهم.

وتحضرني هنا كلمة للشيخ محمد قطب تدل على فقه -وهو أهل له حفظه الله- عندما حصلت الانتخابات في الجزائر، وفي الدورة الأولى وتقدمت (جبهة الإنقاذ)، جاء بعض الإخوة إلى الشيخ في مكة يبشرونه بالنصر المؤزر والفتح المبين، فقال لهم: (هل حصل انقلاب؟ قالوا: لا، قال: انتظروا، وما هي إلا أيام حتى حصل ما حصل مما نعلم جميعاً).

---

[1] أبو تمام.



الجاهلية لا يمكن أن تسكت عن الإسلام، لا يمكن أن ترضى عنه، ولا يمكن أن تسلم له القيادة وأزمة الأمور ومقاليد الحكم، مستحيل، الذي يظن هذا واهم، وعليه أن يراجع ألف باء التاريخ، وألف باء الإسلام، وألف باء القرآن.

فهؤلاء أعداؤنا ولا يزالون يقاتلوننا.

والله تبارك وتعالى ذكر لنا هذه الحقيقة على لسان صبية صغار، لكنهم كبار في إدراك حقائق الإيمان، وحقائق هذه الملة.

فتية أهل الكهف عندما قالوا: {إِنَّهُمْ} من هم؟ عشيرتكم! أهلكم! بنو جلدتكم! {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا} [الكهف: ٢٠].

لا تملك الجاهلية مع أهل الإسلام إلا خياراً من اثنين:

- إما القتل: {يَرْجُمُوكُمْ}، القتل بأي صورة كانت.

- التذويب والفتنة: {أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ}.

وهذه الحقيقة التي أنطق الله بها هؤلاء الفتية نطق بها في هذا الزمان نيكسون -الرئيس الأسبق لدولة الشر العالمي، الذي فطس إلى جهنم قبل بضع سنين- عندما قال: (إننا لا نملك مع العالم الإسلامي إلا خياراً من اثنين: إما أن نحصيهم عدداً، ونقتلهم بددا، فلا نترك فيهم عيناً تطرف ولا قلباً يخفق، وإما أن نذوبهم في مجتمعنا العالمي فلا يبقى لهم عقيدة يمتازون بها، ولا جهاد يخوفوننا به).

هذه الدنيا...

إن خلاصة القرآن في بيان حركة التاريخ هي؛ الصراع الأبدي، سنة التدافع التي قررها الله التدافع بين الحق والباطل، بين أهل الإيمان وأهل الكفر، {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ}.



هذه السنة التي لا يمكن أن تتخلف، وواهم كل من يظن أن أعداء الله وأن الجاهلية يمكن أن تفسح المجال لأهل الإسلام، واهمٌ ومخطئٌ -وكما قلت- جاهلٌ بألف باء القرآن وبألف باء تاريخ الإنسانية على مر الزمان.

إذًا نحن نقاتل حتى يُحكَمَ بشرع الله تبارك وتعالى، ثم إذا رأى الناس حقاً وقوة دخلوا في دين الله -كما قلت- أفواجاً.

وأمر آخر: إن مشكلة الناس ليست في عدم الاقتناع، فإن الإنسان يعتوره عدوان الشهوة والشبهة، الشبهة تزال بالبراهين من الكتاب والسنة، لكن الشهوة والهوى لا ينفع معه الحجة والبرهان فإنه ما خالف وما انحرف وما انجرف لجهل وقلة علم وعدم بصيرة، ولكن لهوى، لشيطان ركبه.

وأكثر الناس إنما يؤثرون بالدينا ويكفرون لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، ومثل هؤلاء لا تنفع معهم الحجة، وإنما ينفع معهم السيف.

فما هو إلا الوحي أو حد مرهف *** تقيم ضباه أخدعي كل مائل

فهذا دواء الداء من كل جاهل -السيف- *** وذاك دواء الداء من كل عاقل[1] -الوحي والحجة-

لكن -كما قلت- أكثر الناس إنما ينجرفون وراء الهوى، وصاحب الهوى لا يرتدع بالحجة والبرهان، وإنما يرتدع بالسيف والسنان، إذاً لا بد من القتال، لا بد من جهاد، لا بد من السيف، لا بد من الرمح، ولكن تعالوا بنا بعد أن أدركنا هذه الحقيقة -إن شاء الله- نوسع المجال قليلاً، ونفهم الأمر أوسع مما تقدم.

فالجهاد في الشريعة؛ وإن كان في الأصل هو القتال -كما سنذكر إن شاء الله- لكنه ليس هو القتال فقط، قال الله تبارك وتعالى: {وَجَاهِدْهُم بِهِ} أي: بالقرآن، {جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان:٥٢]: بحججه وبراهينه فسمى ذلك جهادًا.

---

[1] أبو تمام.



وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ}[التوبة:٧٣]، وجهاد الكفار بالسيف والسنان وجهاد المنافقين بالحجة والبرهان فسمى الله ذلك جهادًا.

وروى أبو داود والنسائي بسند صحيح عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ". فسمى ذلك جهادًا.

وقال -كما في النسائي بسند صحيح أن طارق بن شهاب- أن النبي عليه الصلاة والسلام سئل وهو يضع رجله في الغرز أي الجهاد أعظم؟ قال: "كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ". فسمى الكلمة جهادًا.

وفي الطبراني قال ﷺ: "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ -رضي الله عنه-، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَنَهَاهُ وَأَمَرَهُ، فَقَتَلَهُ"[١]، وسمى ذلك جهادًا.

وكذلك روى الإمام ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه -والحديث صححه ابن حبان- أن النبي ﷺ قال: "مَنْ جَاءَ مَسْجِدِي هَذَا، لَمْ يَأْتِ إِلَّا لِخَيْرٍ يَتَعَلَّمُهُ أَوْ يُعَلِّمُهُ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَنْ جَاءَهُ لِغَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ رَجُلٍ يَنْظُرُ إِلَى مَتَاعِ غَيْرِهِ". فسمى طلب العلم؛ جهادًا.

ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه - كما روى ابن عبد البر عنه-: (من رأى الغدو والرواح في العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه)[٢]. وقال: (ما من أحد يغدو إلى المسجد لخير يتعلمه أو يعلمه إلا كتب له أجر مجاهد لا ينقلب إلا غانما)[٣].

وهذا الإمام ابن القيم يقول عندما تحدث عن فضل العلم -في الوجه الخمسين في فضل العلم-: ما رواه الترمذي عن الربيع بن أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ: "مَنْ خَرَجَ فِي

---

١ قال الهيثمي: فيه ضعف من طريق ابن عباس. ورواه الترمذي والحاكم عن جابر -رضي الله عنه- وقال: صحيح الإسناد.

٢ جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، (ج١/ص١٥٢).

٣ المرجع السابق، (ج١/ص١٥٣).



طَلَبِ العِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يَرْجِعَ"[1]، قال: (وإنما جُعِلَ طلبُ العلم جهادًا في سبيل الله لأنَّ به قِوامَ الإسلام، كما أنَّ قِوامَه بالجهاد، فقِوامُ الدِّين بالعلم والجهاد.

ولهذا كان الجهاد نوعين: جهادٌ باليد والسِّنان؛ وهذا المشارِكُ فيه كثير -في زمانه-، وجهادٌ بالحجَّة والبيان؛ وهذا جهاد الخاصَّة من أتباع الرسل -عليهم الصلاة والسلام-، وهو جهاد الأئمَّة، وهو أفضل الجهادَين لعظم منفعته، وشدَّة مؤونته، وكثرة أعدائه)[2].

قال تعالى: {وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان:٥٢]، فهذا جهاد لهم بالقرآن، وهو أكبر الجهادين.

وهو جهاد المنافقين أيضاً، فإن المنافقين لم يكونوا يقاتلون المسلمين، بل كانوا معهم في الظاهر، وربما كانوا يقاتلون عدوهم معهم، ومع هذا فقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة:٧٣]. ومعلوم أن جهاد المنافقين بالحجة والقرآن.

والمقصود أن سبيل الله: هو الجهاد وطلب العلم، ودعوة الناس به إلى الله تبارك وتعالى.

لكن هنا علينا أن نعلم أن أئمتنا قالوا كما قال يحي بن يحي: (الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله)، فقيل له: الرجل ينفق ماله ويتعب نفسه ويجاهد، فهذا أفضل منه؟ قال: (نعم، بكثير)[3].

الذب عن السنة هنا؛ السنة إذا أطلقت في كلام الأئمة يقصد بها؛ أصول الاعتقاد، قواعد الشريعة الكبرى.

لا يظنن ظان أنه يأتي فيتكلم عن صوفي أو عن جهمي أو عن أشعري ليس وراءه سيف وسنان يحرسه ويحفظه، فيظن أنه بذلك جاهد في سبيل الله، وأنه أعظم من القتال في

[1] قال الترمذي: حديث حسن غريب.
[2] مفتاح دار السعادة، ابن القيم، (ج١/ص١٩١).
[3] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨/ص٥١٦).



سبيل الله... لا، هذا الذي يقصده أئمتنا؛ أن تقوم لله مقاماً كمقام الإمام أحمد -مثلاً- تحفظ الأمة، تقول كلمة الحق.

نحن في زمان تجر الأمة إلى أودية الضلال، وإلى مهاوي الشرك والكفر؛ ثم يسكت هؤلاء ويزعمون أنهم إذا رد على مبتدع من هنا أو هنا بتجارة ورق على مبتدع ضعيف ليس وراءه سنان أو سيف يحرسه، يظن أنه قد أدى حق الله تبارك وتعالى.

نعم إذا كان مخلصاً في هذا الأمر؛ فجزاؤه على الله، لكن ينبغي أن نعلم أن هذا ليس هو المقصود عند أئمتنا رحمهم الله.

أولاً: علينا أن نعلم أنه يجب أن توجه ويوجه المجهود كله ابتداء للجهاد الذي هو القتال، ولهذا قال الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ}، حتى لا يقول قائل؛ أنا أجاهد بقلمي، أنا أجاهد بمجلتي بصحيفتي، بشريطي بمقالتي!

نعم هذا من الجهاد، لكن دين الله تبارك وتعالى لا تتوطد دعائمه في الأرض ولا تثبت أركانه في دنيا الناس إلا بالجهاد الذي هو القتال، ولذلك قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ}، ولم يقل؛ وجاهدوهم.

لا بد من السيف، فإذا اكتفى أهل الثغور وكمل عدد المجاهدين فلم يعودوا يحتاجون إلى من وراءهم، فليشتغل أولئك بأضرب الجهاد الأخرى، وجزاهم الله خيراً.

لكن ينبغي أن يكون المجهود ابتداءً كله في دعم الجهاد.

ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام -مثلاً- في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني: "مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا".

حتى يتكامل عطاء أهل الإسلام، فإذا حصل هذا واغتنى أهل الجهاد وأهل الثغور، فاشتغل بسائر الأمور.



نحن هنا نحتاج إلى الطبيب المجاهد، ونحتاج إلى الصحفي المجاهد، ونحتاج إلى العالم المجاهد، ونحتاج إلى طالب العلم المجاهد.

أما ترون أننا نتلفت حولنا يمنة ويسرة نبحث عن عالم أو طالب علم نفزع إليه في المهمات، نستشيره ونستفتيه في النوازل والطّامات التي نعيشها، فلا نكاد نجد، والله المستعان وإلى الله المشتكى!

ولذلك قال الإمام ابن رشد -رحمه الله- ليدفع هذه الشبهة قال: (إلا أن الجهاد إذا أطلق فلا يقع بإطلاق إلا على مجاهدة الكفار بالسيوف حتى يدخلوا في الإسلام، أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[١].

لا بد من هذا، هذا هو الجهاد إذا أطلق ابتداء.

فكما قلت؛ نحن نحتاج إلى أناس يجاهدون في أماكن أخرى، لكن يكون عملهم دعماً للمجهود الجهادي بالنفقة والقيام على عوائل المجاهدين حتى يتفرغوا للجهاد، بجمع المال لهم، وما أشبه هذا مما يتعلق ببعض الجهاد.

أما أن يزعم الزاعم؛ أنه يجاهد بقلمه وهو جالس على أريكته، آمن في سربه بين أهله، والمجاهدون يفتقدون إلى صاحب قلم، أن يقول العالم أنا أسد ثغرة في بلدي، وأهل الإسلام وأهل الثغور لا يجدون عالمًا يسألونه! فلا شك أن الأمة كلها آثمة حتى يكتفي أهل الجهاد وحتى تسد الثغور ويغتني أهلها بسائر الكفاءات التي يحتاجونها في جهادهم.

ولكن مع ذلك - كما قلنا - قال الله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ}.

وكما قال المتنبي:

ومن طلب الفتح المبين فإنما *** مفاتيحه البيض والخفاف الصوارم

---

١ المقدمات الممهدات، ابن رشد الجد، (ج١/ص٣٤٢).



إن الجاهلية لا تستكين وتنكس رأسها لأهل الإسلام بحجةٍ وبرهانٍ وبيانٍ وخطبةٍ ودرسٍ... إلا بالسيف، إلا بالجهاد، الذي هو القتال في سبيل الله تبارك وتعالى.

وبهذا بعث نبينا عليه الصلاة والسلام، كما قال ﷺ فيما رواه أحمد بسند صحيح -كما قال الإمام العراقي وحسنه ابن حجر وقواه شيخ الإسلام- عن ابن عمر رضي الله عنهم جميعاً: "بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي؛ وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ".

وكما قال ﷺ في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ".

ولذلك فقد ذكر بعض العلماء؛ أن اسم النبي ﷺ باسمه -محمد- ذكر في أربعة مواضع، وأنا أقول؛ ذكر باسمه (أحمد) في موضع واحد عليه الصلاة والسلام.

وفي سورة الأحزاب: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ (٤٠)}، وهي حديث عن غزوة الأحزاب.

في سورة محمد -عليه الصلاة والسلام-: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ (٢)}، ولها اسم آخر وهو (القتال)، وبدأت بـ {الَّذِينَ كَفَرُوا} فكأن السورة تقول: محمدٌ ﷺ بُعث بالقتال للذين كفروا، فسورة محمد هي سورة القتال.

والسورة التي تليها، سورة الفتح [آية ٢٩]: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا}، وكأن الله يقول؛ لا يجيء الفتح إلا بالقتال للكفار، وبهذا بعث النبي عليه الصلاة والسلام.



ثم بعد ذلك في سورة الصف [آية:٦]: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ}.

وفي سورة الصف: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ (٤)}.

وهي التجارة الرابحة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [الصف:١٠-١١]، ثم قال الله تعالى بعد ذلك في السورة نفسها: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ} [الصف:١١-١٣].

بعد القتال بعد التجارة الرابحة بعد الجهاد، {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ۖ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا}، بماذا؟ بالجهاد: {فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف:١٣-١٤].

فلا يمكن أن يظهر أهل الإسلام إلا إذا عقدوا هذه التجارة وبايعوا الله تعالى هذه الصفقة، باعوه أنفسهم وجاهدوا في سبيل الله تبارك وتعالى.

هذا نبينا عليه الصلاة والسلام، وهذا اسمه الكريم لا يذكر إلا في مواضع الجهاد.

ومما يتعلق بهذا؛ أن كثيراً من الناس يخطئون في فهم الأسوة.

يظنون أن الإنسان يأتسي بالنبي عليه الصلاة والسلام إذا حمل سواكاً أو قصّر ثوبه أو أطال لحيته، ونِعمَ السنن هي ولا بد منها في دين الله تعالى. لكن الله تبارك وتعالى أين قال: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[الأحزاب:٢١].



في غزوة الأحزاب، بعد أن ذكر مجيء الأحزاب والقتال: {إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب:١٠-١١]، ثم ذكر الله المنافقين، ثم قال بعد ذلك: {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[الأحزاب:٢١].

إنك كما يجب أن تصلي وتنام وتأكل وتتزوج، كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل، يجب أيضاً أن تجاهد وأن تهاجر وأن تقاتل كما فعل عليه الصلاة والسلام، إذا فعلت هذا فقد حققت حقيقة الائتساء، وإلا فأنت؛ لاعب!

ونسأل الله تعالى أن يهدينا وأن يشرح صدورنا وأن ينور قلوبنا،

ونُذكّر وهي تذكرة عامة لأهل الإسلام، بكلمة شيخ الإسلام حين قدم التتار إلى أرض الإسلام وكأنه يتحدث عن موقعتنا هذه عليه رحمة الله.

عندما قال في رسالة وجهها إلى أهل الشام أيام غزو التتر: (واعلموا أصلحكم الله؛ أن من أعظم النعم على من أراد الله به خيراً أن أحياه إلى هذا الوقت الذي يجدد الله فيه الدين ويحيي فيه شعار المسلمين وأحوال المؤمنين والمجاهدين، حتى يكون شبيها بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؛ فمن قام في هذا الوقت بذلك كان من التابعين لهم بإحسان الذين؛ {رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[التوبة:١٠٠].

فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على المحنة التي في حقيقتها منحة عظيمة كريمة من الله، وهذه الفتنة التي في باطنها نعمة جسيمة، حتى -والله- لو كان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار - كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم- حاضرين في هذا الزمان؛ لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين.



ولا يُفوت مثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارته وسفه نفسه وحُرم حظاً عظيما من الدنيا والآخرة)[١].

ونسأل الله تعالى أن يكرمنا وأن يجعلنا من مفاتيح النصر وجند القرآن، وأن يقر أعيننا بنصر للإسلام وأهله، وأن يختم لنا بالشهادة في سبيله، في نصر للإسلام وتمكين لأهل الإسلام، آمين، آمين.

وصلى الله على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

١ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٢٨/ص٤٢٠-٤٢١).



حفظ اللسان والإعراض عن اللغو

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يَهدِه الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠]، أما بعد:

فلا شك أن من الأماني العظيمة، والغايات النبيلة التي يتمناها كل مسلم، ويحلم بها كل مؤمن، أن يخشع في الصلاة، وأن يرقّ قلبه، وأن تدمع عينه، والله -سبحانه وتعالى- قد علمنا في القرآن مفتاحًا لهذا، ومثالًا له أيضًا، فقال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ}[المؤمنون: ١-٣]؛ الإعراض عن اللغو سبب -بإذن الله- لتحصيل هذه الغاية، وهو أيضًا ثمرة من بعد لوصول الإنسان إليها، واللغو هو: كل ما لا نفع فيه أو به في دين أو دنيا. وقد ثبت في الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"[١]، وقد اختلف أئمتنا -رحمهم الله تعالى- في الكلام، هل يُكتب كل كلمة يقولها العبد، أو لا يكتب إلا ما له أو عليه؟

فذهب الإمام مجاهد وكثير من المفسرين: إلى أن الملائكة تكتب كل ما تنطق به، حتى أن أنين النوم، وقال عكرمة -رحمه الله-: (لا تكتب إلا الخير أو الشر، وأما ما لم يكن من

[١] قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه (إسناد ضعيف).



الخير أو الشر فإنها لا تكتبه)[١]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (والصواب أنها تكتب كل شيء؛ لأن الله تعالى قال: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}[ق:١٨]، وهذه نكرة في سياق النفي دخلت عليها مِن فصارت نصًا في العموم)[٢]، {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ} أيُّ قول، صغيرًا أو كبيرًا، مُهمًا أو حقيرًا، له وزن أو ليس له لون ولا طعم، فإنه لديه له رقيب عتيد، يُحصيه ويكتبه، قال: (ثم إن النبي ﷺ قال: "مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ"، فإذا تكلم فيما لا يعنيه نقص من حُسن إسلامه وهذا عليه، والله تعالى قال: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[البقرة:٢٨٦]، فأخبر أنك لا تصنع شيئًا إلا كان لك، أو عليك؛ ولذلك فالصحيح والصواب أن الملك يكتب كل فهَّة تنطق بها، ثم توزن في الحسنات، أو في السيئات، وقد تكون نقصًا في تمام الإيمان، وإن لم تكن سيئة بعينها)[٣].

ثبت عن ابن المبارك –رحمه الله– أنه قال: (قيل لوهيب بن الورد –رحمه الله–: هل يجد حلاوة الطاعة من يعصي؟ قال: ولا من يهمُّ بالمعصية)، فهذا يُحرم حلاوة الطاعة، ولـذَّة ذكـر الله –سبحانه وتعالى–، فإذا أكثر الإنسان من الإهذار والثرثرة، فيما يعلم ولا يعلم، فيما ينفع ولا ينفع، كان هذا على حساب إيمانه ويقينه وحلاوة ذكر الله –سبحانه وتعالى– في قلبه.

وقد ثبت في مسند الإمام أحمد، أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ، قِلَّةَ الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ"[٤]، وإذا أيقن الإنسان أن كلامه يُحصى عليه، فإنه سيستقلُّ منه، أرأيت لو كان أحدنا يتحدث بالهاتف في مكالمة دولية ستأتيه الفاتورة آخر الشهر يئنُّ منها جيبه، وتنكسر منها ميزانيته، أليس يحسب حسابًا للكلام؟ ويختصر ويعتصر، ولا يطوِّل في ما لا نفع فيه ولا عائدة، وهكذا الأمر عندما يشعر الإنسان أن كلامه فواتير في ميزانه، ستثقل بها موازينه أو تخف، عند ذلك أيضًا سيحسب للكلام حسابه وسيعدُّه عدًا.

---

[١] ذكره أبو أنس بالمعنى، والأصل: (لَا يَكْتُبَانِ إِلَّا مَا يُؤْجَرُ عَلَيْهِ أَوْ يُؤْزَرُ) معالم التنزيل، البغوي، (ج٧/ص٣٥٩).

[٢] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٧/ص٤٩) بتصرف من أبي أنس.

[٣] المرجع السابق، (ج٧/ص٥٠) بتصرف من أبي أنس.

[٤] قال الهيثمي: رجال أحمد ثقات. وضعفه أحمد شاكر، وحسنه لغيره شعيب الأرنؤوط.



ولذلك حث النبي ﷺ كثيرًا كثيرًا على ضبط اللسان وحفظ الكلام، ثبت في سنن الترمذي والنسائي وابن ماجه بسند صحيح، عن سفيان بن عبد الله الثقفي -رضي الله عنه- قال: (جئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، مُرني بأمر أعتصِم به)، قال: "قُلْ رَبِّيَ اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ"، قال: (قلت يا رسول الله فما أتقِي؟) -ما الشيء الذي أتقيه وأحذر أذاه وعاقبته- قال: -وفي رواية للترمذي-: (يا رسول الله، ما أخوف ما تتخوَّف علي منه؟)، فأخذ بلسان نفسه -عليه الصلاة والسلام- وقال: "هَذَا"؛ هذا أخوف ما أخاف عليك، أن يُرديك في جهنم، وأن يسوء عاقبتك. وجاء كذلك في [الصمت لابن أبي الدنيا][1]، عن أنس -رضي الله عنه- قال: استشهد منا رجل يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت هنيئا لك يا بني الجنة [وفي رواية قالت: ليهنك الشهادة] فقال النبي ﷺ: "مَا يُدْرِيكِ؟! لَعَلَّه كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لا يَعْنِيهِ، وَيَمْنَعُ مَا لا يَضُرُّهُ"[2]، ولذلك من أين لكِ أنه من أهل الجنة؟

ونحن أيها الإخوة الأكارم قد أُمرنا بأن نكُفَّ وأن نُمسك عن فضول الكلام، وأن نبذل فضول الأموال وأن نتصدق بها في سبيل الله -سبحانه وتعالى-، فعكسنا الأمر وقلبنا الآية، وأنفقنا فضول الكلام في ما ينفع وما لا ينفع، وأمسكنا فضول الأموال.

وكذلك ثبت في الترمذي عن جابر -رضي الله عنه- بسند حسن، ورواه أحمد أيضًا بسند صحيح عن أبي ثعلبة الخُشني -رضي الله عنهم جميعًا- أنهما قالا: (سمعنا النبي ﷺ يقول: "إِنَّ مِنْ أَحبكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ" قالوا: يا رسول الله، قد علمنا الثرثارون والمتشدِّقون، فما المُتفيهقون؟ قال: "الْمُتَكَبِّرُونَ"). الثرثارون، والمتشدقون: الذي يتشدق بالكلام، ويتكلف الفصاحة والبلاغة في تكلُّف

---

[1] ذكر أبو أنس أنه في الترمذي وعن أم كعب بن أبي عجرة -رضي الله عنهما- وهو غير صحيح. ما رواه الترمذي: عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: تُوُفِّيَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ -يَعْنِي رَجُلًا-: أَبْشِرْ بِالجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَوَلَا تَدْرِي فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ أَوْ بَخِلَ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ" هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

[2] ورواه أبو يعلى (منكر بهذا اللفظ)، وفي حديث كعب بن عجرة -رضي الله عنه-الذي رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وغيره لم يكن متوفيًا بل مريضًا. فاعتمدت على أقرب رواية تناسب سياق الحديث الذي قصده أبو أنس، فلفظ الحديث الذي ذكره غير موجود في كتب السنة.



مجوج. وكذلك المتفيهقون وهم المتكبرون. والثرثار كما نعلم هو المِهذار ثرثار هو الذي كلامه يكثر، والمتفيهقون هو من تكبَّر.

ونحن أيضًا كما ذكرنا في أول الدرس، من الأماني العزيزة على قلب كل مؤمن أن يخشع في صلاته، كذلك من الغايات والآمال والأحلام الكبيرة التي يُمني كل مؤمن نفسه بها، أن ينجو يوم القيامة، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى مفتاح ذلك كما في الترمذي بسند حسن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–، أن النبي ﷺ قال: "مَنْ صَمَتَ نَجَا"، ألست تريد النجاة أيها المؤمن؟ ألسنا كلنا نريد أن ننجو؟ "مَنْ صَمَتَ نَجَا" وهذه وصية رسول الله ﷺ.

ثبت في مسند الإمام أحمد، وفي سنن الترمذي، عن عقبة بن عامر –رضي الله عنهم جميعًا– قال: (قلت للنبي ﷺ: ما النَّجَاةُ؟) ما هي أسباب النجاة وأصولها ومفاتيحها وأبوابها؟ قال: "أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ"[١]. "أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ" فلا تُطلقه فيما ينفع وما لا ينفع، "وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ" لا تُكثر التجوال والذهاب والإياب من غير ما منفعة، وهذا إذا كان في طرق المدينة ودروب أطهر أرض الله –سبحانه وتعالى–، فكيف به في دروب هذا الزمان، وطرق هذه الأيام؟! وفعلًا من أراد النجاة فليسعه بيته ولا يخرج إلا لحاجة، وأما خروج الشاب خاصة للتجوال، والمرور في الأسواق، والذهاب والإياب فإنه يتعرض لفِخاخ لا تُحصى، ومزالق لا يحصيها إلا الله –سبحانه وتعالى–. "وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ"، ولو أراد كلٌ منا أن يعرض نفسه على هذا الميثاق، ليرى هل سينجو أم لا ينجو؟ هل أخذ بمفاتيح وأسباب النجاة أو لا؟ فأظن أننا جميعًا والله المستعان، ربما لم نحصِّل منها إلا شيئًا يسيرًا.

وذلك أن كثرة الكلام هو مظِنَّة للوقوع في الخطأ والمعصية والزلة، كما قالت العرب قديمًا: (من أَكْثَر أَهْجَر)، من أكثر من الكلام أهجر؛ أي جاء بالهُجْر من القول: وهو

[١] قال الترمذي: حديث حسن.



الكلام القبيح السافر، كما قال تعالى: {سَامِرًا تَهْجُرُونَ}[المؤمنون:٦٧]، يعني تسمرون معًا وتتكلمون بكلامٍ سيء قبيح، وقد ثبت عن عمر -رضي الله عنه- أنه قال: (من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولى به)[١]، وربما زلّ لسانك زلّة، وفُهْتَ بِفَاهةٍ لم تحسب لها حسابًا، ولم تزنها كما ينبغي قبل أن تطلقها، يكون فيها خسارك، وسوء العاقبة والمنقَلَب والعياذ بالله.

وقد ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا -يعني يلقيها على عوائمها من غير أن يزنها من غير أن يتدبرها من غير أن يفكّر فيها- يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ"، وفي حديث الإمام أحمد والترمذي، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا، -يعني يراها خفيفة سهلة {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ}- يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ"[٢]، يعني يهوي حتى يصل إلى قاع النار بكلمة واحدة.

الكلمة قد تكون سببًا للخلود الأبدي في الجنة، وقد تكون سببًا والعياذ بالله لاستحقاق الجحيم، الكلمة (لا إله إلا الله) ميثاق الجنة. وقد تنطق بها من غير أن تزنها، تنقض (لا إله إلا الله)، وقد تكون سببًا لخلودك في الجحيم والعياذ بالله، ولذلك جاء في حديث الإمام أحمد، في حديث سلمان بن سحيم عن أمه قالت:" سمعت النبي ﷺ يقول: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَدْنُو مِنَ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا قِيدُ ذِرَاعٍ فَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ فَيَتَبَاعَدُ مِنْهَا أَبْعَدَ مِنْ صَنْعَاءَ"[٣]، كلمة ردّته إلى الوراء هذه المسافة الشاسعة.

وعلى العكس فكما قلت قد تكون الكلمة الطيبة سببًا لرضوان الله تعالى، واستحقاق الجنان؛ ثبت في مسند الإمام أحمد وسنن الترمذي والنسائي، عن بلال بن الحارث -رضي

---

[١] قال الحافظ العراقي: أخرجه أَبُو نعيم فِي الْحِلْية من حَدِيث ابْن عمر بِسَنَد ضَعِيف وَقد رَوَاهُ أَبُو حَاتِم بن حبَان فِي رَوْضَة الْعُقَلَاء وَالْبَيْهَقِيّ فِي الشّعب مَوْقُوفا عَلَى عمر بن الْخطاب.

[٢] قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

[٣] إسناده ضعيف.



الله عنه- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، فَيَكْتُبُ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ"[١].

وما أبخلنا أيها الإخوة الكرام بالكلمة الطيبة! نستهين بها، نحن نرى دائمًا وهذا المنظر يتكرر، نأتي إلى الصلاة وهناك باعة على باب المسجد، نمر بهم وكأننا لا نعرفهم وكأننا لم نرهم، ونبخل عليهم بكلمة طيبة: (تفضل يا أخي صلِّ، يا أخي صلِّ الله يهديك)، وربما كانت هذه الكلمة سببًا في هداية مسلم، ويرضى الله -سبحانه وتعالى- بها عنك، ويكتب لك بها رضوانه إلى أن تقف بين يديه -سبحانه وتعالى-، لكن للأسف كثيرًا ما نبخل بهذه الكلمة، ونستحي منها، وأما الكلام الذي لا معنى له، وربما كان سببًا لسخط الله -سبحانه وتعالى- فما أجودنا به والله المستعان.

فهذا اللسان أيها الإنسان، ثعبان يلدغ، وسبع يفترس.

احفظ لسانك أيها الإنسانْ *** لا يَلْدغنَّك إنه ثعبانْ
كم في المقابر من قَتيل لسانه *** كانت تَهابُ لقاءه الأقرانْ[٢]

(لسانك حصانك، إن صنته صانك، وإن هنته أهانك)، وكما قال أكثم بن صيفي: (مقتل الرجل بين فكَّيه).

وربما زرع الكلام عداوة وضرارًا، قال الشاعر:

إن كان يُعجبك السكوت فإنه *** قد كان يعجِبُ قبلك الأخيارَ
ولئن ندمتَ على سكوتكَ مرةً *** فلتندمنَّ على الكلام مِرارا[٣]

---

[١] قال الترمذي: حسن صحيح.
[٢] ابن طاهر.
[٣] أبو العتاهية.



إن السكوت سلامة ولربــما *** زرع الكلام عداوة وضِرارا

كم من إخوة كانوا أصفياء، أخلاء، أصدقاء، فرقت بينهم كلمة، ألقاها أحدهم مزاحًا جرح بها أخاه جرحًا لا يبرأ، قالوا قديمًا:

جراحات السِّنان لها التِئَامُ *** ولا يلـــتام ما جرح اللسانُ
وقد يُرجى لجرح السيف بُرءٌ *** وجرح الدَّهر ما جرح اللسانُ

جُرح اللسان قد يظل إلى الأبد، ولا يبرأ قط، بخلاف جرح السيف أو السنان، وكما قلت كم من إخوة كانوا على خير وود وصفاء، فرقت بينهم مزحة، أو كلمة، ألقاها أحدهم من غير أن يتدبَّرها، من غير أن يَزِنَها، كانت سببًا في شرخ لا يردم، وجرحٍ لا يندمل، وسببًا لتفرُّق القلوب، وتباغض النفوس والله المستعان.

وهذا كما نعلم –أعني اللسان– هو أعظم باب يدخل منه الناس إلى جهنم، جاء في سنن الترمذي وابن ماجه، ورواه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، عن معاذ بن جبل –رضي الله عنه– قال: (قلت للنبي ﷺ: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار)، قال: "لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ – ونسأل الله أن ييسره علينا– تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البيْتَ"، ثم قال: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ"، ثُمَّ تَلَا قوله تعالى: {تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة:١٦-١٧]، ثُمَّ قال ﷺ: "أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟"، قلت: بلى يا رسول الله، قال: "رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الجِهَادُ"، ثُمَّ قال: " أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟"، قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه، قال: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا"، قلت: يا نبي



الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ: عَلَى مَنَاخِرِهِمْ-، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟".

واللهُ تعالى جعل لك أذنين ولسانًا؛ لتسمع أكثر مما تتكلم، وليس هذا فقط بل إن الله تعالى قد حبس لك هذا اللسان في سجنين، سجن من عظم، وسجن من لحم، حتى تتمهل، وتتّئِد قبل أن تخرجه فينطق، وقبل أن تفك أسره وتخرجه من حبسه، وتتّئِد وتزن كلامك وتفكِّر فيه، وقد جاء في سنن الترمذي بسند حسن[١]، عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: "لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي"؛ قسوة القلب سبب لبعد القلوب عن علّام الغيوب سبحانه، وإن أبعد قلوب الناس من ربنا الرحيم قلب قاسٍ، وهذا كما ذكرنا في أول الدرس سبب من أسباب -أعني قلة الكلام- الخشوع والقرب من الله سبحانه وتعالى والعكس بالعكس.

ثبت في كتاب (الصَّمت) لابن أبي الدنيا بسند حسن[٢]، عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَذَابَهُ، وَمَنِ اعْتَذَرَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبِلَ عُذْرَهُ"، وهو أكرم الأكرمين -سبحانه وتعالى- من كف لسانه ستر الله عيبه؛ وكم فضح اللسان من أناس كانوا مستورين بستر من الله، وزلة لسانهم فضحتهم وكشفت المخبوء الذي كان بينهم وبين الله.

قد روي عن سليمان -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: (إذا كان الكلام من فضة، فالسكوت من ذهب)[٣]، ويُحكى عن أرسطو أو أفلاطون أنه كان يقول: (الحكمة عشرة

---

١ قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن عبد الله بن حاطب.

٢ قال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف.

٣ رواه ابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان.



أجزاء، تسعة منها في الصمت، وواحد منها في قلة الكلام)، وسنروي قريبًا من هذا إن شاء الله، عن نبي الله عيسى –عليه الصلاة والسلام–.

قال الإمام النووي –رحمه الله–: (في السكوت والصمت فائدة عظيمة؛ وهي السَّلامة)[١]، من صمت نجا، ولا شيء يعدل السلامة.

وقائلةٍ ما لي أراكَ مُجانِبًا *** أمورًا وفيها للتجارة مربحُ
فقلت لها ما لي بربحك حاجة *** فنحن أناسٌ بالسَّلامة نفرحُ

والسلامة لا يعدلها شيء، والكلمة أسيرتُك فإذا أطلقتها صرت أسيرها، وتملكها فإذا نطقت بها ملكتك. ولذلك كان الصحابة الكرام –رضي الله عنهم– وهم تربية النبي –عليه الصلاة والسلام– يعاتبون أنفسهم كثيرًا، ويحاسبونها ويراعون هذا الأمر فيها، ثبت في شعب الإيمان للبيهقي، أن أبا بكر –رضي الله عنه– كان إذا خلا بنفسه في بيته، أمسك لسانه وقال: (هذا الذي أوردني الموارد)[٢]، وهو الصدِّيق –رضي الله عنه وأرضاه–.

وثبت عن ابن مسعود –رضي الله عنه– في معجم الطبراني بسند حسن[٣]، أنه رَقي يومًا على الصَّفا، ثم نادى بأعلى صوته يخاطب لسانه؛ ليسمع الناس فقال: (يا لسان قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن شر تسلم، وإلّا فسوف تندم)، فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، أهذا شيء تقوله من نفسك، أم سمعت النبي ﷺ يقوله؟ فقال: بل سمعت النبي ﷺ يقول: "أَكْثَرُ خَطَايَا ابنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ"؛ لأن هذا العضو سهل التحريك، ووبيل العاقبة والعياذ بالله.

وأخرج ابن عساكر عن أبي الدرداء –رضي الله عنه– أنه قال: (تعلَّموا الصمت كما تتعلَّمون الكلام)؛ تعلموا الصمت، تريد أن تتكلم لكن تلزم نفسك أحيانًا بالصمت؛ ليصبح هذا الأمر لك عادة، (فإن الصمت حِلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك

---

١ لم أجده ضمن مصنفاته.

٢ رواه أبو يعلى وابن السني في اليوم والليلة وابن أبي الدنيا في الصمت، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

٣ حسنه الحافظ العراقي، وقال ابن أبي حاتم في العلل: قال أبي: هذا حديث باطل.



إلى أن تتكلم، ولا تتكلم في شيء لا يعنيك، ولا تكن مِضْحَاكًا من غير عجب، ولا مشَّاءً إلى غير أرب)؛ يعني يتمشى فقط، يذهب ويأتي وليس له أرب ولا غرض ولا حاجة يقضيها، وإنما يقضي وقته في التمشي.

وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن ابن عمر -رضي الله عنهم- قال: (أحقُّ ما طهّر العبد لسانه)، وقد روى الإمام أحمد في المسند، عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: "لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ"[١].

وقد روى ابن سعد عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: (لا يتقي عبدٌ حتى يخزِن من لسانه)؛ يعني يمسك عليه بعض الكلام، فيخزن هذا اللسان، ويحبسه ولا يطلقه حتى يزن كلامه. والله تعالى وصف المؤمنين فقال: {وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان:٧٢]، هؤلاء عباد الرحمن، إذا مروا باللغو مروا كرامًا، لا يُخالطونه ولا يتدنسون به.

وقد قال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-: (التقيُّ مُلْجَم)[٢]؛ يعني له لجام، لا يطلق نفسه، لا يفك لسانه، تقواه تلجم لسانه، فلا ينطق إلا بموجب التقوى، ولا يتكلم إلا بموجب الخوف من الله -سبحانه وتعالى-، وهذا كما جاء في حديث أبي داود أيضًا: قال ﷺ: "الْإِيمَانُ قَيَّدَ الْفَتْكَ"[٣]، يعني أن المؤمن لولا الإيمان لربما فتك بالناس وآذاهم، وأساء إليهم، لكن الإيمان يقيده ويمنعه عن الفتك بالناس وأذاهم، وكذلك التقيّ ملجم، تلجمه التقوى، ويمنعه إيمانه فلا يتكلم -كما قلت- إلا بعد أن يزن كلامه.

وروى الطبراني، عن أنس -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَخْزُنَ مِنْ لِسَانِهِ"[٤]، وكما قلنا وحسبنا قوله تعالى: {مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق:١٨].

---

١ الحديث ضعفه الهيثمي والعراقي.

٢ الزهد الكبير، البيهقي، (ص٣٤١).

٣ قال المنذري: في إسناده أسباط بن نصر الهمداني، وإسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي، وقد أخرج لهما مسلم، وتكلم فيهما غير واحد من الأئمة.

٤ قال الهيثمي: فيه داود بن هلال، ذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه ضعفًا، وبقية رجاله رجال الصحيح.



أخرج الطبراني عن معاذ –رضي الله عنه– أن النبي ﷺ قال: "إِنَّكَ لَنْ تَزَالَ سَالِمًا مَا سَكَتَّ فإِذَا تَكَلَّمْتَ كُتِبَ لَكَ أَوْ عَلَيكَ"[١]، وهذا يرجّح ما ذكرناه آنفا، أن كل كلمة تتكلم بها فهي مكتوبة مسطورة عند الله –سبحانه وتعالى– وفي صحف ملائكته الكرام.

وقد ثبت في الصحيحين، عن المغيرة بن شعبة –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: "إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ وَوَأْدَ الْبَنَاتِ وَمَنَعَ وَهَاتِ؛ وَكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ".

وفي سنن أبي داود قال رسول الله ﷺ: "بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا"[٢]؛ (سمعت، قالوا لي، حكوا لي..)، ولا ينبغي للمؤمن أن يكون ناقة أو دابة تُنقل عليها الإشاعة، والله تعالى قد وبَّخ المؤمنين فقال: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة:٤٧]، عن المنافقين، ما معنى أَوْضَعوا؟ أوضعوا كما قال ورقة بن نوفل لما جاءه النبي ﷺ أو جاءه الخبر: (يا ليتني فيها جذع، أخُبُّ فيها وأضع)[٣]؛ الجذع: للشاب القوي لأنه كان في آخر عمره، (أخب فيها وأضع)؛ الخَبَب: سير سريع، وكذلك الإيضاع، من الإيضاع وهو سرعة المشي. {وَلَأَوْضَعُوا}: أي لأسرعوا فيكم، {وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} يعني هم يسرعون في نشر الفتنة والفساد والسوء بينكم، ثم قال تعالى: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}، قيل فيها قولان: قيل يسمعون فينقلون لكم الكلام، والصحيح الثاني: {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}، الله تعالى يعيب على المؤمنين أن بعضهم يحسن الظن بهؤلاء المنافقين، فيفضي لهم، ويستمع إليهم، فيتأثر بهم، والإنسان لا بد أن يتأثر، وهذا لا شك أنه نقطة سوداء، ينبغي للمؤمن أن يكون عاقلًا فطنًا، وألّا يحسن الظن بالمنافقين، وألّا يستمع إليهم، {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ}، على سبيل العتاب والتوبيخ من الله –سبحانه وتعالى–.

---

[١] قال الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال أحدهما ثقات.

[٢] إسناده ضعيف.

[٣] الصواب هذا قول دريد بن الصمة في غزوة حنين للقتال ضد المسلمين، والذي رواه البخاري عن ورقة بن نوفل قوله: (يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ).



والمؤمن كلما زاد إيمانه رزقه الله فرقانًا، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ} [الأنفال:٢٩]، فرقان يفرّق الإنسان بين الحق والباطل، وبين المحِق والمبطِل، فلا يكون أُذنًا يستمع لكل إنسان، وإنما يميز بين المؤمن فيقبل منه، وبين المنافق فيُحْجِم عنه ويصدّ ويصمّ أذنه، {وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} ولا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، "وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ"[١].

لقاء النَّاس ليسَ يُفيد شيئًا *** سِوى الهذيان مِنْ قيلٍ وقالِ
فأقلل مِنْ لقاء النَّاس إلَّا *** لأخذ العلم أو إصلاح حالِ[٢]

ومن أراد الإيمان فعليه أن يضم لسانه وأن يلجمه، ثبت في الصحيحين، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا، أَوْ لِيَصْمُتْ"[٣]، خطاب لنا جميعًا.

وفي الأثر كما ذكرنا قبل قليل عن نبي الله عيسى -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: (العبادة عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت والعاشر اعتزال الخلق فيما لا ينفع)[٤]. وإذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فكما ذكرنا مرارًا، انظر بأي شيء شغلك، ولذلك جاء عن الحسن البصري -رحمه الله- أنه قال: (من علامة خذلان العبد أن يشغله الله فيما لا يعنيه)[٥]، فيما لا يقرّبه إلى الله، فيما لا يعود عليه بنفع في دين ولا دنيا، دائمًا يتتبع الحكايات، ويتسقَّط الأخبار تنفع أو لا تنفع، وهو ما شاء الله موسوعة في الإشاعات والله المستعان، وهذه من علامة الخذلان.

---

١ رواه البخاري ومسلم.
٢ أبو عبد الله الحميدي.
٣ متفق عليه.
٤ نسبته لرسول الله عيسى عليه السلام غير صحيحة. رواه البيهقي في الزهد الكبير عن وهيب بن الورد.
٥ ذكره الحافظ ابن عبد البر في التمهيد (ج٩/ص٢٠٠).



ثبت عن معروف الكرخي أنه قال: (كلام العبد في ما لا يعنيه خذلان وحماقة)[١]؛ خذلان من الله له، وحماقة منه يعود ضررها عليه.

وإذا كان الإنسان مأمورًا بالصمت؛ فإن النفس لا بد أن تنشغل بشيء، ونفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، فلا ينبغي للإنسان أن يصمت صمتًا مطلقًا، وإنما يصمت عن الشر، ثم يذكر ويشتغل بذكر الله -سبحانه وتعالى-، وأيضًا إذا أراد أن يتكلم فليتكلم بالخير.

وليس معنى هذا أن الإنسان لا يمزح، فلم يكن هذا خلق نبينا ﷺ بل كان يمزح عليه الصلاة والسلام، وهكذا كان صحابته -رضي الله عنهم-، لكن المزاح ينبغي أن يكون كالملح في الطعام، فلا يكون شأن الإنسان في ليله ونهاره، ولا يكون المزاح هجِّيرًا، وقديمًا قال عمر -رضي الله عنه-:(من مزح استُخف به)[٢]، يعني المِزِّيح دائمًا يمزح، هذا يسقط من أعين الناس، ويسقط قدره، ويصبح ملطشة وكل الناس تضحك منه أو عليه، أو تسخر منه أو تمازحه، وينبغي للمؤمن أن يحفظ لنفسه قدرها ومقامها، يمزح لكن بقدر وبالحق {وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ} ونسأل الله تعالى [انقطاع في الصوت]

---

١ رواه البيهقي في شعب الإيمان، دون لفظة: (حماقة).

٢ رواه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الأوسط.



حُبُّ النبيّ ﷺ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا -ﷺ- عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠]، أما بعد:

فإنّ خير الكلام كلام الله -عز وجل-، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

حديثنا اليوم عن أمر إيمانيّ، ينبغي لنا أن ننمّيه في قلوبنا، وأن نتعاهده حتى تبسُق شجرته بإذن الله -تبارك تعالى-، هذا الأمر هو حبّ النبي -عليه الصلاة والسلام-.

نحن أمة أكرمنا الله ببعثة خير خلقه وأكرم أنبيائه -عليه الصلاة والسلام-، هدانا به من الضلال، وبصّرنا به من العمى، وأخرجنا به من الظلمات إلى النور، فهو أعظم الخلق حقًّا علينا -عليه الصلاة والسلام-، فيا تُرى ما واجبنا تجاه هذا النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-؟ وما حقّه علينا؟

فنقول؛ الواجب علينا تجاهه ﷺ أن نُحبَّه أكثر من النفس فما دونها، وهذا الأمر على سبيل الحتم والإيجاب لا على سبيل الندب والاستحباب؛ قال تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ} [الأحزاب:٦]؛ أولى بهم من أنفسهم في الحبّ والنصرة؛ فينبغي أن يُحَب أكثر



من أنفسنا فما دونها، وأن ننصره وسنّته ودينه -عليه الصلاة والسلام- أكثر من نصرتنا أنفسنا وأهلينا وعشائرنا وأوطاننا وسائر الخلق.

وقد قال -تبارك وتعالى- محذِّرًا مَنْ عدل عن هذا الأمر أو قصَّر في هذا الباب، فقال متوعِّدًا متهدِّدًا: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة:٢٤]، وقد قرّر لنا النبي ﷺ هذا فيما رواه الشيخان عن أنس، والحديث روى نحوه البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنهم جميعًا- أنّ النبي ﷺ قال: "لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ".

ولا يذوق عبدٌ حلاوة الإيمان، ولا ينال بهجته، ولا يحظى بلذّته؛ حتى يحقّق هذا الوصف، وقد قال النبي ﷺ كما في الصحيحين عن أنس -رضي الله عنهم جميعًا-: "ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سَوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لَا يُحِبُّهُ إلاّ للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ".

وهذا الأمر كلنا يدّعيه والكلّ يزعمه، فهل يا ترى هناك علامة فارقة أو برهان يصدّق هذه الدعوى؟

قال الإمام ابن حجر رحمه الله -فيما معناه-: (يتحقّق هذا الحب ويظهر صدق الإنسان في هذا الباب؛ فيما لو خُيّر الإنسان بين عرض من أعراض الدنيا ومتاع من متاع الدنيا وشيء من حظوظها وبين رؤية النبي ﷺ لو كانت ممكنة، فإذا اختار رؤية النبي ﷺ على الدنيا وما حوت فهذا هو حقيقة الحب وهذا هو الواجب)[١].

وقديمًا قال الشاعر:

---

[١] انظر: فتح الباري، ابن حجر، (ج١/ص٦٠-٦٢).



ولو قيل للمجنون: ليلى وَوَصْلَها *** تريدُ أم الدنيا وما في طَوَاياها؟

لقال: غُبارٌ مِنْ تُرابِ نِعَالها *** أحبُّ إلى نفسي وأشفى لبلواها[١]

وقد قرّر لنا النبي ﷺ هذه الحقيقة؛ فيما رواه أحمد ومسلم عن أبي هريرة، والحديث روى مثله أحمد عن أبي ذر -رضي الله عنهم جميعًا-، أنّ النبي ﷺ قال: "مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ"؛ يتمنّى لو يرى النبي ﷺ ولو لطرفة عين ولو لحظة ويدفع الثمن أهله وماله.

وقد ثبت في معجم الطبراني الكبير بسند رجاله ثقات كما ذكر الهيثمي في (المجمع) عن سَمُرة بن جندب -رضي الله عنهم جميعًا-، أنّ النبي ﷺ قال: "إِنَّ أَحَدَكُمْ سَيُوشِكُ أَنْ يُحِبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ نَظْرَةً بِمَا لَهُ مِنْ أَهْلٍ وَمَالٍ".

فتعالوا نُقلّب سريعًا صفحات التاريخ لنقرأ ما خطّه سلفنا -رضي الله عنهم- بخالص الذهب على أبيض الورق في غُرّة وجبين الدهر من حبٍ لنبيّهم الكريم -عليه الصلاة والسلام-؛ ثبت في الصحيحين من حديث خُبيب بن عدي -رضي الله عنهم جميعًا- في قصته الطويلة لمّا أرسلهم النبي ﷺ سريّة بإمارة عاصم بن ثابت -رضي الله عنهم جميعًا- قِبَلَ نجد؛ فكان ما كان من غدر المشركين، فقتلوا من قتلوا واستأسروا من استأسروا، وكان ممّن استأسروا خبيب -رضي الله عنه وأرضاه-، ثمّ أخرجوه إلى التَّنعيم ليذبحوه، فقال لهم واستأذنهم أن يصلّي ركعتين فأذنوا له، فصلّى ركعتين وأخفَّهُما، فلمّا سلم قال: (أما والله لولا أن تظنوا أني إنما طوّلتُ جزعًا من القتل لاستكثرت من الصلاة)[٢].

فلمّا رُفع ليصلب -رضي الله عنه- قيل له: (يا خبيب أيسرُّك أنّ محمدًا ﷺ في مكانك وأنك آمنٌ في أهلك ومالك؟)، فقال: (يا قوم، والله ما يُسرّني أن يفديني محمّد ﷺ بشوكة في قدمِه)؛ لو قيل لي تنجو من الموت وتوهب لك الحياة وتعود إلى أهلك وولدك على أن

---

[١] عمر تقي الدين الرافعي.

[٢] رواه ابن إسحاق في السيرة، (ج٢/ص١٧٣).



يُشاك حبيبك محمّد -عليه الصلاة والسلام- بشوكة في قدمه؛ لقلت بملء فِيَّ: لا ثم لا، بل أفتديه بروحي وأهلي ومالي والخلق أجمعين، ﷺ[١].

ثمّ توجّه إلى المدينة كما في (مغازي موسى بن عقبة) ورفع رأسه إلى السماء وقال: (اللهمّ إنّي لا أجد من يبلّغ رسولك منّي السلام، فبلّغه منّي السلام)، وكان النبي ﷺ جالسًا في أصحابه فبلَّغه ربّه، فقال: "عَلَيْكَ السَّلَامُ"، ثم قال: "خُبَيْبٌ قَتَلَتْهُ قُرَيْشٌ"[٢]، قتل الآن خبيب وترك زوجة وأولادًا صغارًا وأهلًا وأقارب ومالًا، فما سأل عن زوجٍ ولا ولدٍ ولا تلد، فقلبه وباله مع حبيبه محمّد -عليه الصلاة والسلام-، وهو القائل -رضي الله عنه-:

لَقَد جَمَعَ الأَحْزَابُ حَوْلي وألَّبوا *** قَبَائِلَهُم واسْتَجمَعوا كلَّ مَجْمَعِ
وكُلُّهم مُبدِي العداوة جَاهِدٌ *** عليَّ لأنّي في وثاقٍ بمضيعِ
وقَدْ جَمَعُوا أبناءَهم ونساءَهم *** وقُرِّبْتُ مِنْ جِذْعٍ طويلٍ مُمْنَعِ
إلى الله أَشْكُو غُربتي ثمَّ كُربتي *** وما أَرْصَدَ الأحزابُ لي عند مَصْرَعي
فَذَا العَرْشِ صَبّرني على ما يُرَادُ بي *** فقد بَضَعُوا لحمي وقَدْ ياسَ مَطْمَعي
وقد خَيَّرُوني الكُفْرَ والموتُ دُونَهُ *** وقد ذَرَفَتْ عَيْنَايَ مِنْ غير مَجزَعِ
وما بي حَذَارُ الموتِ إنّي لميّتٌ *** ولكِنْ حَذَاري جُحْمُ نَارٍ مُلَفَّعِ
فَلَسْتُ أُبَالي حِينَ أُقْتَلُ مُسلِمًا *** على أيّ جَنْبٍ كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذَاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ *** يُبارِكْ على أَوْصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ
وَلَستُ بِمُبدٍ للعدوِّ تَخَشُّعًا *** ولا جَزَعًا، إنّي إلى اللهِ مَرْجِعي[٣]

ولم يكن هذا شأن الرجال فقط بل كان أيضًا شأن النساء، وقد روى ابن إسحاق في (المغازي) عجبًا عن امرأة من الصحابيات الأنصاريات الفاضلات -رضي الله عنها وأرضاها-؛ قُتل في معركة أُحد زوجها وابنها وأبوها وأخوها، لمّا قَفَل المسلمون تعرّضت لهم

---

[١] هذه الحادثة حصلت لزيد بن الدَّثِنَةِ رضي الله عنه لا لخبيب، انظر: سيرة ابن هشام، (ج٢/ص١٧٢).
[٢] مغازي موسى بن عقبة (ج٢/ص٢١٠) (مرسل).
[٣] سيرة ابن هشام، (ج٢/ص١٧٦).



تسألهم، سألت عن زوجها فقيل لها قُتل، فقالت: (لا حول ولا قوة إلا بالله، إنّا لله وإنّا إليه راجعون)، ثمّ سألت عن ابنها فقيل لها قُتل، فقالت: (لاحول ولا قوة إلا بالله، إنّا لله وإنّا إليه راجعون)، ثم سألت عن أبيها فقيل لها: قُتِلَ، فحوقلت واسترجعت، وسألت عن أخيها فقيل لها قُتل فحوقلت واسترجعت، ثم قالت: (ما فعل رسول الله ﷺ؟ ما فعل محمد بن عبد الله –عليه الصلاة والسلام–؟)، فقالوا: (هو بخير كما تحبّين). فقالت: (لا والله حتى تأخذوني فأنظر إليه)، فلمّا رأته مقبلًا قد أنار وجهه كفلقة القمر –عليه الصلاة والسلام–، فقالت: (كل مصيبة بعدك جَلَل يا رسول الله)[١]. وجلل من الأضداد وهي هنا بمعنى حقيرة لا وزن لها ولا قيمة، فَمَن الولد ومَن الزوج ومَن الأخ ومَن الأب؟ فليذهبوا جميعًا فداءً لك يا رسول الله، المهم أن تسلم أنت لنا يا محمد –عليه الصلاة والسلام–.

وقد روى مالك في الموطّأ عن سعد بن الربيع، وسعد هو الذي آخى النبي –عليه الصلاة والسلام– بينه وبين عبد الرحمن بن عوف –رضي الله عنهم جميعًا–، فقال: (عندي زوجتان اختر أحسنهما أطلقها، ثم تتزوجها إذا انقضت عدّتها، وعندي بستانان فاخترْ أحسنهما)، فقال: (بارك الله لك في أهلك ومالك، دلّني على السوق).

افتقده النبي ﷺ في أعقاب غزوة أحد فقال: "مَنْ يَأْتِينِي بِخَبَرِ سَعْدٍ؟"[٢]، فانتدب أحد الأنصار –رضي الله عنهم جميعًا–، وجعل يجوس بين القتلى والجرحى حتى انتهى إليه وبه رمق، ووقف على رأسه فقال: (رسول الله يقرئك السلام)، فقال: (أقرئ رسول الله ﷺ منّي السلام وأخبره أنّي قد طُعنت اثنتي عشرة طعنة وأني قد أُنفذت مقاتلي، وأخبر قومي الأنصار أن لا عذر لهم عند الله إن خَلُص إلى رسول الله ﷺ أذى وفيهم عين تطرف)، ثمّ قضى رضي الله عنه وأرضاه، ترك زوجة وبنتين صغيرتين وعمّة، فما سأل عن زوجٍ ولا ولد، إنّما سأل عن حبيبه محمّد –عليه الصلاة والسلام–.

---

١ سيرة ابن هشام، (ج٢/ص٩٩).

٢ رواه مالك في الموطأ. قال ابن عبد البر في التمهيد (ج٢٤/ص٩٤): هذا حديث لا أحفظه ولا أعرفه إلا عند أهل السير، فهو عندهم مشهور معروف.



ولذلك كانوا -رضي الله عنهم- عندما يشعرون أن النبي ﷺ يُعرِّض بفراقهم تسيل دموعهم، وتنفطر قلوبهم شوقًا إلى محمد -عليه الصلاة والسلام-، ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد -رضي الله عنه- قال: (وجد النبي ﷺ خِفّةً في مرضه الذي مات فيه، فرقي المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: "إنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيا وبَيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَ اللَّهِ"، فبكى أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- وقال: «بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا»، قال أبو سعيد -رضي الله عنه-: فعجبنا له، يذكر النبي ﷺ أن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله، فكان رسول الله ﷺ هو العبد، وكان أبو بكر أعلمنا)[١].

وكان النبي ﷺ قد قال هذا الكلام قبل موته بخمسة أيّام، كما ثبت في صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله -رضي الله عنهم جميعًا-، وفي يوم الاثنين.. روى البخاري عن أنس -رضي الله عنه-: (أنّ أبا بكر -رضي الله عنه- كان يصلّي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفّي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي ﷺ ستر الغرفة ينظر إلينا وهو قائمٌ كأنّ وجهه ورقة مصفح، فتبسّم يضحك، يقول أنس -رضي الله عنه-: فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية النبي ﷺ فنكص أبو بكر -رضي الله عنه- على عقبيه ليصل الصفّ، وظنّ أنّ النبي ﷺ خرج إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتمّوا صلاتكم، ثم أرخى الستر، وتوفي من يومه عليه الصلاة والسلام).

كان سلفنا الكرام -رضي الله عنهم- إذا ذكروا حديث وفاة النبي ﷺ يبكون حتى تختلف أضلاعهم؛ شوقًا وحبًا لمحمد ﷺ.

ثبت في صحيح البخاري عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: (لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: «واكرب أباه»، فقال لها: "لَيْسَ على أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ" فلما قبض النبي ﷺ قالت: «يا أبتاه، أجاب ربا دعاه، يا أبتاه، من جنة

[١] رواه البخاري.



الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه»، فلمّا دفن ﷺ قالت: «يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»)[١]. لا والله ما طابت ولن تطيب، ولكنهم قهروها طاعةً للحبيب -عليه الصلاة والسلام-.

يقول حمّاد الراوي الحديث عن ثابت، وثابت روى الحديث عن أنس -رضي الله عنهم جميعًا-؛ يقول: (رأيت ثابت البُناني إذا حدَّث بحديث وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- يبكي حتى تختلف أضلاعه، شوقًا إلى النبي ﷺ، ثابت هذا كان إذا رأى أنسًا -رضي الله عنهم جميعًا- يأخذ يده ويقبّلها ويقول: «يدٌ مسّت يد النبي ﷺ»)، وما لهم لا يفعلون هذا وقد فقدوا النور الذي كان يضيء لهم حياتهم ودربهم.

ثبت في مسند الإمام أحمد وسنن ابن ماجه عن أنس -رضي الله عنهم جميعًا- قال: (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة، أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه، أظلم منها كل شيء)[٢].

ولشدة حبهم وشوقهم للنبي عليه الصلاة والسلام؛ كان أحدهم إذا أخذته السنة وغاب عن الدنيا يتراءى له خيال حبيبه -عليه الصلاة والسلام-، وهذا أنس -رضي الله عنه- يقول كما في مسند الإمام أحمد: (قل ليلة تأتي علي إلا وأنا أرى فيها خليلي ﷺ)، وأنس يقول هذا وعيناه تذرفان شوقا إلى الحبيب ﷺ[٣].

وهذا عبد الله بن عمر -رضي الله عنهم جميعًا- كما في الدارمي: كان بعد موت النبي ﷺ لا يذكره إلا ويبكي، ما ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- إلا بَكَى، وما مرّ على ربعه إلّا غمّض عينيه -رضي الله عنه وأرضاه-.

وهذا خالد بن معدان -رحمه الله- كان قلَّ ما يأوي إلى فراشه إلّا وهو يذكر شوقه إلى النبي ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار -رضي الله عنهم-، ثم يسمّيهم ويقول: (هم

---

١ رواه البخاري.

٢ جوَّد إسناد هذا الحديث المنذري في الترغيب والترهيب، وصححه العراقي في تخريجه على الإحياء.

٣ قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سعيد فمن رجال البخاري.



أصلي وفصلي وإليهم يحنّ قلبي، طال شوقي إليهم، فعجّل ربي قبضي إليهم)، حتى ينام وهو على ذلك -رضي الله عنه-.

أخرج الطبراني في (الصغير والأوسط)، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن عمران العابدي، وهو ثقة كما قال الهيثمي في (المجمع)؛ عن أمّنا عائشة -رضي الله عنها- قالت: (جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت، فأذكرك فما أصبر حتى آتيك، فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ} [النساء:٦٩]).

وعند الطبراني أيضًا بإسناد فيه عطاء بن السائب -وقد اختلط- عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن رجلا أتى النبي ﷺ، فقال: (يا رسول الله، إني لأحبك حتى إني لأذكرك، فلولا أني أجيء فأنظر إليك ظننت أن نفسي تخرج، فأذكر أني إن دخلت الجنة صرت دونك في المنزلة فشق ذلك علي، وأحب أن أكون معك في الدرجة، فلم يرد رسول الله ﷺ شيئا، فأنزل الله -عز وجل-: {وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ}، فدعاه رسول الله ﷺ، فتلاها عليه).

وقد أخرج البزّار عَن ابْنِ عباس -رضي الله عنهما- قال: (أتى النبي ﷺ، فقيل له: هذه الأنصار، رجالها ونساؤها في المسجد يبكون، قال: "وَمَا يُبْكِيهَا؟" قال: يخافون أن تموت)[١]. عليه الصلاة والسلام.

وهذا كان شأن الصغار والشباب أيضًا من أصحاب النبي ﷺ، هذا معاذ بن الجموح ومعاذ بن عفراء -رضي الله عنهم جميعًا- كما في البخاري؛ اكتنفا عبد الرحمن بن عوف -

[١] قال الهيثمي: هو في الصحيح خلا أوله إلى قوله: فخرج فجلس.رواه البزار، عن ابن كرامة، عن ابن موسى، ولم أعرف الآن أسماءهما، وبقية رجاله رجال الصحيح.

رضي الله عنه-، يقول عبد الرحمن بن عوف: (تمنيت أن أكون بين أضلع منهما، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذي نفسي بيده، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فتعجبت لذلك، فغمزني الآخر، فقال لي مثلها، وبرز أبو جهل في كوكبة من فرسان قريش، فأشار إليه، فشدا إليه كصقرين فضرباه فسقط يتدرج في دمائه).

كان أئمتنا -رحمهم الله ورضي عنهم- يعتبرون هذا الأمر في الرجل ليأخذوا عنه حديث رسول الله ﷺ، هذا الإمام مالك -رحمه الله- يقول: (حجّ أيوب السختياني -وهو من شيوخ أهل السنة الكرام-، يقول: حجّ حجّتين فما كتبت عنه ولا رويت، فلمّا حجّ في المرة الثالثة؛ جلس في فناء زمزم فكان إذا ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- يبكي حتى إنّي لأرحمه من شدّة البكاء، فكتبت عنه عند ذلك ورويت)[1].

حديث نبينا -عليه الصلاة والسلام- لا يؤخذ إلا من محبّ له ومتعلق به، بحيث إذا ذكره حنّت إليه كل ذرّة في جسده، هكذا كان أئمتنا -رضي الله عنهم- وشتّان ما بيننا وبينهم!.

هذا مصعب بن عبد الله يقول: (كان مالك -رحمه الله- إذا ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام- يتغيّر لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه، فقيل له يوم في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم عليّ ما ترون). فماذا رأيت أيّها الإمام المبارك؟

يقول: (لقد كنت أرى محمد بن المنكدر، وكان سيّد القرّاء، لا نكاد نسأله عن حديث أبدًا إلا ويبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسّم، فإذا ذُكر عنده النبي -عليه الصلاة والسلام- اصفرّ لونه، وما رأيته يحدّث عن رسول الله ﷺ إلّا على طهارة، ولقد اختلفت إليه زمانًا فما كنت أراه إلّا على ثلاث خصال؛ إمّا مصليًا وإمّا صامتًا وإمّا يقرأ القرآن، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، وكان من العلماء والعباد الذي

---

[1] الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، (ج٢ص٤١).



يخشون الله تعالى. ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي –عليه الصلاة والسلام– فيُنظر إلى لونه وكأنّه نزف منه الدمّ، وقد جفّ لسانه في فمه هيبةً لرسول الله ﷺ، ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذُكر عنده النبي –عليه الصلاة والسلام– بكى حتّى لا يبقى في عينيه الدموع، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سُليم وكان من المتعبّدين المجتهدين فإذا ذكر النبي –عليه الصلاة والسلام– بكى ولا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه)[١].

وكيف لا يميل قلب الصادق المُحب إلى رسول الله –عليه الصلاة والسلام– وقد مال إليه الجماد، وحديث حنين الجذع ثابت في الصحيحين، متواتر عن نبينا –عليه الصلاة والسلام–، وخلاصته أنّ النبي –عليه الصلاة والسلام– كان يخطب عند جذع نخلة؛ فلمّا صُنِعَ له المنبر وَرَقِيه في أوّل جمعة حنّ الجذع فاستلمه النبي ﷺ وقال له: "اخْتَرْ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ، فَتَكُونَ كَمَا كُنْتَ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَغْرِسَكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَشْرَبَ مِنْ أَنْهَارِهَا وَعُيونِهَا فَيَحْسُنَ نَبْتُكَ، وَتُثْمِرَ فَيَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ ثَمَرَتِكَ وَنَخْلِكَ فَعَلْتُ"[٢]، فاختار الباقي على الفاني. يقول النبي –عليه الصلاة والسلام–: "أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ، لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[٣]. كان الحسن البصري –رحمه الله– إذا ذكر حديث حنين الجذع يقول: (جمادٌ حنّ إلى رسول الله ﷺ فما لكم أنتم لا تحنّون؟)[٤].

إذا كان جبل أحد قد طرب للقاء رسول الله ﷺ فما بالنا نحن لا نطرب لذكره –عليه الصلاة والسلام–؟

---

١ المرجع السابق، (ج٢ص٤٢).

٢ رواه الدارمي.

٣ رواه الدارمي والترمذي (إسناده صحيح). ركب أبو أنس روايتين للحديث ورواهما بالمعنى. "إن شئت أن أغرسك لتعود أبهى ما كنت وأنضره، وإن شئت أن تُغْرَس في الجنّة ليأكل منك المؤمنون والمؤمنات"، يقول النبي –عليه الصلاة والسلام–: "والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لبقي يحنّ ويخور إلى يوم القيامة".

٤ رواه ابن حبان وأبو يعلى، واللفظ الأصلي: (يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ شوقا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه).



لا تلوموا لرجفةٍ واهتزازٍ أُحدًا *** إذْ عَلَاهُ النبي، فالوَجْدُ داءُ
أُحـدٌ لا يلام فهو محبٌ *** ولَكَمْ أَطْرَبَ المحبَّ لقاءُ

هـذا عمـرو بن ميمـون –رحمه الله– يقـول: (اختلفت إلى ابن مسعود –رضي الله عنـه– سنةً فما سمعته يقول: قال رسول الله ﷺ إلّا أنّه حدّث يومًا فجرى على لسانه: قال رسول الله ﷺ، ثمّ علاه كربٌ حتّى رأيت العرق يتحدَّر من جبهته، ثمّ قال: هكذا إن شاء الله، أو فوق ذا، أو ما دون ذا، ثمّ انتفخت أوداجه وتربّد وجهه وتغرغرت عيناه شوقًا وهيبةً لرسول الله ﷺ)[١].

ولذلك كانوا –رضي الله عنهم– يعظِّمون الحديث عن رسول الله ﷺ؛ كان عبد الرحمن بن مهـدي –رحمه الله– إذا قـرأ حـديث رسـول الله ﷺ أمـر الحاضـرين بالسـكوت، فلا يتحـدث أحـد، ولا يُبْرَى قلم، ولا يبتسـم أحـد، ولا يقـوم أحـد قائمًا، كـأنّ على رؤوسـهم الطير أو كأنّهم في صلاة، فإذا رأى أحدًا منهم تبسَّم أو تحدّث لبس نعله وخرج[٢].

وكـان مالـك –رحمه الله– شـديد التعظيم لحديث رسول الله ﷺ؛ فكـان إذا جلس للفقه جلس كيـف كـان، وإذا أراد الجلـوس للحـديث اغتسـل وتطيّب ولبس ثيابًا جُـدُدًا وتعمَّم، وقعد على منصّته بخشوع وخضوع ووقار، ويبخَّر المجلس من أوّله إلى فراغه تعظيمًا لحديث رسول الله ﷺ[٣].

يقـول زيـد بن أسـلم عن أبيه: (قـدمنا الشـام مع عمـر –رضي الله عنـه– فـأذّن بلال –رضي الله عنه– فـذكر الناس النبي ﷺ؛ فلم أرَ يومًا أكثر باكيًا منه)[٤]، وقد أذكرهم بآذانه عهد النبي –عليه الصلاة والسلام–.

---

[١] رواه الدارقطني في العلل، أبو سعد في الطبقات.
[٢] رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل، (ج١/ص٢٥٧).
[٣] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، (ج٢/ص١٤-١٥).
[٤] رواه أبو داود في الزهد، (ص٢٣٨).



يقول سعيد بن عبد العزيز: لـمّا احتضر بلال –رضي الله عنه– قال: (غدًا نلقى الأحبّة محمدًا ﷺ وحزبه). وتقول امرأته: (يا ويلاه)، وهو يقول: (وافرحاه، وافرحاه)[1]، هكذا كان حبّهم –رضي الله عنهم– لنبيّنا –عليه الصلاة والسلام.

وتعالوا سريعًا نقرأ باختصار شيئًا من صفته –عليه الصلاة والسلام–؛ فنبينا ﷺ قد حاز الكمال بكلّ اعتبار، ثبت في صحيح البخاري عن البراء بن عازب –رضي الله عنه وأرضاه– أنّ رجلًا قال له: (أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال: بل مثل القمر)، عليه الصلاة والسلام.

وثبت في صحيح مسلم أيضًا عن جابر بن سمرة –رضي الله عنه– أن رجلًا سأله السؤال نفسه؛ فقال: (بل مثل الشمس والقمر مستديرًا)؛ يشير إلى اللمعان والبريق والنور والبهاء، لكن لـمّا احتمل السؤال معنيين؛ هذا وأيضًا الطول؛ فالسيف طويل، فهل كان وجه رسول الله ﷺ طويلًا؟ فأرشداه إلى وجه الصواب فكان وجهه –عليه الصلاة والسلام– مثل الشمس والقمر، والشمس جمعت إشراقًا ونورًا، والقمر جمع بهاءً وجمالًا، ووجه نبينا –عليه الصلاة والسلام– فيه إشراق أعظم من إشراق الشمس، وفيه نورٌ وبهاءٌ أعظم من بهاء وجمال القمر.

ثبت في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبّان عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: (ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ، كان كأن الشمس تجري في جبهته)[2].

قال الإمام الطيبيّ –رحمه الله–: (هذا من باب التناهي في التشبيه؛ حتى جعل جبهة النبي –عليه الصلاة والسلام– مكانًا لجريان الشمس، فكأنّ الشمس بضيائها هي جزء بسيط بالنسبة إلى نور النبي الجليل –عليه الصلاة والسلام–)[3].

---

[1] رواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين (ص٢٠٧).

[2] قال الأرنؤوط: حديث حسن، ابن لهيعة –وإن كان سيء الحفظ– قد توبع، وباقي رجاله ثقات رجال الصحيح.

[3] شرح المشكاة، الطيبي، (ج١٢/ص٤٦٩٨)، بتصرف من أبي أنس.



وثبت في سنن الترمذي عن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: (رأيت رسول الله ﷺ في ليلة إضحيان، فجعلت أنظر إلى رسول الله ﷺ وإلى القمر وعليه حلة حمراء، فإذا هو عندي أحسن من القمر)[٤].

وأَحسنُ منكَ لم ترَ قطُّ عيني *** وَأجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ
خُلِقْتَ مبرَّأً منْ كلِّ عَـيْبٍ *** كأنَّكَ قدْ خُلِقْتَ كما تَشَاءُ

ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك -رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ أزهر اللون، كأن عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفأ، ولا مسست ديباجة، ولا حريرة ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة رسول الله ﷺ).

[٤] قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث أشعث.



شبهٌ وأباطيل

بسم الله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠]، أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة –رضي الله عنه–، أن النبي ﷺ قال: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ".

حديث الصادق المصدوق ﷺ يرسم بريشة الحقيقة واقع أهل الإسلام عامة، والمجاهد خاصة؛ وهو يصل المراحل مشتت العزمات، لا يأوي إلى أهل ولا ولد ولا دار، ألِف النوى واعتاد الترحال، ليله خائف ونهاره حذر، مسكنه الكهوف ومأواه الجبال، سلوته قوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٠٤].

ولكن أعظم ما يفت في عضد المجاهد ويدمي قلبه ويطوي أمله –إلا أن يعصمه الله تعالى– خذلان الصديق، وقلة الناصر، وجفاء الأهل والخلان.



يتلفت المجاهد؛ فيرى الدنيا كلها قد جُمعت في صعيد، فرشقته بسهام العداوة ونصبت له أحابيل المكر والكيد وهي تتميز غيظاً، وتتلمظ طمعاً في إهراق دمه والبطش به؛ فيستصرخ أمة المجد الغابر، ويستغيث أهل المروءات المنسية، ويستحث السادرين، فلا يجيبه إلا أفراد قلائل من هنا أو هناك، فيتساءل من أعماق قلبه؛ يا رب أين أمة محمد ﷺ؟!

والمفزع حقاً؛ أنّ كثيراً من هؤلاء لم يكفه خذلانه للمجاهدين وقعوده عن نصرتهم، ونكوله عن فريضة الوقت وواجب الزمان، حتى أصلت سيف لسانه في أعراض المجاهدين، ورماهم بكل نقيصة تنفيراً منهم، وتحذيراً من سبيلهم، فكانوا كما قال الله تعالى: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب:١٨-١٩].

لقد عاب الله على أهل الإيمان -فيما مضى- تعليماً لهم، ووعظهم فشدد النكير عليهم، فقال تعالى: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} [التوبة:٤٧]، أي فيكم من يستمعون إليهم ويحسنون الظن بهم، فيتأثرون بكلامهم ويتفاعلون مع أخبارهم، وهذا الأمر ساقه الله مساق الذم، وأورده مورد التحذير والتنفير.

هذه الصورة تتكرر والقصة تعاد في كل وقت وحين، فأين من يحسنون الفقه عن الله ورسوله ﷺ، ويتعلمون من قوارع القرآن وإعجازه؟

وقد قال النبي ﷺ: "مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ، حُبِسَ فِي رَدْغَةِ الْخَبَالِ حَتَّى يَأْتِيَ بِالْمَخْرَجِ مِمَّا قَالَ"[١] -أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

[١] رواه الحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. ورواه أبو داود وأحمد بلفظ مقارب.



إن هناك حرباً ضروساً تدور رحاها في قلب كل مؤمن، وفؤاد كل موحد، لتنزع منه نور التوحيد وحقيقة (لا إله إلا الله)، وليكون من بعد مطية للكفار في حربهم لهذا الدين... الحرب الإعلامية أفتك أثراً وأعظم خطراً، لأنها تروم القلوب والعقول، وتستهدف العقيدة والمبدأ.

ويحضرني هنا قول بعض الخبراء في هذه الأيام حين قال: (لو خُيرت الدول الكبرى بين ترسانتها النووية وأسلحتها الفتاكة وعتادها التقليدي وغير التقليدي، وبين وكالات الأنباء، لاختارت الثانية).

لأن هذه الحرب -أعني الحرب الإعلامية- تجيش لها شعوباً بأسرها، وتستعبد لها أمماً بكاملها تنفذ بها إلى أغراضها، وتصل عبرها إلى مطامعها من غير أن تخسر جندياً أو تهريق قطرة دم.

وما من شيء تعرض للحرب والتشويه كمثل الجهاد والمجاهدين، لأن هؤلاء هم السد دون اختراق الأمة وهم الذائدون عن حياضها، ولذلك فقد سيقت إليهم سهام التشويه، وأثيرت حولهم زوابع الشبه.

ومن ذلك ما قاله بعض الإسلاميين المنتسبين إلى (التحليل السياسي)؛ عن امتهان قادة الجهاد للقتل الرخيص! وأنهم لا يحسنون إلا سفك الدماء وسبي النساء! ثم لا يتورعون عن صبي ولا بريء ولا رجل ولا امرأة!

ونحن نقول جواباً على هذه الشبهة:

- أولاً؛ لا بد من مقدمة في بيان حرمة دم المسلم تذكيراً لنا ولإخواننا المجاهدين وللأمة عن أننا لم نغفل عن حدود الله تبارك وتعالى ومحارمه:

وقد قال الله تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا}[النساء:٩٣]، وكذلك قال تعالى: {مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ



كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} [المائدة:٣٢].

وقد روى الشيخان عن ابن مسعود -رضي الله عنهم جميعا- أن النبي ﷺ قال: "أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ". وويل لمن عالت كفة ميزانه في ذلك الموقف.

وقد روى الإمام البخاري عن جندب -رضي الله عنه-؛ أن النبي ﷺ حدثهم، فقالوا له من بعد: (أوصنا)، قال: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُنْتِنُ مِنَ الإِنْسَانِ بَطْنُهُ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَأْكُلَ إِلَّا طَيِّبًا فَلْيَفْعَلْ، وَمَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلْءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ".

وقد روى الإمام الترمذي والنسائي وابن ماجه أن النبي ﷺ قال: "لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ"[١].

وكذلك روى أبو داود عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنهم جميعاً- أن النبي ﷺ قال: "لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا، فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ"[٢].

ونحن - بإذن الله تعالى - أعف الناس قتلة، وأحرص الناس على دماء أهل الإسلام، ومن أجل ذلك نفرنا وللذود عن دمائهم وأعراضهم جئنا.

وقدوتنا في ذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ وقد روى سعيد بن منصور قال: (أرسل سلمة بن قيس رسولاً ليبشر عمر رضي الله عنه بالفتح، فلما دخل قال له: لله أبوك فمن أنت؟ قلت: رسول سلمة بن قيس، قال: فتالله لكأنما خرجت من بطنه تحنناً علي وحباً لخبر من جئت من عنده، وجعل يقول وهو يزحف إلي: إيهاً لله أبوك كيف تركت سلمة بن قيس؟ كيف المسلمون؟ ما صنعتم؟ كيف حالكم؟ قلت: على ما تحب يا أمير المؤمنين، فاقتصصت عليه الخبر إلى أنهم ناصبونا القتال فأصيب رجل من المسلمين، فاسترجع وبلغ ما شاء الله وترحم على الرجل طويلا، قلت: ثم إن الله فتح علينا يا أمير

---

[١] قال ضياء الدين المقدسي في السنن والأحكام: رواه النسائي والترمذي مرفوعًا وموقوفاً، وذكرا أن الموقوف أصح.

[٢] إسناده صحيح.



المؤمنين فتحاً عظيماً فملأ المسلمون أيديهم من متاع ورقيق ورقة، قال: ويحك كيف اللحم بها؟ فإنها شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا بشجرتها، قلت: الشاة بدرهمين، ثم قال: الله أكبر، ثم قال: ويحك هل أصيب من المسلمين رجل آخر؟).

هكذا كان رضي الله عنه في حرصه على أهل الإسلام، ونحن على هذا الدرب بإذنه تعالى ماضون.

ومع ذلك فإننا نقول:

- ثانياً: الإسلام دين واقعي لا يهول مع الإنسان في مثاليات، ولا يطير به في أبراج عاجية تجافي الحقيقة وتنأى عن الواقع، ولذلك فقد تكلم أئمتنا قديماً على المسألة الموسومة بمسألة (الترس):

وهي فيما إذا تترس الكفار ببعض أهل الإسلام ولم يكن يُخلص إليهم إلا بقتل الترس المسلم.

فقد قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: (والله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته والحديث في الصحيحين عن أمنا عائشة رضي الله عنها في قصة الجيش الذي يغزو الكعبة فيخسف بأولهم وآخرهم، فسئل النبي ﷺ -في بعض الروايات- كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم المكره وغير المكره وفيهم المستبصر وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ فقال النبي ﷺ: "يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"[1])[2].

قال شيخ الإسلام: (فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته المكره فيهم وغير المكره مع قدرته على التمييز بينهم)، ثم يقول: (بل لو كان فيهم قوم صالحون من خيار الناس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء؛ لقتلوا أيضاً، فإن الأئمة متفقون على أن الكفار لو تترسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يقاتلوا؛ فإنه يجوز أن نرميهم ونقصد

---

[1] رواه البخاري.

[2] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٥٣٧).



الكفار، ولو لم نخف على المسلمين؛ جاز رمي أولئك المسلمين أيضاً في أحد قولي العلماء، وإذا كان الجهاد واجباً وإن قتل من المسلمين ما شاء الله، فقتل من يقتل في صفهم من المسلمين لحاجة الجهاد ليس أعظم من هذا، وذلك أن مصلحة الجهاد قائمة على نهكة النفوس وإهراق الدماء في سبيل الله تبارك وتعالى، فلا تفوت المصلحة بمثل هذه المفسدة المتوهمة)[١].

وهذا الإمام النووي رحمه الله تعالى يقول أيضاً: (لو تترس الكفار بمسلمين من الأسارى وغيرهم نُظر؛ إن لم تدع ضرورة إلى رميهم واحتمل الإعراض عنهم لم يجز رميهم)[٢].

وهذا على خلاف -كما تقدم معنا- بين العلماء.

ثم يقول: (وإن دعت ضرورة إلى رميهم بأن تترسوا بهم في حال التحام القتال، وكانوا بحيث لو كففنا عنهم ظفروا بنا وكثرت نكايتهم، فوجهان؛ أحدهما: لا يجوز الرمي إذا لم يمكن ضرب الكفار إلا بضرب المسلم، والثاني: وهو الصحيح المنصوص -أي هو نص الإمام الشافعي رحمه الله- وبه قطع العراقيون -يعني من أصحاب الإمام الشافعي، وبه يقطع العراقيون في هذه الأيام ومعهم إخوانهم المهاجرون- جواز الرمي على قصد قتال المشركين ويتوقى المسلمين بحسب الإمكان، لأن مفسدة الإعراض أكثر من مفسدة الإقدام، ولا يبعد احتمال قتل طائفة للدفع عن بيضة الإسلام ومراعاة للأمور الكلية)[٣].

وهذا الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى- يقول أيضاً: (قلت؛ قد يجوز قتل الترس ولا يكون فيه اختلاف -إن شاء الله- وذلك إذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية، فمعنى كونها ضرورية: أنه لا يحصل الوصول إلى الكفار إلا بقتل الترس، ومعنى أنها كلية قطعية:

---

١ مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٥٣٧-٥٣٨).
٢ روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي، (ج١٠/ص٢٤٦).
٣ المرجع السابق.



أنها عامة لكل الأمة حتى يحصل من قتل الترس مصلحة كل المسلمين، ومعنى كونها قطعية: أن تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعاً)[1].

وهذا الذي نعيشه هذه الأيام؛ فالعدو يتخللنا، وربما لا نخلص إليه إلا بوطء بعض أهل الإسلام، لكن في ذلك مصلحة قطعية كلية لأهل الإسلام، لأن أمريكا لو استمكن لها الأمر لوطئت أهل الإسلام في كل بقاع الأرض، ولخنقت أهل الإسلام في كل مكان.

قال القرطبي: (قال علماؤنا؛ وهذه المصلحة بهذه القيود لا ينبغي أن يختلف في اعتبارها، ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يُقتل الترس في هذه الصورة بوجه، لأنه يلزم منه ذهاب الترس والإسلام والمسلمين، لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة نفرت منها نفس من لا يمعن النظر فيها، فإن تلك المفسدة بالنسبة إلى ما يحصل منها عدم -أي كالعدم- وهذا لأن هذه الدنيا ليس فيها مصلحة خالصة ولا شر محض، بل تختلط الأمور وتتمازج، والشرع جاء باعتبار أعلى المصلحتين ودفع أكبر المفسدتين)[2].

وقال الإمام الميرغيناني أيضاً -رحمه الله-: («لا بأس برميهم وإن كان فيهم مسلم أسير أو تاجر»، لأن في الرمي دفع الضرر العام بالذب عن بيضة الإسلام، وقتل الأسير والتاجر ضرر خاص، ولأنه قل ما يخلو حصن من مسلم، فلو امتنع باعتباره لانسد باب الجهاد، «وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو بالأسارى لم يكفوا عن رميهم، لما بينا، ويُقْصَدُ بالرمي الكفار»)[3].

وللجصاص رحمه الله كلام طويل، نذكر بعضه لترى الفرق الواضح بين علماء السلف وبين مهرجي العصر الحاضر من شيوخ الفضائيات وغيرهم من أصحاب الوجوه النخرة والأقلام المأجورة. قال رحمه الله: (باب رمي حصون المشركين وفيهم أطفال المسلمين وأسراهم: قال أبو حنيفة وأبو يوسف وزفر ومحمد والثوري: لا بأس برمي حصون المشركين

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، (ج١٦/ص٢٨٧).

[2] الجامع لأحكام القرآن، (ج١٦/ص٢٨٨).

[3] الهداية في شرح المبتدي، الميرغيناني، (ج٢/ص٣٨٠).



وإن كان فيهم أسارى وأطفال من المسلمين، ولا بأس بأن يحرقوا الحصون ويقصدوا به المشركين، وكذلك إن تترس الكفار بأطفال المسلمين رمي المشركون، وإن أصابوا أحداً من المسلمين في ذلك؛ فلا دية ولا كفارة)[١].

ومثل ذلك أيضاً؛ أن شرعنا قد جاء بتحريم قتل النساء وأطفال المشركين، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك كما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهم جميعاً، ومع ذلك؛ فإذا تترس بهم الكفار ولم يكن يخلص إليهم إلا بوطء الذرية والأطفال فإننا لا نمتنع عن ذلك.

وقد روى الإمام أبو داود في المراسيل عن طاووس؛ أن النبي ﷺ رمى بالمنجنيق على أهل الطائف، والمنجنيق لا يفرق بين صغير وكبير.

ولذلك قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (فإن قال قائل: كيف أجزت الرمي بالمنجنيق وبالنار على جماعة المشركين وفيهم الولدان والنساء وهو منهي عن قتلهم؟ قيل: أجزنا بأن النبي ﷺ شن الغارة على بني المصطلق غارين وأمر بالبيات وبالتخريب، والعلم يحيط أن فيهم الولدان والنساء، وذلك أن الدار دار شرك غير ممنوعة، وإنما نهى أن تقتصد النساء والولدان بالقتل إذا كان قاتلهم يعرفهم بأعيانهم)[٢].

ومثل ذلك ما قاله الشافعي أيضاً -رحمه الله- في كتاب الأم: (وإن كان في الدار أسارى من المسلمين أو تجار مستأمنون؛ كرهت النصب عليهم لما يعم من التحريق والتغريق وما أشبهه، غير محرم له تحريماً بيناً، وذلك أن الدار إذا كانت مباحة فلا يبين بأن تحرم؛ بأن يكون فيها مسلم يحرم دمه، وإنما كرهت ذلك احتياطاً، ولأنه مباح لنا لو لم يكن فيها مسلم أن نجاوزها فلا نقاتلها)[٣].

---

١ أحكام القرآن، أبو بكر الرازي الجصاص، (ج٣/ص٥٢٤).

٢ الأم، الشافعي، (ج٤/ص٢٥٨).

٣ المرجع السابق.



ولذلك أجاز أئمتنا رحمهم الله تعالى مسألة التبييت، وهي ثابتة في الصحيحين عن الصعب بن جثّامة رضي الله عنهم جميعاً؛ أنه سأل النبي ﷺ عن أهل الدار من المشركين يبيتون فتصاب النساء والذرية؟ فقال النبي ﷺ: "هُمْ مِنْهُمْ".

ولذلك قال أحمد -رحمه الله-: (لا بأس بالبيات، وهل غزو الروم إلّا البَيَات؟!)[1]، وقال: (ولا نعلم أحداً كره بيات العدو)[2].

قال الإمام ابن قدامة -رحمه الله-: (فإن قيل نهى النبي ﷺ عن قتل النساء والذرية، قلنا: هذا محمول على التعمد بقتلهم. قال أحمد: «أما أن يتعمد قتلهم فلا»)[3].

والمقصود أن هؤلاء يحرم القصد إلى قتالهم، لكن الشرع مع ذلك اعتبر ظروف الحرب ومعطياتها فأجاز قتلهم تبعاً إذا لم يقصد إلى ذلك.

وهنا قد يقول قائل ويتعلل بشبهة، وهي قوله: {لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الفتح:٢٥]، فيقول؛ إن الله تبارك وتعالى صدّ المسلمين عن مكة حفظاً وصوناً لدماء الغُيب غير المعروفين المجهولين من أهل الإسلام في مكة الذين كانوا يكتمون إيمانهم!

فنقول؛ كما قال الإمام الجصاص -رحمه الله تعالى-: (أمّا احتجاج من يحتج بقوله: {وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ...} [الفتح:٢٥]، في منع رمي الكفار لأجل من فيها من المسلمين؛ فإن الآية لا دلالة فيها على موضع الخلاف، وذلك لأن أكثر ما فيها أن الله كفّ المسلمين عنهم لأنه كان فيهم قوم مسلمون لم يأمن أصحاب النبي ﷺ لو دخلوا مكة بالسيف أن يصيبوهم، وذلك إنما يدل على إباحة ترك رميهم والإقدام عليهم؛ فلا دلالة على حظر الإقدام عليهم مع العلم بأن فيهم مسلمين لأنه جائز أن يبيح الكف عنهم لأجل

---

[1] رواه أبو داود في مسائل الإمام أحمد، (ص٣١٨).
[2] المغني، ابن قدامة، (ج١٣/ص١٤٠).
[3] المرجع السابق.



المسلمين، وجائز أيضاً إباحة الإقدام على وجه التخيير، فإذاً لا دلالة فيها على حظر الإقدام)[٤].

وهذا الأمر يعتضد بأمرين أيضاً:

الأمر الأول؛ أن هذا الأمر كان في قتال الطلب لا في قتال الدفع، وقتال الدفع لا يشترط فيه شيء من الشروط التي تشترط في قتال الطلب، والأمر فيه أشد والفرض فيه آكد، والوجوب يعم الأمة كلها ولا رخصة في التخلف عنه.

والأمر الثاني؛ أن الله تعالى قد أهلك الجيش -في الحديث الذي أشرنا إليه سالفاً- وهذا يبين أن هذا الفعل ليس بظلم، لأنه لو كان ظلماً لتنزه الله سبحانه وتعالى عنه، فإن الله لا يظلم ولا يأمر بالفحشاء - تبارك وتعالى - فلو كان هذا الأمر فاحشة أو ظلماً لما فعله الله تبارك وتعالى فإذ فعله، فإن ذلك بينة على جواز الإقدام، ثم قد تكون المصلحة في الإحجام أحياناً.

- ونقول؛ **ثالثاً**: ومع ذلك فنحن نتحرى ونحتاط ونتخير.

وكم من عملية ألغيت، وفكرة طرحت، وخطة أُبطلت حفظاً لدماء أهل الإسلام!

كما وأننا نتخير الوقت ونتحين الزمان الذي تخلو فيه الشوارع من المارّة ويقل الذاهبون الآيبون. ومع ذلك فنحن نقول...

- **رابعاً**: حربنا ليست حرب مواجهة ولا تمايز بيننا وبين العدو، بل هو بين ظهرانينا ويتخللنا ونتخلله، وقواعدهم مبثوثة بين البيوت وفي وسط الأحياء، ومراكزهم منتشرة بين الأهالي.

---

[٤] أحكام القرآن، أبو بكر الرازي الجصاص، (ج٣/ص٥٢٦).



- **خامساً**: نقول: هناك تكتيم وتعتيم هائل على حقيقة الخسائر وحجم الدمار، وشدة النكاية وعظيم الإثخان الذي يكرم الله به المجاهدين على أعدائهم، وفي المقابل تنشر صور بعض الأطفال والنساء وتختزل الحقيقة، ويطوى الصواب.

فمثلاً؛ ضربة الحلة على القاعدة البولندية، أثخنت فيهم أيما إثخان وأحيطت العملية بتكتيم وتعتيم، ومنعت الشرطة من الوصول إلى -أو الدنو إلى- المنطقة، وقتل منهم أكثر من مئتي جندي، مع أن هؤلاء الذين قتلوا ممن هم حول القاعدة من الرافضة الذين كانوا يمدونهم بالخمر، والذين كان الجنود يبيتون في بيوتهم في الليل ثم يخرجون في النهار آمنين غير مروعين -والرافضة لهم حديث طويل سيأتي بعد قليل إن شاء الله-.

- **سادساً**: نحن نتحرى الأهداف، وندرس المعطيات، ونستوثق من المعلومات، ولكن المعنى في بطن الشاعر.

فضربة فندق الشاهين -مثلاً-؛ كانت للمخابرات، وللعلم فأكثر الفنادق الفخمة محجوزة بالكامل لجيش (الموساد) و (السي آي إيه) وأصحاب الشركات العملاقة، الذين أقدموا ليظفروا بحصة في كعكة العراق.

وكذلك ضربة القصر الجمهوري؛ كانت لجيش العملاء والجواسيس الذين واطؤوا المحتل وركبوا في قافلة الكفر، ولذلك صرحت الإدارة الأمريكية بعد الضربة بأنهم خسروا كثيراً من أصدقائهم.

وضربة الأمم المتحدة؛ كانت لجيش العملاء والمخبرين المتسترين بلافتة (الأمم المتحدة)، وعلى رأسهم (سيرجيو ديمللوا) الذي أعمل مبضع الجراح في أندونيسيا ففصل عنها تيمور الشرقية، ومكر بأهل الإسلام في البوسنة قبله، وجيء به بعد ذلك إلى هنا ليباشر عملية تقطيع أوصال البلاد في العراق، فيسر الله لنا؛ فكنا يد الحق الحاصدة بإذن الله. وعلى هذا فقس أيها السامع.



ونحن بحمد الله بيض الصنائع، برآء من البشائع التي تلصق بنا ظلماً وزورا.

وإذا كان لا بد من تمام البيان وإيضاح الصورة؛ فلا يسعنا هنا أن نسكت عن الأفعى الرقطاء، والعدو النافث، والخطر الداهم، وأعني بذلك (الرافضة).

وهنا نحتاج أن نقرر أموراً:

(الرسالة)؛ التي تناقلتها الأنباء وتحدثت عنها الدنيا وتحير الناس في أمرها هي صحيحة صادقة النسبة إلى الأخ القائد أبي مصعب الزرقاوي حفظه الله ورعاه، ولكن قد اعتراها بعض التحريف والتزييف.

فنحن لا يمكن أن نقتل مسلما سنيا أو أن نجترئ على حرمة بيت من بيوت الله، ومعاذ الله أن نفعل هذا.

ولذلك فنحن نعلنها صيحة مدوية عالية؛ بأننا برآء من دم الأخ المغدور (ضامر ضاري)، ونحن نعلم أن أيدي الرافضة هي التي اغتالته، وسنثأر له ولغيره من أهل الإسلام، وليس من حق أحد كائنًا من كان أن يتنازل عن هذا الدم؛ لأن القتل لم يكن لعداوة شخصية، ولكنه إفساد للبلاد والعباد وتقصُّد لطائفة الإسلام السنية في العراق.

ثانياً: كما إننا لا نقصد إلى حرب طائفية -كما يشاع ويذاع- ومع إصرارنا بكفر الرافضة، وأنهم عدو للإسلام وأهله فقد كنا في سعة من ترك قتالهم، والإعراض عنهم والاشتغال بالعدو الصائل، ولكن ما حيلتنا وهم الذين بادأونا وحاربونا، وامتدت ذراع المكر منهم والغدر تحصد الدعاة الصادقين من أهل السنة وتصول على المجاهدين فتكاً وأسراً.

ثالثاً: ما أشبه الليلة بالبارحة؛ فقديماً تعرضت الأمة لهزة عنيفة، ومخاض صعب، فاختلطت عليها السُبل، والتبست عليها الدروب، ووقعت في حيص بيص، حين قدمت صفوف التتار كالجراد المنتشر تسفك الدماء وتلغ في الأعراض، وتستبيح الحرمات، وهم مع



ذلك يستظلون بظل كلمة التوحيد، ويستعلنون بالانتساب إلى الملة الغراء، فوقف العلماء وتزمزموا وأظلم نهارهم، فكيف يُقاتلون وهم يقولون لا إله إلا الله؟! وهل يسعنا تركهم وهم ماضون في اجتثاث حضارة الأمة ودينها من الأساس؟

حتى قيض الله لهذا الظلام قمراً منيراً فجلّى الأمر، وكشف الله به الغمة، فأفتى بوجوب قتال هؤلاء القوم، وأعني به: -شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- في رسالته المشهورة في كفر من بدل شرائع الله تبارك وتعالى، فجلى الله به ظلمة الشك، وأزال به محنة التردد، وحسمت الأمة خيارها، فأقبلت على عدوها المخادع، فأحاطت به، وردت عاديته، وقلمت أظفاره، وكسرت أنيابه؛ فتحطمت أمواج الشر على صخرة الأمة، وانزاح الظلام الذي أقبل على الأمة.

وها نحن اليوم نعيش المحنة نفسها، وأمواج الرفض العاتية تكاد تغرق الأمة بطوفانها الهادر وهي تستتر بثوب الإسلام، وتستظل كذبًا بظل كلمة التوحيد، والمحنة هي... هيَ، والتاريخ يعيد نفسه، فمن جذيلها المحكك وعذيقها المرجب؟!

رابعاً: قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في فتياه السابقة التي أشرنا إليها: (يجبُ قتالُ هؤلاءِ التتارِ الذينَ يقدمون إلى الشامِ مرةً بعدَ مرةٍ، وإن تكلَّموا بالشهادتينِ وانتسبوا إلى الإسلامِ، فيجب قتالُهم بسنةِ رسولِ اللهِ، واتفاقِ أئمةِ المسلمِينَ، وهذا مبنيٌّ على أصلينِ:

أحدُهما: المعرفةُ بحالِهم.

والثاني: معرفةُ حكمِ اللهِ في مِثلِهم)[١].

أمّا معرفة أحوالهم؛ فإن هؤلاء -كما أشار رحمه الله في حديثه الطويل- كانوا يتحاكمون إلى غير شريعة الله تبارك وتعالى، وإن كان معهم قضاة وأئمة ومؤذنون، لكن احتكامهم لم

[١] الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (ج٣/ص٥٣٤).



يكن إلى الشريعة، وكانوا ممتنعين عن كثير من شرائع الإسلام، وهؤلاء حكم الله وجوب قتالهم.

قال رحمه الله: (أيما طائفة انتسبت إلى الإسلام وامتنعت من بعض شرائعه الظاهرة المتواترة فإنه يجب جهادها باتفاق المسلمين حتى يكون الدين كله لله كما قاتل أبو بكر رضي الله عنه طائفة الردة)[١].

ولذلك قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- ناقلاً عن الإمام ابن تيمية: (وقال أبو العباس أيضاً في الكلام على كفر مانعي الزكاة: والصحابة -رضي الله عنهم- لم يقولوا؛ أنت مقر بوجوبها أو جاحد لها؟ هذا لم يعهد عن الخلفاء والصحابة -رضي الله عنهم- بل قد قال الصديق لعمر رضي الله عنهما: «والله لو منعوني عقالاً -أو عناقاً- كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها»[٢]، فجعل المبيح للقتال مجرد المنع، لا جحد الوجوب.

وقد روي أن طوائف منهم كانوا يقرون بالوجوب لكن بخلوا بها، ومع هذا فسيرة الخلفاء فيهم جميعهم سيرة واحدة وهي؛ مقاتلتهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، والشهادة على قتلاهم بالنار، وسموهم جميعهم أهل الردة، وكان من أعظم فضائل الصديق رضي الله عنه عندهم أن ثبته الله عند قتالهم ولم يتوقف كما توقف غيره، فناظرهم حتى رجعوا إلى قوله، وأما قتال المقِرّين بنبوة مسيلمة فهؤلاء لم يقع بينهم نزاع في قتالهم)[٣].

وهؤلاء الطائفة ممتنعة عن أكثر شرائع الإسلام، وهم طائفة ردة وكفر وشرك لا يشك في هذا أحد، وكلام أئمتنا في ذلك طويل كثير منتشر، ووالله ثم والله لو بعث في هؤلاء أبو جهل لقال لهم؛ اتقوا الله ما هذا الشرك الذي أنتم فيه!

---

١ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٢٨/ص٣٥٦).

٢ رواه البخاري.

٣ الدرر السنية، (ج٩/ص٤١٨).



وهؤلاء القوم -كما يسميهم أهل البلاد هنا (الشروجية)- أناس يعجب الإنسان منهم، فلا خلق الإسلام ولا آدابه، ولا أحكامه ولا شرائعه، ولا مروءة العرب ولا نخوته، ولا حفظ الذمة عند العربي والمروءة والنخوة، ولا طبائع البشر ولا أخلاق الإنسان، فهم طائفة كالبهائم أو دون ذلك بكثير، وهؤلاء كما قلت؛ طائفة ردة ومروق من الملة لا يشك في هذا إنسان خبر حالهم.

ونحن عندما نتحدث عن التشيع نتحدث هنا عن:

التشيع؛ الذي جعل من حب أهل البيت قضية صارت هي الدين البديل عن الدين الثابت بالتنزيل.

هو التشيع؛ الذي فرق بين الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، ثم فرق بين الأصحاب فجعلهم قسمين؛ قسماً كفره ونبذه، وهم الصحابة رضي الله عنهم وقسماً قدسه وعبده، وهم أهل البيت.

ثم فرق بين أهل البيت أنفسهم؛ فشطب على أزواجه ﷺ بالجملة، حتى إذا أخرجهن من بيتهن واستراح من ضجيجهن؛ كر على الباقين فشطرهم نصفين؛ علويين وعباسيين، وبعد أن كفر بالعباسيين رجع ليتفرغ للعلويين ويجعلهم فاطميين وحنفيين وبدويين وآخرين، ثم لم يكتفِ بهذا حتى فرق بين الفاطميين فصيرهم؛ حسنيين وحسينيين. ثم لم تزل عملية التقسيم والتهشيم لعباً بالدين، وتنفيساً عن حقد دفين، حتى كفر بالحسنيين جميعاً سوى تسعة رهط واحد منهم موهوم معدوم.

ترى هل اكتفى أو اشتفى؟

كلا، فقد استل خنجره ليمزق ثلاث بنات لرسول الله ﷺ طاهرات نيرات وهو ينفث سمه ويقول: (لسن بناته! إنهن ربائبه من زوجته الأولى، أخرجوهن مأزورات غير مأجورات)!

فماذا بقي من أهل البيت؟!



نقصد بالتشيع؛ التشيع الذي يرد أحاديث النبي ﷺ جميعاً، ويكفر بها جملة وتفصيلاً، بحجة أنها جاءت من طريق أصحابه وهم في عرفه مرتدون ناكثون مارقون، ويستبدل بها روايات منحولة، وأقاويل وتهاويل مخبولة منسوبة زوراً إلى سيدنا جعفر بن محمد رحمه الله هو منها بريء.

إنه تشيع بلا كتاب ولا سنة ولا أصحاب.

التشيع؛ الذي يكفر أصحاب النبي ﷺ، ويقول عنهم إنهم زمرة طامعون لا هم لهم إلا البطن والفرج والكرسي.

التشيع؛ الذي يكره العرب وينسب إليهم كل نقيصة ورذيلة، ولا يشعر بالانتماء إلى أمة العرب العظيمة التي اختارها الله تعالى لحمل دينه، وإيصال رسالته إلى العالم أجمعين.

التشيع؛ الذي يقول إن عمر الفاروق –رضي الله عنه– الذي أذل كسرى وكسر أنف كبريائه؛ (مأبون يُنكح في دبره)! –والعياذ بالله– وأن أمه هي صهاة الزانية، وأن علياً –رضي الله عنه– زنى بأخته في بيته، وقد بات عنده تحت ذريعة المتعة، ولذلك حرمها عمر رضي الله عنه!

ويقول: إن خال رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه –مبيد الأكاسرة وفاتح العراق–؛ (نغل ابن سفاح)، بل بنو زهرة أخوال النبي ﷺ جميعاً كذلك.

وأن عمرو بن العاص –رضي الله عنه– فاتح فلسطين ومحرر مصر؛ ابن زنى كذلك.

وعبد الله بن الزبير –ابن أسماء بنت الزبير ذات النطاقين وبطلة الهجرة– أمير المؤمنين وخليفة المسلمين؛ ابن متعة.

التشيع الذي يجعل من الصديق والفاروق رضي الله عنهما –وزيري رسول الله ﷺ– مغتصبين لمنصب الخلافة، ومن علي –رضي الله عنه–؛ رجلًا ساكتًا عن الحق راضياً بالاغتصاب، بل لا يغار –وحاشاه– على دينه وعرضه وماله.



التشـيع؛ الـذي يطعن بزوجـات الرسـول ﷺ ويلمـزهن بالكفر والفاحشـة، ويـرميهن بالبهتان.

التشيع؛ الذي يشيع الإباحية والزنى تحت ستار (المتعة).

التشيع؛ الذي لا يعترف بعلمائنا وفقهائنا العظام، ويطعن في الأئمة الأربعة وغيرهم من الشيوخ والأكابر.

التشيع؛ الذي يجعل من أتباعه أين ما حلوا (جالية إيرانية) مرتبطة فكراً وسلوكاً وشعاراً وشعوراً بإيران، لا يصومون ولا يفطرون ولا يعيدون إلا معها، ولا يوقتون إلا بتوقيتها.

التشيع؛ الذي لا يستقيم عنده ولاء إلا ببراء، أي ما لم تتبرأ من عمر -رضي الله عنه- فلست من أحباب علي -رضي الله عنه-، ولو أقسمت له برب السبع الطباق، وأشفعته بالطلاق والعتاق على أنك تحب علياً -رضي الله عنه-، فإنك مجرم تستحق القتل، ويباح مالك... ألست تُحب عمر؟!

التشيع؛ الذي يقدس الأحجار والأشجار والأستار والنار باسم (أهل البيت).

التشـيع؛ الـذي جعـل من مراقـد الأوليـاء ومشـاهد الأصـفياء ومواسـم زياراتهم فرصـاً لا تعوض من أجل اصطياد الأموال، والعبث بالعقول والأعراض.

التشيع؛ الذي يوجب الكذب ويدين بالنفاق والخداع تحت لافتة (التقية)، يقول لك بلسانه: ليس بيننا من فرق، إننا أهل فروع فقهية واختلافات مذهبية، وقلبه يسبح بلعنك وينبض قائلا؛ (متى تحين الفرصة؟).

التشـيع؛ الـذي يجعـل من (قُم) المدنسـة مهـوًى لأفئـدة المسـلمين ويسـميها مقدسـة، ويستهين بالكعبة أشرف البقاع وأقدسها.



التشيع؛ الذي يعطل المساجد ويعمر المراقد والمشاهد ويجعل من بيوت عبادته مساجد ضرار وتفريق بين المؤمنين وزوايا إرصاد.

عن مثل هذا التشيع نتحدث، وهو التشيع الذي نعيشه ونكتوي بناره في هذه الأيام.

خامسًا: وهؤلاء القوم لهم تاريخ أسود، بطانته الحقد وظهارته الفتك والتنكيل، ولُحمة ثناه الانحياز لصف أعداء الأمة على أهل الإسلام.

سادسًا: الأفعى لا تنزع جلدها إلا بمثله، وقد خاطب الله بني إسرائيل في زمن النبي ﷺ فقرعهم بذنوب آبائهم، وآخذهم بما حصل في العهد الغابر، وخاطبهم كأنهم هم المباشرون: {وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا} [البقرة:٧٢]، {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ} [البقرة:٦٣]... إلى غير ذلك من الآيات، وذلك لأنهم ورثوا الطباع والأخلاق والسمت والسيرة فلم يغيروا، ولم ينكروا، ولم يتبرأوا من صنيع من سبقهم. وهكذا القول في حق هؤلاء القوم، فهم... هم.

ولا يغرنك يا أخي المسلم حديث الوحدة ومجالس التقريب وندوات الاتحاد، فكل ذلك ذر للرماد في العيون... وإلا فما بال مطابعهم تطبع الكفر المستبين، وتنشر دعوات الحقد الشعوبي القديم؟ ولم لم يسقطوا رؤوس الزندقة وأئمة الضلال؟ وكيف نصدق إنسانًا يزعم الإسلام ثم هو يقدس القائمين بالتحريف والتزييف للقرآن والتكفير لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام؟

والعجيب أن هذه الأمة ما زالت تصم أذنها عن شهادة التاريخ، وتغمض عيونها عن تجارب الأعصر الخالية.

وما أسرع ما نسينا تجربة مصطفى السباعي مع هؤلاء القوم وقد سطرها في مقدمة كتابه (السنة النبوية) -رسالة الدكتوراة- وذكر فيها بعض ضروب الخداع وصور الكذب من هؤلاء في محاولتهم المزعومة للتقريب.

ولم نذهب بعيداً؟ فها هي مجلاتهم هنا تسب الشيخ القرضاوي وتذمه وتتهمه بسوء النية، وهو الذي انبطح أمامهم، وفتح أبواب وقلوب الأمة على مصراعيها ليغتالها هؤلاء بشبههم وكفرهم وشركهم.

لقد كان هؤلاء على مر التاريخ؛ شوكة وعدواً للإسلام وأهله.

ورحم الله شيخ الإسلام عندما قال: (والرافضة شر الطوائف المنتسبة إلى القبلة، وقد عرف العارفون بالإسلام أن الرافضة تميل مع أعداء الدين)[١].

وقال عن النصيرية -وهم إخوة الرافضة، وبينهم نسب ورحم عقدي وسياسي في هذه الأيام- قال: (إذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين المسلمين: فمن قبل توبتهم إذا التزموا شريعة الإسلام أقروهم عليها -أي على الشريعة- ومن لم يقبلها وورثتهم من جنسهم فإن مالهم يكون فيئاً لبيت مال المسلمين، لكن هؤلاء إذا أخذوا فإنهم يظهرون التوبة لأن أصل مذهبهم التقية والكتمان لأمرهم، فالطريق في ذلك أن يحتاط في أمرهم؛ فلا يتركون مجتمعين، ولا يمكنون من حمل السلاح، وأن يكون من المقاتلة، ويلزمون شرائع الإسلام من الصلوات الخمس وقراءة القرآن، ويترك بينهم من يعلمهم دين الإسلام، ويحال بينهم وبين معلمهم، ومن كان من أئمة ضلالتهم وأظهر التوبة أخذ عنه، وصير إلى بلاد المسلمين التي ليس لهم بها ظهور، فإما أن يهديه الله تعالى، وإما أن يموت على نفاقه من غير مضرة للمسلمين، ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأقدم الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق وسائر الصحابة رضي الله عنهم بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، ويجب على المسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب، فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرفه من أخبارهم، بل يفشيها ويظهرها ليعرف المسلمون حقيقة حالهم، ولا يحل لأحد أن ينهى عن القيام بما أمر

---

١ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٢٨/ص٦٣٧).



به الله ورسوله ﷺ فإن هذا من أعظم أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله، والمعاون على كف شرهم وهدايتهم بحسب الإمكان له من الأجر ما لا يعلمه إلا الله تعالى)[١].

نعم والله، إن من يجاهدهم في هذه الأيام يقوم مقام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويقوم مقام الصديق والصحابة رضي الله عنهم في فجر هذه الأمة بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، تاريخهم أسود وحقدهم على أهل الإسلام لا ينتهي.

ولنستعرض سريعاً أعتى صفحات المكر والكيد لهذه الأمة عبر تاريخهم الطويل:

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: (وهؤلاء الرافضة إن لم يكونوا شراً من الخوارج فليسوا دونهم، فإن أولئك إنما كفّروا عثمان وعليًّا رضي الله عنهم جميعاً، والرافضة كفّرت أبا بكر وعثمان وعامة المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكفّروا جماهير أمة محمد ﷺ من المتقدمين والمتأخرين)[٢]. ثم يقول: (ولهذا يكفرون أعلام الملة ويستحلون دماء من خرج عنهم، ويسمون مذهبهم مذهب الجمهور، ويرون أن كفرهم أغلظ من كفر اليهود والنصارى، ولهذا السبب يعاونون الكفار على الجمهور من المسلمين كما عاونوا التتار على المسلمين وكانوا من أعظم الأسباب في خروج جنكيز خان ملك الكفار إلى بلاد الإسلام، وفي قدوم هولاكو إلى بلاد العراق، وفي أخذ حلب، ومهد الصالحية، وغير ذلك بخبثهم ومكرهم، وبهذا السبب نهبوا عسكر المسلمين لما مروا عليهم وقت انصرافه إلى مصر في النوبة الأولى، وبهذا السبب يقطعون الطرقات على المسلمين، وبهذا السبب ظهرت فيهم معاونة التتار والإفرنج على المسلمين، والكآبة الشديدة بانتصار الإسلام ما ظهر، وكذلك لما فتح المسلمون الساحل عكة وغيرها ظهر فيهم من الانتصار للنصارى وتقديمهم على المسلمين ما قد سمعه الناس منهم.

---

[١] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٣٥/ص١٥٧).

[٢] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٢٨/ص٤٧٧).



وكل هذا الذي وصفت بعض أمورهم، وإلا فالأمر أعظم من ذلك؛ فهم أشد ضرراً على الدين وأهله، وأبعد عن شرائع الإسلام من الخوارج الحرورية، ولهذا كانوا أكذب فرق الأمة فليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أكثر كذباً ولا أكثر تصديقاً بالكذب وتكذيباً بالصدق منهم لا سيما النفاق فيهم أظهر منهم في سائر الناس، وكل من جربهم يعرف اشتمالهم على هذه الخصال)[1].

وقد ابتلي المسلمون حين ضعف أمر الخلافة بطائفة من الشيعة وهم (البويهيون)، حيث استطاعوا أن يسيطروا على مقاليد الحكم في بغداد وأن يهينوا الخلفاء العباسيين، الذين ليس بيدهم من الأمور شيء، وقد أراد البويهيون نزع الخلافة من العباسيين وإعطاءها لإخوتهم (العبيديين)، بزعمهم أنهم من آل البيت، وهم مرتدون باطنية كفار ونسبتهم إلى أهل البيت كذب بإجماع العلماء، ثم عدلوا عن ذلك بعد ذلك.

وقد لاقى أهل السنة في عهد بني بويه الكثير من المآسي والنكبات، فكانت لا تمر سنة واحدة إلا ويحدث بين الرافضة وأهل السنة كثير من المصادمات والفتن، حيث كان الرافضة في يوم عاشوراء من كل عام يفعلون بدعتهم الشنعاء، ويغلقون الأسواق، وتخرج نساؤهم حاسرات سافرات نائحات على الحسين ويلطمن وجوههن، ويكتبون على أبواب المساجد: (لعنة معاوية بن أبي سفيان) رضي الله عنه، وكتبوا أيضاً: (لعن الله من غصب فاطمة حقها)، ويقصدون بذلك أبا بكر رضي الله عنه، وكانوا يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، والحكام البويهيون يأمرون بذلك ويذودون عن إخوتهم الرافضة.

هذا تاريخهم، كانوا... ولا يزالون على هذا.

ومما يؤسف له حقاً أن هذه الدول -أو أكثرها- الرافضية الباطنية التي قامت في تاريخ الإسلام قامت على أكتاف السنة الأغرار منهم والأغمار، ولو أن هؤلاء لم يساعدوا على

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٢٨/ص٤٧٨).



قيامها، أو لو أنهم قاوموها لانهارت بأقرب فرصة، ولكن غفلة (عوام السنة) تجعلهم ألعوبة بيد أعدائهم، يضربونهم بأنفسهم ويقيمون العروش على أكتافهم.

قبائل (كتامة) لم تكن شيعية أو إسماعيلية قبل أن يتلاعب بهم أبو عبد الله الشيعي، وهم الذين أقاموا الدولة العبيدية.

والبويهيون حكموا بغداد عاصمة الخلافة، وكان من العلماء والوزراء السنة من يعمل معهم ويساعدهم.

وفي أثناء حكم هؤلاء الشيعة الروافض اشرأبت أعناق اليهود والنصارى وقويت شوكتهم، وصاروا أكابر بعد أن كانوا صاغرين، ووصل بعضهم إلى كراسي الوزارة وألحقوا بالمسلمين من المظالم ما الله به عليم.

واستطاع الصليبيون في عهدهم الأسود؛ أن يستولوا على بيت المقدس دون أن يبذل واليهم من قبل العبيديين أدنى مقاومة، إلى أن أكرم الله صلاح الدين فأزال هذه الدولة المسخة.

وقد اتخذ هؤلاء الباطنية أسلوب الاغتيالات في تنفيذ أهدافهم ومخططاتهم - تماماً كما يفعلون في هذه الأيام - فقتلوا الوزراء والملوك والعلماء في الأوقات الحرجة، وتحالفوا مع أعداء الإسلام من الصليبيين والتتار؛ فقتلوا الوزير (نظام الملك) الذي كان من خيار الوزراء، وقتلوا ابنه الوزير (فخر الملك)، وقتلوا الوزير (أبا طالب السميرمي) وزير السلاجقة، وقتلوا صاحب حلب (آقستنقر) في مقصورة جامعها يوم الجمعة، وقتلوا الخليفة العباسي المسترشد وقطعوه قطعاً، وقتلوا أيضاً تاج الملوك وسلطان دمشق (بوري ابن طغتكين) والذي قتل من الباطنية خلقاً كثيراً، وكان كثير الجهاد لا يفتر من غزو الفرنج، وقتلوا أمير الموصل (مندوه) الذي أبلى في جهاد الصليبيين بلاء حسناً وانتزع من أيديهم حصوناً كثيرة، وقد حاولوا اغتيال السلطان صلاح الدين الأيوبي غير مرة وجرحوه في إحدى المرات.



وقتلوا من العلماء الكثير، فممن قتلوا من العلماء؛ القاضي عبد الواحد الروياني شيخ الشافعية، قتلوه بجامع آب آمل بطبرستان، وقتلوا أبا المظفر الواعظ بالري، وقتلوا القاضي أحمد بن نصر العروي بهمذان وغيرهم.

وتحالفوا مع أعداء الإسلام في كل وقت وفي كل زمان، وكانوا -ولا يزالون- خنجراً مسموماً استغله أعداء الإسلام من التتار والصليبيين واليهود.

ونتيجة لغفلة المسلمين وتهاون خلفائهم؛ تمكن الرافضي الخبيث (محمد بن العلقمي) من الوصول إلى وزارة الخليفة (المستعصم بالله)، فكانت النتيجة لتلك الغفلة والثقة أن حل بالدولة الإسلامية والخلافة العباسية من الاجتياح الهمجي والاحتلال البربري من قبل (هولاكو) وجيشه من التتار المجرمين ما لم يحصل في التاريخ، حيث قتل الخليفة وقتل من أهل بغداد ما يقدر في بعض الروايات بمليون وثمانمئة ألف قتيل، فيهم من العلماء والحفاظ والفقهاء والأمراء والأعيان الجم الغفير، كل ذلك كان بسبب ممالأة هذا الوزير الرافضي ومصانعته لهولاكو وقطعان التتار الهمج.

فكيف يصدق هؤلاء في دعوى التقارب وأنهم يريدون الاتحاد مع أهل الإسلام؟

وهل يمكن أن يصدق عاقل (بوشًا) -مثلاً- وهو يتحدث حديث الحمل الوديع عن الحرية والديمقراطية ورفاه الشعوب، ويزور المركز الإسلامي ويمدح الإسلام في أمريكا، وهو من بعد ينقلب جزاراً سفاكاً للدماء؟!

ونقول كما قيل في المثل: (لا تنظر إلى دموع عينيه ولكن انظر إلى صنع يديه)!

وهؤلاء بمحاولتهم المزعومة للتقارب؛ همهم الحقيقي أن يتخذوا العلماء ستاراً وجسراً يعبرون عليه إلى قلوب وضمائر العامة من أهل السنة، الذين يغرهم ما يرونه من احترام متبادل بين علمائهم وهؤلاء القوم، فتضعف مقاومتهم ويصبحون فريسة سهلة.



إن من يطالب الشيعي أن ينسى التاريخ وحوادث الماضي واهمٌ، وهو أشبه بمن يطالب النصراني أن ينسى قصة الصلب للمسيح عليه الصلاة والسلام، فهل يبقى من المسيحية شيء بعد ذلك؟ وهكذا هل يظن عاقل أنه يبقى من التشيع شيء إذا نسيت قضية كربلاء؟ وقضية الخلافة؟

سابعًا: قال ابن حجر –رحمه الله– قديماً: (لو سكت الجاهل لارتفع كثير من الخلاف)[١] أو كما قال رحمه الله. هذه العبارة تختصر كثيراً من علل الأمة في هذه الأوقات الصعبة.

لقد سمعنا بذهول، وأصغينا بألم إلى هجمة الاستنكار وطوفان التبرؤ من الْفَعَلَةِ –القتلة بزعمهم– والترحم على القتلى والبكاء على الموتى الذين قتلوا وهم يمارسون أبشع أنواع الشرك، وأفظع أنواع الكفر بالله في حفل وثني لا مثيل له غايته؛ شحذ القلوب بالحقد على أهل الإسلام.

وقديماً قال الخميني: (لولا عاشوراء لانمحى دين التشيع).

نعم، فعاشوراء المحطة التي تعبأ فيها جماهير الرافضة وتغذى بالحقد وتجدد لها الأحزان والآلام، وهكذا دواليك كل عام.

ونحن لا نأسى هنا على إنكار علماء الفضائيات وشيوخ (الحلال والحلال) الذين أجازوا ثوابت الملة، وضيعوا أصول الشريعة، وباعوا الأمة بثمن بخس نقدهم إياه أئمة الضلال؛ بسمة صفراء، أو إجلالاً كاذباً، أو إطراءً وتفخيماً بأوسمة (الاعتدال) و(الاتزان) و(حسن الفهم)، وهو الفخ الذي يقع فيه بعض هؤلاء الناس وهم يتوهمون أنهم يحسنون صنعاً.

وهذه غفلة عن مناهج الأنبياء ودرب الصالحين، فقد قال تعالى على لسان قوم صالح عليه الصلاة والسلام: {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا} [هود:٦٢].

---

[١] لم أجد مصدر الكلام وذكر عن غيره، وأقرب ما يكون هو قول ابن حجر رحمه الله في النكت على صحيح البخاري (ج٢/ ص١٩٦): (وفي هذا الحديث الحث على حفظ العلم والتحذير من ترئيس الجهلة، وفيه أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية وذم من يقدم عليها بغير علم).



وهذا دأب الجاهلية؛ الطعن في الأنبياء والاجتراء عليهم والتنقص لعقلهم ومنهاجهم؛ {إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [الأعراف: ٦٦].

فما بال جاهليتنا المعاصرة تكيل المدح لهؤلاء وترفع شأنهم وتعلي منارهم؟

أتريد الجواب؟

هاكه في قوله تعالى: {وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا} [الإسراء:٧٣].

لكننا نألم هنا لإنكار من كانوا رادّة خير للأمة فيما مضى، وهم من أعلم الناس بخطط هؤلاء ومكرهم وخبثهم وكفرهم ومراغمتهم للأمة والملة.

كما أننا نأسى أكثر لسكوت علمائنا الأجلاء، كيف يسلموننا لهذه الموجة العاتية فلا يكونون لنا درعاً، ولا يذبون عن أعراضنا ويذودون عن حياضنا؟

لا من أجلنا، فنحن -بحمد الله- قد استبنا الرشد وعزمنا على الحق وتوكلنا على الله، ووالله لو جعلوا الشمس في أيماننا والقمر في شمائلنا على أن ندع هذا الأمر ما تركناه حتى يظهره الله أو نهلك دونه. لكننا نستحثهم أداءً للأمانة وإبراء للذمة، وإعذارًا إلى الأمة.

إننا نعجب من هؤلاء الذين يتباكون على طقوس الوثنية، ويذبون عن مظاهر الشرك الأكبر، ويمهدون لها مكانًا في ضمير الأمة باسم الإسلام، بزعم أن أهلها يقولون (لا إله إلا الله)، ثم يصولون علينا كذئاب مفترسة نفشت في حظيرة أغنام المراعي، فيكفروننا، ونحن لا نقول (لا إله إلا الله) فحسب، ولكننا نقاتل من أجل (لا إله إلا الله)، فسبحان الله ولله في خلقه شؤون!

ثامنًا: بعض الصالحين يتوهمون أن المسلم لا يمكن أن يرتد شيعياً لأنهم يرون مجافاة التشيع للعقل السليم، ومجانبة الرفض للطبع السوي والفطرة القويمة، وهؤلاء يغفلون عن



تاريخ البشرية على مر العصور وكر الدهور؛ فلكل ساقطة لاقطة، ولكل فكرة -مهما كانت سمجة وبعيدة عن مناهج الصواب- أتباعٌ وأنصارٌ.

ألسنا نجد ناساً بلغوا القمر ثم ترتفع عقولهم لإله دخل بطن امرأة وخرج من فرجها، ثم صُلب على خشبة بمسامير من حديد، وله بكاء وعويل؟

أولست ترى أناساً صنعوا قنبلة نووية، ثم هو تروث عليه البقرة فيتبرك بروثها، ويلعق ظلفها، ويعدها له إلهاً؟

وهذه الأمة الصينية؛ عملاق يتململ، وقوة صاعدة، وحضارة ضاربة الجذور في أعماق التاريخ، تعبد صنماً لرجل هلك في غابر الزمن.

ولعل بعضنا نسي أن كثيرًا من قبائل الجنوب في العراق لم تتشيع إلا قبل قرن أو نحو ذلك على أيدي دعاة المجوسية، في غفلة من عين الرقيب، ونوم لدعاة الحق وعلماء السنة.

والقصة تتكرر، فهل نفيق قبل وقوع الكارثة؟

وما لنا نذهب بعيداً، وإيران نفسها كانت سنية في غالبها عبر قرون متطاولة، حتى إذا كان القرن العاشر تقريباً... قفز الشاه الصفوي إلى سدة الأمر، وتسلط على مقاليد الحكم، فأعمل في أهل السنة سيف الحقد، فسفك دماءهم، وغطت إيران سحابة قاتمة من ليل الشعوبية الحاقدة، وعاش المسلمون هناك بأسى ولأواء أفضت بالبلاد إلى ما نراه فيها هذه الأيام.

وها نحن هذه الأيام تأكلنا الحسرة وتدمى قلوبنا ونحن نرى مظاهر التشيع وصور الرفض تزحف على بغداد، وتبسط جناحيها على هذه المدينة.

فيا أمة الإسلام، ويا علماء الإسلام، صيحة من الأعماق؛ أدركوا بغداد.



ها هم الصحابة رضي الله عنهم وأمنا عائشة رضي الله عنها وعرض نبينا ﷺ يُسب علناً في بلد الخلافة، وإلى الله المشتكى.

تاسعًا: يتوهم بعض الناس، ويزعم من ينتسبون على التحليل السياسي؛ أن أمريكا فرحة مستبشرة بمجريات الأحداث، وهي التي تحاول زعزعة الأمن وإشعال نار الفتنة، وإثارة القلاقل، وهذا وهم لا نصيب له من الصحة.

فأمريكا هي التي تسعى جاهدة لإقامة حكومة عميلة وجيش وشُرَط بإغراءات مالية وحوافز تشجيعية، وهي التي تسابق الزمن قبل الموعد المضروب، وذلك:

أولاً: حتى تتقي ضربات المجاهدين الموجعة، وتوقف النزيف المتزايد في المال والرجال والعتاد، وتعيد الهيبة والكرامة العسكرية المهانة، وتسعى بهؤلاء العملاء ليكونوا درعاً واقياً، وأحذية لتدوس أهل الإسلام بهم، ولتقضي على صبابة الحياة المتبقية في الأمة.

ثانياً: يحرص (بوش) على أن يمضي على الانتخابات الرئاسية وقد أغلق ملف العراق وأتم إنجاز المهمة، وأمن لأمريكا حليبًا مشوبًا بالعسل يرشفونه هنيًا من غير غصص ولا كدر.

ويعلم الجميع أن الموعد المضروب في حزيران لتسليم السلطة هو موعد غير منطقي، وغير مستطاع، ومقصوده الأول أن يكون ورقة انتخابية بيد الرئيس الأمريكي.

عاشرًا: يلحظ الناظر هنا إشارات مهمة تشي بما وراءها وتنبئ عن الحقيقة المغيبة، ومن ذلك:

- أن الرافضة لهم فيالق وتنظيمات مسلحة، ولهم أنظمة وسجون يزجون فيها بالبرآء من أهل السنة، كل ذلك تحت سمع الأمريكان وبصرهم، أما السني؛ فالويل لأمه إذا وجد عنده مسدس أو بندقية.



وهذا يذكرنا بالقصة نفسها المكرورة في أماكن أخرى مثل لبنان –وأعني (حزب الله)– هذا الحزب الذي نُفخ فيه لتفتن به الأمة، وليقطع الطريق على الحركات السنية المجاهدة التي بدأت تستقطب جماهير أمتنا لتبني بهم من جديد مجد الإسلام مرة أخرى وتعلي صرح الدين.

وها هنا إشارات سريعة:

أولاً: في مؤتمر الطائف في (المهلكة العربية السعودية) –وهي كما يعرف الجميع أمريكية الولاء– قررت الفصائل اللبنانية نزع سلاح كل الفصائل إلا (حزب الله)، فلماذا؟!

ثانياً: هذا الحزب يرتضع من ثدي إيران عبر سوريا الباطنية، والجميع يعلم أن سوريا هي التي قصمت ظهر المقاومة الفلسطينية في لبنان نيابة عن إسرائيل وبمباركتها ومباركة أمريكا، فهل يعقل أن تسعى هي إلى ضرب إسرائيل والنكاية فيها؟

وأما إيران؛ فلعل الجميع يذكر أن الخميني جاء ليستلم مقاليد الحكم في إيران، وليقود الثورة على متن طائرة فرنسية!

هل تتصور الأمة لو أن الشيخ المجاهد أسامة بن لادن –حفظه الله– جاء ليستلم الحكم على متن طائرة أمريكية... فهل هذا يعقل؟!

وقد أثبتت إيران أنها أداة طيعة للإدارة الأمريكية، وأن ما يقال غير ما يجري في الحقيقة.

في حرب أمريكا لتحرير الكويت، وفي احتلال العراق، وكذلك في حرب أفغانستان؛ أثبتت أنها طوع الإدارة الأمريكية، وأثبتت أنها لا تنطلق إلا من مصالحها الطائفية والفئوية الضيقة.

ثالثاً: في أوائل التسعينات وبعد تحرير الكويت، سُئل سفر الحوالي: ماذا تتوقع في المستقبل؟ فكان مما ذكره؛ أن إسرائيل ستنسحب من الجنوب اللبناني وتقيم حزاماً أمنياً شيعياً لحراستها!



وهذا بالضبط ما حصل، وقد أمنت إسرائيل من تلك الناحية إلا مسرحيات فارغة هزلية لا أثر لها ولا نكاية، وهو بالضبط ما تريد أمريكا أن تصنعه هنا في العراق.

رابعاً: الفصائل الفلسطينية في لبنان من حقها أن تتقاتل وتتصارع فيما بينها، لكن لو فكر أحدهم أن يوجه بندقية إلى إسرائيل فسترميه الدنيا كلها؛ الحكومة اللبنانية والسورية وغير ذلك من الفصائل.

خامساً: هل هناك مقارنة أو مقاربة بين النكاية التي حصلت من المنظمات الفلسطينية في غزة والضفة بالنكاية التي حصلت من (حزب الله) في جنوب لبنان؟ فلماذا انسحبت من هنا وتمسكت هناك؟!

وإن كانت إسرائيل ربما تنسحب الآن من غزة -بعد أن أعدت جنداً مخلصين ينوبون عنها في تقليم أظافر الجهاد والمقاومة.

سادساً: هذا الضجيج الإعلامي والطبل والزمر الذي ثار لأجل الرهائن وصفقة الأسرى؛ تمثيلية يراد منها نفخ هؤلاء وإعلاء شأنهم، ونحن هنا نكتوي بنار الحرب الضروس على الحركات السنية المجاهدة، وأما أولئك فشأنهم ما ترى أيها المسلم النبيه.

نحن هنا لا نتحدث عن تحليلات سياسية، لكننا نتحدث عن واقع نراه بميزان الشرع مستصحبين التجربة التاريخية.

وفي الختام: فهذه رسالة مؤكدة على هؤلاء الرافضة؛ أننا لن نسكت على القتل وسلب المساجد، واغتصاب الأعراض وهتك الحُرم، وموالاة الكافر، وبيننا وبينكم سيف الشرع.

ونحن، نحن؛ شجاعة وفروسية وإقداماً.

وأنتم، أنتم؛ جبناً وخوراً وهلعاً.



ووالله الذي رفع السماوات بغير عمد؛ لننحرنّ كل رأس تخرج من جحرها، ولنقطعنّ كل لسان يتطاول على عرض نبينا ويطول على صحبه الكرام، ولنجدعنّ كل أنف تشتم للعدو خبراً، ولنفقأنّ كل عين تتجسس، ولنصلمنّ كل أذن تتحسس، ولنتخطفنكم في الطرقات، ولنمنعنكم لذيذ الرقاد والبيات، ولنملأنّ نهاركم رعباً، ولنجعلنّ ليلكم جحيماً... ونحن لكم بالمرصاد.

وأما أنتِ أمتنا الحبيبة:

فالله الله، فالمؤامرة كبيرة، والخطر داهم، والمحنة ضروس، والويل لنا إن خذل الجهاد في العراق، الويل لنا من الله، والويل لنا من أمريكا التي تحد سيوفها وتتهيأ لتتغول على الأمة كلها وتخنق كل عرق خير ونبض حياة فيها.

لقد أكرمنا الله فوضعنا عصًى في عجلة المؤامرة، والكرة الآن في مرماكِ أيتها الأمة، فهبي ولا تتقاعسي.

ولله الموعد.

ونسأل الله بمنه وفضله أن يثبتنا على الخير والهدى، وأن يجعلنا سلمًا لأوليائه حربًا على أعدائه، وأن يُحيِيَ أمة محمد ﷺ، وأن يرد ضال أمتنا، آمين، آمين.

وصلى الله على النبي الأمين.



صفحات من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية[١]

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠]، أما بعد:

فحديثنا الليلة أيها الإخوة الأكارم -إن شاء الله تعالى- عن نجمٍ سطع وعالم لمع في تاريخ هذه الأمة يمثلُ مدرسة متكاملة وهو من أبرز العلماء في تاريخ هذه الأمة بعد عصر الأئمة الكبار وكان شيخنا عمر الأشقر يقول إني لأرجو على الله أن يحشر ابن تيمية مع الصحابة الكرام -رضي الله عنهم- لما لهُ من حسن بلاءٍ وعظيم جهادٍ في زمن إدبار الإسلام، وصفاء نيته وبصيرته في زمن الغبش واختلاط المشارب وتعكر النبع الذي ارتوى منه الصحابة رضي الله عنهم.

وقبل أن نتحدث عن ابن تيمية -رحمه الله- نحب أن نعرج سريعاً وباختصار واعتصار إن شاء الله على حالة عصره والطوام التي دهيت بها الأمة والمحن التي رميت بها من كل حدبٍ وصوب.

---

[١] للمزيد حول سيرة ابن تيمية راجع: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمع: العمران ومحمد عزيز شمس. والمنثور من سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: البراك.



فصل حالة عصر شيخ الإسلام

كان عصراً يموج بالقلاقل والفتن والمحن والمصائب وكان أول ذلكَ الحروب الصليبية هؤلاء الهمج الرعاع المتوحشون الذين أقبلوا من كل حدبٍ وصوب كالكلاب المسعورة، فهاجموا العالم الإسلامي وقد بدأ ينعس ويخيط الكرى عينيه، واستمرت قرنين من الزمان بدأت في عهد المستظهر بالله –الخليفة العباسي– رقم ثمانية وعشرين وكما قلنا استمرت قرنين من الزمان عاش المسلمون فيها عذاباتٍ وآلامًا ودماءً.

قال جيلان بن فروة –رحمه الله– عن هذه الأمة: (الظالم سيف الله في الأرض يَنتقم بهِ ثم يُنتقم منه، إذا غفت هذه الأمة سلط الله عليها من يؤدبها لترجع إليه)[١].

وكان آخر ذلك فتح أنطاكيا سنة ٦٦٦هـ والذي جاء على يد القائد بيبرس، إنما شاركَ بعد ذلك في آخر حصونِ الصليبيين فتح عكة سنة ٦٩٠ هـ وكان عمر شيخ الإسلام في ذلك الوقت نحو ثلاثين سنة على يد الأشرف خليل وشارك في هذه المعركة وسنذكرُ شيئًا من هذا إن شاء الله تعالى وبهذا انتهى الوجود الصليبي من عالم الإسلام لكن المسلمين لم يكادوا يفرحون بذهاب الصليبيين وانجلائهم حتى دهمتهم من الشرق أعظم المحن التي مرت بتاريخ الإسلام – أعني وقائع التتار.

يقول الإمام السيوطي –رحمه الله– عن خروج التتار: (هو حديث يأكل الأحاديث وخبر يطوي الأخبار وتاريخ ينسي التواريخ ونازلة تصغر كل نازلة وفادحة تطبق الأرض وتملؤها ما بين الطول والعرض)[٢].

وهذا الإمام ابن الأثير –رحمه الله– صاحب الكامل وقد توفي سنة ٦١٧ هـ ولم يشهد سقوط بغداد كان شهد أول خروج التتار من نواحي خراسان ولم يشهد سقوط بغداد ومع ذلك، الذي هو الكارثة الكبرى والفادحة الجلية في تاريخ الإسلام ومع ذلك يقول: (لقد

---

[١] لم أجد مصدر لها.

[٢] الصواب أن هذا قول الموفق بن عبد اللطيف نقله السيوطي. تاريخ الخلفاء (ص٧١١).



بقيتُ عدَّةَ سنين مُعرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارهاً لذكرها، فأنا أُقدِّم إليها رجلاً وأؤخر أُخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعيَ الإسلام والمسلمين، ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسياً منسيّاً)[١].

وكما قلنا وهو بعد لم يدرك الفادحة الكبرى وهي (سقوط بغداد).

يقول الإمام الذهبي: (وبقي السيف في بغداد بضعة وثلاثين يوما، فأقل ما قيل قتل بها ثماني مئة ألف نفس، وأكثر ما قيل بلغوا ألف ألف وثمان مئة ألف، وجرت السيول من الدماء فإنا لله وإنا إليه راجعون)[٢].

وفي هذه المحنة لم ينجُ كما قال ابن كثير من بطش التتر إلا الرافضة الشيعة أسلافُ حزب الله وأهل الذمة. وهؤلاء كما قال ابن كثير -رحمه الله- مع إكرام المسلمين لهم وحمايتهم وحسن العشرة لهم أظهروا مكنون صدورهم كما فعلوا ويفعلون في كل وقتٍ وحين، حملوا الصليب كما يقول ابن كثير فوق الرؤوس وهم ينادون بشعارهم (ظهر الدين الصحيح دين المسيح) ويذمون دين الإسلام وأهله، بل ألزموا المسلمين بالقيام في دكاكينهم للصليب -إذا مر بهم- وأهين القضاة والفقهاء لما جاءوا يشتكون إلى متسلمها النصراني[٣].

يعني أن التتر سلموا ولاية بغداد والقيام على شؤونها لرجلٍ نصراني ثم يقولون هذه حروب الفرنجة ضد العرب بطوائفهم (المسلمين والنصارى) وهذا كذب فإنها حروبٌ صليبية وقد كان النصارى في العالم الإسلامي بل والفرق الضالة المبتدعة كالرافضة والدروز والنصيرية، كانوا عيبة نصحًا وخنجرًا في ظهر الإسلام وشوكة في حلقه، كانوا عيبة نصحاً للصليبيين وللتتر من بعدهم، وفي هؤلاء التتر حصلت شُبهة قامت في أذهان بعض الناس، كيف يُقاتَلون وهم يقولون: (لا إله إلا الله)؟! وبعد أن أسلم أميرهم غازان سنة ٦٩٤ هـ،

---

١ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (ج١٠/ص٣٣٣).

٢ سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٦/ص٣٨٣).

٣ انظر البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٧/ص٣٩٨).



وأفتى بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– فتياه الشهيرة في من بدل شرائع الإسلام وقوّى قلوب المسلمين على قتالهم وحصلت معركة شُقحُب كما سنذكر إن شاء الله تعالى.

وكما قال الإمامُ ابن كثير –رحمه الله– وهو تلميذ ابن تيمية: (فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء –عليه الصلاة والسلام– وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة –يعني التوراة والإنجيل– كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين)[١].

وكانت هذه أول حادثة في تاريخ الإسلام أن يوجد مسلمٌ يقول لا إله إلا الله ثم يكون معقد احتكامه ومرجع قراره وأقضيته إلى غير كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، نعم حصل انحراف في التطبيق لشهوةٍ ورشوةٍ وقرابةٍ، فكانوا يخالفون أحكام الله لكن الحكم كان لكتاب الله وسنة النبي ﷺ.

وكانت هذه أول مرةٍ –كما قلنا– في تاريخ الإسلام أن ينتسب أحدٌ إلى الإسلام وأن يقول: (لا إله إلا الله) وأن ينطق بالشهادتين ثم يحتكم إلى غير الشريعة، فإن التتار هؤلاء كما قلنا أسلموا لكن مكثوا أو لبثوا يتحاكمون إلى الياسق وهو كتاب ألفه لهم أميرهم فيهِ أقضية شتى من القرآن والتوراة والإنجيلِ وغيرها ومن عادة التتار وجعل ذلك قانوناً ودستوراً يحتكمون إليه ويرجعون، فوقعت شبهة لبعض العلماء فانتدب لها شيخ الإسلام –رحمه الله تعالى–، وكذلك كما قلنا أُبتُلِيَ المسلمون في تلك الفترة بظهور وقوة وانتشار الفرق الباطنية كالرافضة والدروز والنصيرية الذين يسمون العلوية الذين يحكمون سوريا في هذه الأيام، وهؤلاء كانوا مع كل عدوٍ للإسلام كما قال شيخ الإسلام، وهذا الإمام أبو بكر النابلسي –رحمه الله– أحد أئمة الحديث الكِبار كانت في تلك الفترة قامت دولة الفاطميين العبيديين الذين ينتسبون زورًا إلى فاطمة –رضي الله عنها– في تونس ثم انتقلت إلى مصر وبنى المعز

---

[١] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٧/ص١٦٢-١٦٣).



مدينة القاهرة وهؤلاء كانوا زنادقة كما قال أئمتنا يظهرون الرفض -يعني التشيع- ويبطنون الكفر المحض.

فهذا الإمام أخذوه وأسروه في إحدى المعارك، فقال لهُ سلطانهم: (سمعنا أنك تفتي بأن من كان معهُ عشرة سهام فعليه أن يرمي تسعة فينا وواحدًا في الروم) يعني يرمي في الروم سهماً وفي هذه الدولة العبيدية الفاطمية يرمي تسعة أسهم، قال: (لا، إني لم أقل ذلك ولكن أقولُ: من كان معهُ عشرة أسهم يجب أن يرمي فيكم تسعة ويرمي فيكم العاشرة أيضًا، لأنكم غيرتم الملة وأردتم إطفاء نور الإلهية)[1]. فقتل رحمه الله، سُلِخَ وهو يقرأ القرآن، أمر يهودي فسلخهُ وكان يقرأ القرآن إلى أن سلخت جلدة رأسهِ رحمه الله وهو يقرأ كتاب الله تعالى.

وكان الإمام الدارقطني إذا ذكرهُ يبكي ويقول:(كان أحد الأئمة الربانيين)[2] -رحمهم الله جميعًا-. وهؤلاء هم الذين تعاونوا مع الصليبيين وتواطؤوا وتمالؤوا معهم، وبسببهم وخذلانهم وكيدهم ومكرهم سقط بيت المقدس في أيدي الصليبيين ولذلك حرص نور الدين الزنكي -رحمه الله- لما بدأ حركة الجهاد، على إبطال وإزالة هذه الدولة بين يدي قتالهِ للصليبيين ثم شاء الله تعالى أن يكون ذلك على يد صلاح الدين -رحمهم الله جميعًا-.

وانتشر الباطنة الحشاشون، وهؤلاء الحديث عنهم يطول وكذلك كما قلنا الدروز والنصيرية وهؤلاء ذهب إليهم شيخ الإسلام بعد معركة شقحب، أخذ ذهبهُ ونائب السلطان مع كتائب من الجيش، فذهبوا إليهم في جبالهم وكسّروهم واستتابوهم وألزموهم بشرائع الإسلام، وكما قال ابن كثير -رحمه الله-: (فنصرهُم الله عليهم، وأبادوا خلقًا كثيراً منهم ومن فرقتهم الضالة، وقد حصل بسبب شهود الشيخ هذه الغزوة خير كثير، وأبان الشيخ علماً وشجاعة [منقطعة النظير])[3].

---

[1] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج١٢/ص٢٢٠).

[2] لم أجد هذا الرواية عند أحد، والذي نقله الذهبي في السير: (سمعت الدارقطني يذكره ويبكي ويقول: كان يقول وهو يسلخ: {كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الإسراء: ٥٨]) المرجع السابق.

[3] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٨/ص٥٠).



وهؤلاء النصيرية (العلوية) الذين يحكمون سورية، يقول ابن كثير –رحمه الله– عن بعض شناعاتهم وكفرياتهم، يقول: (في سنة ٧١٧ هـ، خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سمّوه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله فخرج يكفر المسلمين وأن النصيرية على الحق، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال، وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها –من المسلمين–، وخرجوا منها يقولون: لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد ﷺ، ولا باب إلا سلمان، وسبوا الشيخين –أبا بكر وعمر رضي الله عنهما– وصاح أهل البلد: وإسلاماه، واسلطاناه، وأميراه، فلم يكن لهم يومئذ ناصرٌ ولا منجدٌ، [ثم بعد ذلك] جردت لهم العساكر فهزموهم، وقتلوا منهم خلقا كثيرا وجمعا غفيرا، وقتل المهدي)[١].

فصل مولد شيخ الإسلام

كما قلنا كانت الأمة تعيش عصر قلاقل ومحن، من كل حدبٍ وصوب وفي مثل هذه الأجواء المبلدة وفي هذا الليل المُكْفَهِرّ ولد شيخ الإسلام –رحمه الله– في سنة ٦٦١ هـ يوم الاثنين في مدينة حران في الشام وقيل يوم الاثنين في العاشر أو ثاني عشر من ربيع الأول كما قلنا من سنة ٦٦١ هـ، ثم انتقل بعد ذلك مع أهلِهِ إلى دمشق سنة ٦٦٧ هـ، وقد ولد –رحمه الله– في بيت علمٍ، فجدهُ اسمهُ أحمد بن عبد الحليم بنُ عبد السلام بن تيمية –رحمه الله تعالى– فجدهُ كان يُلّقب أو يُكّنى بأبي البركات وكان أحد الأئمة الكِبار، حتى قال الإمامُ ابن مالك صاحب الألفية في النحو، قال: (ألين للشيخ مجد الدين –جد شيخ الإسلام ابن تيمية– الفقه كما ألين لداود–عليه الصلاة والسلام– الحديد)[٢].

وكان –رحمهُ الله– من حرصهِ على وقتهِ وزمانه، إذا دخل الخلاء لقضاء الحاجة، يأمر أحد أولادهِ أن يقرأ من كِتابٍ ويرفعَ صوتهُ حتى لا يضيع شيئا من وقتهِ في غيرِ طلب العلم والانتفاع –رحمه الله– ولقيهُ أحد العلماء مرةً فسألهُ عن مسألةٍ، فقال لهُ الجواب عنها من

---

١ البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٨/ص١٦٩)، ذكره أبو أنس مختصرًا.

٢ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، الذهبي، (ص٣٥٢).

٦٦ وجهًا، ثم الوجه الأول كذا، والوجه الثاني كذا، حتى سردها كلها، ثم قال له رضينا منك أن تعيدها –يعني لا نريد منك أن تجيب عن هذه الأوجه فقط أعد هذه الأوجه التي قلتها– رحمهُ الله.

وكذلك كان أبوهُ أحد الأئمة الكبار من علماء الحنابلة.

فصل علم شيخ الإسلام

وشيخ الإسلام –رحمه الله– أفتى وعمرهُ ١٩ عامًا وكان مشهورًا بقوة حافظتهِ، حتى وهو صغير، جاء أحد علماء الشام إلى دمشق فسأل عن هذا الغلام الذي يتحدث الناس بأخباره ومر بالسوق وسأل أحد الباعة، قال انتظر يخرج ها هنا يأتي الآن من ها هنا في طريقه إلى درسه وماهي إلا لحظات حتى جاء شيخ الإسلام –رحمه الله– وهو طفلٌ صغير ومعهُ سبورة ربما بهذا الحجم أو أكبر يحملها ماضٍ بها إلى درسه فناداهُ الشيخ قال لهُ: (يا غلام أُكتب) فأملى عليهِ بضعة عشر حديثًا ثم قال لهُ: (امحها)، فمحاها، فقال لهُ: (أعدها)، فأعادها لم يخرم منها حرفا، ثم قال لهُ: (اكتب) فأملى عليهِ بضعة عشر إسناداً؛ المتن قال رسول الله ﷺ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ"[١] الإسناد رواية الرجال الذين رووا الحديث حدثنا فلان قال أخبرنا فلان إلى الصحابي ثم إلى النبي ﷺ، فأملى عليهِ بضعة عشر إسناداً؛ ثم قال لهُ: (امحها) فمحاها، قال: (أعدها) فأعادها لم يخرم منها حرفا، فقال: (إن عاش هذا الصبي ليكونن لهُ شأن)، وهكذا كان رحمهُ الله.

وكان أيضًا في صغرهِ يمر بيهودي فكان هذا اليهودي قد تفرس فيهِ النجابة، فكان يعترضهُ فيسألهُ عن بعض المسائل في الكتب المقدسة، وماهي إلا فترةٌ يسيرة حتى أسلم هذا اليهودي على يد هذا الغلام الصغير –رحمه الله– والحديث عن علم شيخ الإسلام –رحمه الله– حديث طويل وليس مجالهُ هذا ولكننا نريد أن نتحدث عن بعض خِصالِ وصفات شيخ الإسلام التي تميز بها وفاق بها سائر أهل عصرهِ بل ومن جاء بعدهم –رحمهُ الله–.

---

[١] متفق عليه.



فصل خِصَال تميَّز بها شيخ الإسلام

الخصلة الأولى: أنهُ كان –رحمهُ الله– أمّارًا بالمعروف نهاءً عن المنكر، وفي تلك الفترة وخاصةً بعد بناء المدارس انزوى كثيرٌ من العلماء في مدارسهم على التدريس والعلم وانشغلوا عن الواقع وعن المجتمع وعن الخلطة بالناس وتعليمهم وإرشادهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما كان كذلك شيخ الإسلام رحمه الله.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حصل سنة ٦٩٣ هـ في قصة عساف النصراني؛ هذا الخبيث سب رسول الله ﷺ واحتمى ببعض أركان الدولة أو المتنفذين في الدولة فحموهُ من إقامة القصاص عليهِ. وجمهور العلماء مجمعون على أن من انتقص نبينا ﷺ أو سبهُ فإنهُ أولاً مرتد ويقتل ولو تابَ توبةً نصوحةً وتوبتهُ تنفعهُ عِند الله لكن عندنا يجب أن يقتل قِصاصًا لنبينا وعرض نبينا ﷺ؛ فسب النبي ﷺ واحتمى كما قلنا ببعض المتنفذين فحموه، وغضب عند ذلك شيخ الإسلام وكان معهُ أحد علماء الشافعية اسمهُ الفارقي فحرّضوا الناسَ وخطبوا فيهم وقادوهم فأخذوا هذا النصراني وقتلوهُ وسُجن بعد ذلك شيخ الإسلام وكَتبَ عند ذلك كتاب (الصارم المسلول على شاتم الرسول) وهو كِتابٌ رائعٌ ماتع بل ودسم، لا يقوى للأسف كثيرٌ منا في هذه الأيام معاشر طلبة العلم على قراءته.

وألفهُ رحمهُ الله وعمرهُ نحو ٣٢ سنة، وهو مطبوعٌ محققٌ في ثلاث مجلدات؛ وكذلك موقفهُ مع الصوفية الرفاعية الذين كانوا يسمونَ الأحمدية البطائحية ففي سنة ٧٠٥هـ ناظرهم بين يدي الأمير وأقام عليهم الحجّة وكان هؤلاءِ يمخرقون على الناس ويرهبونهم بالدخول في النار فلا تحرقهم، فعزم شيخ الإسلام –رحمه الله– على أن يدخل معهم النار وقال لهم بشرط؛ أن يغسلوا أجسادهم بالخل والماء الحار.

وقال لهم: (ندخل أنا وإياكم بشرط أن تغتسلوا وستحرق النار الكاذب منا)[1]، وعند ذلك لما رأوا صدقهُ وكمال توكله، ومعرفته بحيلهم؛ أحجموا ومع ذلك قال لهم: (فلو دخلتم

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج١١/ص٤٤٥).



النار أو طرتم في الهواء وفعلتم ما فعلتم لا يكون هذا دليلاً على صحة ما تدعون من مخالفة الشرع)[١].

وكما يقول ابن كثير: (وبعدما غلبوا وبهتوا أقروا بأن يلتزموا التزاما تاما بالكتاب والسنة ومن خرج عنهما ضربت عنقه)[٢]. وقد فعل هذا شيخ الإسلام -رحمه الله- لما صار لهم من سطوة على الناس فصار الناس يرهبونهم ويخافونهم ويظنونهم من الأولياء الذين لا ينبغي أن يُداس ذيلهم أو يخالف أمرهم أو يُغضبوا لأن يغضب الله لهم -بزعمهم- فكان لهم في القلوب موقعٌ هائلٌ وللناس فيهم اعتقاد لا يزول بقول قائل.

وكذلك في سنة ٧٠٤ هـ استتاب إبراهيم القطان أحد المشعوذين وحلَق رأسهُ وقلّم أظفارهُ وكانت طويلةً جداً واستتابهُ من الكلام الفاحش وأكل ما يغير العقول من الحشيش ونحوهِ، وكذلك استحضر محمد الخباز البلاسي واستتابه من أكل المحرمات ومخالطة أهل الذمة. وفي الإسكندرية توّب رئيسًا من رؤساء الصوفية وأنكر على القلندرية.

وفي سنة ٧٢٦ هـ قُتِلَ ناصر بن الشرف الهيتي لكفرهِ واستهتاره بآيات الله وشهد قتلهُ ابن كثير وقبل القتل جاء ابن تيمية وقرّعهُ على ما كان يصدر منهُ. وفي إحدى المرات عزّر شيخًا يدعي أنهُ المهدي.

وفي سنة ٦٩٩ هـ قام مع أصحابهِ على الخمارات والحانات في دمشق فكسروا آنية الخمور وأراقوها وعزروا جماعةً من أهل الحانات ففرح الناس بذلك.

كما كان يخرج هو وتلامذتهُ ويكسرون الأحجار ويقلعون الأشجار التي كانت تعظّم وتُعبد من دون الله وهذا للأسف بلاء ما زالت الأمة تعيش رواسبهُ في كثيرٍ من العالم

---

١ مجموع الفتاوى، (ج١١/ص٤٤٦).

٢ هذا ليس نص ابن كثير في الحادثة بل عبد الرحمن الحمود في موقف ابن تيمية من الأشاعرة. نص ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى، (ج١١/ص٤٦٨): (فقال الأمير فأي شيء الذي يلزمهم من الكتاب والسنة؟ فقلت: حكم الكتاب والسنة كثير لا يمكن ذكره في هذا المجلس لكن المقصود أن يلتزموا هذا التزاما عاما ومن خرج عنه ضربت عنقه). ونص ابن كثير في البداية والنهاية (١٨/ص٥٢): (كثر الإنكار عليهم من كل أحد، ثم اتفق الحال على أنهم يخلعون الأطواق الحديد من رقابهم، وأن من خرج على الكتاب والسنة ضربت عنقه).



الإسلامي؛ فإذا احتاج واحدٌ منهم إلى شيء يذهب إلى قبر فلان أو إلى شجرةٍ أو صخرة فيذبح لها ويهدي لها وما أشبهه هذا ويطلب منها من دون الله سبحانهُ وتعالى.

ولما تسامع الناس بمجيء التتر إلى دمشق وبدأ الناسُ بالفِرار وهَربَ الأمراءُ والقُواد والعلماءُ والقضاة والفقهاء، وخلت البلد على عروشها وصارت الحِمارة -أكرمكم الله- إلى مصر بخمسِ مئة دينارٍ ذهباً، أفتى شيخ الإسلام -رحمه الله- بأن الخروج حَرام ولا يحل وقال: (لو بذل هذا المال الذي بذل في الهرب في تجيش الجيوش وتهيئتها لكفى بالنصر بإذن الله تعالى)[١]، وكان يدور على أسوار مدينة دمشق في الليل يعظ الناس ويذكرهم ويقرأ عليهم آيات الجِهاد ويثبت قلوبهم حتى ثبت الناس وسكن جأشهم وهدئوا وقروا، وكان قائد القلعة قد همّ أن يسلمها فكتب إليه شيخ الإسلام لا تسلمها ولو لم يبق منها إلا حجر، ووعدهُ وأوعدهُ حتى ثبت الله بكلامهِ قلبه فلم يسلمها للتتر.

وكان ذلك من أسباب ثبات دمشق في وجه التتر ثم ركب -رحمه الله- على البريد سبعة أيام بغير انقطاع وكان يمسح الأيام السبعة على جواربهِ مرة واحدة من غير أن يخلع وهذا اجتهادهُ -رحمه الله- في مثل هذه النوازل حتى ذهب إلى مصر وكلم السلطان والقُواد وأفتاهم بوجوب الخروج لنصرةِ دمشق وأهل الشام وقتال التتر ولما رأى إحجاماً منهم أو تلكؤا قال للسلطان إنك إن لم تفعل خلعنا ولايتك ونقضنا بيعتك وأقمنا للشام سلطاناً يحرسهُ ويدفع عنه في الملمات ويأخذُ خيره وينتفع بفضلهِ في الرخاء، أما أن تأخذ منا الضرائب وتفعل بنا وتفعل ثم تُسلِمُونا للأعداء فهذا لا يكون أبدًا، فما زال فيهم حتى قوى الله بكلامهِ قلوبهم فجهزوا جيشًا وخرجوا إلى الشام وكانت عند ذلك معركة شقحب سنة ٧٠٢ هـ وفيها انكسر التتار وانتصر المسلمون بحمد الله تعالى وكانت هذه بداية النهاية للوجود التتري أو الخطر التتري في العالم الإسلامي.

---

[١] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٧/ص٧٣٦).



وكـان -رَحِمَهُ الله- قـد أفـتى النّـاس في هـذه الواقعـة بالإفطـار، وكـان معـهُ كِسـرة خُـبز، ويطـوف على العسـكري فيأكـل أمـامهم ويحثّهم على ذلـك؛ ليَقـووا على قِتـال أعـدائهم. وسأله أهل مِصرَ أن يُقاتِل معهم فقال: (لا، السُّنّة أن يقف الرّجل تحت راية قومِهِ)[١]. وقـال لِنـائب السّـلطنةِ لما أقبـل التّـتر وبـدأت المعركـة: (خـذني إلى موقـف الـمَوت)[٢]، فأخـذه إلى مكـان، وقـد أقبَـل وسَـيل التـتر منهمـرٌ كأنّـه الجراد، قـال: هـذا مقـام الموت. فرَفـع رأسـه إلى السّماء وحرّك شفتيه، ثُمّ ركض فرسه، وخاض في غِمارِهم -رَحِمَهُ الله- يُقاتل في سبيل الله.

وكذلك كـان جِهادهُ للنّصارى، كما قُلنا شارَكَ في فتح أنطاكيَا سنة ٦٩٠[٣]، وقُلنا هي آخر معاقل النّصارى في بِلاد الإسلام. قال الإمام البزّار -رَحِمَهُ الله-: (وحدّثوا أنّهم رأوا مِنه في فتْح عكّة أموراً مِن الشّجاعةِ يَعجز الواصـف عن وصفِها. قـالوا: ولقـد كـان في سـبب تملّك المسلمين إيّاها بفعلهِ ومشورتهِ وحسن نظرِهِ -رَحِمَهُ الله-)[٤].

وقد سُجِنَ -رَحِمَهُ الله- مِراراً لِجرأتهِ، وقولهِ للحق، وثباتهِ على الحق. وكـان في السّـجن، فلمّا دخل؛ وجدَ المساجين مشغولين: مُضيّعين لِلصّلاة، مشغولين بِلعب الشّطرنج، والنّرد. فأقبَـلَ عليهم فـأمرهُم، ونهاهُم، ووعظهُم، وجعـل يُعلّمهم حتّى صـار طلب العلم في السّـجن أحسن بِكثير مِن المدارس الشرعيّة خارج السجن.

حتّى كـان كثـيرٌ من طلبـة العلم يختَـارون السّـجن ليتعلّمـوا عِنـدهُ -رَحِمَهُ الله تعـالى-. وقصَصـهُ في الأمـر بالمعروف والنّهي عن الـمُنكر لا يُحصيها إلّا الله. وهـذا مـيراث أنبيـاء الله عليهم الصّلاة والسّلام، وهذهِ مُهمّة الرّسل -عليهم الصّلاة والسّلام- وهيَ من بعد مهمّةُ ورثَتِهم. وقد بلغ في ذلك -رَحِمَهُ الله- الغاية القُصوى.

---

١ البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٨/ص٢٧).

٢ العقود الدرية، ابن عبد الهادي، (ص٢٢٨).

٣ ملاحظة الشيخ قال سنة ٦٩٠ والصواب هو ٦٦٦ كما حكى ذلك ابن كثير في البداية والنهاية والشيخ ذكر تاريخ فتح عكة وهو ٦٩٠ بالخطأ مكان تاريخ فتح أنطاكية.

٤ الأعلام العلية، أبو حفص البزار، (ص٧٨١).



والأمر الثاني الذي تميّز به شيخ الإسلام -رحمهُ الله-: الثّقة الـمُطلقة، والتّوكل التام، وقوة القلب، والثّقة بِهذا الدّين، وبِنصر الله -سُبحانه وتعالى-.

في معركة شُقْحُبْ، كان يقول لِلجيش: واللهِ إنّكم لَمنصورون. فيقولون: قُل إن شاء الله. فَيقول: إن شاء الله، تحقيقاً لا تعليقا. وكان يقول لهم: واللهِ إنّه لمكتوبٌ في اللوح المحفوظ أنّكم منتصِرون. وكان كذلِك، وليس هذا مِنه -رَحِمَهُ الله- عِلماً لِلغيب، ولا قراءةً لِما في اللوح المحفوظ؛ لكِنّها الثّقة بِوعد الله، ونصره، وحسن الفقه لسنن اللهِ، وسُنّتهِ في هذا الكون، وفي هذه الأُمّة -سُبحانه وتعالى-.

ومِمَا يُشبِهُ هذا أيضاً: أنّه في مِصر، سنة ٧٠٨ هـ سُجِنَ، وكان السّلطان اسمه: قَلاون. جاء إلى الكرك هنا فانقلب عليه السّلطان سُمي: الجاشنكير بيبرس. وكان هذا الجاشنكير بيبرس مُعظِّماً لابن عربي الصّوفي. فلمّا تكلّم شيخ الإسلام -رحمه الله- عن ابن عربي وكَفّره، وأظهر كُفره وزندقته. غضب هذا السّلطان، ووزّه بعض الصّوفيّة، فَسَجن شيخ الإسلام -رحمه الله- في مصر، في القاهرة؛ ثُمّ بعد ذلك عزمَ على نقله إلى الإسكندرية، والسبب في هذا: أنّ الإسكندرية في تلك الفترة كانت تموج بالصّابِئة، والفلاسِفة، والفِرَقِ الضّالة. فَطمعوا أن إذا ذهب إلى هُناك أن يَقتُلَهُ بعض هؤلاء، فيرْتاحوا مِنه. فلمّا جاء الأمر بإخراجه -رَحِمَهُ الله- قال عن دولة الجاشنكير بيبرس زالت أيّامه، وانتَهت رياستُه، وقرُبَ انقضاء أجله.

ويقول خادِمه: (لما كان بعد العصر -وجاء الأمر بإخراجِه-، وقفت أبكي، فقال لي: لا تبك، ما بقِيَت هذه المِحنة تُبطئ)[١]. ولـمّا ركِبَ على باب الحبس، قال له رجلٌ: يا سيّدي، هذا مقام الصّبر. فقال: بل هذا مقام الحمد والشّكر، واللهِ إنّه نازِل على قلبي مِنَ الفرحِ والسّرور شيء لو قُسِم على أهل الشّام ومِصر لَفضل عنهُم، ولو أنّ معي في هذا الموضع ذهباً وأنفقته، ما أدّيت عُشر هذه النّعمة التي أنا فيها.

---

[١] الجامع لسيرة ابن تيمية، (ص١٦٢).

وقال لِخادِمه: (يا إبراهيم، انزل إلى الشّام، وقُل لِأصحابِنا: وحقّ القرآن، وحقّ القرآن، وحقّ القرآن، ما بَقِيَت هذه المِحنة تُبطئ، وستنفَرِج قريباً فوق ما في النّفوس، ويَقلب الله مملكة بيبرس أسفَلَها أعلاها، ولَيجعلنّ الله أعزّ من فيها، أذلّ من فيها)[٢]. وهذا الذي حصل. والبيبرس هذا، ليس هو بيبرس المَشهور صاحب القطز، هذا كان بعد ذلك الجاشنكير بيبرس. وكان صوفيّا مُنحرِفا وهذا الذي حصل، فما هي إلّا عشرة أشهر حتّى قُتِل هذا السّلطان، ورجع سُلطان قَلاون، وكان مُعظِّماً لشيخ الإسلام، محِبا له. فأخرَجَهُ من السّجنِ، وجاءَ به وأكرَمه مرّةً أُخرى.

والأمر الثّالث الذي تميّز به شيخ الإسلام –رَحِمَهُ الله– ومِمَا يتعلّق بِهذا: الثّقة، كما قُلنا بِدين الله، وبِمنهَجه، وبالحقّ الذي أنزلهُ الله على مُحمّد ﷺ. للأسف هذه خصلةٌ أو ظاهرةٌ قديمة، يوم ترجم المسلمون فلسفة اليونان والإغريق، وسعى بعض النّاس ممن تأثّر بها وانبهر بها، إلى توطينها داخل منظومة الثّقافة الإسلاميّة، باسم أسماء إسلاميّة. وصاروا يُقدّمونها على كِتاب الله وسُنّة النّبي ﷺ ويجعلُونها أصلًا، يرجعون إليه أو يُردُّ إليه كِتاب الله وسُنّة نبيّه ﷺ.

ومَن قرأ كلام شيخ الإسلام، يجد في كلامه طعما لا يكاد يجده عند غيره؛ طعم العزة، والثّقة المُطلقة والتّامّة بِكتاب الله وسُنّة النّبي ﷺ. وأنّ شمس الرّسالة التي أشرقت على يد نبيّنا ﷺ على هذه الدّنيا، هي: أكمل وأفضل وأتم شمساً، وأكمل رِسالة. لا يحتاج المُسلمون معَها إلى شيء غيرها أبداً. كما قُلت: طعم العزّة هذا، يكاد يُفقد في كثير من العلماء المتأخرين لكن الإنسان يجده واضحًا حاضراً في كلام شيخ الإسلام بشكل عجيب.

الأمر الرابع وهو: موقفه من المُخالفين. الذي يُريد أن يَعيش لِأُمَّة، ويَعيش لدين، ويَعيش لِعقيدة، ويَعيش لِمنهج، ويَعيش لله –سُبحانه وتعالى–؛ لا يجد وقتاً لِلمُناوشات

---

[٢] المرجع السابق، (ص١٦٣).

الكَلاميّة، والسّخط، والجدَل، والمِراء، والقيل والقال، والدّفاع عن النّفس، والخَوض، والتّحرّش بِالمُسلمين، ومُصارَعَتِهم، ومُقَارَعَتِهم، لا يجد وقتاً لِمثل هذا لِأن نفسه قد زادت واضمحلّت، فهو إنّما يعيش لربّه -سبحانهُ وتعالى- ولدينه، ولقرآنه، ولأُمته. وهذا الذي يعيش كبيراً ويموت كبيراً بإذن الله تعالى. وهكذا كان شيخ الإسلام -رحمه الله-.

لـمّا رجع السّلطان قَلاون، وأخرَجَ شيخ الإسلام -رَحِمَهُ الله- أراه فتاوى بعض العُلَماء مِن خُصومِه، مِمَن حسدوه، ونقموا عليه مُخالَفته إيّاهم في بعض المسائل العَقدِيّة. كانوا قد أفتوا وكتبوا بِذلك خُطوطهم لِلسّلطان قَبله، بِقتل شيخ الإسلام. فأراه السّلطان قَلاون ذلك، وقال: (لا بُد من قتْلِهم). فرفض شيخ الإسلام -رَحِمَهُ الله- وقال: (لا والله لا تقتلهم، فإنك إن فعلت ذلك؛ لا تجد مثلهم!) قال: (إنهم أرادوا قتلك؟!) قال: (مَن أذاني فَهو في حِل، ومَن أذى الله ورسوله ﷺ فالله يَنتقِم مِنه، وأنا لا أنتَصر لِنفسي)[1]، ودافع عنهُم حتّى أبطل رأي السّلطان في قتلِهم.

حتّى قال ابن مخلوف -رحمه الله-: (رَحِمَ الله شيخ الإسلام، جهدنا أن نقتُله فَلَم نَقدر، فلمّا قَدِر علينا عفا عنّا، بل ودافع عنّا)[2]، حتّى رفع السّيف عن رُؤوسهِم فَلَم يُقتَلوا. ومِن القَصَصِ في هذا أيضاً، ما ذكرهُ ابن عبد الهادي في العُقود الدُّريّة، قال: في رابع شهر رَجَب مِن سنة ٧١١ هـ، لأنه تكلم عن ابن عربي والصوفية فجاء هؤلاء فضربوه -رحمه الله- فبلغ الخبر تلامذة الشيخ ومحبيه فتوافدوا وتتابع الناس لما بلغهم الخبر رجالاً وفرساناً، وقالوا له: (يا شيخ هؤلاء قد جاءوا لو أمرتهم أن يهدموا مصرَ على أهلها لفعلوا)، قال: (إما أن يكون الحق لي، أو لله أو لكم، فإن كان الحق لكم ولا تريدون أن تستفتوني فافعلوا ما شئتم أنا لا علاقة لي، وإن كان الحق لي فهم في حل منه وقد عفوت عنهم. وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه كما يشاء ومتى يشاء سبحانه). قالوا: (فهذا الذي فعلوه معك هل هو حلالٌ لهم؟)، قال لهم: (ما يدريكم؟ لعلهم يكونون مأجورين)، قالوا: (سبحان الله

[1] الجامع لسيرة شيخ الإسلام، (ص٥٤٤).
[2] المرجع السابق.



يضربونك ومأجورون!) قال: (نعم، لأن مقصودهم أن ينصروا دين الله، هؤلاء ناس يظنون أنهم على الحق وأنهم ينتصرون لدين الله وأنهم يدافعون عن دين الله سبحانه وتعالى، وقد يراهم مجتهدين مخطئين والله يغفر لهم وقد عفوت عنهم)[١]. فما زال بهم حتى هدأهم وسكنهم وفرّق جمعهم بعد ذلكَ -رحمه الله تعالى-.

وهذه قضية مهمة، أحياناً للأسف يكون من حول الداعية أو العالم أو الشيخ هم السبب في إثارة الفتنة: (يا شيخ فلان يقول عنك كذا -لا بد أن تنتقم- لا بد أن نرد عليه، لا بد لا بد) فيهيجونه لينتقم لنفسه وينتصر فيسكبون الزيت على النار وتشتعل الفتن بين المسلمين. وما هكذا ينبغي أن نكون نحنُ معاشر المسلمين، بل ينبغي أن لا ننقل الكلام وأن نذكر أئمتنا وعلماءنا والدعاة إلى الله أن لا ينشغلوا بالدفاع عن أنفسهم وبالشحناء مع المسلمين وأن يكون همهم إعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى وليس الانتصار لأنفسهم.

والأمر الخامس: وذكرناهُ من قبل لكن (الإيمان العجيب) الذي تحلى بهِ شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- ولهُ في ذلك كلام يدلُ على أنهُ قد بلغ الغاية القصوى في الإيمان وذاق حلاوته -رحمه الله- كان يقول: (المحبوس من حبس قلبه عن الله -ليس المحبوس الذي أودع سجناً ضيقاً ولكن المحبوس من حبس قلبهُ عن الله- والمأسور من أسرهُ هواه)[٢] من أسرهُ هواه فتحكم فيهِ وقادهُ إلى الردى وإلى المعاصي وإلى عصيان مولاه سبحانه وتعالى.

يقول الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (وسمعته يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟)[٣]، (وحضرتهُ مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغدَّ سقطت قوتي سائر يومي)[٤].

---

[١] العقود الدرية، ابن عبد الهادي، (ص٣٥٠-٣٥٢).

[٢] نقله ابن القيم في الوابل الصيب، (ص١٠٩).

[٣] الوابل الصيب، (ص٩٦).

[٤] المرجع السابق.



نعم، إن الإنسان وقد رتبهُ الله من طينٍ ومن روح يحتاج إلى غذاء لجسدهِ الطيني ولقلبهِ الروحي.

وكما أن الإنسان لا يقوى على الحركة والذهاب والإياب إذا امتنع عن الطعام وتغذية الجسد بالأطعمة كذلك فإن قوة العالم والداعية تنهار وتسقط وتضعف وينكص على عقبهِ وينتكسُ إذا أغفل تغذية قلبهِ بذكر الله سبحانهُ وتعالى، هذا القلب لا بد لهُ من غذاء مستمر ليقوى على الصمود والصبر في ساحة المعركة وخاصةً إذا كان الإنسان قد انتدب لأمرٍ جلل وعاش حياتهُ مجاهداً في كل جبهة بسيفهِ ولسانهِ وقلمهِ في كل جبهة وفي كل مكان وفي كل حين، مثل هذا إن لم يكن وثيق الصلة بالله، عظيم الاستمداد من الله ما أسرع أن ينتهيَ زادهُ وتقف بهِ مركبته فيقف ولا يتحرك.

وهذا الأمر ما أحوجنا إليه وقد جمدت منا العيون وقست منا القلوب ولم يعد لكلامنا حلاوة ولا نداوة ولا رقة ولا أثرٌ والله المستعان.

يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله– عن أثر الذكر وأنه يجعل الإنسان يعيش سعادة وحلاوة عيشٍ لا يجدُ غيرهُ لها نظيراً في متع الحياة الحسية، يقول: (وعلم الله ما رأيت أطيب عيشاً ولا أنضر وجهاً ولا أحسن حياةً من شيخ الإسلام وهو في السجن مع ما كان فيهِ من الشدة والضيق وضد الرفاهة والعنت والخوف وكنا إذا ساءت بنا الظنون وأظلمت في وجوهنا الدنيا نذهب إليهِ في السجن فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامهُ حتى يذهب ما بنا وينقلب قلقنا إلى رضا وطمأنينة، وخوفنا إلى سكينة وسرورٍ وفرحٍ بالله سبحانه وتعالى)[1].

ومثل هؤلاء قليل في هذا الزمان وقد كنا نعدهم قليلاً وقد صاروا أقل من القليلِ والله المستعان.

فصل وفاة شيخ الإسلام

---

[1] المرجع السابق، (ص١٠٩–١١٠).



في آخر عمرهِ –رحمه الله– لما سُجن ببعض الفتاوى التي أغضبت بعض الأمراء أقبل على كتاب الله سبحانه وتعالى يقرؤه حتى ختمه بضعاً وثمانين مرة وانتهى إلى قولهِ تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} [القمر:٥٤-٥٥]. فمات –رحمه الله– وخرج أهل دمشق كلهم في جنازتهِ وكانت جنازة قلَّ نظيرها في تاريخ الإسلام بعد جنازة الإمام أحمد –رحمه الله ورضي عنهم جميعاً وأرضاهم– وكان ذلك سنة ٧٢٨ هـ وكان عمره ٦٧ عامًا رحمه الله.

فصل أسباب الحرب على شيخ الإسلام

في سنة ١٩٨٣ للميلاد قبل نحو عشرين سنة عملت الـ CIA الأمريكية – سندخل في السياسة الآن – عملت في سنة واحدة ١٢٠ ندوة لدراسة الصحوة الإسلامية وهذا الخبر قطعي وقد حدثني بعض الإخوة الكبار من طلبة العلم –ثقات ومن المتابعين والمهتمين– قال لي: (إن خلاصة هذه التقارير وعصارتها أن مداد الصحوة الإسلامية وغذاءها هو كلام شيخ الإسلام رحمه الله وتلميذهِ ابن القيم). ولذلك لا بد أن يُكسر هذا الرجل ولا بد أن يُحارب ولا بد أن يشوّه ولا بد أن يُطعن فيهِ حتى يحال بين الأمة وبين الانتفاع به.

وحقيقةً، شيخ الإسلام –رحمه الله– إنما يكرهه هؤلاء لأمورٍ أربعة:

الأمر الأول: أن شيخ الإسلام –رحمه الله– من أكثر من حرر في العصور المتأخرة حرر العقل المسلم من سجن الخرافة التي ضربت بجرانها على العالم الإسلامي عن طريق الصوفية والرافضة وصار المسلم مشعوذاً بهلولاً لا يأخذ بشيء من أسباب الدنيا ويركن إلى الدعة والراحة ولا يحسن أن يتعاطى مع سنن الله الكونية ولا يأخذ ويأنف أن يأخذ بالأسباب وهذه لها مسببات كثيرة منها سهم الأشاعرة، الذين انتشر مذهبهم في ذلك الوقت لمسألة القدر، فجاء شيخ الإسلام –رحمه الله– وحرر العقل المسلم وأيقظهُ من سباتهِ وجعل موردهُ ومنبعهُ فقط كتاب الله وسنة النبي ﷺ وعلمهُ كيف يتعاطى مع الأسباب وكيف يبني الدنيا



ويهيئ آخرته برضى الله سبحانه وتعالى، وهذا الأمر لا يدرك الإنسان أو لا يستطيع أن يعرفَ عظيم الأثر الذي أحدثهُ شيخ الإسلام إلا عندما يقرأ شيئاً من حالة المسلمينَ من الخرافة التي انتشرت في تلك الفترة وبعد ذلك أيضًا في القرون المتأخرة وخاصةً في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، عندما تقرأ حالة المسلمين تقول سبحان الله هذه أمة التوحيد؟ هذه أمة الإسلام؟ هذه أمة القرآن؟ هذه أمة محمد ﷺ؟ عجيب!

حتى صدق في الأمة تلك الفترة مقولة لوثر ستودارد وهذا مؤرّخ أمريكي صاحب كِتاب (حاضر العالم الإسلامي) الذي حشّى[1] عليه شكيب أرسلان –رحمه الله– يقول عن القرنين المؤخرين: (بدلت الشريعة غير الشريعة وانتشرت الخرافة وكثر المشعوذون وغيّبت فضائل الدين وعُبدت القبور وأُشرك بالله سبحانه وذهبت فضائل القرآن من الأمة حتى لو بُعثَ فيهِ نبيهم لأطلق فيهم اللعنة التي أطلقها في المشركين ولقاتلهم كما قاتل المشركين الأوائل).

وهذا الوصفُ من هذا الكافر حقيقة وصف دقيق ومن قرأ واطلع – وفي هذا نذكر ونحث كثيرًا على قراءة كتابٍ بعنوان (الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين) لأحد الباحثين اسمه علي الزهراني وكان بإشراف الشيخ محمد قطب –حفظه الله– ويقول في مقدمتهِ يقول: (أحسب أني كنت أول من نبّه إلى أن الانحراف العقدي الذي ضرب الأمة بجرانها في القرون المتأخرة كان سببَ الثمرة الـمُرة التي نعيشها ونحياها ولكني أعترف مع ذلك أني كنتُ إنما أدركُ من ذلك الخطوط العريضة لكن الباحث بجلدٍ وصبرٍ استطاع أن يلتقط الخيوطَ الدقيقة ليرسم لنا صورة دقيقة وإذا الأمر أفظع وأفجع مما كنت أتصور وأتخيل).

وحقيقةً الشيخ سبحان الله كان عجيباً، شيخ الإسلام كما قلت من تربى على كتبه وقرأها ونشأ في محاريبها يتحرر عقله من الخرافة ومن التشعوذ ويصبح إنساناً سوياً بإذن الله تعالى يتعاطى مع سنن الله في هذا الكون كما يريد الله سبحانه و تعالى.

[1] ذكر التعليق في حاشية الكتاب.



الأمر الثاني، أن شيخ الإسلام –رحمه الله– وقد عاش زماناً مثل زماننا في التفكك وتسلط الصليبيين ثم التتار أكثر من نظّر وطبق الجهاد عمليا وتحدث عن حدوده، وما ينبغي للناس وللأمة في مثل هذه الأوضاع، ولذلك لا يمكن أن تجد إنساناً في هذه الأيام يريد أن يحيي الجهاد وفق ضوابط الشرع لا يكون مرجعه الأصلي الأول بعد كتاب الله و سنة النبي ﷺ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– وهذا الأمر –أعني الجهاد– لا شك أنه هو السيف الذي يخوف أعداء الله ويرهبهم ويجهدون على طمسه و وأده و قلعه و إماتته من النفوس و نفيه من القلوب فضلاً عن أن يطبق في الواقع. ومن الطرائف التي تذكر ها هنا، أول ما حصلت مشكلة الجزائر خرج وزير الداخلية الجزائري يقول يجب أن تقبضوا على ابن تيمية هذا يجب أن تقبضوا على ابن تيمية هذا، لأنه يسمع الناس تقول أفتى شيخ الإسلام بكذا و إن كان بعض الناس يسيئون الفهم و يغلون في هذا، لكن المقصود هنا أن من أراد أن يفقه حقيقة الممارسة العملية للجهاد لا يستغني عن كلام شيخ الإسلام كما قلت لتشابه واقعه مع واقعنا وظروفه مع ظروفنا فكانت فتاواه تطبيقا عمليا لكلام وتنظير أئمتنا السابقين رحمهم الله جميعاً.

والأمر الثالث، أن شيخ الإسلام أيضاً هو من أكثر من تحدث عن الحكم بغير ما أنزل الله وعن حال من يفارق الشريعة ويحتكم إلى غير كتاب الله و سنة النبي ﷺ و ليس هذا لأن أئمتنا أهملوا فقد تكلموا لكن قلنا هو كان قد اشتبك عملياً مع أول انحراف عملي في تاريخ الإسلام عندما أسلم قازان أو زعم هكذا أنه أسلم وبقي يحتكم هو والتتار إلى الياسق ووقعت الشبهة عند كثير من المسلمين، وهذا الأمر لا شك أنه يزلزل العروش والكراسي ويخيف أعداء الله تعالى من الطواغيت وغيرهم لأنهم لا يريدون أن يدرك الناس حقيقتهم وموقعهم من دين الله سبحانه وأكثر كما قلنا من جلّ هذا الأمر و تحدث عنه هو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.



والأمر الرابع، أن شيخ الإسلام رحمه الله أيضاً من أكثر من تكلم عن حكم أو أحيا مفهوم الموالاة والمعاداة. الموالاة لله ولرسوله ﷺ ولهذه الأمة والبراءة والمعاداة والبغض لأعداء الله سبحانه من الفرق الباطنية ومن الكفار واليهود والنصارى وأهل الذمة وغيرهم.

وتذكرون أننا ذكرنا في رمضان موقفه مع السلطان قلاوون، السلطان قلاوون الذي أخرجه من السجن بعد أن رجع السلطان سنة ٧٠٩ وجلس في مجلس السلطنة وعرض عليه الوزير طلباً تقدم به أهل الذمة في دولة الإسلام على أن يعرضوا فيه أن يدفعوا سبعمئة ألف فوق الجزية التي يدفعونها مقابل أن يؤذن لهم أن يلبسوا عمائم كعمائم المسلمين؛ لأن عمر رضي الله عنه وبإجماع الصحابة أخذ عليهم أن لا يلبسوا زي المسلمين وأن يلبسوا الزّنّار وما أشبه هذا ليتميزوا عن المسلمين فلا يكرمون إكرام المسلم، وعلى هذا سار الخلفاء وأئمة الخير والرشاد على مر تاريخ الإسلام. طلبوا فقط أن يدفعوا سبعمئة ألف مقابل أن يسمح لهم بلبس عمائم المسلمين!

يقول ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (فسأل العلماء فسكتوا وقال شيخ الإسلام فتكلم واحتد في الكلام والسلطان يعرض عنه يخفضه ويرفقه حتى يهدأ يقول له برفق، و شيخ الإسلام يتكلم ثم جثا على ركبتيه وتكلم بكلام شديد لم يستطع أحد أن يتكلم مثله أو قريبًا منه، حتى أبطل عرضهم وَرُدَّ طلبهم وقال للسلطان: أعيذك بالله أن تكون في أول مجلس جلسته في أبهة الملك وقد رد الله عليك ملكك تعز أهل الذمة وتذل أهل الإسلام)[1]. ثم كان بعد ذلك أن ألغي هذا الأمر.

وقد ألف شيخ الإسلام -رحمه الله- كتاباً من أروع كتبه وهو (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم) وأن المسلم الذي آمن بالله حقاً ووصلت حقيقة الإيمان إلى قلبه لا يرضى لنفسه أن يكون صورةً -حتى في الظاهر- مع أهل الباطل والضلال.

---

[1] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٨/ص٩٤) بتصرف من أبي أنس.



ويقول: (وما كنت أظن أن أحداً ممن وقر الإيمان في قلبه وخلصت إليه حقيقة الإسلام)[٢]، الذي هو الإسلام، لست أعني بذلك مجرد التوسم به ظاهرًا، ما هو مسلم و لم يدرك ولم يفقه حقيقة الإسلام. يقول: لم أكن أظن أن أحدًا وقرت حقيقة الإسلام في قلبه يشك في هذا الأمر. يعني أن المسلم يجب أن يتميز وألا يكون ظاهراً كاليهود والنصارى والكفار كما تميز عنهم باطنًا بتوحيد الله سبحانه و تعالى.

الذي يتربى على كتب شيخ الإسلام لا يمكن أن يفكر أن يمد رجله ليصافح أعداء الله واليهود والنصارى في هذا الزمان ويهادنهم ويسالمهم ويصبح وإياهم دولة أو شعبًا واحدًا وأن يطبّع معهم، لا يمكن لإنسان قرأ كلام شيخ الإسلام وتربى عليه أن يرضى بهذا الأمر.

وفي هذا الزمان الذي يدعى فيه بزعم اليهود وبزعم أعداء الله إلى الإبراهيمية وهي النسخة المنقحة من الدعوة الماسونية القديمة، الأخوّة والمحبة والمساواة هذه الدعوة القديمة والشعارات الماسونية القديمة طُوِّرت ونُقِّحت على يد بعض طواغيت العرب لتصبح الإبراهيمية وليذوب المسلم الموحد مع اليهودي والنصراني هذه الدعوة الباطلة التي هي كفر بالله، وقد أجمع علماء الإسلام على أن من دعا إلى المساواة بين اليهود والنصارى والمسلمين في الحقوق والواجبات هو كافر مرتد خارج من الملة، {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ}.

أنا الموحد المسلم أكون مثل هذا المشرك الذي ينسب الولد إلى الله سبحانه؟! هذا لا يمكن أن يرضى به من عرف طعم التوحيد وذاق حلاوة الإيمان وأدرك بديهيات وضرورات كتاب الله سبحانه وتعالى.

في هذا الزمان الذي أرادوا لنا فيه أن نذوب وأن نفقد هويتنا ونصبح ذيلًا منسوخًا ونسخة مشوهة لأعداء الله وأن نذوب فيهم وفي حضارتهم الغلابة في هذا الزمان، والله المستعان.

---

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، (ج١/ص٧٣) بتصرف من أبي أنس,



يبرز شيخ الإسلام سدًا منيعًا في وجه هذا الذوبان وكما قلت لا يمكن لإنسان قرأ كلام شيخ الإسلام وفقهه وتربى على كتبه أن يرضى أو يفكر ولو من بعيد أن يعيش هو واليهود والنصارى في سلام ووئام تحت غير حكم الله سبحانه، عند ذلك إذا كانوا أهل ذمة نحسن إليهم ونؤمنهم لكن هذا شيء وأن نذوب فيهم شيء آخر.

ولما تكلم عن صلاح الدين ونور الدين وكيف نصرهم الله سبحانه وتعالى قال: (و صلاح الدين وأهل بيته ونور الدين وأهل بيته لم يكونوا يوالون النصارى ولا يستعملون أحداً منهم في شيء من أمور المسلمين ولذلك نصرهم الله وأعزهم وكبت عدوهم)[١].

وهذا على مر التاريخ ما استعمل السلاطين وزيراً أو سلطاناً أو والياً من اليهود أو النصارى إلا أذله الله تعالى وخيب رأيه وقلب الأمر عليه والله المستعان.

والعجيب أن شيخ الإسلام مع كثرة الميادين والجبهات التي خاضها مع المبتدعة بأصنافهم ومع مقلدة الفقهاء ومع التتر ومع الصليبيين ومع غيرهم مع ذلك كان عالم الدعوة وكتب رحمه الله رسالة عجيبة إلى ملك قبرص يدعوه إلى الله تعالى ويأمره أن يرفق بمن عنده من المسلمين وأن يحسن إليهم في رسالة عجيبة. وقد ألف أيضاً رحمه الله كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) في الرد على النصارى وبيان بطلان دينهم وإقامة الحجة عليهم من كتابهم في كتاب لم يؤلف في تاريخ الإسلام أعظم منه.

خاتمة:

هذه بعض خصائص ولذلك قلنا ونختم في ذلك وليس عجيبًا بعد ذلك أن يحارب شيخ الإسلام وأن تشوه صورته وأنا أنصح كل مسلم أن يحاول أن يقرأ شيئاً من كلامه وبعض كتبه وأن يتعرف عن هذا الإمام عن قرب ونسأل الله تعالى أن يحيي فينا مثل ابن تيمية وأن يردنا إلى دينه ردًا جميلًا وأن يعلي كلمته وأن ينصر دينه وأن يجعلنا من جنده، آمين آمين وصلى الله على نبيه الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[١] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٢٨/ص٦٢٩).



من وحي الفلوجة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠]، أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله -عز وجل-، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

فحيا الله هذه الوجوه الكريمة ونسأل الله -تبارك وتعالى- بمنّه وفضله أن يجعلنا من مفاتيح النصر وجند التمكين، وأن يُحيينا لدينه وأن يُميتنا في سبيله، وأن يختم لنا بالشهادة في سبيله في نصرة الإسلام وأهله.

لقد أكرمنا الله أيها الإخوة الكرام عمَّا قريب، في أيام كانت من أيام الله، وفي حوادث صنعها الله على عينه، ورعاها بنفسه، فأنبت بها شجرة للإسلام باسقة في هذه المدينة المباركة بفضل الله وحده، لا بحول منا ولا بطول.

عشنا تلك الليالي، وحيينا تلك الأيام المباركة، وكان لنا فيها بعض الخواطر، وأحب أن نتذاكرها جميعًا، لعلَّ الله يجعل فيها نفعًا لنا جميعًا -بإذنه سبحانه-.

أولاً: الفيل.



كلنا نعلم أن أمريكا يتناوب على حكمها حزبان كبيران، وهما الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري. يا ترى من يعرف ما شعار الحزب الديمقراطي؟ شعاره الحمار–أكرمكم الله–!، هذا الشعار لا تلوكُه الألسُن ولا يسخر منه الناس لأنه شعار أمريكي، ولو أنّ حزبًا من الأحزاب في عالمنا الثالث المتخلف اتخذ هذا الحيوان شعارًا لصار أضحوكة للدنيا كلها.

الحزب الجمهوري ما شعاره؟ الفيل، من الذي يحكم أمريكا الآن؟ الحزب الجمهوري أصحاب الفيل.

تعالوا لنرى ماذا حدَّثنا الله –تبارك تعالى– في كتابه الكريم عن الفيل وأصحاب الفيل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ} [الفيل: ١–٥].

يا ترى ما قصة أصحاب الفيل؟ باختصار واعتصار، أبرهة نصراني بنى كنيسة القُلَّيس، أراد أن يصرف وجوه العرب إليها ليَدَعوا ويذروا ميراث أبيهم إبراهيم –عليه الصلاة والسلام– وكعبة الله –تبارك وتعالى–، فرفضوا وأبوا واستمسكوا بتراث آبائهم وميراث أبيهم إبراهيم –عليه الصلاة والسلام–. وحملت أحدهم النخوة ودفعته الغيرة فتسلَّل تسلُّل القَطَا إلى جوف الكنيسة فقعد فيها، يعني سَلَح أي تغوَّط –أكرمكم الله–.

غضب أبرهة، جاش لذلك غضبه وورم أنفه وثارت ثائرته، واتخذ هذه الحادثة ذريعة وتكِأة لإنفاذ ما يعتمل في صدره من المكر والكيد، فجهز جيشًا لَجَبًا طويلًا عريضًا ضخمًا كثيفًا، حشاه وطعَّمه بأفيال وأطيال، جيشٌ لم ترَ العرب ولم تسمع بمثله من قبل، وأقبل يزحف بكلكله يروم هدم بيت الله الحرام.

ماذا فعل الله به؟ {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ}.

فهذه سنَّة الله تعالى على مرِّ العصور وكرِّ الدُّهور، كلما علا الإنسان وبغى وطغى وتجبَّر وتكبَّر، كلما سقاه الله الذل كؤوسًا، ثم لا يموت كسائر الناس. النمرود يا إخوة ماذا قال؟



{أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ}، ماذا فعل الله به؟ برغوثة دخلت في دماغه، فكان يُضرب بالكندرة حتى مات!

فرعون ماذا قال؟ {وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}، فأجراها الله من فوقه.

وهذا أبرهة جاء بأفيال فأرسل الله إليه طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل. هذا باختصار حديث التاريخ عن أصحاب الفيل فيما مضى.

فما حديث الفلوجة عن أصحاب الفيل؟ أمريكا أصحاب الفيل الحزب الجمهوري أرادوا أن يحرِفوا ويصرفوا أمة محمد ﷺ عن ميراث نبيها -عليه الصلاة والسلام- وعن كعبتها وقِبلتها. الأمة في جُملتها رفضت وامتنعت، قام بعض إخواننا -سلَّم الله أيديهم وتقبَّل شهداءهم- فقعدوا وسلحوا وراثوا على رمز الحضارة الغربية، فأحالوه كثيبًا مهيلًا. غضب أبرهة، ورِم أنفه، أعدَّ جيشًا لم تسمع البشرية بمثله من قبل، وجاء إلى هذه الأرض وهو يروم هدم بيت الله الحرام، ونظره لا يعدو الكعبة ولا يعدو قبلة المسلمين.

وكنا نقول للإخوة: بقي يا إخوة الفصل الأخير، طير أبابيل، بحجارة من سجيل. بدأت في الفلوجة، ولن تنتهي -إن شاء الله- دون روما، وعد نبينا -عليه الصلاة والسلام-.

لكن يا إخوة والله ثم والله إن من أعظم ما يمنُّ الله به على المؤمن بعد توحيده سبحانه والإيمان به أن يختاره وأن يسوقه وأن يأخذ بيده وأن يأتي به إلى هذه الأرض ليصنع به معجزة الإسلام، وليكتب به تاريخ النصر وفجر النصر والظفر -بإذن الله تبارك وتعالى-.

يا إخوة والله إن هذه نعمة لو سجدنا الحياة كلها شكرًا لله -تبارك وتعالى- على هذا الفضل ما قمنا بمُدِّ ذلك ولا نَصِيفه أبدًا!.

هذه نعمة لا بد أن تُشكر وألَّا تُكفر، وشكرها أن تُهراق الدماء وأن تُزهق الأرواح، وأن تُقدَّم النفوس رخيصة لله -تبارك وتعالى-، وأن لا نقيل ولا نستقيل، بل نمضي قُدمًا حتى يُقرَّ الله عيننا بإحدى الحسنيين؛ النصر أو الاستشهاد.

هذه خاطرة أيها الإخوة الكرام.

أما الثانية: فمن عجائب صفات الله -تبارك وتعالى- صفة عجِيبة، تبدو للناظر المتفحّص، ويُدركها المتأمل المتَّئد، هذه الصفة العجِيبة هي أن الله -تبارك وتعالى- يُخرج الشيء من نقيضه؛ قال الله -تبارك وتعالى-: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} [الأنعام:٩٥]، قيل في تأويلها: يُخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، والشجرة الحية من البذرة الميتة، والبذرة الميتة من الشجرة الحية. وقيل أيضًا: والآية تشملهما؛ يُخرج المؤمن من الكافر ويُخرج الكافر من المؤمن. فالمؤمن حي والكافر ميت {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}، {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ}؛ قيل: أي يؤمن من آمن عن بينة، فحياته إيمانه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ}، وقد ثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ". فالآية كما قلت تشمل القولين وتعمهما ولا تعارض بينهما.

في التاريخ، في قصر فرعون وبين جدرانه نشأ موسى -عليه السلام-، وعلى مائدة فرعون أكل، وفي حضنه وحِجره تربَّى، ربَّاه بيده، ادَّخره الله وساقَهُ ليربّي موسى -عليه الصلاة والسلام-، وعلى يد موسى ﷺ هدم اللهُ الشرك الفرعوني وإمبراطورية الشر الفرعونية.

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال:٣٦]، ما علاقة هذا بما عشناه وما لمسناه في الفلوجة؟

تعرفون -أيها الإخوة الكرام- وليس هذا بغائب أو خفي، أن الفلوجة في الجملة مَعقلٌ للدَّروشة، وقاعدة للتصوف. في معقل الدروشة، في قاعدة التصوف، رفع الله لواء الدعوة الحقَّة المحض. لواء الدعوة الراشدة على منهج السلف الصالح!



لقد شاهد الجميع أن أكثر من ثمانين بالمئة من الذين جاهدوا وجالدوا ورابطوا على الثغور، هم بحمد الله من أهل التوحيد، ممن رضوا منهج السلف وفهم صحابة النبي ﷺ ورضي الله عنهم وأرضاهم.

هؤلاء هم الذين ذادوا عن حياض هذه المدينة المباركة، شاركهم في ذلك بعض أهل التصوُّف مثل جماعة الشيخ عبد الله الجنابي حفظه الله وجزاه الله وجماعته خير الجزاء. وكذلك بعض إخواننا عامة من الصلحاء من أهل التقى، ممن لم يسلكوا في هذه الحياة طريق دعوة معيَّن، لكن قلوبهم حيَّة تتَّقِد بالغيرة وحب الله ورسوله ﷺ.

لكن في هذه الأرض أحيا الله ورفع الله لواء دعوة سلفية راشدة مباركة، سيكون لها ما وراءها -إن شاء الله تعالى-. وبإذن الله تمتد حتى تضرب رواقها على العالم كله لا على العراق فقط، بإذن الله وحده وبفضله ومنه سبحانه.

الأمر الثالث: هناك ثلاثة مناهج للفعل والحركة في هذه الحياة، عشناه ولمسناه في تلك الأحداث.

المنهج الأول: المنهج الصوفي، الذي غابت وذابت عند أهله فواصل وحدود التَّمايز بين عالم الغيب وعالم الشهادة.

ولذلك فإنهم لا يتصرَّفون ولا يتحركون في هذه الحياة، بالأسباب والسُّنن التي بنى الله عليها حياة الناس على هذه الأرض، بل تجدهم يهيمون مع عالم الأرواح، مع عالم الكرامات، ينتظرون أن يجيء أبو خُمرة، كما قال بعضهم: أبو خمرة كان يقاتل معنا!، إلى غير ذلك.

وتجد أحدهم إذا اشتعل القصف واشتد يذهب إلى المسجد يكبر: (الله أكبر، الله أكبر)، ويغفل عن الأخذ بالأسباب السُّننية التي أمر الله -تبارك وتعالى- أن نأخذ بها.



وهذا داء قديم أصاب الأمة بسبب جرثومة التَّصوف، وهنا نريد أن نذكِّر بأمر مهم: بعض الناس يظن جهلًا أن التصوُّف دروشة وطريقة في العبادة، وأن الإنسان يحب النبي ﷺ ويحتفل بالمولد. لا أيها الإخوة الكرام؛ التصوف ليس بدعة إسلامية، لكن التصوف طريقة في التصوُّر والنظر، وآلية في الحركة على مر التاريخ، عند الرومان كان هناك تصوف، عند الإغريق كان هناك تصوف، عند الهنود كان هناك تصوف، عند اليهود، عند النصارى، عند المجوس، في كل الأمم. آلية في النظر وقنص المعلومات وتحصيل التصورات تعتمد على المنهج العِرفاني الغَنُوصيّ؛ وهو أن يحطم الإنسان أغلال الجسد حتى تُرفرف الروح، فتتصل بالعلة الأولى كما كان يقول الفلاسفة القدامى. أو تتصل باللوح المحفوظ كما يقول متصوفة الإسلام.

فهي طريقة في النظر، ثم هي طريقة في العمل، وهي التهويم -كما قلت- مع عالم الأرواح والكرامات وعالم الغيب.

ولذلك لما جاء التتر قديمًا إلى هذه الأرض، ماذا قال قائلهم؟ يا خائفين من التتر.. هل قال: احملوا أسلحتكم وقوموا جاهدوا؟ لا، بل قال: يا خائفين من التتر لوذوا بقبر أبي عمر!!

وفي سنة ١٧٩٨م عندما أقبلت جحافل الفرنسيس إلى مصر، وكانوا قد اخترعوا البارود والمدفع والبندقية، ماذا فعل علماء الأزهر في تلك الفترة؟ هل نادوا حي على الجهاد؟ كما كانت بعض المساجد هنا أول الأحداث تنادي: (ممنوع التجوال من الساعة السابعة إلى الساعة السادسة) بدلًا من أن تنادي حي على الجهاد!

ماذا فعل علماء الأزهر؟ رجعوا إلى الأزهر وأخذوا يقرأون (صحيح البخاري)!، والعدو يزداد تغوُّلًا وتوغُّلًا في أرض الإسلام، ويدوس الأرض والعرض، ويهريق الدم، وهؤلاء يقرأون (صحيح البخاري)!



حتى جاء الخديوي -أظنه إسماعيل- وقال: (إما أنكم لستم علماء وإما هذا ليس صحيح البخاري)!، وهذا خطأ وهذا خطأ؛ فهؤلاء هم العلماء وإلى الله المشتكى، وهذا (صحيح البخاري). لكن متى كان العدو يُدفع بقراءة القرآن أو بقراءة (صحيح البخاري)؟!

نحن ينبغي أن نقرأ القرآن لنطبقه ونعمل بأوامره، بهذا يدفع الله الأعداء، نحن نقرأ (صحيح البخاري) وجهاد النبي ﷺ في صحيح مسلم والبخاري لنتمثَّله واقعًا مُعاشًا ندفع به أعداء الله تعالى. في البخاري عن أنس -رضي الله عنه- أنهم سمعوا وَجْبَة خارج المدينة -صوتًا غريبًا منكرًا - فانطلقوا يستكشفونه، فماذا وجدوا؟ وجدنا نبينا ﷺ عائدًا وهو على فرسه، وحمالة السيف في عنقه -عليه الصلاة والسلام-، فقال لهم: "لَنْ تُرَاعُوا". إلى أن تجهزوا وخرجوا، كان المصطفى ﷺ قد حمل سيفه وانطلق يستكشف، فلما وجد أنه ليس أمرًا مخيفًا واطمأن، رجع.

لم يبذل بالمسجد يُكبر عندما سمع الصوت -عليه الصلاة والسلام-، إنما تقدَّم إلى المكان المَخُوف ليذود بسيفه عن حياض الإسلام وأهله -عليه الصلاة والسلام-.

التكبير لا بد منه، ولكن التكبير النافع هو الذي يُجلجل به صوت المجاهدين وهم يقذفون بحمم الموت أعداءَ الله -تبارك وتعالى-، هذا التكبير هو التكبير النافع هو الذي يقذف الله به الرعب في قلوب أعدائه، وهذا الذي عشناه.

عمودُ الدين لن يقوى *** بتسبيح وتهليلِ
ولن يحدو بنا أمل *** بدعوى القال والقيلِ
فغير السيف لا يُجدي *** يمينًا فتية الجيلِ



لقد رأينا هؤلاء فما رأينا أحدهم حمل سلاحًا، فمنهم شمر هاربًا لا يلوي على شيء، وإما أنه جلس في المسجد يأخذ غنائم الناس ويستقبل الأُعطيات، ثم لا ندري أين تذهب، ثم يكبّر إذا هاجم الأعداء وقصفوا أهل الإسلام.

وليس بمثل هذا تُقام الأمم ولا يُذاد عن المبادئ ولا يرتفع اللواء في الخافِقَيْن أبدًا.

هذا المنهج الأول في التعاطي مع الأحداث.

المنهج الثاني:

أناس علموا أنه لا بد من الأسباب، وأن الركون والتهويم مع عالم الأرواح والكرامات والغيبيات والمعاجِز لا يصلح ولا بمثله تقام الأمم، لا بد من الأسباب. ولكنهم للأسف ضلوا عن الأسباب الشرعية التي أمر الله بها في كتابه، عن السيف الذي بُعث به محمد ﷺ. واستوردوا لنا مناهج وأسبابًا غربية أوروبية؛ مظاهرة سلمية، اعتصام، إضراب، عرائض، استنكار، وتوقيعات ولوائح تُقدَّم للكافر المحتل بكل ذل رجاء أن يُشفق علينا ويتكرَّم بالسماح لنا أن نعيش بأمان واطمئنان وأن يحقن دماءنا!

وذاك أيضا يستغيث ويناشد أحرار العالم، وهذا يناشد كوفي عنان والأمم المتحدة ومجلس الأمن و.. إلى آخره، وكأنهم لم يقرأوا القرآن، ولم يقرأوا شهادة التاريخ القريب والبعيد.

لعلكم جميعًا سمعتم بما دعت إليه هيئة علماء المسلمين، دعت إلى ماذا؟ جهاد؟ لا، استشهاد؟ لا، فداء؟ لا، بذل؟ تضحية ؟ لا، إلى مظاهرة سلمية! انتبه أيها الأخ الكريم وضع تحت سلمية خطوطًا من تحت ومن فوق، إياك أن تظن أن هذه المظاهرة فيها قسوة، أو فيها تعدٍّ على حرمات الرجل السيد الأمريكي المحترم، لا لا، لا نحن أناس محترمون جدًا، لا يمكن أن نُهريق الدم الأمريكي الغالي، لا يمكن أن نُسيء أو أن نطأ ذيل السيد



الأمريكي الغالي، لا لا، نحن بس نطلب منه بكل احترام أن يقتلنا لكن برفق، وبتمهُّل، من غير شدة ومن غير بطش!

وكأن هؤلاء وهم يحضون الناس إلى المظاهرات لم يسمعوا بقول الله –تبارك وتعالى–: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ}، على ماذا؟ المظاهرات؟! {حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال:٦٥]، ألم يقرأ هؤلاء هذا القرآن؟ ألم يقرأوا كلام الله؟! ولكن يا إخوة هو النفاق الذي يعتمل في القلوب، فلذلك تستذل وتستكين، لأنها لم تتنشَّق رائحة العِزَّة وطعم الثقة بهذا الدين وبرب العالمين –تبارك وتعالى–، {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون:٨] هذه الحقيقة لم تخالط قلوبهم ولم تمسَّ شغاف أفئدتهم، للنفاق الذي في قلوبهم.

{وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٣٩]، لكن المنافق ليس بمؤمن ولذلك لا يشعر بالعلوّ والاستعلاء الذي يجده المؤمن الذي يعيش في كنف الله –تبارك وتعالى– ويتوكل على الله.

يا إخوة إذا لم يكن هذا نفاقًا فما هو النفاق؟ ألم يقل النبي –عليه الصلاة والسلام– كما في مسلم عن أبي هريرة –رضي الله عنه–: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ". إذا كان الذي لا يغزو الكفار ويطلبهم في عقر دارهم منافقًا أو على شعبة من نفاق، فكيف لا يكون منافقًا من لم يقرر أن يجاهد بعد وقد طرق الجهاد بابه، بل اقتحم حجرة نومه، كيف لا يكون منافقًا؟! أنا لا أقصد أنه منافق نفاقًا أكبر، قد يكون، وقد يكون منافقًا نفاقًا أصغر، لكنه لا يخلو من نفاق أبدًا، لا يمكن.

هؤلاء لو وثقوا بنصر الله لأعلنوا الجهاد، ولكن لأن موازينهم أرضية، لأن قلبه خالٍ من التوكل على الله –سبحانه وتعالى– يحسبها بالورقة والقلم؛ أنا سأدعو إلى الجهاد على المنبر، وغدا تنتهي مسألة الفلوجة ويُقضى على أهلها، وتُستباح، ثم يأتوني يشدُّوني من ياقتي أو من ذيل عمامتي ويضعونني في السجن ولن ينفعني أحد!



لم نكن نسمع منهم إلا البكاء مثل النساء: الأمريكان قصفوا وقتلوا وهتكوا الأعراض..!، طيب وبعدها؟! نحن هذا نلمسه ونشاهده ونراه ونحسه ونعيشه. تأتيني تحدثني: (الأمريكان قتلونا، استباحوا أعراضنا)، أنا أعرف أنهم قتلونا، وأنا أعرف أنهم استباحوا أعراضنا، وبعدها؟؟ ينتهي المولد وكأن شيئًا لم يكن!

المنهج الثالث الراشد:

الذي آمن بسيف محمد ﷺ عندما قال كما في (مسند أحمد) بسند صحيح[1] كما قال الإمام العراقي عن ابن عمر –رضي الله عنهم جميعًا–، والحديث حسَّنه ابن حجر وجوَّده شيخ الإسلام: "بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعلَ الذِّلَّةُ، وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"، كلام يصدر من مشكاة النبوة، فحذارِ حذارِ أن تظن أن كلمات النبي ﷺ متناثرة لا جامع بينها.

هذه الكلمات وإن بدت للناظر في أول وهلة أنها جمل أو قضايا متفرّقة، لكنها متَّصلة آخِذٌ بعضها برقاب بعض، "بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي"؛ عندما تدع الأمة الجهاد تفتقر وتهون. أمة الإسلام أغنى الأمم، وهي أيضًا أفقر الأمم لأنها تركت الجهاد فذلَّت وأفقرها الله تعالى.

"وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجعلَ الذِّلَّةُ، وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"؛ والأمر هنا السيف الذي بُعث به محمد –عليه الصلاة والسلام–، فإذا تركته الأمة ذلَّت وهانت وانتُقص العدو أرضها من أطرافها، وجاس يستبيح بيضتها في طول البلاد وعرضها.

"وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجعلَ الذِّلَّةُ، وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"؛ إذا تركت الأمة الجهاد ذلَّت، تسلَّط عليها عدوها أفقرها، ثم جرَّها

---

[1] الحديث صححه جماعة، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي والعراقي وابن حجر وغيرهم. غير أن الأرنؤوط قال: إسناده ضعيف على نكارة في بعض ألفاظه.



وساقها ذليلة تُقلّده وتطلب الفتات الذي تنفضه موائده. فتجد الشكل غربيًا، اللسان غربيًا، العقل غربيًا، العادات غربية، كأننا أمريكان إلا من رحم الله!

هذا الأمر كما قال ابن خلدون: (المغلوب مُولع أبدًا بتقليد الغالب)[١]، سنة لا بد منها، تجد العدو يدوسه وهو يقلّده ويفعل مثله..

[١] مقدمة تاريخ ابن خلدون، (ج١/ص١٨٤).



كلمة تحريضية قبل عملية أبي غريب بيوم

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا ﷺ عبده ورسوله، أما بعد:

ثبت في مسلم عن أنس -رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: "قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ"، فقال عمير بن الحمام: (بخ! بخ! يا رسول الله) -وهي كلمة استحسان عند العرب- فقال: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ"، قال: (لا يا رسول الله؛ إلا رجاء أن أكون من أهلها)، قال: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا". فأخرج تمرات ليأكلها، ثم قال: (لئن بقيت حتى آكل هذه التمرات، إنها لحياة طويلة!)، هذه أبواب الجنة أمامه ويشتغل هو بالبقاء في هذه الدنيا ليأكل التمر، فهل يعقل هذا يا عمير؟! لا، فألقاها ومضى، انطلق إلى الله تبارك وتعالى.

نحن يا إخوة غدًا بإذن الله معركة الفتح، يقينًا على الله تبارك وتعالى، سيفتح الله علينا، ونسأل الله أن يرى منا خيرًا وأن يثبتنا، وأن يأخذ بأيدينا. ونقول: اللهم إن تهلك هذه العصابة، لا تعبد في الأرض -وحاشاك يا رب-. اللهم انصرنا وخذ بأيدينا، وثبتنا، وأقر عيوننا بالفتح. اللهم وحرر بأيدينا إخواننا وأخواتنا يا رب العالمين، اللهم تقبل منا، اللهم اجعل خير عمرنا آخره، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاك وأنت راض عنا يا كريم. اللهم ألحقنا بالأحبة محمد ﷺ وحزبه، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء. اللهم ارزقنا الشهادة مقبلين غير مدبرين في نصر للإسلام وأهله بمنك بقدرتك بحولك بطولك، يا رب العالمين، يا حنان يا منان. اللهم لا تخذلنا بذنوبنا، اللهم أظهرنا على عدوك وعدونا، اللهم امنحنا أكتافهم يا رب العالمين بعزك وقهرك يا عزيز يا غفار. اللهم يا رب اجعل يوم غدٍ فتحًا مبينًا لأهل الإسلام وقرة عيون للموحدين في كل مكان برحمتك يا أرحم الراحمين.

الحمد لله.



وأسأل الله أن يتقبل منا وأن يغفر لنا وأن يرحمنا. أبشروا يا إخوة، أبشروا بإذن الله، والله -إن شاء الله- إننا لمنصرون، إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا، ونسأل الله أن يرى منا إقدامًا وصدقًا، وطاعة وإقبالًا، وأن يتقبل منا وأن يغفر لنا وأن يرحمنا، وأن يلحقنا بمحمد عليه الصلاة والسلام. والحمد لله.

بارك الله فيكم يا إخوة، لكن رجاء إذا يسر الله وبدأ المسير والانطلاق، في الطريق حاولوا ألا تلفتوا الأنظار. واجتهدوا أن نقضي هذه الليلة؛ من غلبه النعاس فلينم، فتلك سنة الغزوات. ومن بقي مستيقظًا فليشتغل بذكر الله ودعائه، وليكن هذا هدينا كما كان هدي النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأسأل الله أن يتقبل منا. وكما قلت أبشروا يا إخوة -بإذن الله- بنصر تقر به عيون أهل الإسلام في كل مكان، بارك الله فيكم.



جزء من محاضرات ألقاها في العراق

١

فهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين، حبطت بماذا بموالاة الكفار، وحبوط العمل بالكلية لا يكون إلا بالكفر. قال تعالى: {وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ} [المائدة:٥]، {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر:٦٥]، {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف:١٤٧]، ثم قال تبارك تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ}، في سياق الآيات يرتد بماذا؟ بموالاة الكفار من يهود ونصارى وغيرهم: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [المائدة:٥٤]، {أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح:٢٩]، قال شيخ الإسلام: (فالمخاطبون عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة) ثم يقول: ({فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ}؛ فإنه ما ارتد عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة)، {وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة:٥٦]، ومن لم يتول الله فليس من حزب الله، ومن لم يكن من حزب الله فهو من حزب الشيطان، {أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المجادلة: ١٩].

٢

دائمًا من سنة الله جل وعلا، أنه إذا سكت الكبار تكلم الصغار. إذا أحجم الكبار وتمزمزوا خوف الفتنة تكلم وتقدم ونطق الصغار، وعند ذلك تكون الفتنة. ومنهم من



يقول: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ} [التوبة:٤٩]. إن أعظم فتنة نعيشها هذه الأيام قعود الكبار وسكوتهم وإحجامهم عن بيان الحق وواجب الأمة في ظل هذه الأحداث التي تمور في الأمة مورًا، بما سمعنا من تهم وأقاويل. وهنا نبين قضية مهمة، وهو أن المشايخ كان ينبغي عليهم أولاً، ألا يعتمدوا في حكمهم على ما رأوه في وسائل إعلام الطواغيت هذه الأيام، فهم قلبوا الحقائق، ونحن نقطع أن إخواننا أعقل من أن يقتلوا المسلمين وأن يتقصدوا قتل المسلمين. وإن جرى شيء من ذلك خطأ أو تبعًا، فليس هو المقصود في الأصالة.

٣

كما قلت عصمة المدفوع، وذلك أن المدافع دائمًا ضعيف، وليس هذا سبيل وطريقة القرآن أبدًا. لقد علمنا الله سبحانه وتعالى عمليًا عن أن أفضل طريقة للدفاع هي الهجوم؛ قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ}. هذا الذي فعله بعض المسلمين من سفك الدم الحرام في هذه الأيام، في أيام الشهر الحرام، هذا أمر عظيم ولا يرضاه الله سبحانه وتعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ}. ثم بدأ الهجوم: {وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة:٢١٧]. بدأ الهجوم مباشرة؛ هذا الذي تفعلونه أنتم يا كفار قريش؛ من فتنة المؤمن عن دينه، من نفيه في الأرض، من التسلط عليه، من تعذيبه وإسالة دمه والتسلط على ماله، هذا أعظم عند الله سبحانه وتعالى وهذا الذي ينبغي أن يفعله علماؤنا!

٤

كان ينبغي لهم أن يكونوا كمثل ثمامة بن أثال -رضي الله عنه-، حين ربطه النبي ﷺ في المسجد وكان يعرض عليه الإسلام فيأبى؛ فلما أطلق سراحه وفك قيده وكان حرًا يملك أمر نفسه عند ذلك رجع ونطق الشهادتين عزيزًا غير ذليل. أما أن يتكلم الإنسان وهو في



قبضة العدو، وهو أسير لا يملك من أمره شيئًا فهذا لا حكم له وكلامه ساقط عن الاعتبار الشرعي. كان ينبغي لهم ألا يظلوا في قبضة الطاغوت، كان ينبغي أن ينفروا إلى ساحات الجهاد، ليحرزوا دماءهم وأموالهم وليتبعهم الشباب بعد ذلك إن شاء الله تعالى، غازيًا مجاهدًا في سبيل الله. وأما أن تتكلموا وأنتم في قبضة [أو] فك الأسد، فهذا أمر صعب! وخاصة أنهم يعلمون النظام الذي في بلادهم، وأنهم لا يتورعون عن عرض ولا دم ولا عن منكر من المناكير؛ وأنهم يستبيحون كل شيء في المسلم ليرغموه على الكفر وعلى النطق بغير الحق الذي أرسله الله سبحانه وتعالى! هذا الأمر يعرفونه عن دولتهم، ومن الطواغيت الذين يجثمون على صدورهم! فما كان ينبغي لهم أن يسلموا أنفسهم لهؤلاء.



قسم الكتابات



من المسؤول عن تخلفنا؟[1]

لا يخفى على ذي لب سليم، وعقل كامل، ما آل إليه حال الأمة الإسلامية من انحطاط وتخلف ورجعية فقد أصبحنا في ذيل القافلة بعد أن كنا على رأس الركب.. وانكفأنا إلى الخلف سراعا وعدونا يتقدم.. وأصبحنا نقاد كالحمل الرضيع.. بعد أن كنا نحن القادة... أصبحنا في الحضيض في كل المجالات ولكن:

المشكلة أننا إذا بدأنا الإحساس بالألم.. وبدأنا نشعر بالتمرد على هذا الواقع الأليم.. نجد المعاذير قد تبدت وألوانا من الحجج والبراهين الواهية قد برزت مسوغة ما نحن فيه من تقصير.. معلنة أن الأمر لا دفع له وأنه ليس بيدنا حول ولا طول... ومن أمثلة المعاذير:

* الاعتذار بالقدر:

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"، وروى أحمد في مسنده أن جابرًا قال: سمعت رسول الله يقول: "إِنَّ النَّاسَ دَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَسَيَخْرُجُونَ مِنْهُ أَفْوَاجًا" (حديث حسن)[2].

* الاعتذار بالماضي والآباء..

* الاعتذار بحرب العالم لنا..

بمثل هذه الحجج التي يقدمها الشيطان وتسولها النفوس المريضة سبعمئة مليون مسلم في العالم الإسلامي يسامون سوء الخسف.. ويتلظون بنار الهوان.. وبهذا النهم السقيم الهزيل وبهذه الروح الضعيفة الخائرة يعطل المسلمون معاني الإسلام القوية.. ويصمون آذانهم عن نداءاته التي تتصدع لها الجبال.. ويعرضون عن رفع رايته والاستظلال بعظمته.

[1] مسودة تحضيرية لمحاضرة صوتية للشيخ أبي أنس الشامي –رحمه الله– كتبها بخط يده في مطلع التسعينيات من القرن الماضي.
[2] قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة جار جابر بن عبد الله.



هذا الدفاع عن أنفسنا، وهذه الأعذار كلها مغالطات نفسية وحيل لا شعورية... ذلك أنها تريد أن تبرئنا من كل خطأ.. وتزيح عن كواهلنا مرارة الاعتراف بالتقصير..

كثير من المسلمين ينحون باللائمة على القدر وعلى الأيام وعلى الآباء والأجداد وعلى كيد الكائدين من الأعداء.. ولا يخطر في بال أحدهم أن يعود على نفسه بذرة من اللوم ويسير من العتاب يبصره بخطئه، ويضع يده على تقصيره

إن الاعتذار بالقدر حيلة شيطانية وخديعة من الإنسان لنفسه.

لقد دفع أصحاب رسول الله القدر بالقدر.. ودفعوا الكفر والفسوق بالاستبسال والجهاد..وغيروا وجه الدنيا وأطفؤوا عبادة الأوثان بالإيمان الصادق.

وهناك ثلاث مقامات:

١- إرادة كونية وشرعية. ٢- أمر تعبدي. ٣- تكثير سواد المسلمين.

إن معاذير المسلمين اليوم ليست معاذير صادقة.. إنها معاذير يصدق عليها قوله تعالى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} [التوبة:٤٦].

كثير من المسلمين يحتجون بالقدر ويتخذون من حجتهم ذريعة للمضي في دنياهم وسعيهم من أجلها وتهالكهم عليها وقعودهم وتخاذلهم عن نصرة دين الله وهؤلاء يحرفون معاني الأحاديث الصحيحة ليسوغوا ما هم فيه من تخلف.. مثل قوله: "لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ"[١] فيستخلصوا منه أن الأمر ميؤوس منه، فأي فائدة من الدعاء؟ وأي ثمرة من النداء؟

وهكذا تنحدر النفوس الضعيفة بالمعاني السامية فتنزلها إلى مستوى متدنٍّ. وهكذا تفهم تحذير المسلمين ليكونوا على أهبة الاستعداد أنه دعوة لتيئيس الناس من العمل ومن الجهاد !

---

[١] رواه البخاري.



إن الله تعالى ورسوله قد أخبرانا بأن الشدائد تصيب المسلمين ويدال عليهم ويغلبون ليتبين المؤمنون ويتقدم المجاهدون.. ولو أن المسلمين أخذوا برأي هؤلاء اليائسين الميئسين لاستسلموا للتتار، ولغارات الصليبيين أبد الدهر.. ولما وجد من يحمل الراية في الأيام العصيبة ويقدم نفسه وماله في ساعات الشدة.

ليس كلام الرسول بهذه المنزلة التي وضعوه فيها، ولكنه أجل وأرفع، وما غرض رسول الله إلا التنبيه للفتن، حتى إذا أدرك المسلم زمانها، أخذ حذره وأعد لها عدته.. وعاش عيشة اليقظ المتحفز، يخشى أشد الخشية أن تأخذه الفتن في مسيرتها وأن تطويه في ثناياها، ثم لنسمع قوله ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ فِي الْفِتَنِ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ خَلْفَ أَعْدَاءِ اللَّهِ يُخِيفُهُمْ وَيُخِيفُونَهُ، أَوْ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي بَادِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي عَلَيْهِ"[١]. ثم لنسمع قوله عليه السلام: "لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"[٢]... ابحث عنهم وانضم إليهم.

من أين أتي المسلمون: الآباء... الأعداء

(صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ الناسُ وَإِذَا فَسَدَا فَسَدَ الناسُ: الْعُلَمَاءُ وَالأُمَرَاءُ)[٣] هذا حديث ضعيف.

وليس الذي ينكَر أن العلماء هم حياة الأمة... ولكن الذي ينكر أن يقعد الناس حيارى كسالى ضائعين أو يحسبوا أنهم ليسوا مسؤولين إذا افتقِد العلماء أو ضعفوا عن القيام بواجبهم... ولذلك وللأسف نجد عند هذا الصنف خورًا شديدًا ولا تجد لديهم حرارة الاندفاع في سبيل إنقاذ الأمة، ولا تجد لديهم طمأنينة الواثق بعمله المؤمن بأن جهاد

---

[١] رواه عبد الرزاق في المصنف، والحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

[٢] رواه مسلم.

[٣] قال الحافظ العراقي: أخرجه ابْن عبد الْبر وَأَبُو نعيم من حَدِيث ابْن عَبَّاس بِسَنَد ضَعِيف. ورواه الدينوري في المجالسة عن سفيان الثوري – رحمه الله-.



العامل المخلص لا بد أن يلقى نصيبه من النجاح.. وأن من المستحيل جمع كلمة المسلمين..

هذا الطابع الذي طبع عليه المسلمون اليوم، قلة الاهتمام بشأن الأمة، وضعف الثقة والعزوف عن القيام بالواجب الأكبر والجهاد في سبيله، والاحتجاج بأن المسؤولية تقع على العلماء والأمراء، هذا الطابع، وهذه المعاني هي أخطر ما يهدد الأمة الإسلامية.

اليأس والقتال والخور المميت والثقة المفقودة، كل هذه هي العدو الحقيقي والعقبة الكبرى التي تواجه المسلمين، أما العدو الخارجي؛ الصهيونية والصليبية والشيوعية، فكلها أمرها يهون إذا استطعنا أن نغير ما بأنفسنا لنقر فيها معاني الإيمان واليقين والصبر والجلد والثقة والعمل.

وقد أُتي المسلمون اليوم من قبل أنفسهم، وقذف الوهن في قلوبهم، والله تعالى يناديهم من علياء سمائه نداءه الأزلي: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩].

ومن المؤسف أن أغلب الأمة تعتقد بأنه ليس على الأفراد تبعة... وأن التبعة على القادة.

نقول: لا يخفى على أحد أهمية القائد.. ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح هو ما يلي: أكان القائد يعمل وحده؟ وما سر نجاحه؟ ولا شك أن القائد يحتاج إلى البيئة وإلى الجماعة التي تساعده وتقوم معه على الطريق.

إن الذين يلقون التبعة عن كواهلهم، ويحملون القيادة التبعة كلها، ينظرون إلى القضية من طرف واحد، ويحتجون بالدليل في أحد جوانبه.. وهم يشبهون بمن يقول إن الحب هو الذي ينبت الزرع، فيحسب السامع أن الحب قادر على إنبات الزرع وحده، والحق أن ذلك محال إذ لا بد من التربة، ولا بد للتربة من شروط.. فإذا لم تكن التربة جيدة كان



النبات سقيما عليلا.. وعلى هذا فشأن التربة، ليس بأقل من شأن الحب الذي يلقى فيها، وكذا الحال في الجماعة ليس شأنها بأقل من شأن القيادة في نجاح الأمة.

إذًا فكل واحد منا على ثغرة من ثغور الإسلام.. فلا يؤتين الإسلام من قبلك ولنعلم أننا كلنا مسؤولون.. والرسول يقول: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[١] .

[١] متفق عليه.



وامعتصماه[1]

الصراع بين الإسلام وخصومه الأعداء مستمر وباق إلى يوم القيامة.. لأنه ينطلق من حرب دينية وعقائدية... وكما أخبر الله سبحانه في القرآن الكريم:

{اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ} [البقرة:٢٥٧].

فالمسلمون هم جند الرحمن، وعن عقيدتهم يدافعون بالمال والأبدان..

واليهود والنصارى وغيرهم جنود الشيطان، وعن ضلالهم وغيهم وشرهم يكافحون ويناددون..

ومن أمثلة ذلك الصراع... الشواهد التالية:

* في عام ١٩٢٣م عندما دخل الجيش الإيطالي قرية (جفارة) في ليبيا قتلوا ألف رجل صبرا أمام نسائهم وأطفالهم، وكان من أبشع ما فعلوه أنهم أتوا بعشر سيدات من أهل جفارة فجردوهن من ثيابهن وشنقوهن عاريات.. وأبقوهن سبعة أيام معلقات على تلك الحالة.

* وعندما دخلوا –الكفرة– في يناير ١٩٣١م.. يقول الأمير شكيب أرسلان: (كان نحو من مئتي امرأة من نساء الأشراف قد فررن إلى الصحراء قبل وصول الجيش الإيطالي، فأرسلوا قوة في أثرهن، فبحثوا عنهن حتى وجدوهن فقبضوا عليهن وسحبوهن إلى الكفرة حيث خلا بهن ضباط الجيش الطلياني واغتصبوهن، وهكذا أنزلوا المعرات بسبعين أسرة شريفة من أشراف الكفرة، اللواتي ما كانت الشمس ترى وجوههن من الصون والعفاف)[2].

[1] مسودة تحضيرية لمحاضرة صوتية للشيخ أبي أنس الشامي –رحمه الله– كتبها بخط يده في مطلع التسعينيات من القرن الماضي.
[2] حاضر العالم الإسلامي، شكيب أرسلان، (ج٢/ص٧٠).



* واليوم يواجه أكثر من مليون مسلم حملة إبادة جماعية كالتي حصلت في تركستان على أيدي الشيوعيين الصينيين.. وكالإبادات الجماعية الرهيبة التي حصلت للمسلمين في الجمهوريات التي احتلتها روسيا أيام الطاغية الهالك ستالين الذي قتل أكثر من تسعة ملايين مسلم... ففي بلغاريا اليوم، يجبر المسلمون على تغيير أسمائهم الإسلامية.. وحولت المساجد إلى مخازن وبارات للخمور.. كما تم تعرية النساء المؤمنات العفيفات الطاهرات واغتصبوهن وانتهكوا أعراضهن أمام عائلاتهن.

* واليوم في صيدا في لبنان حيث اقتحمت قوات الكتائب اللبنانية النصرانية بيوت المسلمين الآمنين.. واغتصب جنود الكتائب الأنذال نساء المؤمنين بصورة بربرية وعلى مشهد من أقاربهن الذين يعمد أولئك الجنود النصارى المسلحون إلى تقييدهم زيادة في العذاب النفسي والبدني بهم، وبعد أن يغتصبوا الفتاة يسألونها عن أي شخص من أقربائها تختاره للموت كي يقتلوه!!

دماء وأشلاء، أرامل ويتامى، بكاء وأحزان، تعذيب وتشريد، احتلال واغتصاب.. ذل وانحطاط.. فعلى مد البصر وسمع الأذن وفي كل أرض إسلامية حرب على الإسلام وحرب على المسلمين:

- ففي أفغانستان يدفن الناس وهم أحياء، وتحرق الأجساد بالنار ويكون الرجال هناك عرضة لأحدث ما أنتجته الترسانة الروسية من أسلحة الفتك والتدمير.

- وفي لبنان منع الناس حتى من الخروج من بيوتهم واختطفت إسرائيل حوالي ٣٥٠٠ شابٍ من أبناء المسلمين، وغيبوا عن الحياة ولا يعرف ما مصيرهم، ومساجد دمرت وبيوت أحرقت وأطفال يتّموا وشيوخ عذبوا ونساء اغتصبن!!.

- وفي فلسطين ينادي المسلمون بالسلام ويسعون إليه ويعقدون المؤتمرات لذلك، لقد تخلوا عن أرضهم ومقدساتهم لليهود الصهاينة وصاروا -عجبا- راضين بالثعبان الصهيوني تسري سمومه، ويرتع ويلعب على أرض الإسلام والمسلمين.



– وفي الفلبين طاغية ماكر يستمد قوته من جهات إسلامية، لا يلقي بالا لإنسانيتهم يحرق الزروع ويغتال الأطفال..

– وفي الهند أصبح الدم المسلم بلا ثمن فلا يكاد يمر وقت بدون أن ترتكب فيه مذبحة للأبرياء العزل على مرأى ومسمع من العالم، ولا محاسب ولا حتى مستنكر.

إن كل هذه الأرواح ترسل تلك الرسالة التي أطلقتها تلك النسوة اللاتي يعذبن في سجون الطغاة عندما قلن:

نستصرخ العالم أن ينقذنا من عذابنا.. ننادي بأعلى صوتنا.. بكل جوارحنا، كل ذرة فينا تصرخ وتستغيث.. كل قطرة دم.. كل نبضة عرق.. كل نفس يصعد ويهبط ينادي.. وامعتصماه.. وامعتصماه.. نادت بها امرأة واحدة فلبى لها رجال كثيرون، ونحن هنا مئات من اللواتي يسحقهن طغاة حاقدون.. مئات يعذبن.. يقتلن كل لحظة بألف قتلة.. ولا يمتن ألا من معتصم؟!!

ألا من مسلم ينصر نساء يسحقن؟؟

ألا يا عالم استفق.. وانتشلنا من الحريق.. وانتشلنا من الغريق، فلقد جفت العروق.. ولا نهار ولا شروق.. في وحشة واد سحيق.. ننادي.. نلتمس الطريق.. هل من بريق؟.. هل من بريق؟!..



عندما يضل الهداة وينعق الحداة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على من لا نبي من بعده.

لا أدري لماذا يصر الدعاة الكبار على محاصرتنا وسد منافذ الود والاحترام المتبقية في قلوبنا لهم بسبب أياديهم البيضاء فيما مضى، وكأني بهم يجتهدون في جمع جبال من الحصى ثم يدفعونها إلينا دفعاً لنرجم بها الماضي الأزهر الذي كانوا قد خطوه قديماً بجهادهم، قبل أن يرتجلوا عن القافلة، ويتخلوا عن المقولات السابقة لسجنهم.

أنا كسائر أبناء الصحوة من أترابي؛ تربيت على المحاضرات والنتاج الثقافي الشرعي الذي قاده الرادة الكبار –وعلى رأسهم سفر الحوالي وسلمان العودة– وقد تربع هذان على عرش قلبي وقلوب أترابي في كل مكان. وكنت لا أزال أجاهد القلم وأحمي اللسان مخافة أن يزلا فيقعا في هذين. ولكنهما للأسف يأبيان إلا أن يدفعانا دفعًا ويسوقانا سوقا لنطاعنهما، لا كراهية لهما –علم الله– ولكن ذوداً عن الملة ودفاعا عن الإسلام الذي تعلمناه منهما فيما مضى.

بالأمس طالعت مقالةً لسلمان يثبط فيها عن النفير إلى العراق، كما وانطوت على كثير من المغالطات التي تشي –لا بجهل بواقع الجهاد فقط– وإنما تكشف انحرافات في الأصول وتغييرًا عجيبًا للثوابت الشرعية.

وبين يدي الحديث المختصر المعتصر عن بعض هذه المغالطات لا بد من توطئة ومدخل، فأقول:



عجبت يا سلمان أن نجد لك بحثاً كاملاً في الثناء على جهاد حماس في فلسطين، تفخم فيه أعمالها وتضخم فيه إنجازاتها، وتبلغ بها الجوزاء، بل وتجوزها إلى عنان السماء، مع الخلل العقدي والأصول البدعية التي انطوت عليها هذه الحركة –على الأقل بموجب الموازين الشرعية التي تعلمناها منكم فيما مضى. وهذا بالطبع لا يعني أننا نقف ضدهم ومع اليهود، بل أصل الموالاة الإيمانية والنصرة الدينية واجب لهم مع النصح والتبيين.

وفي المقابل؛ فإننا لا نجد لكم مقالةً أو قالةً في الثناء ومدح الجهاد في أرض الرافدين يليه الدعاء لهم واستنصار الأمة لنصرتهم –على الأقل فيما نعلم.

ودعني أهمس في أذنك كلمة هي نتاج استقراء ومعايشة ومباشرة للجهاد هنا منذ سنة، وخلاصتها؛ أن الجهاد في الواقع هو جهاد سلفي بنسبة ٩٠% وتزيد.

أما نسبة الإخوة المهاجرين من وراء الحدود؛ فلا والله ما رأينا إخوانيًا أو تبليغيًا قد عبروا الحدود لنصرة إخوانهم والجهاد معهم، بل كلهم من أبناء الدعوة السلفية، على تفاوت بينهم في إدراك فقه هذه المدرسة.

وأما إخواننا الأنصار من أهل البلد؛ فجل من يجاهد هنا الذين ينبزون بـ(الوهابية)، التي كنت تنتسب إليها فيما مضى، وربما لا يدري الكثيرون أن أكثر مجاميع (المقاومة الإسلامية الوطنية) التي تقاتل هنا؛ هم من أبناء الدعوة السلفية، ولكنهم غرر بهم واستغلت سذاجتهم ورغبتهم الصادقة في الجهاد، واستدرجوا عبر الدعم المادي لتسرق دماؤهم ويصنع المجد بجماجمهم على أيدي دهاقنة (الإخوان).

هذه شهادة أسأل عنها بين يدي الله وأذود دونها بين يدي الخلق، فهلم فلنبتهل.

وعودة على بدء...

فأقول؛ لقد استنكر سلمان العودة قتل العراقي للعراقي، ولنا هنا وقفات:



أولا:

ذكر أئمتنا أن مسألة الأسماء والأحكام من القواعد العقدية المهمة، والتي تعتبر الضابط لمسيرة المؤمن في الحياة، حتى لا ينحرف أو ينجرف، وخلاصة هذه القاعدة؛ أن الله تبارك وتعالى أنزل أحكاما على حقائق ربط بينها بأسماء شرعية، فمتى وجد الاسم الشرعي تعلق به الحكم الشرعي.

فمن هذه الأسماء الشرعية في هذا الباب؛ مسلم، مؤمن، كافر، منافق، مرتد، زنديق، ذمي... الخ.

هذه أسماء شرعية تعلقت بها مهمات فقهية وأحكام علمية، فمثلاً عندما نسمي شخصاً (مسلماً) فستتعلق به منظومة من الأحكام الشرعية، فله ولاؤنا وحرام علينا دمه وماله وعرضه... الخ.

وهكذا عندما نصف شخصاً بأنه (مرتد)؛ فحقه القتل والاستتابة وماله فيء... الخ.

ليس في دين الله؛ أن العراقي أو الأردني أو الكويتي لا يقتل لوصف الوطنية، فهذه قواعد التعامل عند العلمانيين، أما نحن فـ(الإسلام) هو الرحم الذي بيننا وبين الناس، به نواصل ونفاصل، ومن أجله نوالي ونعادي، وفي سبيله نقاتل ونهادن.

وسؤالي هنا؛ أليس قد قاتل النبي أبناء عشيرته القرشيين في بدر وأحد وغيرها؟ أم تراه قاتل الشيطان؟! ربما!

ثانياً: عجيب أن ينطق الشيخ بهذه الإشارات، وهو يرى بأم عينيه فعل الجيش والشرطة العراقية -لا مع أهل السنة فقط- بل حتى مع الشيعة المتمردين على خط الاحتلال، فماذا يريد منا هذا الشيخ؟



هل نطوي صفحة الجهاد ونلملم متاعنا ونرحل عن هذه البلاد، مخافة أن نقتل عراقياً؛ استبحنا دمه بسيف الشرع، لتصفوَ الساحة للعدو الأمريكي ومن ورائه المرتدون من العراقيين؛ ليقيموا دولة ظاهرها الرفض وباطنها الكفر المحض، وليستاقوا الأمة من بعد إلى مهاوي الشرك والكفر والعهر الغربي.

ثالثاً: ها هو الشيخ المجاهد –سابقاً– يدعونا إلى ترك الجهاد، لنفسح المجال للشعب ليستمتع بالكهرباء والماء والخدمات الأساسية! بدعوى المحافظة على (مقاصد الشريعة).

وأنا لا أدري أين كان هذا الفقه عن الفقيه الأكبر؟ وهل ذهل عن هذه الحكمة الحكيم الأول ﷺ وهو مستعلن بسب المشركين وعيب آلهتهم ويجشِّم أتباعه عناء العذاب والتهجير والتشريد والقتل لأجل توحيدهم ودينهم؟

أما كان يسعه ﷺ؛ أن يدعو إلى (حوار وطني) و (مائدة مستديرة) يجتمع عليها الفرقاء، ليتحاوروا ويتعاونوا على بناء الوطن ورفعة شأنه، وأن يديروا صراعاً سياسياً سلمياً لا تراق فيه دماء ولا تشهر فيه السيوف؟

هل يجب علينا أن نهادن الجاهلية وأن نتوسل لها لتفسح لنا مكاناً في نسيجها المجتمعي والسياسي الجاهلي، لنمارس معارضة سياسية خجولة وتكملة للـ(دكتور الديمقراطي)؟

أهذه مقاصد الشريعة عندك أيها الشيخ؟!

ثم كيف غاب عنك – وأنت صاحب (فقه الواقع) – أننا هنا لا نجاهد دفاعاً عن العراق فحسب، وإنما دفاعاً عن الحرمين والأقصى وسائر عالمنا الإسلامي قبل أن تحكم أمريكا الخناق وتستلب إرادة الجميع؟

رابعاً: من بديهيات الفقه الإسلامي أن الجهاد يتحول فرض عين إذا دوهمت أرض إسلامية وعجز أهلها عن الدفع.



وأنا أقول هنا -واثقاً-؛ إننا بحاجة ماسة إلى الكفاءات العسكرية والشرعية والطبية والإعلامية، بالإضافة إلى الدعم المالي، هذه الحاجات ماسة جداً.. فلماذا التثبيط؟

وفي الختام أتوجه إليكم مشايخنا الكرام، أسألكم بالله نيابة عن المجاهدين في كل مكان قائلاً: اتقوا الله فينا... فإن لم تنصرونا، فلا تحاربونا.

أبو أنس الشامي (٣ / رجب / ١٤٢٤ هـ)



أكبر سرقة في التاريخ

نعم! سرقة كبرى... وفي وضح النهار، وعلى مرأى ومسمع من الناس... من غير نكير بل ولا همس من نذير... فقد صمت النذير العريان وارتدى ثيابه ومضى كأن الأمر لا يعنيه.

ترى عن أي سرقة أتحدث؟

باختصار... إنها سرقة المشروع الإسلامي برمته... وعلى يد من؟ إنهم الرادة والقادة... وللأسف... كيف؟

باختصار أيضا؛ بعد سقوط الخلافة وأفول نجمها على يد كمال أتاتورك راجت سوق العلمانية في بلادنا وقد قام بناؤها على مقولتين خبيثتين كانتا ركائز الفكرة العلمانية وهما: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله)، والأخرى: (الدين لله والوطن للجميع).

وقام المشروع الإسلامي يناطح هاتين المقولتين ليبين وهاء البناء العلماني ومناقضته للشريعة والملة الغراء.

وأفاض المفكرون والكتاب في الحديث عن الهوة الواسعة والمسافة الشاسعة بين المجتمع الأوروبي بخصوصياته العقدية وعقده التاريخية وحراكه الاجتماعي التي تضافرت لتصنع المزاج الغربي الحديث الذي أنتج العلمانية لتكون بديلا عن التوحش الكنسي.

وبين مجتمعاتنا الإسلامية المؤتلفة في نسقها التاريخي ومزاجها الفكري والعقدي مع شريعتها الغراء ودينها الوضاء.



كان الهدف واضحا والغاية جلية.. إيجاد حكم الله ليظلل مجتمعنا من جديد ويسلم الأمر للقرآن ليضع الأمور في نصابها ويحدد لكل إنسان مكانه ومكانته في الدولة الإسلامية...

وانطلقت الحركات الإسلامية الفتية تصاول وتطاول في ظل تضعضع حضاري أثمر هزيمة نفسية مع مراهقة فكرية أوجبتها حداثة التجربة وتسارع الأحداث مع ضعف البناء الشرعي والفقهي العميق وعدول عن الأخذ بالسنن الكونية التي أجرى الله بها كونه وأمضى بها أقداره؛ والأخذ من بعد بالمناهج البدعية والإرث العقدي الذي ورثتناه الفرق الكلامية والطوائف الصوفية...

وكانت النتيجة إخفاقات متكررة وهزائم ساحقة ماحقة أوجبت جراحات عميقة في الوجدان وأدت إلى خلخلات نفسية مهدت الأرضية لاستنبات نبتة غريبة هجينة بعد الشعور باليأس من الوصول إلى الهدف المنشود والغاية الأصلية.

وإذا كانت النفوس كبارا *** تعبت في مرادها الأجسام[١]

لكن إذا كانت الأهداف كبيرة والنفوس عليلة مريضة وخاصة مع جفاء القلوب وقحط العيون وضعف الصلة مع الله العلي الكبير؛ فإن النفوس سيصيبها الصدأ... وستبدأ رحلة البحث عن هدف سهل ميسور.

وهكذا أسدل الستار عن الهدف الأصلي وطويت شعارات تطبيق الشريعة والحل القرآني ولم نعد نسمع داعية ينادي بهذه الشعارات.

وتقزمت الأهداف لتصبح أرضية محضة ودنيوية خالصة.

اسمع معي جواب أحد هؤلاء الرادة – وهو محفوظ النحناح – وهو يسأل عن هدف حركة حماس الجزائرية فقال –والجواب من ذاكرتي واللفظ قريب جدا–: (نحن ندعو إلى

[١] المتنبي.



إقامة دولة الرفاه الاجتماعي، التي يتساوى فيها المسلم والنصراني والشيوعي، ثم المسلم في مسجده، والنصراني في كنيسته، والشيوعي في مركزه).

ويذكرني هذا بما نشرته مجلة المجتمع سنة ١٩٩٦م تقريبا عن غضب الأنبا شنودة القبطي بسبب تصريح نسبته جريدة الوقت المصرية الناطقة بالإنجليزية إلى المرشد العام للإخوان وخلاصته أن القبطي لا يجوز أن يكون رئيسا في الدولة الإسلامية؛

فما كان من الإخوان إلا أنهم أرسلوا سريعا وفدا تألف منهم ومن حزب العمل المصري يعتذرون إلى شنودة ويحلفون له أن ما حصل تصريح فهم خطأً وأنهم قد أوضحوا برنامجهم ونظرتهم؛ فهم يسوون بين المواطنين جميعا بموجب عقد المواطنة الذي يستوي فيه المسلم والنصراني واليهودي في جميع الحقوق والواجبات من الكناسة إلى الرئاسة.

وللعلم فالإخوان قد أسقطوا أحكام الذمة التي قررها القرآن والسنة وإجماع الأمة واستبدلوا بها عقد المواطنة وأصل ذلك بحث كتبه سليم عوا نسخ فيه الأحكام القرآنية بجرة قلم؟!!

وعلم الله أن النوم قد جافى مضجعي تلك الليلة وأنا أتقلب أرقا.. وأحاول أن أتخيل دولة إسلامية يحكمها الأنبا شنودة بصليبه على صدره وعمامته السوداء على رأسه وصولجانه في يده.

ومعذرة؛ فقد شق على عقلي القاصر وفكري الضيق أن يلم بهذه الصورة العجيبة.

وغير بعيد عنا تصريح محسن عبد الحميد عضو مجلس الحكم الأمريكي السابق في أعقاب مؤتمر وطني في شمال العراق قال فيه: (يجب أن تنتهي النظرة الأصولية التي تقصي الآخر ولا تعترف له بحقه في بناء الوطن).

وإلى جواره البرزاني والطالباني إماما الكفر والزندقة... وإلى الله المشتكى.



هل نسي هؤلاء أن الغاية الكبرى من سعينا ودعوتنا هي تحقيق العبودية لله على قاعدة التوحيد الذي هو الميزان القرآني الذي نزن فيه الأشخاص والطوائف والأفكار والذي ينظم مواقفنا ويصوغ مشاعرنا وعواطفنا ثم لنبني بعد ذلك دنيانا على أساس ملي صحيح لا على أساس دنيوي فهذه هي العلمانية.

غياب الغايات وضمور الأهداف علة العلل ومقتل الحركات الإسلامية وتجده واضحا جليا مُرّ الثمرات أينما توجهت.

خذ مثلا موضوع (الحوار بين الإسلام والغرب)؛ الهدف القرآني هو هداية الطرف الآخر وإقناعه بالحجة والبرهان وخطاب العقل والوجدان، لكن هذا الهدف تحول على أيدي رادتنا ليصبح سعيا إلى إقامة دنيا الأمن والسلام ومجتمع الحب والرفاه في غفلة فاضحة عن الحقيقة القرآنية والكونية الكبرى؛ وهي أزلية الصراع بين الحق والباطل، {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ} [البقرة:٢١٧]، {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة:١٢٠].

وهو خطاب كما ترى أثمر تحريف مفهوم الجهاد وتقزيم غاياته، من نشر لحكم القرآن وإقامة لدولة الإسلام إلى دفع للصائل ورد للمعتدي فحسب!

والخلاصة؛ كما ترى أيها القارئ الكريم أن المقولتين العلمانيتين أعيد إنتاجهما من جديد ولكن هذه المرة على أيدي الرادة والقادة وتحت لافتة الإسلام.

ألم أقل إنها أكبر سرقة في التاريخ؟!

فمتى تفيق القواعد لتعيد المسروق وتحاسب السارق؟!!

{وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء:٥١].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بقلم الشيخ؛ أبي أنس الشامي

مسؤول اللجنة الشرعية

بجماعة التوحيد والجهاد / العراق

المسؤولية

س: ما سبيل الخلاص؟!

أولاً: كسر الأطواق وتحطيم الأغلال والخروج على الأعراف التي وضعتها الجاهلية، تلك الأغلال التي عاش فيها المسلمون ردحا من الزمن يرسفون الذل والهوان مستسلمين إلى الضعف والخور.. وهي على ثلاث مراحل:

- الشعور بالأطواق شعورا واضحا جليا.. وإنها لتحيط بأعناقنا من غير أن نشعر.

- إدراك مدى أخطارها.

- العزيمة المصممة التي تدفع إلى كسر القيود والخروج منها.

- مشاهدة نقص البيئة وأثر هذه البيئة فينا وفيمن حولنا وهو أمر عسير إلا على من يسره الله عليه.. وأكبر من ذلك القدرة على انتزاع النفس من البيئة السلبية والانطلاق في أجواء الخير والإيمان.

ثانيا: لا بد من مثل واقعية.. ونماذج قوية:

يرهب الإنسان القوة ويحترم البطولة وتأخذ المعاني الرائعة بجماع قلبه.. وتسري إلى فؤاده فتوقظ مشاعره وتفتح أمامه معاني الحق، ويسهل عليه اتباعه، وأعلى درجات القوة قوة الحق والدعوة إليه –والصبر في سبيله.

ولولا رسول الله لما كان الصحابة.. ولولا الصحابة لما كان من بعدهم من الناس.

ثالثاً: رجل العقيدة:

ذلك الإنسان الذي تصبح الفكرة همه: تقيمه وتقعده ويحلم بها في منامه وينطلق في سبيلها في يقظته..

إن محمدا لم يعمد إلى إصلاح اقتصادي أو أخلاقي أو صحي أو سياسي أو إداري أو علمي.. ولكنه عمد إلى إصلاح الإيمان.. ودعا بدعوة التوحيد.. فكان من بعد ذلك كل إصلاح وكل خير وكل قوة.. ولا يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. [معالم في الطريق]

صفات رجل العقيدة:

١- أن يخرج عن سيطرة المجتمع وقيوده.. ويرتفع إلى مستوى العقيدة فيعيش لعقيدة ويمضي في سلوكه بما تملي عليه عقيدته سواء سخط الناس أم رضوا.. والإنسان تتحكم فيه غرائزه... ولكن رجل العقيدة تظل غريزته موجودة.. ولكنها تصبح مملوكة غير مالكة.. تابعة غير متبوعة.. خادمة غير مخدومة..

فغريزة الجمع --- لخدمة العقيدة.

الغضب --- لمن انتهك حدود العقيدة.

إن حفنة يسيرة من رجال العقيدة يستطيعون أن يغيروا معالم التاريخ كما فعل النبي عليه الصلاة والسلام.. ومن بعده الصحابة.

٢- الشعور بالخطر:

وهو يرتبط بإدراك وطأة الماضي والإحاطة بالموقف الحاضر والنظر إلى المستقبل وكل ذلك لا يطيقه إلا نافذ البصيرة.

ويتفاوت الناس في شعورهم بالخطر الداهم.. فمنهم من لا يشعر بشيء... ومنهم يطغى عليه هذا الشعور حتى يصبح حالة مرضية يؤدي بصاحبه إلى الفشل واليأس..



وهنالك شعور بالخطر مقترن بالأمل مشفوع بأمضى أنواع العزيمة.. وأنفذ ألوان البصيرة فلا يأس وقنوط.. ولا اندفاع وغرور.. بل إدراك للخطر ودراسة للموقف وعزيمة تتحطم على سفحها الجبال الرواسي.

٣- الجماعة:

ولا يتم شيء مما ذكرنا إلا ضمن جماعة.. ولذا كان وجود الفرد في جماعة أمرا ضروريا دينيا.. قال رسول الله: "آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ: بِالْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ". رواه الترمذي.. وهو حديث صحيح.

وللأسف إن بعض الناس ينفر من هذا.. ولا يحب أن يكون لأحد عليه سيطرة... وهذا خطأ.. وهذا مخالف للمنهج الإسلامي.

ولا بد من:

١- النصح... ومحاولة إقالة العثرات والكبوات حتى لا تحيد عن الخط السوي.

٢- التعاون: {تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ} [المائدة:٢].

٣- الحب والإخلاص.



سرور... بل أحزان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

أما بعد:

كم هو عجيب أمر الفتن فهي حقاً خافضة رافعة... وخاصة في هذا الزمان.. وبالأخص بعد أزمة الخليج الثانية، فكم من علم هوى وكم من متقدم تأخر ومن سابق تقهقر.. وإلى الله المشتكى.

لعله لم يعد سرًا .. أني في الأصل تلميذ تخرج في مدرسة السروريين فعلى أيديهم عرفت طريقة الهداية وبمناهجهم صنع عقلي وتشكلت معارفي.

وكنت كلما ترقيت في مدارج العلم أزداد حباً لهذه المدرسة وتعلقاً برموزها.. وذلك أني كنت أشعر أنهم يقدمون لنا الإسلام صافياً رقراقًا لا تعكره فلسفات القديم ولم تفسده ضغوطات الفكر الحديث.

وكان الجهاد حاضرا كقيمة ومعنى بقوة في مناهج التربية.

ومنها رضعنا حب الأئمة المجاهدين في القديم والحديث، وتعلقنا بكتب السنة والسلف، وشغفنا بتراث شيخ الإسلام، وتوطدت علاقتنا بفكر سيد قطب... الخ.

صحيح أني كنت عنصرا قلقا متمرداً بطبعي.. لكني كنت أعد نفسي منهم أطلعهم على أسراري.. وأشاورهم في خاصتي.. وأباحثهم في أفكاري.. وكانوا يبادلونني الشعور والأحاسيس. وعلم الله أني ما زلت أخص بعضهم بالدعاء كل ليلة تقريبا.. خاصة من الرواد الأوائل الذين نهجوا بي في هذا الطريق.



ازداد هذا التعلق بعد أن برز نجم سفر الحوالي كرجل مواقف جدد تاريخ ابن تيمية وعلماء الأمة السالفين.. ووقف مواقف الحق والثبات يوم أن مادت الأرض بكثير من الرموز التقليدية القديمة.

نعم.. كنت أعيب على الإخوة فيما مضى تأخرهم عن ركب الجهاد وقعودهم عن ترجمة النظر الفقهي الجهادي إلى حركة عملية على أرض الواقع.. وكنت أجد منهم عوائق وعقبات دون السعي لاستثمار ساحات الجهاد التي فتحت في أرجاء شتى.

مع العلم بأنني لم أكن في يوم من الأيام من دعاة الإصلاح بالمفهوم المنتشر حاليا.. صحيح أنني دخلت في بعض المؤسسات الدعوية وشاركت فيها.. لكن ذلك كان من قبيل استغلال الهامش المتاح للدعوة وتأخير الدخول في أعمال لم نأخذ لها أهبتها ولم نلبس لها لأمتها.. على أن ذلك هو السبيل لإحياء الأمة.. فقناعتي الراسخة قديما أن ذلك هو الجهاد ولا أنسى أني وقبل مجيئي بأشهر معدودة إلى العراق دخلت في نقاش مع أحد الإخوة الأفاضل عن أسلوب التغيير وطرائق الحل الشرعي الصحيح.. فكان من رأيه أن ذلك هو بناء مؤسسات شعبية قوية تكون أرضية صلبة للمغالبة والمطالبة.

حاورته طويلا.. وكان مما قلته له؛ إنني أخشى أن ننتهي إلى ما انتهى إليه الإخوان المسلمون.. فقد انقلبت مؤسساتهم من أرضية للمغالبة.. إلى قيد على الحركة.. يقعد بها عن التقدم حفاظاً بزعمهم على المنجزات.

وهي صورة تذكرك بالقنبلة النووية الباكستانية.. التي أصبحت عبئا يحرس بدل أن تكون قوة تخرس الأعداء المتربصين وأردفت بأني أخشى أن يكثر عدد المنتفعين الذين يقتاتون من عسل الصحوة ويعتاشون على أريجها بدل أن يرووها بدمائهم وأرواحهم... تماماً كما هو الحال مع الإخوان.

وكنت فيما مضى أقول للإخوة إن منصب القيادة الشرعية في الأمة شاغر... ينتظر من يملؤه... ولعل الله يهيئ المشايخ في السجن ليستوجبوا هذا المنصب ويتسنموه بجدارة.



خرج المشايخ من السجن واشرأبت إليهم الأعناق وصوبت إليهم الأبصار.. ولكن.. حصل ما لم يكن في الحسبان وبدا مسلسل التنازل شيئاً فشيئاً.

وانخسفت الأقمار وانكسفت الشموس وأظلم الفجر الوليد.. وانطوت القلوب على حسرة وألم ممض... وتجرعنا مرارة زادت على العلقم.. وعدنا نضرب كفا بكف ونبكي حلما أفَقنا منه على صخرة الواقع القاسية.

جاءت أحداث غزوتي نيويورك وواشنطن فأحيت الأمل الدفين وحركت العزائم وبدأ الشباب يشهدون ولادة قيادة جديدة تصنع المجد وتبني الصرح بالدماء الطاهرة والجماجم الصادقة.

وتتابع سقوط الرموز القديمة.. وأسفَّ بعضهم إسفافاً غريباً.. وتغيرت المفاهيم وانقلبت الثوابت وانماعت الأصول العقدية.. ورأينا سلفيين نزعوا إزار السلفية ولبسوا بنطال الإخوان، كان هذا مدخلاً وليس مقصودي التأريخ المستوعب لحركة الصعود والهبوط في مؤشرات الدعاة على مسرح الأحداث.

فالذي فجر هذا الشجون... أني اليوم جالست الإنترنت بعد انقطاع يزيد على سنة ونصف فتوجهت إلى موقع مجلتي المحبوبة سابقاً السنة.. هذه المجلة العزيزة -سابقا- كان لي معها قصة حب قديمة، وذلك أني شهدت بدء انطلاقتها أيام أزمة الخليج.. فوجدتها قائلة بالحق ناطقة بالصدق الذي ننشده، فكنت أستنسخ منها عشرات النسخ وأوزعها علانية أيام الجامعة الإسلامية.. مغامرا بسلامتي مضحيا بمستقبلي!

وكان رفاقي يلومونني على تهوري بزعمهم... وكنت أجدني مدفوعًا لمثل هذا نشرًا للحق الذي أؤمن به.



فتحت الموقع... وليتني ما فتحته... قرأت فيه مقالاً لمحمد سرور.. يثني فيه على هيئة علماء المسلمين ويمتدح فيه جمعها الناس الوطنيين ومعتدلي الشيعة... ونبذها للطائفية... الخ.

سبحان الله.. لقد تعلمنا منكم أن الوطنية كفر وأن الديموقراطية شرك وأن اللعبة السياسية خدعة وشَرَك وفخ قذر.

وتعلمنا منكم الحذر من مناهج البدعيين... وورثنا عنكم كفر الرافضة وأدركنا عبركم خبثهم وشدة عداوتهم ومكرهم لهذا الدين.

وامتدح في المقال رئيس هيئة العلماء وأثنى على دينه وعقله وحنكته، وتداعى إلى مخيلتي هذا الحارث الضاري وهو يسأل عن حكومة علاوي في إذاعة مونت كار لو فيبدي دهشته من معاداة الحكومة لهيئته مع أنها لم تعاد الحكومة نعم لم تؤيدها ولكنه شخصيا يتمنى لحكومة علاوي التوفيق والنجاح.

نعم التوفيق والنجاح لحكومة علاوي في تحقيق أهدافها والتي هي باختصار قمع الجهاد والقضاء على أهل السنة وتطبيق النظام العلماني... الخ القائمة.

وأعجب من هذا أن سرورًا أثنى على استنكار الهيئة لذبح الكفار.. وكأنه لم يقرأ السيرة النبوية مع أننا على كتابه في السيرة تربينا.. وإلى الله المشتكى.

وأعجب من هذا أني رأيت في عدد قديم صدر قبل نحو سنة تحليلًا للعنف السياسي..كرر فيه الكاتب الأكذوبة التي روجت عبر وسائل الإعلام وبأيدي الأبواق الفكرية الإسلامية الوسطية؟!

وأن علاج الأزمة هو فتح المجال لإبداء الرأي والمشاركة السياسية والسماح للشعوب بالبوح بشوقها إلى الشريعة ولو كان ذلك على سبيل تنفيس المشاعر المكبوتة!



ولا كأنّ الأمر جهاد لإقامة الدين وإحياء الخلافة وتطبيق الشريعة... وتناسى الكاتب حقيقة الصراع الدائم الدائب بين الإسلام والجاهلية.

ابتدأ مسلسل التنازل ولا ندري إلى أين ينتهي.

وهذه نتيجة منطقية؛ فلقد وقفت الأمة على مفترق الطرق وتوحشت الجاهلية ولم تعد ترضى منك بالصمت وكان هنا الخيار الصعب.

فإما أن تلتزم ثوابتك وتعض عليها بالنواجذ وتحتمل من بعد عض السيوف وحياة الكهوف، وإما أن تطأطئ رأسك وتحني جبهتك وتركب معهم القافلة وهي ماضية من محطة إلى أخرى وصولًا إلى الكفر المحض... والعياذ بالله.

أكتب هذا؛ والألم يعتصرني لأني ما زلت حافظًا للود القديم ولم أنس بعد.. ولن أنسى الأيادي البيضاء لكم عندي ولذلك فإني أوجهها صرخة من الأعماق؛

أفيقوا... أيها السروريون...

بقلم الشيخ؛ أبي أنس الشامي

مسؤول اللجنة الشرعية

بجماعة التوحيد والجهاد / العراق



الشيعة[1]

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن لهديه اقتفى، أما بعد:

فقد كان الانتشار السريع لدين الله في الأرض على حساب الإمبراطوريات القديمة سببًا في الحقد عليه وعلى أهله، هذا الحقد الذي أثمر مكر الليل والنهار كيدًا لهذا الدين. وكان للمجوس من ذلك الحظ الأوفر، قال الإمام عبد القاهر البغدادي: (إن الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم ولم يجسروا على إظهاره خوفاً من سيوف المسلمين فوضع الأغمار منهم أسساً من قبلها صار في الباطن إلى تفضيل أديان المجوس وتأولوا آيات القرآن وسنن النبي على موافقة أسسهم)[2].

ومن أسباب ذلك أنهم كانوا يزدرون العرب، قال ابن حزم: (كان الفرس من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأبناء وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم إلى أيدي العرب وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام في أوقات شتى ففي كل ذلك كان يظهر الله الحق فأظهر قوم

[1] للمزيد حول الرافضة راجع: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر القفاري وغيرها من مصنفاته.

[2] الفرق بين الفرق (ص٢٦٩).



منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم علي رضي الله عنه، ثم سلكوا بهم مسالك شتى...)[٣].

[٣] الفصل (ج٢/ص٩١). ليس الفرس كلهم على هذه الشاكلة، بل كان ولا يزال فيهم رجال خالطت حلاوة الإيمان بشاشة قلوبهم، فكانوا بحق جنود صدق لهذا الدين... وقد روى البخاري عن أبي هريرة قال: كنا جلوساً عند النبي فأنزلت عليه سورة الجمعة {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} [الجمعة : ٣]، قالوا: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثاً وفينا سلمان الفارسي فوضع رسول الله يده على سلمان ثم قال: "لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء" [الفتح (ج٨/ص٥١٠)].



تعريف الشيعة

شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة، وكل من عاون إنسانًا وتحزب له فهو له شيعة[١].

واصطلاحًا: هو عَلَم على من يؤمن بأن عليًا هو الخليفة بنص النبي ﷺ[٢]، وهو أس التشيع وجوهره[٣].

وقد تطور مفهوم التشيع، وتغير مع الزمن، فإنه في أول الإسلام كان تقديم علي على عثمان في الفضل، مع الإقرار بتقدم الشيخين، يقول ليث بن أبي سليم: (أدركت الشيعة الأولى، وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً)[٤].

ثم تطور الأمر وبدأ الغلو في صورة الكلام في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية، والتعرض لسبهم[٥]، ثم تلاقح التشيع مع السبئية، واستطاع الزنادقة أن يركبوا موجة حب الناس لآل بيت النبي ﷺ، وإشفاقهم عليهم لما أصابهم من محن، ليدخلوا عليهم دينًا محدثًا يبدأ بعداوة الصحابة، والتبرؤ منهم.. الخ قائمة الانحراف الذي سنذكره على سبيل الاختصار إن شاء الله.

وقد تشعبت فرق التشيع وكثرت، وحديثنا إن شاء الله عن فرقة الإمامية الاثني عشرية الجعفرية منهم خاصة، لأمرين:

الأول: أنهم أكثر فرق الشيعة وجودًا وانتشارًا.

الثاني: أن التشيع عندهم صار نهرًا صبت فيه روافد الفرق الشيعية والباطنية كلها.

---

١ تاج العروس (ص٨/ص٤٠٥).
٢ الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية (ص١٥).
٣ عبد الله فياض: تاريخ الإمامية (ص٣٣).
٤ المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي، (ص٣٦١).
٥ ميزان الاعتدال، الذهبي (ج١/ص٦).



اعتقادهم في مصادر التلقي عند المسلمين

أ- اعتقادهم في القرآن

أجمعت أمة الإسلام على حفظ القرآن، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فمن رام المساس به فإنه بعيدٌ من الإسلام، عدو له، وإن تسمى باسمه، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، فلننظر ما يقوله الرافضة فيه.

ألف في هذا العصر الرافضي: حسين الطبرسي كتابًا سماه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب)، وقال في مقدمته: (هذا كتاب لطيف وسفر شريف عملته في إثبات تحريف القرآن، وفضائح أهل الجور والعدوان).

وقد طبع الكتاب على الحجر في إيران سنة ١٢٩٨هـ، وعليه خاتم الدولة الإيرانية الرسمي[١]، والمؤلف يحظى باحترام الشيعة، حتى اعتبروا كتابه: (مستدرك الوسائل) مرجعًا من مراجعهم في الحديث، قالوا: وأصبح في الاعتبار كسائر المجاميع الحديثية المتأخرة، ولما مات وضعوه في أشرف بقعة عندهم بين العترة، والكتاب يعني في الإيوان الثالث عن يمين الداخل إلى الصحن الشريف من باب القبلة في النجف[٢]، والنصوص المجوسية المثبتة للتحريف عندهم متواترة، حتى قال عالمهم المجلسي: (وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأسًا، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا تقتصر عن أخبار الإمامة)[٣].

وعدها نعمة الله الجزائري، فجاوز بها الألفي حديث[٤].

---

١ انظر: رسالة التقريب (ج١/ص١٨٨).

٢ أعلام الشيعة: آغا بازرك- القسم الثاني (ج١/ص٥٥٣).

٣ مرآة العقول (ج٢/ص٥٣٦).

٤ فصل الخطاب الورقة ١٧٥ (النسخة المخطوطة).



والخوئي مرجع الشيعة في العراق وغيره اليوم[١]، يقول: إن كثرة الروايات على وقوع التحريف في القرآن تورث القطع بصدور بعضها عن المعصومين، ولا أقل من الاطمئنان بذلك[٢].

روى الكليني في الكافي[٣] -الذي هو من أوثق كتبهم- عن أبي عبد الله قال: (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد سبعة عشر ألف آية)، وآيات القرآن كما هو معلوم لا تتجاوز ستة آلاف إلا قليلاً.

وعقد الكليني بابًا في الكافي سماه (باب أنه لم يجمع القرآن كله إلى الأئمة)، وذكر فيه ست روايات منها:

ما رواه عن جابر الجعفي أنه سمع أبا جعفر يقول: (ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده)[٤].

ويقول أحمد الطبرسي في الاحتجاج: وفي رواية أبي ذر الغفاري أنه قال: (لما توفي رسول الله جمع علي القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله، فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم، فوثب عمر، وقال: يا علي! اردده فلا حاجة لنا فيه، فأخذه وانصرف، ثم أحضروا زيد بن ثابت وكان قارئاً للقرآن، فقال له عمر: إن علياً جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد رأينا أن نؤلف القرآن، ونسقط ما كان فيه فضيحة، وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي

---

١ وقد هلك.

٢ البيان (ص٢٢٦).

٣ أصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب النوادر: (ح٢/ص١٣٤).

٤ أصول الكافي: (ج١/ص٢٢٨)، تعلبق ناصر القفاري: لاحظ أن هذه الرواية رواها جابر الجعفي وهو كذاب عند أهل السنة، كما أن كتب الشيعة اعترفت بأنه ليس على صلة معروفة بأبي جعفر (انظر: رجال الكشي ص١٩١) فهذه الرواية من أكاذيبه، وتلقفها الكليني الذي يعمل إشاعة هذا الكفر.



ألفه، أليس قد بطل كل ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما حيلته دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد، فلم يقدر على ذلك، فلما استخلف عمر سأل علياً أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن! إن جئتنا بالقرآن الذي قد كنت جئتنا به إلى أبي بكر حتى نجتمع عليه، فقال علي: هيهات ليس إلى ذلك سبيل! هيهات ليس إلى ذلك سبيل! إنما جئت به إلى أبي بكر لتقوم الحجة عليكم، ولا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به، إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، قال عمر: فهل لإظهاره وقت معلوم، فقال علي: نعم! إذا قام القائم من ولدي يظهره، ويحمل الناس عليه فتجري السنة به)[١].

وأحمد الطبرسي هذا من أئمتهم، حتى قبلوا مراسيله عن القرن الأول، مع أنه من أهل القرن السادس، وقد قال في مقدمة كتابه: (ولا تأتي في أكثر ما نورده من الأخبار بإسناد ما لوجود الإجماع عليه، أو لاشتهاره في السير والكتب بين المخالف والمؤالف)[٢].

وهذه الأسطورة من وضع من لا يحسن الوضع، إذ لِمَ لَمْ يخرج علي القرآن لما ولي الخلافة، وهل هذا إلا كتم لأصل الدين، ومن أشنع أجوبتهم على هذا الإشكال قول عالمهم نعمة الله الجزائري -الذي قيل فيه: كان من أعاظم علمائنا المتأخرين، وأفاخم فضلائنا المتبحرين (ت١١٩٢هـ)-، قال: (ولما جلس أمير المؤمنين لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن، وإخفاء هذا، لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه)[٣].

يروون عن أبي عبد الله أنه قال: (لو قرأ القرآن كما أنزل لألفينا مسمين)[٤].

وعن أبي جعفر: (لولا أن زيد في كتاب الله ونقص ما خفي حقنا على ذي حجا)[٥].

---

١ الطبري: الاحتجاج (ج١/ص٢٢٥ -٢٢٨)، وانظر: بحار الأنوار (ج٨/ص٤٦٣).

٢ الاحتجاج، (ص١٤).

٣ الأنوار النعمانية (ج٢/ص٣٦٢). علي يكتم أصل الدين كراهة إظهار الشنعة على من سبقه وهم يكفرونهم!!

٤ البحار (ج١٩/ص٣٠)، البيان للخوئي (ص٣٠).

٥ البحار (ج١٩/ص٣٠)، العياشي (ج١/ص١٣).



ومن هذين النصين ينكشف سببٌ آخر وراء قولهم بهذه الفرية، فالإمامة التي جعلوها صنو النبوة، والأئمة الذين ملأوا الدنيا حديثاً عنهم، وأن الإيمان بهم هو كالإيمان بالصلاة والزكاة، وأن من جحد إمامة واحد منهم فكأنما جحد نبوة رسول الله، أو غيره من الأنبياء كما سيأتي، هذا الأمر لم يرد له ذكر في كتاب الله، وهذا ينسف بنيانهم من القواعد، ويهدد جمعهم بالفشل ومساعيهم بالبوار، فلم يكن أمامهم مسلك إلا القول بالتحريف، ولهذا شهد عالمهم المجلسي أن أخبار التحريف لا تقل عن أخبار الإمامة، وأنه إذا لم يثبت التحريف فلا تثبت الإمامة، وقد أصاب، فالتحريف لم يقع، ومسألة الإمام لم تثبت[١].

وأول كتاب ذُكرت فيه هذه الفرية: كتاب سليم بن قيس وهو رجل مجهول، والكتاب رواه عنه: أبان بن أبي عياش، وهو متروك، مع أنهم يعدون هذا الكتاب من أصولهم، قال المجلسي: (هو أصل من أصول الشيعة، وأول كتاب صنف في الإسلام)[٢].

ونصوص الكتاب تصف عليًا بأوصاف الإله: (يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن، يا من هو بكل شيء عليم، وتقول إن هذا الوصف صدر من الشمس لعلي بن أبي طالب، وأنه سمعه أبو بكر وعمر والمهاجرون والأنصار، فصعقوا ثم أفاقوا بعد ساعات)[٣].

مع أن هذا الكتاب جعل الأئمة ثلاثة عشر، وفيه مخالفات تاريخية عمدوا على حذفها من المطبوع، وهذا يدلك على مبلغ أمانتهم، وقد حكم بعض المعاصرين من شيوخهم بأنه موضوع في أواخر الدولة الأموية لغرض صحيح... هكذا[٤].

وهاك أيها القارئ نماذج من تحريفاتهم ومزاعمهم:

---

١ الخميني: (فإن أولئك الذين لا يعنون بالإسلام والقرآن إلا لأغراض الدنيا والرئاسة، كانوا يتخذون القرآن وسيلة لتنفيذ أغراضهم المشبوهة، ويحذفون تلك الآيات من صفحاته، ويسقطون القرآن من أنظار العالمين إلى الأبد، ويلصقون العار –وإلى الأبد– بالمسلمين وبالقرآن، ويثبتون على القرآن ذلك العيب الذي يأخذه المسلمون على كتب اليهود والنصارى)، كشف الأسرار (ص١٣١).

٢ البحار (ج١/ض١٥٨).

٣ السقيفة (ص٣٢-٣١).

٤ انظر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر القفاري (ج١/ص٢١٣).



روى الكليني بإسناده عن أبي جعفر قال: (نزل جبرائيل بهذه الآية على محمد هكذا: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا} -في علي- فأتوا بسورة من مثله)[١].

وفي تفسير العياشي في قوله سبحانه: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ...} [آل عمران: ١٧٣]، يقول العياشي فيما يرويه عن جابر الجعفي، عن محمد بن علي: (إنها نزلت: ألم تر إلى فلان وفلان -يعنون أبا بكر وعمر- لقوا علياً وعماراً، فقالا: إن أبا سفيان وعبد الله بن عامر وأهل مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل)[٢].

وتمضي افتراءاتهم فتخترع سورًا تزعم أنها محذوفة من كتاب الله، قال شيخهم الطبرسي: (نقصان السورة وهو جائز كسورة الحفد، وسورة الخلع، وسورة الولاية)[٣].

وقد نقل هو نفسه هذه السورة في كتابه، ونصها: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم، نوران بعضهما من بعض وأنا السميع العليم، إن الذين يوفون ورسوله في آيات -كذا- لهم جنات نعيم، والذين كفروا من بعدما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يقذفون في الجحيم ظلموا أنفسهم، وعصوا الوحي الرسول أولئك يسقون من حميم...)[٤].

وتمضي سورهم الموضوعة على هذا النمط، وكلماتها تذكرك بأساطير مسيلمة، ركاكة لفظ، وسقوط معنى، واضطراب سياق، ويبدو أن واضعها أعجمي فهي لا تستقيم قراءة ومعنى، وفي كلماتها ومعانيها هبوط عن مستوى أداء الإنسان العادي، وها هنا سؤال مهم وهو: هل الشيعة كلهم على هذا المعتقد؟

يقول شيخهم المفيد (ت٤١٣هـ) الذي يصفونه بركن الإسلام، وآية الله الملك العلام: (واتفقوا -أي الإمامية- على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن، وعدلوا

---

[١] أصول الكافي: (ج١/ص٤١٧).
[٢] تفسير العياشي (ج١/ص٢٠٦).
[٣] فصل الخطاب، النوري الطبرسي، (ص٢٤).
[٤] المصدر السابق: (ص١٨٠).



فيه عن موجب التنزيل، وسنة النبي، وأجمعت المعتزلة والخوارج والزيدية وأصحاب الحديث على خلاف الإمامية)[١].

ولم يذكر مفيدهم خلافًا، مع أن شيخه ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق (ت ٣٨١هـ) قد تظاهر في رسالة الاعتقادات بإنكار اعتقادهم التحريف، وتبعه على ذلك المرتضى (ت٤٣٦هـ)، والطبرسي (ت٤٥٠هـ)، مع أنهما من تلامذة المفيد، وتبعهم على ذلك الطبرسي صاحب مجمع البيان.

مع أن هؤلاء الذين ذكروا أثر عنهم روايات فيها غمز وطعن في القرآن، ولذلك حمل بعض علماء الشيعة كلامهم على التقية[٢]، ولم يقفوا عند هذا الحد بل عمدوا إلى آيات القرآن، فحرفوا تأويلها، وزعموا لها بطونا تخالف المأثور عن سلف الأمة في تفسيرها، عقد المجلسي بابا في (بحاره) بعنوان: (باب أنهم -أي الأئمة- الصلاة والزكاة والحج والصيام وسائر الطاعات، وأعداؤهم الفواحش والمعاصي في بطن القرآن)[٣].

وتأويلهم لكثير من آيات القرآن بالإمامة والأئمة يربو على الحصر، وكأن القرآن لم ينزل إلا فيهم، بل قد تجاوز ذلك حدود العقل، وهبطوا إلى درك من العته والبله لا تفسير له

---

[١] أوائل المقالات (ص٥١). يقول وليد الأعظمي: (قسموا كلام الله المجيد إلى ثلاثة أقسام (خوب- وسط- بد) وهي تعني (جيد - وسط - رديء) فتأمل ذلك... إن لدي نسخة من القرآن الكريم طبعت في طهران... وقد جعلت في أعلى الصفحات تلك الرموز... وقد أحصيت تلك الإشارات الباطنية فوجدت الرديء قد قارب نصف صفحات المصحف حيث بلغت (١٩٤) صفحة والجيد (خوب) قد بلغ (١٥٤) صفحة وهو أقل من الرديء و(بد) الوسط بلغ (٤٤) صفحة والصفحات غير المؤشرة بلغت (١٤) صفحة... وكنت قد راجعت نسخة من الطبعة الإيرانية سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦ فوجدت فيها ما يقرب من خمسين خطأ... ولا أدري هل عرضت هذه النسخة على (الآيات والحجج) لمراجعتها وتدقيقها قبل طبعها؟ أم اعتمدوا على اجتهاد الخطاط وعصمته؟!. ثم يقول: ومن السور الكريمة التي لا يحبها العجم (سورة الفتح) وهي في مصاحفهم (بد) رديئة لأن فيها رضوان الله عن الذين بايعوا رسول الله تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان وفيها ثناء الله على الصحابة الكرام كقوله عز وجل (محمد رسول الله...)) انظر الخمينية (ص١٢١-١٢٥).

[٢] انظر: الأنوار النعمانية، (ج٢/ص٣٥٧- ٣٥٨). ومآل مذهبهم في ذلك: أن القرآن الذي أنزله الله نوراً وهدى وفرقاناً لم ينتفع به في عمر الدنيا إلا مدة حياة النبي، ثم انقطع نوره حتى يجيء قائمهم المزعوم، مع أنه إذا قام فلن يحكم بالقرآن -كما سيأتي-. وهذا مبلغ تعظيم القوم لدستور الإسلام الخالد، ولذلك لا تكاد تجد فيهم من يحفظ القرآن ويتقنه، كما رأينا ذلك، ومن عظيم تناقضهم في هذا الباب أنهم رووا عن أئمتهم أحاديث في الحث على قراءة القرآن والعمل به، وهروباً من هذا التناقض الفاضح حملوا ذلك على التقية، قال عالمهم المجلسي: نهونا عليهم السلام عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف... لأنه إذا قرأ الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه مع أهل الخلاف، وأغرى به الجبارين، وعرض نفسه للهلاك. البحار (ج٩٢/ص٧٤-٧٥).

[٣] البحار، المجلسي، (ج٢٤/ص٢٨٦-٣٠٤).



سوى أنه محاولة للهزء والسخرية بآيات الله[1]، فقد قالوا: الأئمة هم النحل في قوله سبحانه وتعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ}[النحل: ٦٨][2].

وهم الحسرة في قوله: {وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} [الحاقة: ٥٠][3].

وهم الأيام والشهور[4].

وهم بنو إسرائيل في قوله: {يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ}[5].

وهم أسماء الله الحسنى في قوله: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى} [الأعراف: ١٨٠][6].

وهم جنب الله وروحه، ويد الله.

وهم الماء المعين، والبئر المعطلة والقصر المشيد، والسحاب، والمطر، والفواكه.

وهم أنوار الله، وكلمات الله.

وهم السفرة الكرام البررة.[7]

إلى غير ذلك من روايات تجعل القرآن كتابًا شيعيًا، وتحاول تغيير دين الإسلام، حيث حصرت كل معاني الإسلام في ولاية علي، وجعلت الشرك الأكبر والكفر والنفاق والطواغيت والأصنام كلها في حق المتخلف عن بيعته، فلم يعد شرك ولا كفر إلا هذا.

---

[1] هذا شيخهم البحراني يزعم أن عليا ذكر في القرآن (١١٥٤) مرة، ويؤلف كتابا سماه "اللوامع النورانية في أسماء علي وأهل بيته القرآنية" يحطم فيه كل مقاييس اللغة، ويتجاوز فيه أصول العقل والمنطق، يستمده من كتبهم ومصادرهم المعتمدة، وقد طبع بالمطبعة العلمية بقم (سنة ١٣٩٤هـ).

[2] البحار (ج٢٤/ص١١٠).

[3] تفسير العياشي (ج٢/ص٢٦٩)

[4] البحار (ج٢٤/ص٣٣٨). ومن الطريف أن بعض الأيام حظيت في أخبار الشيعة بالذم كيوم الاثنين [انظر سفينة البحار (ج١/ص١٣٧)] فهل يتوجه هذا الذم إلى بعض الأئمة لأن الأئمة هم الأيام، وكيف يكون يوم الاثنين مذموما وهو يوم ميلاد النبي ويوم مبعثه؟

[5] تفسير العياشي (ج١/ص٤٤).

[6] تفسير العياشي (ج٢/ص٤٢).

[7] البحار (ج٢٤/ص١٩١،١٩٢).



يروون عن أبي جعفر قال: (ما بعث الله نبيًا قط إلَّا بولايتنا والبراءة من عدونا، وذلك قول الله في كتابه: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦])[١].

وعن أبي عبد الله في قوله: {لاَ تَتَّخِذُواْ إِلـهَيْنِ اثْنَيْنِ...} قال: (لا تتخذوا إمامين اثنين إنما هو إمام واحد)[٢].

ومن عظيم سخرية الزنادقة بهم أنهم أولوا لهم الذباب في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً...} [الحج: ٧٣] بعلي، وكذلك البعوضة في قوله: {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً} [البقرة: ٢٦][٣].

كما أنهم فسروا الآيات الواردة في الكفار والمنافقين بخيار أصحاب النبي ﷺ: روى الكليني في فروع الكافي عن أبي عبد الله في قوله: {رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ..} [فصلت: ٢٩] قال: (هما.. وكان فلان شيطاناً)[٤].

قال المجلسي: (هما أبو بكر وعمر، وبالمراد بفلان: عمر، أي الجن المذكور في الآية عمر، وإنما سمي به لأنه كان شيطانًا، إما لأنه كان شرك شيطان، لكونه ولد زنا، أو لأنه في المكر والخديعة كالشيطان)[٥].

ورووا عن أبي جعفر في قوله: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ...} [إبراهيم: ٢٢] قال: (هو الثاني، وليس في القرآن شيء: وقال الشيطان: إلا وهو الثاني)[٦]، يعنون بالثاني عمر رضي الله عنه.

---

[١] تفسير العياشي (ج٢/ص٢٦١).
[٢] تفسير العياشي (ج٢/ص٢٦١).
[٣] مرآة الأنوار (ص١٥٠).
[٤] فروع الكافي (الذي بهامش مرآة العقول)، (ج٤/ص٤١٦).
[٥] مرآة العقول (ص٤/ج٤١٦).
[٦] تفسير العياشي، (ج٢/ص٢٢٣).



وعن قوله سبحانه وتعالى: {لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ} [الحجر: ٤٤] روى العياشي عن جعفر بن محمد قال: (يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم، وهو زريق، والثاني: لحبتر، والثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والخامس لعبد الملك، والسادس لعسكر بن هوسر، والسابع لأبي سلامة، فهم أبواب لمن تبعهم)[١].

ويروى عن أبي جعفر في قوله تعالى: {وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ} [النحل: ٩٠] قال: (وينهى عن الفحشاء: الأول، والمنكر: الثاني، والبغي: الثالث)[٢].

إلى أمثلة لا تحصى تمثل مؤامرة مدبرة ضد الإسلام، وخطة محبوكة لإلغاء هداية القرآن للناس، وهي لا شك من الإلحاد في كتاب الله {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا...} [فصلت: ٤٠] قال ابن عباس: (الإلحاد هو: أن يوضع الكلام في غير موضعه)[٣]، وذلك بالانحراف في تأويله.

قال السيوطي في الإكليل: (ففيها الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ، كما يفعل الباطنية والاتحادية والملاحدة)[٤].

دعواهم تنزل كتب إلهية على الأئمة:

تضمنت كتب الشيعة مزاعم عريضة حول نزول كتب سماوية على أئمتهم، ومن ذلك:

مصحف فاطمة: يروي الكافي عن أبي عبد الله أنه قال: (وإن عندنا لمصحف فاطمة، قال أبو بصير: وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، ما فيه من قرآنكم حرف واحد)[٥].

---

١ تفسير العياشي، (ج٢/ص٢٤٣).
٢ تفسير العياشي، (ج٢/ص٢٦٨).
٣ رواه الطبري في تفسيره، (ج٢٠/ص٤٤١).
٤ الإكليل في استنباط التنزيل، السيوطي، (ص٢٢٩).
٥ الكافي، الكليني، كتاب الحجة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة: (ج١/ص٢٣٨).



يا ترى ما الحاجة لمثل مصحف فاطمة الذي لم ير أصلًا، مع وجود القرآن: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} [العنكبوت: ٥١]؟ ثم إن أساطيرهم في ذلك مضطربة، فتارة يروي الكليني عن أبي عبد الله مبينًا مضمون هذا المصحف، فيقول: (أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون)[١].

وتارة يروى عنه أنه قال: (ما أزعم أن فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إليه، ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش...)[٢] يريد أبواباً من القصاص.

وهذان النصان على تناقضهما محاولة لرفع درجة الأئمة بعلمهم الغيب، واتهام مبطن للتشريع الإسلامي بالقصور.

وفي كتاب دلائل الإمامة: (وفيه -أي مصحف فاطمة- خبر ما كان، وما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، وصفة القرون الأولى، وقصصهم، وصفة أهل الجنة، وعدد من يدخلها، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت، وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزبور، وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد... وهذا كله في ورقتين من أوله، قال إمامهم: وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه)[٣].

ثم تضطرب أساطيرهم مرة ثانية في كيفية نزول هذا المصحف:

ففيما يروي الكليني عن أبي عبد الله: (أن فاطمة جزعت لوفاة النبي، فأرسل الله لها ملكاً يسلي غمها، ويحدثها، فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين، فقال: إذا أحسست بذلك

---

[١] الكافي، الكليني، (ج١/ص٢٤٠).

[٢] الكافي، الكليني، (ج١/ص٢٤٠).

[٣] دلائل الإمامة: (ص٢٧-٢٨). قال المجلسي: (دلائل الإمامة من الكتب المعتبرة المشهورة، ومؤلفه من ثقات رواتنا الإمامية، وهو: محمد بن جرير بن رستم الطبري، وليس هو ابن جرير صاحب التاريخ المخالف)، البحار (ج١/ص٣٩،٤٠). وفي مقدمة كتاب الدلائل وهذا الكتاب لم يزل مصدراً من مصادر الشيعة في الإمامة والحديث تركن إليه وتعتمد عليه في أجيالها المتعاقبة. الدلائل (ص٥).



وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً)[١].

بينما ذكر صاحب الدلائل أنه: (نزل جملة واحدة من السماء بواسطة ثلاثة ملائكة هم: جبرائيل، وإسرافيل، وميكائيل، فوجدوا فاطمة قائمة تصلي، فما زالوا قياماً حتى قعدت، فلما فرغت من صلاتها سلموا عليها، وقالوا: السلام يقرئك السلام، ووضعوا المصحف في حجرها)[٢].

ب- اعتقادهم في السنة

وهم ينحرفون عن الأمة في أمور:

الأمر الأول: عصمة الأئمة.

يقول عالمهم المازندراني: (إن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى)[٣].

يقول عبد الله بن فياض الشيعي: (إن الاعتقاد بعصمة الأئمة جعل الأحاديث التي تصدر عنهم صحيحة، دون أن يشترطوا إيصال سندها إلى النبي ﷺ، كما هو الحال عند أهل السنة)[٤]، وذلك (أن الإمامة استمرار للنبوة)[٥].

وقال المازندراني: (يجوز لمن سمع حديثاً من أبي عبد الله أن يرويه عن أبيه، أو عن أحد من أجداده، بل يجوز أن يقال: قال الله تعالى)[٦]، وهذا مبني عندهم على أصلين:

---

[١] أصول الكافي، الكليني، (ج١/ص٢٤٠).

[٢] دلائل الإمامة: (ص٢٧-٢٨).

[٣] شرح جامع على الكافي، المازندراني، (ج٢/ص٢٧١-٢٧٢).

[٤] تاريخ الإمامية، عبد الله بن فياض (ص١٤٠).

[٥] عقائد الإمامية، محمد المظفر (ص٦٦). ولذلك فالإمام عندهم له حق التحليل والتحريم بما يشاء (أصول الكافي (ج١/ص٤٤١). وقال المجلسي: (لا نعرف وجهة لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية خاتم الأنبياء، ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة) البحار (ج٢٦/ص٨٢).

[٦] شرح جامع على الكافي، المازندراني، (ج٢/ص٢٧١-٢٧٢).



الأصل الأول: تحقق علم الأئمة عن طريق الوحي والإلهام.

فعندهم النكت في القلوب، والنقر في الأسماع[١]، قالوا: (أما النكت في القلوب فإلهام، وأما النقر في الأسماع فأمر الملك)[٢].

وقد عقد صاحب الكافي بابًا فقال: (إن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم، وتطأ بسطهم، وتأتيهم بالأخبار)[٣]. وذكر أربع روايات لا تلبث أن تزيد عند صاحب بحار الأنوار، لتصل إلى ست وعشرين في باب: (إن الملائكة تأتيهم، وتطأ فرشهم، وأنهم يرونهم)[٤].

ولهم من الله روح تسددهم، كما في الكافي: (باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة)[٥]، ذكر فيها ست روايات منها عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عن قول الله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً...} [الشورى: ٥٢] قال: (خلق من خلق الله أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده)[٦].

وتذكر رواية أخرى عندهم بعض أنواع الوحي للإمام، فتذكر أن جعفرا قال: (إن منا لمن ينكت في أذنه، وإن منا لمن يؤتى في منامه، وإن منا لمن يسمع صوت السلسلة تقع في الطشت، وإن منا لمن يأتيه صورة أعظم من جبرائيل وميكائيل)[٧].

وبروح القدس عرفوا ما تحت العرش وما تحت الثرى[٨].

بل إنهم يذهبون إلى العرش، جاء في الكافي عن أبي يحيى قال: قال لي أبو عبد الله: (إن لنا في ليالي الجمعة لشأنا من الشأن)، قلت: جعلت فداك، وما ذاك الشأن؟ قال: (يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى، وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها

---

١ الكافي (ج٩/ص٢٦٤).
٢ أصول الكافي، (ج١/ص٢٦٤).
٣ أصول الكافي، (ج١/ص٣٩٣-٣٩٤).
٤ بحار الأنوار: (ج٢٦/ص٣٥٥) وما بعدها.
٥ أصول الكافي، (ج١/ص٢٧٣-٢٧٤).
٦ أصول الكافي، (ج١/ص٢٧٣).
٧ بحار الأنوار، (ج٢٦/ص٣٥٨).
٨ الكافي (ج١/ص٢٧٢).



إلى السماء حتى توافي عرش ربها، فتطوف به أسبوعا، وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها، فيصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سرورا، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جم الغفير)[١]، وهذه العلوم موقوفة على مشيئتهم، وقد عقد صاحب الكافي بابا: (إن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا)[٢]، فالوحي للأئمة تابع لمشيئتهم، لا لمشيئة الله، كما هم الرسل عليهم الصلاة والسلام[٣].

الأصل الثاني: خزن العلم، وإيداع الشريعة.

يروون عن علي قال: (علمني رسول الله ألف باب من العلم، ينفتح لي من كل باب ألف باب)[٤].

يقول عالمهم محمد حسين آل كاشف الغطا: (إن حكمة التشريع اقتضت بيان جملة من الأحكام، وكتمان جملة، ولكنه سلام الله عليه أودعها عند أوصيائه، كل وصي يعهد بها إلى الآخر لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة، من عام مخصص، أو مطلق، أو مقيد، أو مجمل، أو مبين.. إلى أمثال ذلك)[٥].

---

١ أصول الكافي، (ج١/ص٢٥٣).

٢ أصول الكافي، (ج١/ص٢٥٨).

٣ يقول الخميني: (إن الأئمة لا يتصور فيهم السهو والغفلة) الحكومة الإسلامية (ص٩١). وفي الكافي: (باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل) (ج١/ص٢٥٥). وفي الحكومة الإسلامية للخميني يقول: إن للإمام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات الكون، وينقل عن جعفر الصادق: "إن لنا مع الله تعالى حالات لا يسعها نبي مرسل، ولا ملك مقرب" (ص٥٢). يقول آية الله ميرزا أحمد هادي الخراساني: (لو تأملت في تشخيص الإمام وتعيينه وجدت أن أوصياء الأنبياء كانوا أنبياء معصومين...) وقال: (... إن تعيين الإمام أهم من بعث الرسل) رسالة المعجزة والإسلام (ص١١٤). ونحن أهل السنة نحب أئمة أهل البيت الصادقين، ونعلم أنهم بشر وإن كانوا من خيار الناس. وأما النبي فجزاؤه عند الشيعة الطعن من طرف خفي، يقول الخميني في كشف الأسرار: (وواضح أن النبي لو كان قد بلغ الإمامة طبقا لما أمر به، وبذل المساعي في هذا المجال لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات والمشاحنات والمعارك، ولما ظهرت ثم خلافات في أصول الدين وفروعه) (ص٥٥). وهم يجعلون الأئمة فوق الأنبياء، وقد ذكر الخميني في (الحكومة الإسلامية ص٩٥): (أن الفقيه الرافضي بمنزلة موسى وعيسى)، بل جعلوه لآياتهم، فقد قال أحد المسؤولين الإيرانيين: (إن الخميني أعظم من موسى وهارون) فعينه الخميني جزاء له نائبا عن طهران، ورئيسا لمؤسسة المستضعفين، أعظم مؤسسة مالية في البلاد (الثورة البائسة، موسى الموسوي، ص١٤٧).

٤ أصول الفقه، محمد المظفر (ج٣/ص٥١).

٥ أصل الشيعة وأصولها، آل كاشف (ص٧٧).



ويقول شيخهم المعاصر بحر العلوم: (لما كان الكتاب العزيز متكفلا بالقواعد العامة دون الدخول في التفاصيل احتاجوا إلى سنة النبي، والسنة لم يكمل بها التشريع، لأن كثيرا من الحوادث المستجدة لم تكن على عهده احتاج أن يدخر علمها عند أوصيائه ليؤدوها عنه في أوقاتها)[١].

وقد بوب الكليني في الكافي (باب: أن الله عز وجل لم يعلم نبيه علما إلا أمره أن يعلمه أمير المؤمنين، وأنه شريكه في العلم)، ومن الأمثلة على أحاديثهم التي تؤيد هذا المبدأ الخطير عندهم:

ما رواه صاحب الكافي عن خيثمة قال: قال لي أبو عبد الله: (يا خيثمة! نحن شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومفاتيح الحكمة، ومعدن العلم، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، وموضع سر الله، ونحن وصية الله في عباده، ونحن حرم الله الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده)[٢].

ويزعمون أن عندهم الجفر والجامعة[٣].

وهذه العلوم المزعومة للأئمة لا تعدو أن تكون وهما من الأوهام، ولو كانت بعض هذه الدعاوى حقيقية لتغير وجه التاريخ، ومزاعمهم في هذا الباب يصعب حصرها، ومقتضى عقيدتهم: أن كتاب الله وسنة نبيه غير وافيين بالبيان، ولم يكمل بهما التشريع عند وفاته، وهذا مصادم لكتاب الله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...} [المائدة: ٣]، وكذلك الطعن في رسول الله، وأنه كتم جزءا من الشريعة مخالف لقول الله: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ...} [المائدة: ٦٧].

وينص هذا المبدأ الخطير على أن من حق الإمام تخصيص عام الكتاب، أو بيان مجمله، أو تقييد مطلقه، أي جعلوا له وظيفة المشرع، لأنه معصوم لا ينطق عن الهوى، وهذا في

---

١ مصابيح الأصول، بحر العلوم (ص٤).

٢ الكافي، الكليني، (ج٢/ص٢٢١).

٣ انظر: الكافي (ج١/ص٢٣٨).



مؤداه إيمان بأنبياء بعد رسول الله ﷺ، وهي محاولة لفتح باب التغيير في الدين باسم أن هذا من عمل الإمام.

ثم نقول: أين هذه المصادر اليوم؟ وماذا ينتظر منتظرهم حتى يخرج بها إلى الناس؟ وهل الناس بحاجة إليها في دينهم؟ فإن كانوا بحاجة إليها فلم بقيت الأمة منذ اختفاء الإمام المزعوم منذ أكثر من أحد عشر قرنا بعيدة عن مصدر هدايتها؟ وما ذنب كل هذه الأجيال المتعاقبة لتحرم من هذه الفيوضات والكنوز؟

وإن لم تكن الأمة في حاجة إليها فلم كل هذه الدعاوى، وهذا الغلو المجافي للفطرة، والمناقض للعقل السليم؟

وقد روى الشيعة أنفسهم عن جعفر الصادق أنه قال: (إن الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كل شيء، حتى والله ما ترك الله شيئا يحتاج إليه العبد، حتى لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا أنزل في القرآن إلا وقد أنزل الله فيه)[١].

وهذا كقول الشافعي: (فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة، إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها)[٢]، وقد جاء في تفسير الصافي: أن عليا سئل: هل عندكم من رسول الله ﷺ شيء من الوحي سوى القرآن؟ قال: (لا! والذي خلق الحبة، وبرأ النسمة إلا أن يعطى العبد فهما في كتابه)[٣].

وقد تبرأ الجعفر الصادق كما تروي كتب الشيعة أنفسهم من أبي الخطاب، وكذبه حين ادعى عليه علم الغيب، وأخبر فقال: (يا عجبا لقوم يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الدار هي)[٤].

---

[١] الكافي، الكليني، (ج١/ص٥٩).

[٢] الرسالة، الشافعي (ص٢٠).

[٣] تفسير الصافي، الكاشاني (ج١/ص١٩).

[٤] الكافي، الكليني، (ج١/ص٢٥٧).



والشيعة يذكرون أن مسيرة الحسين إلى أهل الكوفة وخذلانهم له، وقتله كانت سبب ردة الناس إلا ثلاثة، ولو كان يعلم الغيب وأنهم سيرتدون ما سار إليهم.

وقد اخترع مهندسو التشيع عقيدتين للخروج من هذا، هما: عقيدة التقية، وعقيدة البداء.

فإذا أجاب الإمام بالحق قال: تقية، وإذا أخبر بأمر فوقع خلافه، قالوا: بدا الله سبحانه.

وما زال باب التشريع عندهم مفتوحا، حتى بعد اختفاء الإمام المنتظر، فعندهم ما يسمى: التوقيعات الخارجة من الناحية المقدسة، أي: من المهدي المختبئ في السرداب.

وقد ألف النوري الطبرسي كتابا سماه: (جنة المأوى فيمن فاز بلقاء الحجة، ومعجزاته في الغيبة الكبرى)، وهم في هذه الدعوى بين اثنين: إما كذاب، وإما جاهل غرته الشياطين، قال شيخ الإسلام: (وكذا منتظر الرافضة قد يراه أحدهم، ويكون المرئي جنيا)[١].

الأمر الثاني: مرويات الصحابة: فلا يقبلونها.

قال محمد حسين آل كاشف الغطا أحد مراجعهم المعاصرة: (إن الشيعة لا يعتبرون من السنة إلا ما صح لهم من طرق أهل البيت، أما ما يرويه مثل أبي هريرة، وسمرة بن جندب، وعمرو بن العاص، ونظائرهم فليس لهم عند الإمامية مقدار بعوضة)[٢].

وعندهم أن كل ما لم يخرج من عند الأئمة فهو باطل[٣].

والعجيب أن الشيعة تحكم بوثاقة من رأى المهدي المنتظر -الذي لم يوجد أصلا-، يقول المقاني، وهو من آياتهم في هذا العصر: (تشرف الرجل برؤية الحجة -عجل الله فرجه وجعلنا من كل مكروه فداه -بعد غيبته، نستشهد بذلك على كونه في مرتبة أعلى

---

١ مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج١٣/ص٩٥).

٢ أصل الشيعة وأصولها، آل كاشف (ص٧٩).

٣ أصول الكافي (ج١/ص٣٩٩).



من مرتبة العدالة ضرورة)[١]!! فانظر وتعجب كيف يزكي رجلا يدعي رؤية معدوم، والأصل أن يعتبر هذا دليل كذبه، ويطعن في صحابة رسول الله ﷺ.

والعجيب أنهم يقبلون كما أكد شيخهم الحر العاملي روايات رجال من الفطحية والواقفية والناووسية، مع أنهم ينكرون بعض أئمة الاثني عشرية، وهم قد رووا عن أئمتهم الطعن فيهم، ومما رووه في ذلك: (الواقفة يعيشون حيارى ويموتون زنادقة)[٢].

فهم يقبلون رواياتهم القيام لقيام نصوص المذهب الشاذة عليهم، ويردون روايات الصحابة الذين أثنى الله عليهم، أليس هذا هو التناقض بعينه؟ فالجميع يشتركون في نفس العلة المزعومة التي من أجلها رفضوا روايات الصحابة، وهي إنكار أحد الأئمة.

ولقد جاء في كتب الشيعة عن أبي حازم قال: قلت لأبي عبد الله: فأخبرني عن أصحاب رسول الله، صدقوا على محمد أم كذبوا؟ فقال: (بل صدقوا)[٣].

والصحابة ليسوا بحاجة لمثل هذا بعد ثناء الله ورسوله ﷺ، ولكن نستشهد بذلك، لبيان أنهم أعرضوا حتى عما جاء عن أئمتهم في كتبهم، مما يوافق كتاب الله وسنة رسوله، واتبعوا روايات الكذابين عن الأئمة، والذين حكمت كتب الشيعة نفسها، بكذبهم كما سيأتي.

وهناك ملاحظة جديرة بالتأمل، وهي أن مدوناتهم الأربع المتأخرة[٤] في القرن الحادي عشر وما بعده، وآخرها ألفه النوري الطبرسي المتوفى (سنة ١٣٢٠هـ)، وقد جمع فيه ثلاثة عشر ألف حديث عن الأئمة لم يعرف أكثرها من قبل، فهي متأخرة عن عصور الأئمة بمئات السنين، فإذا كان هؤلاء قد جمعوا تلك الأحاديث عن طريق السند والرواية، فكيف يثق عاقل برواية لم تسجل طيلة أحد عشر، أو ثلاثة عشر قرنا، وإذا كانت مدونة في كتب

---

١ تنقيح المقال، الممقاني (ج١/ص٢١١).

٢ رجال الكشي (ص٤٥٦).

٣ أصول الكافي، (ج١/ص٦٥).

٤ وهي: الوافي للكاشاني، وبحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار للمجلسي، ووسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة للعاملي، ومستدرك الوسائل لحسين نوري الطبرسي.



فلم يعثر عليها إلا في هذه العصور المتأخرة؟ وأين هي هذه الكتب؟ وما هي قيمتها العلمية؟

يقول آغا بزرك الطهراني عن مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي: (الدافع لتأليفه عثور المؤلف على بعض الكتب المهمة التي لم تسجل في مجامع الشيعة من قبل)[١]، ثم اشترطوا لبلوغ رتبة الاجتهاد: الاطلاع على هذه الأحاديث، وأن الحجة لا تتم إلا بذلك[٢]، فهل يعني هذا أنه قبل تأليفه لم يكن لهم حجة؟ ومن يدري فقد تستمر الاكتشافات للكتب والروايات.

بل إن كتبهم الأربعة الأولى[٣] لم تخل من دس وزيادة، وآية ذلك: أن كتاب تهذيب الأحكام للطبرسي بلغت أحاديثه (١٣٩٥٠) حديثًا، كما ذكر آغا بزرك الطهراني في الذريعة[٤]، ومحسن العاملي في أعيان الشيعة،[٥] وغيرهما من شيوخهم المعاصرين، في حين أن الشيخ الطوسي نفسه صرح في كتابه (عدة الأصول) بأن أحاديث التهذيب وأخباره تزيد عن (٥٠٠٠)، وفي هذا أنها لا تصل إلى (٦٠٠٠) في أقصى الأحوال، فهل زيد عليها أكثر من الضعف في العصور المختلفة؟!

وهذا شيخهم الثقة عندهم حسين الكركي العاملي (توفي سنة ١٠٧٦هـ)يقول إن: (كتاب الكافي خمسون كتابًا بالأسانيد التي فيه لكل حديث متصل بالأئمة)[٦]، بينما نرى شيخهم الطوسي (المتوفى سنة ٣٦٠هـ) يقول: (كتاب الكافي مشتمل على ثلاثين كتابا، أخبرنا بجميع روايتها الشيخ)[٧]، أما متون هذه الكتب ونصوصها فإنك تلحظ فيها ظاهرة الاختلاف والتضاد، ولقد تألم شيخهم محمد بن الحسن الطوسي لما آلت إليه أحاديثهم من

---

١ الذريعة، الطهراني (ج٤١/ص١٠٩).
٢ الذريعة، الطهراني (ج٢/ص١١١).
٣ وهي: الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للصدوق، وتهذيب الأحكام والاستبصار للطوسي.
٤ الذريعة، الطهراني (ج٤/ص٥٠٤).
٥ أعيان الشيعة، العاملي (ج١/ص٢٨٨).
٦ روضات الجنات، الخوانساري (ج٦/ص١١٤).
٧ الفهرست، الطوسي (ص١٦١).



الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد، حتى لا يكاد يتفق خبر إلا وبإزائه ما يضاده، ولا يسلم حديث إلا وفي مقابله ما ينافيه، وقد اعترف أن هذا الأمر جعل بعض الشيعة يتركون المذهب لما انكشف لهم أمر هذا الاختلاف والتناقض[1]، وقد قام هو بمحاولة يائسة لتدارك هذا الاختلاف وتوجيه هذا التناقض، فلم يفلح بل زاد الطين بلة، حيث علق كثيرا من اختلاف الروايات على التقية بلا دليل سوى أن هذا الحديث أو ذاك يوافق أهل السنة، والواقع أنه بصنيعه هذا قد كرس الفرقة وحرم طائفته الوصول إلى الخير والنور.

وقد اشتكى شيخه الفيض الكاشاني صاحب (الوافي) من هذه الظاهرة، فقال عن اختلاف طائفته: (تراهم يختلفون في المسألة الواحدة على عشرين قولا، أو ثلاثين قولا، أو أزيد، بل لو شئت أقول: لم تبق مسألة فرعية لم يختلفوا فيها، أو في بعض متعلقاتها)[2].

ومن الملاحظة أن اختلافهم هو اختلاف في الأحاديث، وليس اختلافا في الاستنباط، وذلك أمارة البطلان، {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً} [النساء: ٨٢].

وقد عزت بعض رواياتهم ظاهرة الاختلاف إلى كثرة الكذب على الأئمة، فهذا الفيض بن المختار يشكو لأبي عبد الله ويقول: ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ إني لأجلس في حلقهم بالكوفة، فأكاد أن أشك في اختلافهم في حديثهم، فقال أبو عبد الله: (هو ما ذكرت يا فيض، إن الناس قد أولعوا بالكذب علينا، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأسا)[3].

وقد كثرت شكاوى الأئمة من كثرة الكذابين عليهم، وقد حف بهم -ولا سيما جعفر الصادق- مجموعة المتآمرين والمتكسبين والمحتالين، وكانوا يستقبلون بعض الوفود القادمة من أصقاع العالم الإسلامي، ويأكلون أموالهم باسم الأئمة، ويقدمون لهم تواقيع مزورة

---

[1] تهذيب الأحكام، الطبرسي (ج١/ص٢٠٣).

[2] الوافي، الكاشاني (المقدمة، ص٩).

[3] رجال الكشي (ص١٣٥)، بحار الأنوار (ج٢/ص٢٤٦).

باستلامهم، ويحدثون عنهم بما لم يقولوا، فإذا كذبهم الأئمة قالوا: إن هذا التكذيب منهم تقية، وقد جاءت روايات بأسانيد صحيحة عندهم تذم وتلعن مجموعة من الكذابين الذين قام الدين الشيعي على رواياتهم، فلم يقبل شيوخ الشيعة، الذم الوارد فيهم، لأنهم لو قبلوه لأصبحوا من أهل السنة، وتخلوا عن شذوذهم، وفزعوا كعادتهم إلى التقية، لمواجهة هذا الذم، وهذا ليس له تفسير إلا رد قول الإمام من وجه خفي، وإذا كان منكر نص الإمام كافرا في المذهب الشيعي، فهم قد خرجوا بهذا عن الدين رأسا، وقد اعترف شيخهم محمد رضا المظفر وهو من آياتهم المعاصرين: بأن جل رواتهم قد ورد فيهم الذم من الأئمة، ونقلت ذلك كتب الشيعة نفسها، قال -وهو يتحدث عما جاء في هشام الجواليقي من ذم-: (وجاء فيه مطاعن كما جاءت في غيره من أجلة أنصار أهل البيت وأصحابهم الثقات)[1]، ثم فزع كعادتهم في الجواب إلى التقية.

كما أن كثيرا من هذه الأحاديث المكذوبة لا تقبلها العقول والفطر السليمة، ولذلك اخترع هؤلاء أحاديث نسبوها إلى الأئمة، يؤمر فيها الشيعي بالإذعان لهذه الأحاديث، ولو كانت مستهجنة بحجة أن حديث الأئمة صعب مستصعب.

جاء في بحار الأنوار عن سفيان السمط قال: قلت لأبي عبد الله جعلت فداك! إن رجلا يأتينا من قبلكم يعرف بالكذب، فيحدث بالحديث، فنستبشعه، فقال أبو عبد الله: (يقول لك: إني قلت لليل إنه نهار، وللنهار إنه ليل) قال: لا، قال: (فإذا قال لك هذا أني قلته فلا تكذبه، فإنك إنما تكذبني)[2]، وقد ذكر المجلسي في هذا المعنى (١١٦) حديثا، كلها تأمر بإطفاء نور العقل، والسير وراء هذه الروايات من غير تعقل.

وهم من بعد ينقسمون قسمين في أمر هذه المدونات:

قسم يرى أنها صحيحة على الإطلاق.

---

١ الإمام الصادق، محمد المظفر، (ص١٧٨).

٢ بحار الأنوار، (ج٢/ص٢١١-٢١٢).



وقسم يرى أن منها مع ذلك الضعيف، والمكذوب، والموضوع: وهؤلاء يقعون في ورطة شديدة، وهي: أن هذه الكتب الأربعة مأخوذة كما يقولون من أصول معروضة على الأئمة، وأصول الكافي كتب في عصر الغيبة الصغرى، وزعموا أنه عرض على مهديهم، فقال: (كاف لشيعتنا)، كما أن صاحب (من لا يحضره الفقيه) أدرك من الغيبة الصغرى نيفا وعشرين سنة[١]، فلم لم يعترض الأئمة على ما فيها من موضوعات؟

ثم لا يجد صاحب (كشف الغطا) جوابا إلا الفزع إلى التقية التي هي متعلقهم إذا أعيتهم الحيل[٢].

ثم إنهم من بعد ليس لهم كتب في أحوال رجال السند، حتى يتمكنوا من الحكم على الأحاديث، حتى إذا كانت المئة الرابعة، ألف الكشي كتابا في ذلك جاء في غاية الاختصار، وليس فيه ما يغني، وأخباره جلها في الجرح والتعديل متعارضة متناقضة، ولم يتعرض إلا لبعض الرواة، كما أنه وقع ما يقول المقاني: (في كثير من الأسانيد غلط واشتباه في أسامي الرجال وآبائهم، أو كناهم وألقابهم)[٣].

كما أن التأليف في أصول الحديث وعلومه كان معدوما عندهم، حتى جاء زين الدين العاملي الملقب عندهم بالشهيد الثاني (ت ٩٦٥هـ) فألف في ذلك، وجرى فيه على نهج أهل السنة في كتبهم، كما أن تقسيم الحديث إلى صحيح وضعيف لم يوجد عندهم إلا في القرن السابع.

والسبب في هذا: ما لحظوه في كتبهم ورواياتهم من تناقض وتهافت، فحاولوا أن يدفعوا عنهم معرة هذا التناقض، وكذلك لدفع تعيير أهل السنة لهم، كما صرح بذلك العاملي، وهم على ذلك كعادتهم لهم قواعد شاذة عجيبة، فالإمامي مثلا تقبل روايته ولو كان مذموما على لسان الأئمة، بل صرح ابن المطهر الحلي بأن الطعن في دين الرجل لا يوجب

---

١ الشيعة، محمد الصدر (ص١٨٠).

٢ كشف الغطاء، جعفر النجفي (ص٤٠).

٣ تنقيح المقال، الممقاني (ج١/ص١٧٧).

الطعن في حديث[١]، ومع ذلك فمنهج التصحيح والتضعيف الذي وضعه المتأخرون إن طبقوه لم يبق لهم من حديثهم إلا القليل، كما كشف عن ذلك شيخهم يوسف البحراني (ت ١١٨٦ هـ) حيث قال: (والواجب إما الأخذ بهذه الأخبار كما عليه متقدمو علمائنا الأبرار، أو تحصيل دين غير هذا الدين وشريعة أخرى غير هذه الشريعة)[٢].

والحامل لهم على هذا: أنهم ينقلون عن أئمتهم الطعن في رجال الشيعة الذين قامت على أكتافهم قواعد المذهب، كجابر الجعفي، وأبي بصير، وزرارة بن أعين، وقد تبين بالاستقراء أن غالب رواة حديثهم هم ما بين كافر لا يؤمن بالله، ولا البعث والمعاد، وبين نصراني يستعلن بذلك ويتزيَّ بزيهم، ومنهم من أعلن جعفر الصادق نفسه كذبهم، ونص على ذلك باعتراف كتبهم، وقال عنهم: (يروون عني الأكاذيب، ويفترون علينا أهل البيت)[٣].

وقد لخص شيخ الطائفة الطوسي وصاحب كتابين من كتبهم الأربعة في الحديث وصاحب كتابين أو ثلاثة من كتبهم الأربعة المعتمدة في الرجال؛ لخص أحوال رواتهم باعتراف منهم، أجراه الله على لسانه يقول: (إن كثيرا من مصنفي أصحابنا ينتحلون المذاهب الفاسدة)، ومع هذا يقول: (إن كتبهم معتمدة)[٤].

ويأتي على رأس هؤلاء الكذابين: جابر الجعفي، فقد روى عندهم (١٤٠) ألف حديث، منها سبعون ألفا عن الباقر[٥]، ومع ذلك فقد جاء في رجال الكشي عن زرارة بن أعين قال: سألت أبا عبد الله عن أحاديث جابر؟ فقال: (ما رأيته عند أبي -يعني محمد الباقر- إلا مرة واحدة، وما دخل علي قط)[٦]، فكيف يروي هذا العدد الضخم من الأحاديث عن الباقر؟!

[١] رجال الحلي (ص ١٣٧).
[٢] لؤلؤة البحرين، البحراني (ص ٤٧).
[٣] التحفة الاثني عشرية، الدهلوي (ص٩٧).
[٤] الفهرست، الطوسي (ص٢٤-٢٥).
[٥] وسائل الشيعة (ج٥/ص١٥١).
[٦] رجال الكشي (ص١٩١).



وقد حكم عليه النجاشي بأنه (كان مختلطا)[١]، وقال هاشم معروف -من علمائهم المعاصرين-: (إن جابرًا الجعفي من المتهمين عند أكثر المؤلفين في الرجال)[٢].

وقد قال النجاشي -وهو الخبير عندهم بالرجال-: (قل ما يورد عنه شيء في الحلال والحرام)[٣].

بينما يقول مرجعهم المعاصر الخوئي: (فإن الروايات عنه في الكتب الأربعة كثيرة في الحلال والحرام)[٤].

وهذا يشير إلى أمر آخر، وهو: أن الرجل بالإضافة إلى كذبه في نفسه، فقد كثر الكذابون عنه، وقد صرح بذلك النجاشي[٥]، كما صورته رواياتهم بأنه واحد من أمهر السحرة والمشعوذين، وإن لم تسمه بذلك.

وجابر هذا هو الذي تولى كبر الزعم بنقصان القرآن، وهو أول من وضع التأويل الباطني في كتاب الله، وقد شهد علماء السنة بأنه أحد الكذابين، قال الإمام أبو حنيفة: (ما رأيت أحدا أكذب من جابر الجعفي)[٦].

وقد وسم شيوخهم القدامى جملة من الرواة بأنهم غلاة، وردوا رواياتهم من أجل ذلك، فلم يقبل بذلك شيوخهم المتأخرون بحجة غريبة، وهي أن المذهب يتغير ويتطور، فأصبح ما يعتبر عند القدامى غلوا هو اليوم من ضرورات المذهب الشيعي، وقد نص على ذلك عالمهم الممقاني[٧].

---

١ الرجال، النجاشي، (ص١٠٠).

٢ الموضوعات في الآثار والأخبار، هشام معروف (ص٢٣٤).

٣ الرجال، النجاشي، (ص١٠٠).

٤ معجم رجال الحديث، الخوئي (ج٤/ص٢٦).

٥ الرجال، النجاشي، (ص١٠٠).

٦ الضعفاء الكبير، العقلي، (ج١/ص١٩٦).

٧ تنقيح المقال (ج٣/ص٢٣).



ج- الإجماع

الحجة عندهم قول الإمام المعصوم، فلا إجماع، بل تعدى الأمر عندهم إلى القول بأن مخالفة إجماع المسلمين فيه الرشاد، وبذلك صارت المخالفة عندهم أصلا من أصول الترجيح.

قد ذكر ثقتهم الكليني أن من وجوه التمييز عند اختلاف الروايات قول إمامهم: (دعوا ما وافق القوم، فإن الرشد في خلافهم)[١].

يقول شيخهم الحر العاملي: (من جملة نعماء الله على هذه الطائفة المحقة أنه خلى بين الشيطان وبين علماء العامة، فأضلهم في جميع المسائل النظرية، حتى يكون الأخذ بخلافهم ضابطة لنا، ونظيره ما ورد في حق النساء: شاوروهن وخالفوهن)[٢].

يقول الألوسي: (فجعلوا مخالفة أهل السنة والجماعة الذين هم على ما كان عليه الرسول وأصحابه أصلا للنجاة، فصاروا كلما فعل أهل السنة شيئا تركوه، وإن تركوا شيئا فعلوه، فخرجوا بذلك عن الدين رأسا، وهذا هو الضلال المبين، والهلاك باليقين)[٣].

ويغرر هؤلاء الزنادقة الذين يبغون في الأمة الفرقة والخلاف بأولئك الأتباع الأغرار الذين تعطلت ملكة التفكير عندهم، بعدما شحنت نفوسهم بما يسمى محن آل البيت، وخدرت عقولهم بما يقال لهم من ثواب كبير ينتظرهم بمجرد حب آل البيت، فقالوا لهم: إن الأصل في هذا المبدأ أن الصحابة كانوا يسألون أمير المؤمنين عليا عن الشيء الذي لا يعلمونه، فإذا أفتاهم ذهبوا إلى نقيض فتياه، ليلبسوا على الناس[٤].

---

١ رسالة التعادل والتجريح، الخميني (ص٧١).

٢ الإيقاظ من الهجعة (ص٧٠).

٣ كشف غياهب الجهالات، الألوسي (ص٩).

٤ انظر: علل الشرائع، ابن بابويه (ص٥٣١).



مع أنهم كانوا يقولون: إن عمر كان يستشير عليا في كل صغيرة وكبيرة، ويأخذ بقوله، ويعمل بفتياه، وأن الصحابة كانت ترجع إليه في مشكلاتهم، وأن عمر قال: (لا عشت في أمة لست لها يا أبا الحسن)[١].

فأي القولين نأخذ به، ونصدقه؟ ولكن هذا هو دأب هؤلاء الوضاع؛ التناقض، وذلك ثمرة الكذب.

ومما يقضي منه العجب: أن طائفة الأصوليين منهم، قالوا بحجية الإجماع، لكنهم اشترطوا وجود مجهول النسب، وقالوا: إنه بذلك يتم الإجماع بزعم أنه -أي المجهول النسب هو- المهدي.

وأمر آخر لا يقل عن هذا: وهو كيف يجعل قول طفل عمره خمس سنين ولم يخرج عن طور الحضانة بمنزلة إجماع الأمة بأسرها؟ بل يرفض إجماع الأمة ويؤخذ بقول صبي معدوم على الصواب.

والعجيب أن شيوخ الشيعة يقرون بأن عليا لم يشذ عن الصحابة، بل إنه كما يقول شيخهم الشريف المرتضى: (دخل في آرائهم، وصلى مقتديا بهم، وأخذ عطيتهم، ونكح سبيهم، ودخل في الشورى)[٢].

وإلى هنا ننتهي من الحديث عن أصول التلقي عند الشيعة ومنابع الاحتكام، ونثني بالحديث عن عقائدهم في أصول الدين، ونبدأ بما يتعلق بتوحيد الألوهية، والمقصود به: إفراد الله تعالى بالعبادة، لأنه سبحانه المستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره.

وهذا التوحيد هو الذي دعت إليه الرسل {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا

---

[١] مناقب آل أبي طالب، هاشم البحران (ج١/ص٤٩٤).

[٢] تنزيه الأنبياء، المرتضى (ص١٣٢).



إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، وهو أصل النجاة، وأساس قبول العبادات {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} [النساء: ٤٨]، فهل حافظت الشيعة على هذا الأصل الأصيل؟

تعالوا لنرى...

أولا: نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة:

ففي قوله سبحانه {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]، جاء في (الكافي): (يعني إن أشركت في الولاية غيره)[1]، وعند القمي في تفسيره: (لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك)[2].

وقد جاء في سبب نزولها عندهم: (أن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه أن يقيم عليا للناس علما، اندس إليه معاذ بن جبل، فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني -يعنون أبا بكر وعمر- حتى يسكن الناس إلى قولك، ويصدقوك، فلما أنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ...} [المائدة: ٦٧] شكا رسول الله ﷺ إلى جبريل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل: {لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥])[3].

والروايات في ذلك كثيرة، وتعال معي أخي القارئ لنتابع سياق الآية: {قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} [الزمر: ٦٤-٦٦] والمعنى كما تراه واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض.

---

[1] أصول الكافي (ج١/ص٤٢٧).

[2] تفسير القمي (ج٢/ص٢٥١).

[3] البرهان، الكتكاني (ج٤/ص٨٣).



فالله يأمر نبيه أن يقول للمشركين لما دعوه لعبادة الأصنام وقالوا: هو دينك ودين آبائك، أن يقول لهم: أتأمروني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله، ولا تصلح العبادة لأحد سواه، ثم ناداهم بالوصف الذي يستحقونه لذلك {أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ}، ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرُّسُل من قبله بالتحذير من الشرك، ثم قال سبحانه: {بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ...}، ثم إن الآية من بعد مكية في زمن مراهقة علي.

لكن هذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها: البحث عن سند لدعواهم في الإمامة، وفي ظني أنه لا يبعد أن يكون من بينها من يتعمد سلوك هذه المسائل حتى يبعد ناشئة الشيعة وعقلاءها عن الإسلام، لأنهم إذا رأوا أن هذه المسائل وأمثالها فاسدة في العقل، وظنوا أن هذا هو الإسلام شكوا في الإسلام نفسه، وهذه إحدى الأهداف البعيدة لهذه الزمرة الحاقدة التي رامت الكيد للأمة ودينها، لا سيما وأنك تجد في النص السابق نيلا من رسول الله ﷺ، حيث نسبوا إليه المخالفة وعدم امتثال أمر ربه ابتداء، وهو تنقص لمقام المعصوم ﷺ من قوم بالغوا في دعوى عصمة من هم دون النبي، وهم الأئمة، وتنقص الأنبياء كفر[1].

ونشير هنا أنه وكالعادة جاء في كتبهم ما ينقض هذه الدعاوى، فقد جاء في تفسير (البرهان) عن حبيب بن معلى الخثعمي قال: ذكرت لأبي عبد الله ما يقول أبو الخطاب في قوله عز وجل {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ} [الزمر: ٤٥] أنه أمير المؤمنين، {وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ} [الزمر: ٤٥] فلان وفلان، قال أبو عبد الله: (من قال هذا فهو مشرك بالله عز وجل، ثلاثا، أنا إلى الله منهم بريء، ثلاثا، بل عنى الله بذلك نفسه)، قال في الآية الأخرى في حم قوله: {ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} [غافر: ١٢]. زعم أنه يعني بذلك أمير المؤمنين، فأعاد عليه أبو عبد الله كلمته السابقة[2].

---

[1] انظر: رسالة الرد على الرافضة، محمد بن عبد الوهاب، (ص٦).

[2] البرهان، الكتكاني (ج٤/ص٧٨).



ثم إن القرآن جعل التوحيد أصل قبول الأعمال، والشرك سبب بطلانها: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ} [النساء: ٤٨]، ولكن الشيعة جعلوا ذلك كله لولاية الأئمة الاثني عشر، قالوا: (إن من أقر بولايتنا ثم مات عليه قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله عز وجل لم يقبل الله عز وجل شيئا من أعماله)[١]، وقالوا: قال رسول الله ﷺ: (الجنة لمن أطاع عليا وإن عصاني، و لأدخلن النار من عصاه وإن أطاعني)[٢].

(ولو أن عبدا جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبيا ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي)[٣]، وهم يزعمون أن الولاية أعظم من الصلاة وسائر الأركان، وقد ذكر الله الصلاة في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعا، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة، فهل أراد الله جل شأنه ضلال عباده؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وكالعادة فقد جاءت رواياتهم متناقضة، ففي تفسير فرات: قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله يقول لما نزلت: {قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى: ٢٣]: (قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلا ودعامة وفرعا وبنيانا، وإن أصل الدين ودعامته قول لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم آل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه)[٤] فهذا النص يجعل أصل الدين: شهادة التوحيد لا الولاية، ويعد محبتهم فرعا مشروطا بموافقة الحق والدعوة إليه.

ثم إنهم من بعد تلبسوا بالشرك القديم الذي كان عليه أهل الجاهلية، حين قالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: ٣].

قال المجلسي عن أئمتهم: (إنهم حجب الرب، والوسائط بينه وبين الخلق)[٥].

---

[١] أمالي الصدوق (ص١٥٤).
[٢] مشارق أنوار اليقين، رجب البرسي (ص١٠١).
[٣] البحار (ج٢٧/ص١٧٢).
[٤] تفسير فرات (ص١٤٨)، بحار الأنوار (ج٢٣/ص٢٤٧).
[٥] البحار (ج٢٣/ص٩٧).



وروي عن أبي عبد الله أنه قال: (نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل)[١].

وإذا كان الرسل يعترفون بأن رسل الله هم الواسطة بين الله والناس في تبليغ أمره وشرعه، فإن الاثني عشرية يعتقدون أن هذا المعنى موجود في أئمتهم، فهم يتلقون من الله –كما مر–، وتزيد على ذلك فتجعل لهم من خصائص الألوهية ما يخرج من يؤمن به من التوحيد إلى الشرك، حيث تجعل هداية الخلق إليهم، وأن الدعاء لا يقبل إلا بأسمائهم، وأنه يستغاث بهم عند الشدائد والملمات، ويحج إلى مشاهدهم، وهي أفضل من بيت الله، وكربلاء أفضل من الكعبة، وجعلوا لها عبادات وآدابًا سموها مناسك المشاهد، وإليك أخي المسلم بعض نصوصهم:

١– الهداية: قال أبو جعفر: (بنا عُبد الله، وبنا عُرف الله، وبنا وُحد الله)[٢].

فأين هم عن قوله تعالى: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي...} [يوسف: ١٠٨]، فإطلاق القول بأن الهداية لا تتم إلا بالأئمة المعصومين جرأة على الله تعالى.

٢– الدعاء: جاء في أخبارهم: (من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك)[٣]. وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: (إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم)[٤]، ورواياتهم في هذا الباب كثيرة، وهذا الزعم الخطير يهدف بطريقة ماكرة، وأسلوب مقنع؛ إلى تأليه الأئمة، وأنهم ملجأ المحتاجين، ومفزع الملهوفين، وأمان الخائفين، وقبلة الداعين، لا تستجاب الدعوات إلا بذكر أسمائهم، فأي فرق بين هذا وبين ما يزعمه المشركون في أصنامهم؟

---

[١] البحار (ج٢٣/ص٩٧).

[٢] بحار الأنوار (ج٢٣/ص١٠٣)

[٣] بحار الأنوار (ج٢٣/ص١٠٣).

[٤] البحار (ج٢٦/ص٣١٩).



نعم! هناك فرق وهو: أن المشركين في أوقات الشدائد يخلصون الدعاء إلى الله: {فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...} [العنكبوت: ٦٥] أما هؤلاء فإنهم يشركون في الرخاء والشدة، بل يزعمون أن الشدة لا ترفع إلا بالدعاء بأسماء الأئمة.

يروون عن الرضا: (لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا، فدفع الله عنه الغرق، ولما رمي إبراهيم في النار، دعا الله بحقنا، فجعل الله النار عليه بردا وسلاما، وأن موسى لما ضرب طريقا في البحر دعا الله بحقنا، فجعله يبسا، وأن عيسى لما أراد اليهود قتله، دعا الله بحقنا، فنجي من القتل، فرفعه الله)[1].

وكذلك فإن ما جرى للأنبياء بزعمهم هو بسبب مواقفهم من الأئمة، يفترون أنه (لما أسكن الله آدم الجنة، مثل له النبي وعلي والحسن والحسين، فنظر إليهم بحسد، ثم عرضت عليه الولاية فأنكرها، فرمته الجنة بأوراقها، فلما تاب إلى الله من حسده، وأقر بالولاية، ودعا بحق الخمسة: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين غفر الله له، وذلك قوله: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ...} [البقرة: ٣٧])[2].

كما ادعوا أن يونس ﷺ حبسه الله في بطن الحوت لإنكاره ولاية علي، ولم يخرجه حتى قبلها[3]، والله يقول: {وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠]، كما قال: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ..} [غافر: ٦٠]) ولم يقل: ادعوني بأسماء الأئمة.

وهذه تربية تورث التعبد للأئمة، وقد صرحت بذلك رواياتهم، جاء في البحار: أن شيعيا كتب إلى إمامه: إن الرجل يحب أن يفضي إلى إمامه ما يحب أن يفضي إلى ربه، فجاء الجواب: (إذا كانت لك الحاجة فحرك شفتيك، فإن الجواب يأتيك)[4].

٣- الاستغاثة بالأئمة:

---

[1] البحار (ج٢٦/ص٣٢٥).

[2] بحار الأنوار (ج٢٦/ص٣٢٥).

[3] بحار الأنوار (ج٢٦/ص٣٣٣-٣٣٤).

[4] بحار الأنوار (ج٩٤/ص٢٢).



خصصوا لكل إمام وظيفة، ففي بعض رواياتهم: (أما علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي، وجعفر بن محمد فللآخرة، وما تبتغيه من طاعة الله، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله عز وجل، وأما علي بن محمد فللنوافل وبر الإخوان، وما تبتغيه من طاعة الله، أما صاحب الزمان فإذا بلغ منك سيف الذبح فاستعن به، فإنه يعينك)[١].

وهناك الرقاع التي تكتب وتوضع على قبور الأئمة أو ترمى في النهر، وخاصة لصاحب الزمان، مع أنه قد عجز عن الخروج خوفا من القتل بزعمهم.

٤- الحج إلى المشاهد:

عندهم أن الحج إلى كربلاء، وقبور الأئمة أفضل من الحج إلى مكة والكعبة بـ٢٠ مرة، ثم يزيد العدد إلى ١٠٠ مرة، مع رسول الله ﷺ، وتتنافس الروايات في المبالغة في الأعداد إلى أن تبلغ الآلاف، وكأن الدين هو مجرد زيارة القبور والوقوف على الأضرحة.

جاء في وسائل الشيعة: عن أبي جعفر: (لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين من الفضل لماتوا شوقا، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات)، قلت: وما فيه؟ قال: (من زاره تشوقا إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظا سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه، والاستغفار له، ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له، ويفسح له في قبره مد بصره، ويؤمنه الله من ضغطة القبر، ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة، ويعطى كتابه بيمينه، ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين

---

[١] بحار الأنوار (ج٩٤/ص٣٣).



المشرق والمغرب، وينادي مناد: هذا من زار شوقا إليه، فلا يبقى أحد يوم القيامة إلَّا تمنى أنه كان ممن زار الحسين)[١].

ثم تزيد بعض الروايات لتبلغ ألفي ألف حجة، وألفي ألف عمرة، وألفي ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله، ومع الأئمة الراشدين[٢].

ترى لماذا يذكر الحج عدة مرات في القرآن، ولا تذكر زيارة قبر الإمام مطلقا؟

ولو حاول الشيعي أن يتخلى عن هذه الأساطير التي تشده إلى الظلام ولو لحظة، ويتفكر في أمر هذا الخطر الأكبر الذي يأخذ به ليلقيه إلى غياهب الشرك وظلماته لينسى خالقه ويتعلق بقبر مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا حياة ولا نشورا: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأعراف: ١٩٤]، {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً} [الجن: ٢١]، وهم بذلك يقصدون صد الناس عن بيت الله الحرام، وتكاد بعض رواياتهم تصرح بالهدف، ينسبون إلى جعفر أنه قال: (لو أني حدثتكم بفضل زيارة قبره لتركتم الحج رأسا، وما حج منكم أحد، أما علمت أن الله اتخذ كربلاء حرما آمنا مباركا قبل أن يتخذ مكة حرما)[٣].

وقالوا: إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عشية عرفة، قبل نظره إلى أهل الموقف، فقال الراوي: كيف ذلك؟ قال: (لأن في أولئك أولاد زنا، وليس في هؤلاء أولاد زنا)، وأولاد الزنا عند الشيعة هم غير الشيعة من المسلمين، ولذلك يدعى الناس بأمهاتهم إلا الشيعة[٤].

وعقدوا أبوابا في أن زيارة الحسين أفضل الأعمال[٥].

---

[١] بحار الأنوار (ج١٠١/ص١٨).

[٢] البحار (ج١٠١/ص٢٩٠).

[٣] بحار الأنوار (ج١٠١/ص٣٣).

[٤] البحار (ج٧/ص٢٣٧) وذكر في هذا المعنى ١٢ حديثا.

[٥] البحار (ج١٠١/ص٤٩).



وعن كربلاء تتحدث أساطيرهم عن محاورة جرت بين الكعبة وبينها، يتبين منها أن هؤلاء الوضاعين لا عقل عندهم ولا دين، يروون عن جعفر: (أن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه، فأوحى الله إليها: أن كفي وقري، ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر، فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمنته أرض كربلاء ما خلقتك، ولا خلقت البيت الذي به افتخرت، فقري وكوني ذنبا متواضعا ذليلا مهينا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم)[١].

ولكن الكعبة ركبت رأسها فعوقبت، فسلط الله عليها المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحا حتى أفسد طعمه[٢]، وقد صرح مرجعهم المعاصر محمد حسين آل كاشف الغطا: بأن اعتقادهم فضل كربلاء على الكعبة هو من ضروريات المذهب[٣].

ثم إن زوار الحسين تأتيهم الملائكة، يروون عن جعفر (من خرج من منزله يريد زيارة الحسين كتب الله له بكل خطوة حسنة...) إلى أن قال: (وإذا قضى مناسكه أتاه ملك فقال له: أنا رسول الله، ربك يقرئك السلام ويقول لك: استأنف فقد غفر الله ما مضى)[٤].

بل إن الله نفسه يناجي الزائر ويقول: (عبدي سلني أعطك، ادعني أجبك)[٥].

ولم يكتفوا بهذه المبالغات، ففي البحار للمجلسي: (أن قبر أمير المؤمنين يزوره الله مع الملائكة، ويزوره الأنبياء، ويزوره المؤمنون)[٦].

---

١ البحار (ج١٠١/ص١٠٩).

٢ البحار (ج١٠١/ص١٠٩).

٣ الأرض والتربة الحسينية، آل كاشف (ص٥٦-٥٥).

٤ وسائل الشيعة (ج١٠/ص٣٤٢-٣٤١).

٥ وسائل الشيعة (ج١٠/ص٣٤٢).

٦ البحار (ج١٠٠/ص٢٥٥).



وويل لمن لم يزر!!، عقد المجلسي بابا: (أن زيارته واجبة مفترضة مأمور بها، وما ورد من الذم والتأنيب والتوعد على تركها) وذكر ٤٠ حديثا[١].

وفي الوسائل: أن أبا عبد الله سئل عمن ترك زيارة قبر الحسين من غير علة، فقال: (هذا رجل من أهل النار)[٢].

وقد صنف شيوخهم (مناسك المشاهد)، وبلغت هذه المصنفات أكثر من ستين[٣]، وهذا كله إحياء للشرك ومناقضة للتوحيد، وقد تواترت الأحاديث عن نبينا ﷺ في النهي عن البناء على القبور وتجصيصها، واتخاذها مساجد.

وكالعادة فقد رووا هم أنفسهم النهي عن هذا، كقول إمامهم: (لا تشرب وأنت قائم، ولا تطف بقبر)، وقد أجهد المجلسي نفسه بتأويلها، فحملها على النهي عن الطواف بالعدد المخصوص الذي يطاف بالبيت[٤].

لقد كان الاهتمام بهذا المعول الهادم لأصل التوحيد أثره في ديار الشيعة، حيث عمرت بيوت الشرك التي يسمونها المشاهد، وعطلت بيوت التوحيد، وهي المساجد إلى يومنا هذا!!.

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي –بعد زيارة له إلى إيران– عن مشهد علي الرضا: (فإذا دخل غريب في مشهد سيدنا علي الرضا لم يشعر إلا وكأنه داخل الحرم، فهو غاص بالحجيج، مدوي بالبكاء والضجيج، عامر بالرجال والنساء، مزخرف بأفخر الزخارف والزينات، قد دفعت إليه ثروة الأثرياء، وتبرعات الفقراء)[٥].

---

١ البحار (ج١٠١/ص١-١١).

٢ وسائل الشيعة (ج١٠/ص٣٣٩).

٣ انظر: أصول مذهب الشيعة، القفاري (ج٢/ص٤٦٧).

٤ بحار الأنوار (ج١٠٠/ص١٢٦).

٥ من نهر كابل إلى نهر اليرموك، أبو الحسن الندوي (ص٩٣).



وقد ذكر صاحب التحفة الاثني عشرية: بأنهم لا يزالون يغلون في قبور الأئمة ويطوفون حولها، ويصلون إليها مستدبرين القبلة، إلى غير ذلك مما يستقل معه فعل المشركين مع أصنامهم[١].

[١] مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي، الألوسي (ص٣٠٠).



بعض أصولهم التي تفردوا بها

أولًا: الإمامة

الإمامة عند الشيعة هي أصل الأصول، مع أنهم يعترفون بأن ابن سبأ كان أول من أشهر القول بفرض إمامة علي، فإنه كان يهودي الأصل، يرى أن يوشع بن نون هو وصي موسى ﷺ، فلما أسلم أظهر هذه المقالة في علي[١].

ويكفي في نقدهم أنه لا سند لهم فيه إلا ابن سبأ، ومع ذلك فهي عندهم: أجل من النبوة، كما قاله هادي الطهراني أحد مراجعهم وآياتهم في هذا العصر[٢].

روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: (بني الإسلام على خمس: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج والولاية)[٣]، فأنت ترى أنهم أسقطوا الشهادتين، ووضعوا مكانها الولاية، يقول مرجعهم المعاصر كاشف الغطا: (إن الشيعة زادوا في أركان الإسلام ركنا، وهو الإمامة)[٤].

وكان ابن سبأ ينتهي بأمر الوصية عند علي، لكن جاء من بعده من عممها في أولاده، وكانت الخلايا الشيعية تعمل بصمت وسرية، ومع ذلك فقد كانت تصل بعض هذه الدعوى إلى بعض أهل البيت، فينفون ذلك نفيا قاطعا، ولذلك اخترع أولئك عقيدة التقية، حتى يسهل نشر أفكارهم وهم في مأمن من تأثر الأتباع بمواقف أهل البيت الصادقة والمعلنة.

---

[١] رجال الكشي (ص١٠٨،١٠٩)، المقالات والفرق، القمي الأشعري (ص٢٠).
[٢] ودايع النبوة، الطهراني (ص١١٤).
[٣] أصول الكافي (ص٢/ص١٨).
[٤] أصل الشيعة (ص٥٨).



والإمامية يقولون بإمامة اثني عشر إماما، مع أن في كتابهم (الكافي) جملة من الأحاديث تقول بأنهم ثلاثة عشر، فقد روي عن أبي جعفر أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (واثنا عشر إماما من ولدي، وأنت يا علي زر الأرض -يعني أوتادها وجبالها-)[١].

ولهذا تصرف الطوسي في الغيبة بهذا النص، فأورده بلفظ: (إني وأحد عشر من ولدي)[٢].

وقد جاء في (نهج البلاغة) -وهو من أوثق كتبهم مع أنه لم يجمع إلا في القرن الرابع، وليس له سند معروف -عن أمير المؤمنين علي: أنه لما أراده الناس على البيعة قال: (دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان، فإن تركتموني فإني كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم)[٣].

وقال المفيد: ومما حفظ من كلام أمير المؤمنين أنه قال: (... أتيتموني فقلتم بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى، فقلت: لا، وقبضت يدي، فبسطتموها حتى ظننت أنكم قاتلي، وأن بعضكم قاتل بعضا لدي، فبسطت يدي فبايعتموني)[٤]، مع أن ابن المطهر الحلي يقرر أن من طلب الإقالة فليس بإمام، إذ لو كان إماما لم يجز له طلب الإقالة[٥]، وهذا مما حدا بطائفة من الشيعة وهم: الكاملية إلى تكفيره -أي علي- رضي الله عنه وأرضاه.

أين الإمامة في كتاب الله؟ بل وأين علي عن القتال على أصل الدين؟ وأين كان عقل الحسن حين سلم الخلافة لمعاوية؟ هذا مع أنهم يجعلون هذا الأمر فارقا بين الكفر والإسلام، وينقل شيخهم المفيد إجماعهم على تكفير أمة الإسلام، فيقول: (اتفقت الإمامية على أن

---

١ أصول الكافي (ج١/ص٥٣٤).
٢ الغيبة (ص٩٢).
٣ نهج البلاغة (ص١٣٦).
٤ الإرشاد، المفيد (ص١٣٠).
٥ منهاج الكرامة، ابن المطهر (ص١٨٠).



من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله من فرض الطاعة، فهو كافر ضال مستحق للخلود في النار)[١].

ولذلك أيضا كفروا الصحابة، وخاصة الخلفاء الثلاثة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وقد عقد شيخهم المجلسي -الذي عده بعض معاصريه المرجع الوحيد في تحقيق معارف المذهب -باباً بعنوان: (كفر الثلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم)[٢]، وعقد البحراني بابا (أن إبليس أرفع مكانا في النار من عمر)[٣]، ولا يستثنون من ذلك إلا نفرا قليلا من الصحابة يبلغون السبعة ولا يزيدون.

ثم إنهم قد كفروا بعض كبار آل البيت، كالعباس عم النبي ﷺ، حتى قالوا: إنه نزل فيه قوله سبحانه وتعالى: {وَمَن كَانَ فِي هَـذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى...} [الإسراء: ٧٢][٤]، وكابنه عبد الله بن عباس، وقد جاء في الكافي ما يتضمن تكفيره، (وأنه جاهل سخيف العقل)[٥]، وبنات النبي ﷺ يشملهن سخط الشيعة، فلا يذكرن فيمن استثني من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي ﷺ ما عدا فاطمة[٦]، كما باؤوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج النبي ﷺ، ولم يستثنوا منهن أحدا، إلا أنهم خصوا عائشة وحفصة رضي الله عنهما بالذم واللعن والتكفير، واتهموا الصديقة عائشة بالزنا.

فهل يحب النبي أحد يطعن في عرضه؟

أرأيت -أيها الأخ الكريم- لو أن مدرسا أو مدرسة فشل كل تلاميذها أو الأغلب ولم ينجح إلا عدد يسير، أليس هذا طعنا في المدرسة والقائمين عليها؟ وهذا بالضبط ما قصده مهندسو التشيع، ولهذا قال مالك وغيره: (إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول

---

[١] المسائل للمفيد، نقل ذلك المجلسي في البحار (ج٨/ص٣٦٦).
[٢] بحار الأنوار (ج٨/ص٢٠٨).
[٣] المعالم الزلفى، البحراني (ص٣٢٤).
[٤] رجال الكشى (ص٥٣).
[٥] أصول الكافي (ج١/ص٢٤٧).
[٦] انظر: كشف الغطاء، جعفر النجفيكشف الغطاء، جعفر النجفي (ص٥)، دائرة المعارف الشيعية، حسن الأمين (ج١/ص٢٧).



القائل رجل سوء، كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة)[١].

ولم يكتفوا بهذا فقد كفروا كل من لا ينتمي إليهم، روى الكليني عن أبي عبد الله أنه قال: (أهل الشام شر من أهل الروم، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة)[٢]، وقالوا عن أهل مصر: (أبناء مصر لعنوا على لسان داود، فجعل الله منهم القردة والخنازير)[٣]، وقد قذفوا الأمة كلها، واتهموها بالفجور، وادعوا بأنهم كلهم أولاد زنا، ولذلك يدعون يوم القيامة بأسماء أمهاتهم، ويزعمون بأن الأمة خلق منكوس، وهم ليسوا من البشر بل هم قردة وخنازير وكلاب[٤].

فانظر أيها الأخ الكريم إلى أثر أصابع اليهود في دينهم، واحكم بعقلك!! ولذلك فقد كانوا يستبيحون دماء المسلمين، تنقل كتب الشيعة عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله: ما تقول في قتل الناصب –أي السني–؟ فقال: (حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد عليك به فافعل)[٥]، ويحكون عن أحدهم أنه قتل ٥٠٠ من أهل السنة، فأراد الخلاص من تبعات دمائهم، فأرسل إلى موسى الكاظم، فقال: (كفر عن كل رجل منهم بتيس، والتيس خير منه)[٦].

ولذلك فقد أثنى شيخهم الخوانساري كثيرا على ما فعله هولاكو ببغداد حيث أقدم على (إبادة ملك بني العباس، وإيقاع القتل العام من أتباع أولئك الطغام، إلى أن سال من دمائهم الأقذار كأمثال الأنهار، فانهار بها في ماء دجلة، ومنها إلى نار جهنم دار البوار)[٧].

---

[١] منهاج السنة، ابن تيمية (ج٤/ص١٢٣).
[٢] منهاج السنة، ابن تيمية (ج٤/ص١٢٣).
[٣] أصول الكافي (ج٢/ص٤٠٩).
[٤] بحار الأنوار (ج٦٠/ص٢٠٨).
[٥] علل الشرائع، ابن بابويه (ص٢٠٠).
[٦] الأنوار النعمانية (ج٢/ص٣٠٨).
[٧] روضات الجنان (ج٦/ص٣٠٠).



وصدق شيخ الإسلام حين قال: (ورأينا ورأى المسلمون أنه إذا ابتلي المسلمون بعدو كافر كانوا معه على المسلمين)[١].

نعم هذا قولهم في الأمة التي قال الله عنها: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]، وهذا قولهم فيمن قام الإسلام على أكتافهم ممن قال الله فيهم: {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١٠٠].

قال ابن كثير عن هذه الآية: (فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم، لا سيما سيد الصحابة بعد رسول الله ﷺ وخيرهم وأفضلهم -أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة-، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن إذ يسبون من رضي الله عنهم)[٢].

وقال تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [الفتح: ٢٩] فبين تعالى أن من كان في قلبه غيظ عليهم فهو من الكفار.

والآيات والأحاديث في فضائلهم كثيرة كثيرة رضي الله عنهم وأرضاهم.

وكالعادة فقد وجد في كتبهم ما ينقض قولهم[٣]:

---

[١] منهاج السنة، ابن تيمية (ج٤/ص١١٠).

[٢] تفسير ابن كثير (ج٤/ص٤٣٩).

[٣] بحار الأنوار (ج٢٢/ص٣٠٥).



قال النبي ﷺ: (طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، وطوبى لمن رأى من رأى من رآني).

وفي نهج البلاغة يقول علي في عمر، أو أبي بكر –على اختلاف في شيوخهم–: (لله بلاء فلان، فلقد قوم الأول وداوى العمد، وأقام السنة.. ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها، وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته واتقاه بحقه)[1].

وكالعادة فقد حملوه على أنه قال ذلك تقية[2]!!

وأشد من ذلك عليهم: أن عليًا –رضي الله عنه– زوج ابنته أم كلثوم من عمر رضي الله عن الجميع، فكيف يفعل هذا، ويسلم عرضه لمن هو أكفر من إبليس، وقد وضع مهندسو التشيع روايات عن الأئمة أنهم قالوا: (ذلك فرج غصبناه)[3].

فزادوا الطين بلة، حيث صوروا أمير المؤمنين في صورة الديوث الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله: (إن أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه فضلا عن بني هاشم، الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبا، وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد ليث بني غالب أسد الله في المشارق والمغارب)[4].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجه، فرام التخلص منه بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أن أم كلثوم لم تكن بنت علي، ولكنها جنية تصورت بصورتها[5].

وها هو علي والحسن والحسين يسمون بعض أولادهم بأسماء: أبي بكر وعمر، وهل يطيق أحد أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في جنبات بيته ليل نهار... !

---

[1] نهج البلاغة (ص٣٥٠).
[2] شرح نهج البلاغة، البحراني (ج٤/ص٩٧).
[3] فروع الكافي (ج٢/ص١٠).
[4] مؤتمر النجف، السويدي (ص٨٦).
[5] الأنوار النعمانية (ج١/ص٨٣).

ثانيًا: التقية

التقية: مصدر اتقيت الشيء أتقيه[١].

قال ابن حجر: (التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير)[٢].

والتقية في الإسلام رخصة واستثناء لدفع الضرر المتحقق من عدو صائل، ولذا قال الطبري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: {إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً...} [آل عمران: ٢٨] قال: (التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار، لا من غيرهم)[٣].

فنهى الله عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد، فقال: {وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ} [آل عمران: ٢٨] ثم استثنى سبحانه: {إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً} [آل عمران: ٢٨] (أي: إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته)[٤].

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: (أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر)[٥].

ولكن اختيار العزيمة أفضل، قال ابن بطال: (وأجمعوا على أن من أكره على الكفر، واختار القتل أنه أعظم أجرا عند الله)[٦].

---

١ لسان العرب: مادة (وقى).
٢ فتح الباري (ج١٢/ص٣١٤).
٣ تفسير الطبري، (ج٥/ص٣١٩).
٤ تفسير ابن كثير، (ج٢/ص٣٣٤).
٥ فتح الباري (ج١٢/ص٣١٤).
٦ فتح الباري (ج١٢/ص٣١٧).



أما الشيعة فعندهم أن التقية ركن من أركان دينهم قال ابن بابويه: (اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة)[١]، ونسبوه إلى النبي[٢]، ثم بالغوا كعادتهم فنسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال: (إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له)[٣].

والتقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة لا تمثل نهجا عاما في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي غالبا حالة فردية مؤقتة مقرونة بالاضطرار.

ولكنها في المذهب الشيعي تعد طبيعية ذاتية في بنية المذهب، وهي من بعد حالة مستمرة وسلوك جماعي دائم، قال ابن بابويه: (والتقية واجبة لا يجوز دفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وعن دين الإمامية، وخالف الله ورسوله والأئمة)[٤].

ورووا عن علي بن موسى الرضا أنه قال: (لا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية)[٥] هكذا!

ويؤكدون على أن تكون عشرة الشيعة لأهل السنة بالتقية، وقد ترجم لذلك الحر العاملي فقال: (باب وجوب عشرة العامة -أهل السنة- بالتقية)[٦].

وهم يحثون الشيعة على الإكثار من التقية، حتى مع من يأمن جانبه، حتى تصبح له سجية وطبعا.

ولأن التقية لا تعني -بهذه الصورة- سوى الكذب والنفاق، وهو مما تكرهه الفطر السليمة، وتمجه النفوس السوية، اخترع مهندسو التشيع روايات تحببها إلى نفوس الشيعة،

---

[١] الاعتقادات، ابن بابويه (ص١١٤).
[٢] البحار (ج٧٥/ص٤١٢).
[٣] أصول الكافي (ج٢/ص٢١٧).
[٤] الاعتقادات، ابن بابويه (ص١١٥-١١٤).
[٥] البحار (ج٧٥/ص٤١٢).
[٦] وسائل الشيعة، العاملي (ج١١/ص٤٧٠).



فزعموا أنها أحب العبادات إلى الله، روى الكليني عن أبي عبد الله قال: (والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء)، فقيل له: وما الخبء، قال: (التقية)[١].

وسبب هذا الغلو في أمر التقية يعود إلى أمور:

أحدها: أن الشيعة تعد إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، ثم يجدون أن عليا صلى خلفهم وبايعهم وزوجهم، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئا مما فعله أبو بكر وعمر، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه، فاحتاجوا إلى التقية للخروج من التناقض.

الثاني: تسهيل مهمة الكذابين، ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت، فكان مهندسو التشيع يوهمون الأتباع أن كل ما خالف ما قرروه فإنما قاله الأئمة تقية.

الثالث: أنهم زعموا للأئمة العصمة، وأنهم لا ينطقون إلا عن وحي، ثم روت كتب الشيعة نفسها أقاويل مختلفة متعارضة، فاحتاجوا إلى التقية، وكان ذلك سبب ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، فلا يعرف أي الأقوال هو الحق، وأيها هو التقية بزعمهم، وقد اعترف بذلك شيوخهم الكبار.

والحمد لله الذي حفظ لنا ديننا بوضوحه وصراحته.

ثالثًا: المهدية والغيبة عند الشيعة

تعتبر السبئية –كما يقول الشيعة أنفسهم– أول فرقة قالت بالوقف على علي وغيبته، وأنه لم يمت، ولا يموت حتى يملك الأرض[٢].

ثم شاع التوقف على الإمام، انتظار عودته مهديا بعد ذلك بين فرق الشيعة، فبعد وفاة كل إمام من آل البيت تظهر فرقة من أتباعه تدعي فيه هذه الدعوى وتنتظر عودته، وهم

[١] أصول الكافي (ج٢/ص٢١٩).
[٢] المقالات والفرق، القمي (ص١٩–٢٠).



يختلفون في ذلك اختلافا شديدا، حتى قال ابن السمعاني: (ثم إنهم في انتظارهم الإمام الذي انتظروه مختلفون اختلافا يلوح على حمق بليغ)[١].

نشأة فكرة الغيبة عند الشيعة الاثني عشرية:

بعد وفاة الحسن العسكري -إمامهم الحادي عشر- (سنة ٢٦٠هـ)، لم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوة جعفر وأمه[٢]، كما تعترف كتب الشيعة نفسها.

وبسبب ذلك اضطرب أمر الشيعة، وتفرق جمعهم، لأنهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام، لأنه هو الحجة على أهل الأرض[٣]، حتى كتاب الله ليس بحجة عندهم إلا بالإمام، وبالإمام بقاء الكون إذ (لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)[٤]، وهو أمان الناس (ولو أن الإمام رفع من الأرض ساعة، لماجت بأهلها كما يموج البحر)[٥]، ولكن الإمام مات بلا عقب، ولم يحدث شيء من هذه الكوارث، فتحيرت الشيعة واضطرب أمرها، فافترقوا إلى خمس عشرة فرقة، كما ينقل القمي، أو أربع عشرة فرقة كما ينقل النوبختي[٦]، وهما من الاثني عشرية، وممن عاصر أحداث الاختلاف في القرن الثالث الهجري.

وقد ذهبت الفرق الشيعية مذاهب شتى، فمن قائل: إن الحسن لم يمت بل هو حي، ومن قائل: إن الحسن بن علي قد صحت وفاته كما صحت وفاة آبائه بتواطؤ الأخبار التي لا يجوز تكذيب مثلها، وكثرة المشاهدين لموته، وتواتر ذلك عن الولي له والعدو، وهذا ما لا يجب الارتياب فيه، وصح بمثل هذه الأسباب أنه لا ولد له، فثبت أنه لا إمام بعده، وأن

---

١ الأنساب، السمعاني (ج١/ص٣٤٧).
٢ المقالات والفرق، القمي (ص١٠٢).
٣ أصول الكافي (ج١/ص١٨٨).
٤ الكافي (ج١/ص١٧٩).
٥ السابق (ج١/ص١٧٩).
٦ المقالات والفرق، القمي (ص١٠٢)، فرق الشيعة، النوبختي (ص٩٦).



الإمامة انقطعت كما جاز أن تنقطع، وذهبت الاثنا عشرية إلى أن له ولدا مختبئا في السرداب[١].

وقد جاءت عندهم روايات تكشف ما خفي، وتبين سبب هذا القول وأن وراء دعوى غيبة الإمام وانتظار رجعته: الرغبة في الاستئثار بالأموال، وأن هناك فئة متنفعة بدعوى التشيع تغرر بالسذج وتأخذ أموالهم، بزعم أنهم نواب الإمام، فإذا ما توفي الإمام أنكروا موته حتى لا تنضب ثرواتهم، وهكذا تدور عمليات السلب والنهب والضحية هم أولئك السذج المغفلون، الذين يدفعون الخمس إلى مدعي النيابة عن الإمام، والذين استمرؤوا الغنيمة الباردة فظلوا يذكرون في النفوس استشعار ظلم آل البيت، والحديث عن محن آل البيت ليفرقوا الأمة.

وينبغي أن يذكر هنا: أن هذا الأمر –ادعاء وجود غائب سيعود –موجود في الملل السابقة كاليهودية وغيرها، كما أن المجوس يؤمنون أن لهم منتظرا حيا باقيا مهديا من ولد بشتاسث بن بهراسف، وأنه في حصن عظيم بين خراسان والصين[٢].

وصاحب هذه الدعوى العريضة في محمد بن الحسن: رجل اسمه عثمان بن سعيد العمري، من العجيب أن الشيعة لا تقبل إلا قول المعصوم، حتى إنهم يرفضون الإجماع بدونه، وها هي تقبل في أهم عقائدهم دعوى رجل واحد غير معصوم، وقد نازعه في هذه الدعوى غيره، كل يدعي أنه النائب عن المهدي، وقد أتى على ذكرهم الطوسي في باب بعنوان: (ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله)[٣].

ومن يدقق يجد أن لغة المال هي السائدة في التوقيعات المنسوبة للمنتظر، وعلى ألسنة الأبواب والوكلاء، وبعد قريب من سبعين عاما وفي عهد الباب الرابع المدعو: أبو الحسن السمري، ومع اشتداد النزاع بين شيوخ التشيع على اقتسام الغنيمة والاستئثار بالبابية،

---

[١] انظر: المقالات والفرق (ص١٠٧ فما بعدها).

[٢] تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار (ج١/ص١٧٩).

[٣] الغيبة، الطوسي (ص٢٤٤).



أخرج السمري توقيعا عن المنتظر يعلن فيه انقطاع البابية المباشرة، واختراع مبدأ النيابة العامة التي يشترك فيها شيوخ الشيعة.

وبعد هذا التغيير خرجت قضية غيبة المهدي من طريقها المسدود، واختفت ظواهر النزاع على الاختصاص بالبابية، واقتسمت الغنيمة بين الجميع بالسوية.

وفيما يتعلق بولادة المنتظر: تصوغ الروايات الشيعية أساطير تشبه ألف ليلة وليلة، وكالعادة تتناقض فيما بينها، فتارة لم يظهر أثر الحمل، وتارة كان ظاهرا، وتارة اختفى الغلام بعد ثلاث، وفي رواية بعد سبع، وأخرى بعد أربعين، ورابعة بعد خمس سنين... إلخ.

كما أن بطل القصة الذي حمل سر اختفائه ومكان مخبئه: امرأة يقال لها حكيمة، أمرها الحسن أن تحفظ السر، وهكذا اختفى المهدي ولم يعلم بأمره أحد سوى حكيمة التي أودعت خبره ثقات الشيعة، كما تقول رواياتهم[1].

والروايات بشأن مدة الغيبة كثيرة متناقضة:

فتارة لا تزيد عن ست سنين، جاء في (الكافي) عن علي بن أبي طالب: أنه سئل عن ذلك فقال: (ست أيام، أو ستة أشهر، أو ست سنين)[2].

ثم زادت المدة إلى سبعين، ثم إلى مئة وأربعين، ثم إلى غير أمد معين[3].

ويظهر أن الرموز التي كانت تدير دفة التشيع كانت تمني أتباعها بقرب الفرج والظهور للغائب المستور لإمرار لعبتهم، وإزالة الشك والحيرة من أتباعهم بالأماني والوعود، حتى اعترفوا في أخبارهم أن الشيعة تربي بالأماني منذ مئتي سنة[4].

[1] انظر: الغيبة، الطوسي (ص١٤٢ فصاعدا)، وإكمال الدين، ابن بابويه (ص٤٠٥-٤٠٦ وغيرها).
[2] أصول الكافي (ج١/ص٣٣٨).
[3] انظر أصول الكافي مع شرحه، المازندراني (ج٦/ص٣١٤)، والغيبة، الطوسي (ص٢٦٣).
[4] أصول الكافي (ج١/ص٣٦٩).



ثم ختموا اللعبة فرووا عن الأئمة قولهم: (كذب الوقاتون)[١]، أي: الذين يوقتون لخروج المهدي....

وأما سبب الغيبة: فتارة يزعمون أنه لخوف السيف[٢]، مع أنهم يزعمون أن الأئمة يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيارهم[٣].

ثم لم لم يخرج مع توفر الأمان له في مثل عهد الدولة الصفوية، ودولة الخميني؟!

كما جاءت روايات تزعم: أن سبب الغيبة اختبار قلوب الشيعة ويقينهم.

وكالعادة فقد روت كتبهم ما ينقض قولهم، فقد رووا عن الإمام الرضى أنه قيل له: إن قوما وقفوا على أبيك، ويزعمون أنه لم يمت، فقال: (كذبوا، وهم كفار بما أنزل الله على محمد، ولو كان الله يمد في أجل أحد لمد الله في أجل رسول الله)[٤].

أما عمل هذا المنتظر إذا خرج فهو باختصار: تحطيم الإسلام، فإنه كما يروون: (يقوم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد)[٥]، وجاء في الكافي وغيره قال أبو عبد الله: (إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان لا يسأل بينة)[٦] وأول ما يبدأ به: أنه يخرج أبا بكر وعمر غضين نضرين رطبين فيلفهما ويتبرأ منهما، ويصلبهما ثم ينزلهما ويحرقهما، ثم يذريهما في الريح... ويكسر المسجد!![٧]

---

[١] أصول الكافي (ج١/ص٣٦٨).

[٢] أصول الكافي (ج١/ص٣٣٨).

[٣] أصول الكافي (ج١/ص٢٥٨).

[٤] رجال الكشي (ص٤٥٨).

[٥] بحار الأنوار (ج٥٢/ص٣٥٤).

[٦] أصول الكافي (ج١/ص٣٩٧). أي أنهم ينسخون الدين المحمدي ويرجعون إلى دين اليهود، فانظر إلى الأصابع اليهودية في ذلك ونذكر ما ذكره الخميني أن النبي قال لعلي: "يا علي إن من يبني قبوركم ويأتي إلى زيارتها يكون كمن شارك سليمان بن داود في بناء القدس" [كشف الأسرار (ص٨٤)]. فلماذا يشارك سليمان بن داود في بناء القدس ولا يشارك إبراهيم الخليل في بناء البيت الحرام، أليس البيت الحرام والمسجد النبوي أفضل من بيت المقدس؟!

[٧] بحار الأنوار (ج٥٢/ص٣٨٦).



ولا يكتفي بهذا بل إنه يقول بقتل عام للجنس العربي، استئصال وجوده، رووا عن أبي عبد الله أنه قال: (ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح)[١].

ويخصصون قبيلة رسول الله ﷺ -قريش- التي منها صفوة أصحابه بمزيد من حقدهم[٢]، وجنده في ذلك هم العجم[٣].

فانظر إلى هذا الحقد الشعوبي على كتاب ورجالات الإسلام!!؟

ولا ينسون أن يخصوا بيت النبوة ببائقة من البوائق، فيزعمون أنه يخرج عائشة أم المؤمنين من قبرها، ويقيم عليها الحد، حيث لم يقمه رسول الله، وهذا يعني: أن القائم أكمل من خاتم النبيين وهو ما صرحت به أخبارهم، فقد روى شيخهم ابن بابويه عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله في قوله: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...} [التوبة: ٣٣]، فقال: (والله ما نزل تأويلها ولا ينزل حتى يخرج القائم عليه السلام)[٤]، وهو ما صرح به الخميني حيث قال: (لقد جاء الأنبياء جميعا لإرساء قواعد العدالة في العالم، لكنهم لم ينجحوا حتى النبي محمد خاتم الأنبياء، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر)[٥].

إلى هنا وتنتهي رحلتنا السريعة في عالم الأساطير المسمى دين الشيعة، وإن ننس فلا ننسَ الفظائع التي يفعلونها بأنفسهم في يوم عاشوراء من ضرب لأنفسهم بالسلاسل والسيوف في حب الحسين -زعموا-!!

(وحتى إلى عهد قريب كانت السفارات البريطانية في طهران وبغداد تمول المواكب الحسينية التي كانت تظهر بذلك المظهر البشع في الشوارع والأزقة، وكان الغرض وراء

---

[١] البحار (ج٥٢/ص٣٤٩).

[٢] انظر: الإرشاد، المفيد (ص٤١١).

[٣] انظر: بحار الأنوار (ج٥٢/ص٣٧٧).

[٤] إكمال الدين، ابن بابويه (ص٦٢٨).

[٥] خطاب ألقاه الخميني في ١٥/شعبان/١٤٠٠هـ، وأذيع من راديو طهران (الرأي العام الكويتية ١٤٠٠١٨١١٧هـ، وانظر مجلة المجتمع (عدد ٤٨٨ -في ١٩٨٠١٧١٨م).



السياسة الاستعمارية الإنجليزية في تنميتها لهذه العملية البشعة، واستغلالها أبشع الاستغلال هو إعطاء مبرر معقول للشعب البريطاني وللصحف الحرة التي كانت تعارض بريطانيا في استعمارها للهند ولبلاد إسلامية أخرى، وإظهار شعوب تلك البلاد بمظهر المتوحشين الذين يحتاجون إلى قيم ينقذهم من مهامه الجهل والتوحش، فكانت صور المواكب التي تسير في الشوارع يوم عاشوراء، وفيها الآلاف من الناس يضربون بالسلاسل على ظهورهم، ويدمونها، وبالقامات والسيوف على رؤوسهم، ويشجونها تنشر في الصحف الإنجليزية والأوروبية، وكان الساسة الاستعماريون يتذرعون بالواجب الإنساني في استعمار بلاد تلك هي ثقافة شعوبها، ولحمل تلك الشعوب على جادة المدنية والتقدم.

وقد قيل: إن ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي في عهد احتلال الإنجليزي للعراق، عندما زار لندن للتفاوض مع الإنجليز لإنهاء عهد الانتداب، قال له الإنجليز: نحن في العراق لمساعدة الشعب العراقي كي ينهض بالسعادة، وينعم بالخروج من الهمجية، ولقد أثار هذا الكلام ياسين الهاشمي، فخرج من غرفة المفاوضات غاضبا، غير أن الإنجليز اعتذروا منه بلباقة، ثم طلبوا منه بكل احترام أن يشاهد فيلما وثائقيا عن العراق، فإذا به فيلم عن المواكب الحسينية في شوارع النجف وكربلاء والكاظمية، تصور مشاهد مروعة ومقززة عن ضرب القامات بالسلاسل، وكأن الإنجليز قد أرادوا أن يقولوا له: هل أن شعبا له من المدنية حظ قليل يعمل بنفسه هكذا؟)[١].

فهل يشك عاقل بعد هذا كله في أن دين الشيعة مكيدة أريد بها هدم الإسلام؟!

اللهم اهد ضال أمة محمد ﷺ، واجمع كلمتها على طاعتك ودينك يا الله. آمين.

---

[١] الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، (ص٩٩ – ١٠٠). وقد أنتجت إحدى شركات الأفلام الغربية فيلما تسجيليا بعنوان (سيف الإسلام) ادعت فيه حب المسلمين للعنف وولعهم بسفك الدماء ولم تجد أفضل من احتفالات عاشوراء لدى الشيعة التي يسيلون فيها دماءهم لإثبات صحة اتهام المسلمين بالدموية، مجلة الأسرة، العدد٧١، صفر ١٤٢٠هـ.



حوار بين سني وشيعي

السني: أرأيت لو أن جامعة من الجامعات تضم آلاف الطلبة رسبوا كلهم إلا بضعة أنفار ثلاثة أو خمسة أو أكثر من ذلك بقليل، ماذا تقول؟

الشيعي: هذه جامعة محكوم عليها بالفشل.

السني: والإدارة؟

الشيعي: أفشل.

السني: وطاقم التدريس؟

الشيعي: أفشل وأفشل.

السني: فسبحان الله مدرسة محمد ﷺ أعظم مرب وأكرم مدرس عرفه التاريخ، رسب كل طلبتها إلا بضعة أنفار؟!.

* * *

السني: أرأيت إذا أردنا أن نحكم على إنسان بصلاح أو فساد، إلى أي شيء نعمد؟

الشيعي: ننظر إلى بطانته وصحبه ومن اصطفاهم أصدقاء وأخدانا.

السني: أي كما قالت العرب: (قل لي من تصاحب أقل لك من أنت؟).

وكما قال الشاعر:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه *** فكل قرين بالمقارن يقتدي

وكما قال الآخر:

أنت في الناس تقاس *** بالذي اخترت خليلا



الشيعي: هو كذلك، فهذا أمر مفطور عليه البشر وسنة جرت بين الناس أن الطيور على أشكالها تقع، وأن التشاكل سبب التآلف.

السني: فسبحان الله، أصحاب محمد ﷺ ورفاق دربه كانوا قوم سوء وخاصة الصديق الذي اختاره النبي رفيقا له في أكرم رحلة سطرها التاريخ في الهجرة من مكة إلى المدينة؟!

وهل هذا إلَّا طعن في النبي من طرف خفي؟!

وصدق الإمام أبو زرعة حينما قال: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق وذلك أن رسول الله عندنا حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم زنادقة)[١].

ورحم الله الشعبي حينما قال: (فضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين: سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت الرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم، فسبوهم)[٢].

* * *

السني: أقرأت القرآن وتؤمن به؟

الشيعي: نعم.

السني: إذا فقد سمعت قول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١١٠]؟

الشيعي: نعم في سورة آل عمران.

---

١ الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، (ص٤٩).

٢ منهاج السنة النبوية، ابن تيمية (ج١/ص٢٧).



السني: فقد يعقل بالبداهة والضرورة أن أول من يدخل في هذا المدح هم من نزل القرآن عليهم وفي زمانهم وكانوا أول المخاطبين به...

فكيف يعقل بعد ذلك أن يكون الذين هم خير أمة أخرجت للناس زنادقة ومنافقين وجشعين، وأصحاب مطامع دنيوية... أهؤلاء هم خير البشرية وخلاصة الإنسانية[١]؟

وهل يعقل بعد ذلك أن يكون الإسلام الدين الذي ارتضاه الله وختم به الرسالات ولا يقبل من أحد سواه، هل يعقل أن يكون انتشر بسيوف المنافقين والأفاكين والجشعين أصحاب المآرب الدنيوية[٢]؟

* * *

السني: أنتم تزعمون أن القرآن الكريم لم يجمعه أحد إلا الأئمة يرثه اللاحق عن السابق، وأن مصحف العامة، أعني المصحف الموجود في أيدي الناس قد عبثت به أيدي التحريف والتزوير؟!

الشيعي: بهذا جاءت الروايات عن الأئمة المعصومين.

السني: ولما تولى علي الخلافة لم يخرج القرآن الحقيقي وأجرى أمر الناس على ما كان وكتم أصل الدين وأسه؟

الشيعي: لم يتسن له أن يخرجه لكثرة المخالف.

السني: إذًا فالقرآن الذي أنزله الله نورا وهدى للناس لم يعمل به ولم تعرفه البشرية حتى الآن؟

الشيعي: نعم هو كذلك.

---

١ الجواب عندهم سهل وإن كانوا يتكاتمونه فيما بينهم لأنهم يزعمون أن الآية {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}.

٢ عندهم في الكافي: {يا أيها النبي جاهد الكفار بالمنافقين}، فاعجب لدين هذا شأنه!! ولا عجب فالتقية –وهي النفاق حقيقة– هي لب دينهم، وتسعة أعشار ملتهم.



السني: فأين هو القرآن إذًا؟

الشيعي: مع المهدي في السرداب، عجل الله فرجه.

السني: لكن رواياتكم تنص على أن المهدي إذا خرج سيحكم بشريعة داود أو بمعنى آخر لن يكون بالقرآن... فيا ترى ما نفع القرآن للبشرية وأين هي هدايته، وما هي ثمرة وجوده في هذه الحياة؟!!.

* * *

السني: هل تعرف المواد الشرعية التي يدرسها علماؤكم في قم؟

الشيعي: نعم هي اللغة العربية والفقه والأصول والفلسفة والمنطق.

السني: إذًا فهم لا يدرسون التاريخ؟

الشيعي: نعم.

السني: لماذا؟

الشيعي: هو علم قليل النفع.

السني: كيف وقد أجمع العقلاء على أن التاريخ ذاكرة الأمم الجمعية، وأنه بأحداثه وصوابه وأخطائه هو الموجه لحركة المجتمع في حاضرها ومستقبلها، وصدق شوقي:

مثل القوم نسوا تاريخهم *** كلقيط عي في القوم انتسابا

وقد فطر الناس على الفخر بتاريخهم والتمدح به.

الشيعي: لا أدري إذن!



السني: أنا أقول لك... لأنه ليس هناك شبر في الأرض دخل في الإسلام أو دخله الإسلام على يد الشيعة.

فلم يكن لهم من عمل إلا عرقلة الفتح وطعن الأمة في ظهرها وإشغالها في نفسها وصدق ذلك المستشرق حينما قال: (لولا الدولة الصفوية لكنا اليوم في أوروبا نقرأ القرآن كما يقرأه الجزائري البربري)[١]. فقد كانوا عونا للصليبيين، وسندا للتتار، ومع كل عدو للإسلام.

١ الثابت في التاريخ أن سليمان القانون اضطر أن يفك حصاره للنمسا ويعود أدراجه بسبب هجوم الدولة الصفوية على العراق، وفتكها بأهل السنة هناك وعلمائهم ومساجدهم، وكانت تلك آخر نقطة وصلها الجيش العثماني ثم بدأ العد التنازلي، انظر: تاريخ الدولة العثمانية (ص٦٠-٨٨). وقد ذكر ابن الأثير أن مجيء الصليبيين إلى الشام كان بدعوة من الدولة الفاطمية ووعد بالنصرة على الخلافة السنية في بغداد [الكامل (ج١٠/ص٢٧٣)]. وإن ننس فلن ننسى دور ابن العلقمي الرافضي وممالأته التتار وتمكينهم من الاستيلاء على بغداد وقتل الخليفة السني، انظر البداية والنهاية (ج١٣/ص١٠٢).



إضاءة

يحكى عن أحد أئمة السنة وكان قد طوف في البلاد حتى انتهى إلى النجف فرآهم إذا مات لهم الميت أدخلوه مقام أحد الأئمة ثم يخرجونه فيدفنونه.

فقال لهم: لأي شي تصنعون ما أرى؟

فقالوا: التماسا للمغفرة ببركة الإمام.

فقال: ويغفر له ذنبه ببركة مجاورته الإمام هذا الوقت اليسير؟

قالوا: نعم.

فقال: فسبحان الله أبو بكر وعمر منذ مئات السنين وهما مجاوران للنبي أما غفر لهما ببركة النبي؟ كيف يرضى الله لنبيه أن يجاوره في قبره منافقان.. {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ...} [الحج: ٤٦].



الصُوفِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن لهديه اقتفى أما بعد:

فهذه أيها المسلم الكريم خلاصة معتصرة تكشف الحجاب وتميط اللثام عن فرقة الصوفية نشأة وتأثرًا وعقائد وعبادات نرجو بها ومنها الإبراء إلى الله بإقامة الحجة وتنبيه الغافل وتوضيح الحقائق مساهمة في نصح الأمة والذب عن دين الله فأرعها أيها المسلم الكريم قلبك وحذارِ حذارِ أن تكون ممن قالوا: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} [الزخرف:٢٢]. واسمع جواب خالقك الكريم: {قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ، فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الزخرف:٢٤]. ونذكر هنا بأننا نقلنا في هذه الورقات بعض المستشنعات عن بعض الأعلام وهؤلاء قسمان: منهم من ثبت عنه الرجوع عنها كما هو الإمام الغزالي فقد عرف عنه -رحمه الله- أنه أقبل في أواخر عمره على الأحاديث الصحاح فاتخذ لنفسه معلمين يحفظ عليهم الصحيحين وكان يسمع في آخر حياته صحيح البخاري عن أبي سهيل محمد بن عبد الله الحفصي وسنن أبي داود عن القاضي أبي الفتح الحاكمي الطوسي[1].

ويقول تلميذه عبد الغافر الفارسي: (وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن في يسير من الأيام يستفرغهن في تحصيله)[2].

---

[1] انظر: طبقات السبكي (ج٤/ص١١٠).

[2] طبقات السبكي (ج٤/ص١٠٩-١١١)، وانظر: تبيين كذب المفتري لابن عساكر (ص٢٩٦) وسير أعلام النبلاء (ج١٤/ص٢٦٨).



والقسم الثاني: نقلت عنهم أقاويل متعارضة وذلك كالجنيد ورابعة العدوية... فالله أعلم بحقيقة أمرهم، والذي يهمنا أن هذه الأقوال الباطلة تنقل وتقبل ويتربى عليها المريدون... وهذا هو الشأن.

تنبيهان:

الأول: حديثنا عن الصوفية كمنهج له كتبه وأعلامه وليس عن أفراد قد يكون منهم المخدوع... واعلم أن التصوف كالبحر الخضم المغرق فمن الناس من يخوضه إلى كعبيه ومنهم إلى ركبتيه أو حقويه ومنهم من يغرق في لجته والبحر هو هو.

الثاني: أنك واجد فيما يتلى عليك أموراً يستشنعها العقل السليم وتجافيها الفطرة النقية والشِّنعة فيها ليست منا فنحن محض نقلة أمناء... لكن عالم التصوف لا يلجه إلا من أطفئ سراج عقله وخلف فطرته وراءه ظهرياً وأسلم من بعد نفسه للخيالات والأساطير، ثم إنك من بعد واجد تناقضاً بيّناً بين مذاهب القوم وذلك أن مردهم إلى الأذواق والمواجيد والرؤى والمنامات والأهواء ولذا تتشعب بهم السبل ولا يجمعهم طريق، {بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ} [ق:٥].



انحرافات في باب العقيدة

أولاً: النشأة وعوامل التأثر

اختلف الناس في اشتقاق كلمة الصوفية، والأمر كما قال القشيري وهو أحد المقدمين فيهم: (وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر فيه أنه كاللقب)[١].

نعم فهذه الكلمة دخيلة على لغة الأمة وعقيدتها... تسللت إليها في عصر الترجمة من اليونانية فإن كلمة صوفيا تعني باليونانية: الحكمة، وما عرفت هذه الكلمة وانتشرت إلا في القرن الثاني الهجري في خضم حركة الترجمة... قال البيروني: (ومنهم –أي فلاسفة الهند– من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لاستغنائها بذاتها، وحاجة غيرها إليها وإن ما هو مفتقر في الوجود إلى غيره فوجوده كالخيال... والحق هو الواحد الأول، وهذا رأي الصوفية وهم الحكماء فإن صوفيا باليونانية الحكمة وبها سمي الفيلسوف فيلسوفاً أي محب الحكمة ولما ذهب في الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فنسبهم إلى الصُفّة وأنهم أصحابها في عهد النبي ﷺ)[٢].

ويزيد الأمر جلاء أن أقطاب التصوف كانوا يثنون على فلاسفة اليونان ويعدونهم أساتذة لهم وأوائل في هذا الطريق، يقول السهروردي– الذي قتله صلاح الدين بتهمة الزندقة–: وأما أنوار السلوك الصوفي في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغورثيين وقعت إلى أخي حميم–أي ذي النون المصري–ومنه نزلت إلى سيّار تستر وشيعته أي سهل التستري[٣]، ويذكر أنه رأى أستاذه أرسطو في النوم وسأله عن رأيه في أقطاب التصوف فأثنى عليهم[٤]. وهذا ابن سبعين يثبت مشيخة فلاسفة اليونان في التصوف ويورد في الرسالة النورية أقوالاً

---

[١] الرسالة، القشيري (ص١٢٦).

[٢] تحقيق ما للهند من مقولة (ص٢٧).

[٣] انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود القاسم، (ص٧٤٢) نقلاً عن ولاية الله والطريق إليها.

[٤] المصدر السابق.



لأرسطو وأفلاطون وسقراط يعبرون بها عن وحدة الوجود وعن أحوالهم وأذواقهم في معرفتها والتحقق بها[١]. ويقول شيخ الأزهر الأسبق عبد الحليم محمود: (فإن الصوفية جميعاً وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورث وأفلاطون إلى يومنا هذا يعلنون منهجاً محدداً يقررونه جميعاً ويثقون فيه ثقة تامة)[٢]. والششتري في نونيته يجعل فلاسفة اليونان شيوخاً في التصوف[٣].

وقد أخذ الصوفية عن أفلاطون فلسفته الإشراقية في المعرفة وخلاصتها أن المعرفة تسكب في النفس إذا تطهرت من الدنيا وجواذبها عن طريق الفيض من العقل والفعال... وكتاب مشكاة الأنوار للغزالي عبارة عن تعريب للتاسوع الخامس من كتاب تساعات أفلاطون في طرائق المعرفة والوصول إلى وحدة الوجود[٤].

والواقع أن الصوفية نهر صبت فيه روافد كثيرة فمن ذلك أيضاً الفلسفة الهندية القديمة.

يقول البيروني بعد أن ذكر فلسفة بيتنجل الهندي: (وإلى مثل هذا إشارات الصوفية في العارف إذا وصل إلى مقام المعرفة فإنهم يزعمون أنه يحصل له حال قديمة لا يجري عليها التغير، بها يعلم الغيب ويفعل المعجز وأخرى بشرية للتغير والتكوين ولا يبعد عن مثله أقاويل النصارى)[٥].

وإذا انتقلنا إلى مذهب البراهمة، وجدناهم يطلبون عن طريق التأمل والاعتبار كمالًا روحيًا بل يزعمون أن الله بذاته يحضر في قلوبهم وضمائرهم ولذلك تتوق أنفسهم إلى الاتحاد به[٦].

---

١ انظر: الكشف (ص٧٥).

٢ انظر: الكشف (ص٢٧٥).

٣ انظر: روضة التعريف، ابن الخطيب (ج٢/ص٦١٤).

٤ انظر: أبو حامد الغزالي والتصوف، (ص١٥٠).

٥ تحقيق ما للهند من مقولة (ص٩٢).

٦ التصوف في الإسلام، عمر فروخ (ص٣٨).

ومن تتبع أقوال المتصوفة ونصوص الفيدا -أحد كتب البراهمة المقدسة- يقف أحياناً على تشابه حتى في المفردات[١]. كما أنهم أخذوا عن الهنود طريقتهم في ترويض النفوس وتعذيبها.. يقول الغزالي: (وعباد الهند يعالجون الكسل عن العبادة بالقيام طول الليل على رجل واحدة لا ينتقل عنها... وبعض الشيوخ في ابتداء إرادته كان يكسل عن القيام فألزم نفسه القيام على رأسه طول الليل ليسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال بأن باع جميع ماله ورمى به في البحر إذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود والرياء بالبذل.. فهذه الأمثلة تعرفك طريق معالجة القلوب)[٢].

كما أدخلوا على الإسلام مفهوم الزهد البوذي حتى قال قائلهم: (لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ويأوي إلى مزابل الكلاب)[٣].

وأما النصرانية فيظهر تأثيرها جلياً في لبس الصوف وجعله شعاراً.. فهذا الجاحظ يخبرنا أن النصراني إذا أراد التنسك لبس الصوف[٤].

ويروي ابن الجوزي أن رجلاً جاء إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف فقال له: (إنما هذه ثياب الرهبان). وجاء آخر إلى حماد بن أبي سليمان وعليه ثياب صوف فقال له: ضع عنك نصرانيتك هذه[٥].

ويرشدك إلى ذلك كثرة نقولهم لأقوال الرهبان وثنائهم عليهم وعلى طرائقهم في تهذيب النفوس وتطهيرها[٦].

---

[١] انظر: الكشف عن حقيقة الصوفية (ص٧٦).

[٢] إحياء علوم الدين، الغزالي (ج٣/ص٦٢).

[٣] طبقات الشعراني، (ج١/ص٤٦)، وانظر: التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، (ص٥٨)، طبعة إدارة ترجمان السنة، ط١.

[٤] انظر: أبو حامد الغزالي والتصوف، (ص٣٩).

[٥] تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٢٨٣).

[٦] انظر للمثال: إحياء علوم الدين (ج٣/ص٣٣٤).



وحسبنا أن أول من بنى زاوية للصوفية في الإسلام هو أمير الرملة وكان نصرانيا[1]. ثم انتشرت في العالم الإسلامي لتضاهي الصوامع وتنافس المساجد.

وأما أثر الشيعة فيبدو جلياً في تعظيمهم لعلي بن أبي طالب أكثر من سائر الصحابة وجعل سلاسل الخرق تنتهي إليه... ويروي الصيادي عن علي أنه قال: (أنا نقطة بسم الله أنا جنب الله الذي فرطتم فيه أنا اللوح المحفوظ وأنا القلم وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا السماوات السبع والأرضون) وهو بنصه في كتاب بحار الأنوار للمجلسي (٢٦ج/ص ١٥٣)[2].

وفاتهم أن التنقيط إنما اخترع متأخرًا في عهد الأمويين... مع أن لهذه النقطة شأنًا عظيمًا فيزعمون أن أسرار القرآن في الفاتحة وأن أسرار الفاتحة في البسملة وأسرار البسملة في الباء وأسرار الباء في النقطة. يذكرون في ترجمة البكري أنه قال: (ثم إن الله تعالى وله المنة والفضل أنعم علي بالتكلم على نقطة البسملة في الجامع الأزهر في ألفي مجلس ومئتي مجلس)[3].

وهذا محمد وفا يزعم أن الله رفع علي بن أبي طالب كما رفع عيسى ابن مريم قال الشعراني معلقاً: (وبذلك قال سيدي علي الخواص)[4].

كما أن القول بالقطب المتصرف في الكون مأخوذ عنهم يقول ابن خلدون بعد ذكر أمر القطب –وهو بعينه ما تقوله الرافضة– قال: (ثم قالوا بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النقباء. حتى أنهم لما أسندوا لباس خرقة التصوف ليجعلوه أصلاً لطريقتهم رفعوه إلى علي وهو لم يختص من بين الصحابة بطريقة في لباس ولا حال بل كان

---

[1] خطط الشام، محمد كرد علي، (ج٦/ص١٣٠)، وانظر: نفحات الأنس من حضرات القدس، عبد الرحمن الجامي، (ص٣١ –٣٢) الطبعة الفارسية ط إيران.

[2] نقلاً عن الطريقة الرفاعية، دمشقية (ص١٩٧).

[3] جامع الكرامات (ج١/ص١٨٩).

[4] طبقات الشعراني (ج٢/ص٤٤).



الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد والمجاهدة)[١]. قال: (وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية يفهم منها ومن غيرها من القوم دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه)[٢].

كما يبدو ذلك جلياً في حرصهم الشديد على الانتساب إلى آل البيت ولو كان الثابت غير هذا فهذا الرفاعي ينسبونه إلى آل البيت ويصنعون له شجرة نسب مع أن الثابت أنه من قبيلة رفاعة كما ذكر ذلك الذهبي والسبكي وغيرهما[٣]. وهذا عبد القادر الجيلاني ينسبونه أيضاً إلى آل البيت مع أنه من قبيلة جَنَكي دوست الفارسية[٤].

والظاهر أن هذه الفرقة تسترت بحب آل البيت والانتساب إليهم لتجد طريقاً إلى قلوب العامة لإغوائهم وجرهم إلى ضلالاتهم.. وما ينبغي التنبيه له أن معظم الصوفية الأوائل الذين حملوا راية التصوف كانت أصولهم فارسية، وقد كان الفرس وراء معظم الفتن والعقائد الفاسدة التي ظهرت في تاريخ الإسلام[٥].

ثانياً: منهج التلقي

في الإسلام يتلقى المسلم هديه وأحكامه من كتاب الله وسنة رسوله وما تفرع عنهما من إجماع أو قياس أو غيرهما.. مقيداً كل ذلك بفهم صحابة النبي ﷺ فهم أطهر الخلق قلوباً وأزكاهم نفوساً وأحسنهم علانية وأطهرهم سريرة، قوم اجتباهم الله لصحبة نبيه ونصرته حضروا وقائع التنزيل وتربوا على يد النبي الأمين ﷺ وعقلوا عن الله مراده.

---

١ مقدمة تاريخ ابن خلدون (ج١/ص٦٢٠).

٢ مقدمة تاريخ ابن خلدون (ص٤٠٣). وانظر إلى قول عبد الوهاب الشعراني متحدثاً عن نعم الله عليه، قال: (ثم رؤية بعض الصالحين الاثني عشر إماماً من أهل البيت ووجوههم كالأقمار وعليهم ثياب نفيسة فقال لهم ما جاء بكم فقالوا نسلم على عبد الوهاب فإنه ليس في مصر أحد يحبنا الآن مثله)، لطائف المنن والأخلاق (ص٦٢٨)، فلماذا كانوا اثني عشر؟

٣ سير أعلام النبلاء، (ج١٥/ص٣٠٧).

٤ الطريقة الرفاعية، دمشقية (ص٥١).

٥ التصوف بين الحق والخلق (ص٣٣).



وأخبر النبي ﷺ أنهم الفرقة الناجية، وأخبر أنهم خير الناس[١]، وأخبر الله أن من اتبع غير سبيلهم أصلاه جهنم: {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ} [النساء:١١٥]، ولا شك أنهم سادات المؤمنين.

أما الصوفية فالحق عندهم ما قرره الكشف وشعارهم في ذلك حدثني قلبي عن ربي... يروي الغزالي عن أبي يزيد البسطامي قوله: (ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً... وإنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس)[٢]. وفي ترجمة محمد الفرغل: كان كثيراً ما يقول: (كنت أمشي بين يدي الله تعالى تحت العرش وقال لي كذا وقلت له كذا)[٣].

وقال القشيري: (سمعت منصوراً المغربي يقول: رأى بعضهم الخضر فقال له: هل رأيت فوقك أحداً؟ فقال: نعم كان عبد الرزاق بن همام يروي الأحاديث بالمدينة والناس حوله يستمعون فرأيت شاباً بالبعد منهم رأسه على ركبتيه فقلت: هذا عبد الرزاق يروي أحاديث رسول الله فلم لا تسمع منه؟ فقال: إنه يروي عن ميت وأنا لست بغائب عن الله عز وجل، فقلت له: إن كنت كما تقول فمن أنا. فرفع رأسه وقال: أنت أخي أبو العباس الخضر، فعلمت أن لله عباداً لم أعرفهم)[٤].

ويضيف الغزالي بأن من يأخذ أمور الغيب من الكتاب والسنة فقط لا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف[٥].

ومضمون هذا الكلام أنه لا يستفاد من خبر الرسول شيء من الأمور العلمية بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والكشف[٦].

---

١ متفق عليه عن عمران بن حصين.

٢ إحياء علوم الدين، الغزالي (ج٣/ص٢٤).

٣ جامع الكرامات (ج١/ص١٦٣).

٤ الرسالة، القشيري (ص١٦٦).

٥ الإحياء (ج١/ص١٠٤).

٦ درء التعارض، ابن تيمية (ج٥/ص٣٤٨).



وقد صرح بذلك الغزالي فقال: (في الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء)[١].

وهذا الأمر أصله نظرية الفيض الأفلاطوني التي تجعل العلوم فيضاً من العقل الفعال على قلب الإنسان إذا تطهر من الرذائل، فعمد هؤلاء إلى هذه الفلسفة وألبسوها زياً إسلامياً ولم يغيروا حقيقتها، فجعلوا مكان العقل الفعال اللوح المحفوظ، يقول السهروردي: (لأن المتقي حق التقوى، والزاهد حق الزهادة في الدنيا صفا باطنه، وانجلت مرآة قلبه، ووقعت له محاذاة بشيء من اللوح المحفوظ، فأدرك بصفاء الباطن أمهات العلوم وأصولها)[٢].

حكى الغزالي عن أبي تراب النخشبي: (أنه كان معجباً ببعض مريديه فقال له يوماً: لو رأيت أبا يزيد، فقال المريد: ويحك ما أصنع بأبي يزيد وقد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد؟ فقال أبو تراب: ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة)[٣].

وكثير منهم يزعمون الأخذ عن النبي يقظة أو منامًا... كما حكي عن الشاذلي أنه قال: (والله لو غاب عني رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين)[٤].

وقال أحمد الفاروقي: (بشرني رسول الله بأني من المجتهدين وكتب لي خط الإرشاد بيده الشريفة وقال: لم أكتب لأحد قبلك مثله)[٥]. وهذا التيجاني يذكر أن النبي ﷺ أمره يقظة بقراءة صلاة الفاتح لما أغلق، يقول: (فسألته عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل

---

[١] مشكاة الأنوار، الغزالي (ص٨١).
[٢] عوارف المعارف، السهروردي (ص٢٢٠).
[٣] الإحياء (ج٤/ص٣٥٦).
[٤] طبقات الشعراني (ج٢/ص١٤).
[٥] جامع الكرامات (ج١/ص٣٣٥). وكأنه نسي قول الله تعالى: {وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ}[العنكبوت:٤٨].



تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر وكل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة)[١].

وهذا كثير فيهم جدًا يوهمون أنهم يتلقون عن النبي الأوراد والأحكام وغيرها. ومضمون ذلك أن الدين لم يكمل وأن التشريع مستمر وهذا رد لقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة:٣].

وها هو ابن عربي يذكر أن كتاب فصوص الحكم أعطاه إياه النبي في النوم وحذا هو في اليقظة على ما رسم له النبي ﷺ[٢].

ولذا فإنهم لا يحتكمون إلى مناهج الأئمة ولا يعبأون بأحكامهم؛ يقول ابن عربي: (ورُبَّ حديث يكون صحيحاً من طريق رواته حصل لهذا المكاشف الذي عاين هذا المظهر فسأل النبي عن هذا الحديث الصحيح فأنكره وقال له لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه فيترك العمل به على بينة من ربه وإن كان قد عمل به أهل النقل لصحة طريقه وهو في نفس الأمر ليس كذلك)[٣].

إذًا فقد أتعب الأئمة الكبار أحمد والبخاري وأبو حاتم... الخ أتعبوا أنفسهم وضلوا عن الطريق الحق... فقد كان يمكنهم أن يختصروا زمن الرحلات في طلب الحديث وفراق الأوطان والأهل بالخلوة في مكان مظلم يكررون فيه اسم الله حتى يفتح عليهم وينكشف لهم الغيب ويعاينوا الحقائق على ما هي عليه...

يقول الغزالي: (وليس يتم ذلك إلا بالخلوة في بيت مظلم وإن لم يكن له مكان مظلم فليلف رأسه في جيبه أو يتدثر بكساء أو إزار ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية)[٤].

---

[١] جواهر المعاني وبلوغ الأماني، البلوي الفاسي (ص٥٧).

[٢] الفصوص، ابن عربي (ص٤٧).

[٣] انظر: التصوف بين الحق والخلق، نقلاً عن الفتوحات المكية.

[٤] إحياء علوم الدين، (ج٣/ص٧٦).

ويقول: (واطو الطريق فإنك بالواد المقدس طوى واستمع بسر قلبك لما يوحى فلعلك تجد على النار هدى ولعلك من سرادقات القلب تنادى بما نودي به موسى: {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ})[١].

وهم في صدهم عن هذا الدين كانوا حربًا على العلم الصحيح من مشكاة النبوة لأنهم يعرفون أن هذا الهراء لا يروج إلا على الجهلة المفاليس من فقه كتاب الله وسنة رسوله.. يقول الغزالي: (ثم يخلو بنفسه في زاوية [...] ويجلس فارغ القلب مجموع الهم ولا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل في تفسير ولا بكتب حديث ولا غيره)[٢].

ويذكر الغزالي أنه في الوقت الذي رغبت فيه نفسه لسلوك طرق التصوف شاور متبوعًا مقدمًا من الصوفية في المواظبة على تلاوة القرآن فمنعه من ذلك قائلًا له: (إن السبيل أن تقطع علائقك من الدنيا بالكلية)[٣].

فجعل تلاوة القرآن من جملة شواغل الدنيا المعوقة عن الالتفات إلى الآخرة...

يقول ابن الجوزي معلقًا: (عزيز علي أن يصدر هذا الكلام من فقيه؛ فإنه لا يخفى قبحه، فإنه في الحقيقة طي لبساط الشريعة، التي حثت على تلاوة القرآن وطلب العلم)[٤].

ونقل الغزالي عن أبي سليمان الداراني قوله: (إذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر في طلب المعاش فقد ركن إلى الدنيا)[٥]. وهذا الجنيد يقول: (أحب للمريد المبتدئ ألا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغيرت حاله: التكسب وطلب الحديث والتزوج، ثم قال: وأحب للصوفي ألا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه)[٦].

---

١ إحياء علوم الدين، (ج٤/ص٢٥١).
٢ إحياء علوم الدين، (ج٣/ص١٩).
٣ ميزان العمل، الغزالي (ص٢٢٢).
٤ تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٤٦١).
٥ الإحياء (ج١/ص١١).
٦ الإحياء (ج٤/ص٢٩٣).



ويتكئ الصوفية كثيرًا على قصة الخضر مع موسى في جواز أن يكون للإنسان طريق إلى الفقه عن الله من غير طريق النبي وهم واهمون لأمرين:

الأول: أن الخضر نبي ثبت ذلك عن ابن عباس ومقاتل وذهب إلى ذلك عامة المفسرين كابن كثير والنسفي والبغوي وابن الجوزي وابن حجر وقال القرطبي: (هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك لأن النبي لا يتعلم ممن دونه ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء)[١].

الثاني: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر بل إلى بني إسرائيل... وأما نبينا محمد ﷺ فهو مبعوث إلى الخلق كلهم فلا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يخرج عن شريعته. قال الإمام البقاعي: (ومن يعتقد أن لأحد طريقاً إلى الله من غير متابعة النبي فهو كافر من أولياء الشيطان بالإجماع)[٢]، قال تعالى: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ...} [آل عمران: ٣١].

وينبغي أن يعلم أن الخضر قد مات... ولو كان حيًا لما تخلف عن المجيء إلى النبي ومبايعته وقد قال عليه الصلاة والسلام: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"[٣]، (رواه أحمد عن جابر) وما عرف أنه جاء إلى النبي ولا جاهد معه وهذه كتب أسماء الصحابة لم تذكر شيئاً من ذلك.. وما روي من مجيئه إلى النبي فأخبار باطلة كما ذكر ذلك ابن حجر والسخاوي والذهبي وغيرهم، وقد سئل الإمام البخاري عنه وعن إلياس هل هما حيان؟ فقال: كيف هذا وقد قال النبي ﷺ: "إِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ"[٤]، وفي رواية مسلم عن جابر: "مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ الْيَوْمَ يَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ وَهِيَ حَيَّةٌ يَوْمَئِذٍ".

---

[١] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج١١/ص١٦).

[٢] مصرع التصوف، برهان الدين البقاعي (ص٢١).

[٣] قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

[٤] الزهر النضر في حال الخضر، ابن حجر العسقلاني، (ص٩٢).



وسئل عن ذلك بعض الأئمة فقرأ: {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ}[١] [الأنبياء:٣٤].

وما يذكر عن لقاء بعضهم للخضر فلا يخلو من أن يكون كذباً أو تلبيساً من الشياطين...

وقد استخدم المستعمرون أسطورة حياة الخضر وسيلة لتأييد استعمارهم فأعلن بعض عملائهم المأجورين من رجال الطرق على مريديه بأنه رأى الخضر يحمل علمه الأخضر يتقدم الجيوش الفرنسية الزاحفة لاحتلال شمال إفريقية فلا مجال لردها والاعتراض على حكمة الله تعالى.

وعمومًا فنحن أمة محمد وأتباع ملته عليه الصلاة والسلام وهو القائل: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ" (رواه مالك والحاكم)[٢].

ويقول أبو قلابة: (إذا حدثت الرجل بالسنة فقال دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال)، وقال الذهبي: (وقلت أنا: إذا رأيت المتكلم المبتدع يقول دعنا من الكتاب وأحاديث الآحاد وهات العقل فاعلم أنه أبو جهل وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل وهات الذوق والوجد فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر أو قد حل فيه فإن جبنت منه فاهرب وإلا فاصرعه وابرك عليه واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه)[٣].

وقد حفظ الله كتابه وسنة نبيه بأئمة الدين وحفاظ الحديث الذين طافوا الأرض شرقًا وغربًا في تحصيل حديثه ﷺ وما بلغنا عن واحد منهم أن النبي جاءه فكاشفه وحدثه وذاكره.. وهذا عمر يذكر على المنبر أنه كان يتمنى لو سأل النبي ﷺ عن بعض مسائل الربا.

---

[١] انظر: التصوف بين الحق والباطل (ص٢٤).

[٢] قال الذهبي في التلخيص: احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله وله أصل في الصحيح.

[٣] سير أعلام النبلاء (ج٥/ص٢٨٠).



روى الشيخان عن عمر: (ثلاث وددت أني سألت رسول الله عنهن: الجد والكلالة وأبواب من الربا).

وها هم الصحابة اختلفوا وحصلت بعد ذلك فتن عظام على أيدي السبئيين وسالت دماء المسلمين ووقع بأسهم بينهم وما بلغنا أن النبي خرج ليصلح بينهم ويقضي للمحق على المخطئ... فعجيب عجيب أن يترك أمته وصحابته في أشد اللحظات حرجاً ثم يخرج لعيون فلان وفلان من نكرات الأمة... سبحانك هذا بهتان عظيم.

ثالثاً: سرٌّ يُكتم

هناك سر يتواصون بكتمه عن غير طائفتهم ويخبرون أن البائح بهذا السر سيرمى بالزندقة ويجري عليه سيف الشرع. ينسبون إلى زين العابدين وهو في الحقيقة لكلثوم بن عمرو العتابي (ت ٢٢٠ هـ).

يا رُبَّ جوهر علم لو أبوح به *** لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمي*** يرون أقبح ما يأتونه حسناً[١]

وقال الغزالي: (قال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام)[٢]، قال الغزالي: (قال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر)[٣].

يقول السهروردي:

وبالسر إن باحوا تباح دماؤهم *** وكذا دماء البائحين تباح[٤]

---

[١] الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة (ص١٨).
[٢] الإحياء (ج١/ص١٠٠).
[٣] الإحياء (ج١/ص١٠٠).
[٤] الكشف (ص٥٣).



يقول الجنيد مخاطبا أبا بكر الشلبي: (نحن حبرنا هذا العلم تحبيراً ثم خبأناه في السراديب فجئت أنت فأظهرته على رؤوس الملأ)[١]، وقال أيضاً: (أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم أشياء هي كفر عند العامة)[٢].

وقد أبى الله إلا أن يظهر سرهم على لسانهم وهذا السر هو: **وحدة الوجود**.

يقول الغزالي: (العارفون -بعد العروج إلى سماء الحقيقة- اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة فلم يبق عندهم إلا الله فسكروا سكراً سقط دونه سلطان عقولهم [...] فقال بعضهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شاني، وقال الآخر: ما في الجبة إلا الله)[٣]. إلى أن يقول: (ومن هنا ترقى العارفون من حضيض المجاز إلى يفاع الحقيقة، واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية أن ليس في الوجود إلا الله [...] ولم يفهموا من معنى قول: الله أكبر، أنه أكبر من غيره حاشا لله إذ ليس في الوجود غيره، حتى يكون أكبر منه)[٤].

وهذا أبو يزيد البسطامي يقول: (غبت في الجبروت وخضت بحار الملكوت وحجب اللاهوت حتى وصلت إلى العرش فإذا هو خال فألقيت نفسي عليه وقلت سيدي أين أطلبك؟ فكشف لي فرأيت أني أنا فأنا أنا أوَّليٌّ فيما أطلب وأنا لا غيري فيما أسير)[٥].

ويقول ابن عربي: (فإن العارف من يرى الحق في كل شيء بل يراه عين كل شيء)[٦]، وقد أشار إلى أن موسى عاتب هارون عليهما الصلاة والسلام لأنه أنكر على بني إسرائيل عبادتهم العجل فإنهم في الحقيقة ما عبدوا إلا الله بزعمه، ويقول: (ومن أسمائه الحسنى:

---

١ الكشف (ص١٨).

٢ الكشف (ص١٩).

٣ مشكاة الأنوار، الغزالي (ص٥٧).

٤ المرجع السابق (ص٥٥-٥٦).

٥ الكشف (ص١٠٩).

٦ الفصوص (ص١٩٢).



العلي.. على من؟ وما ثم إلا هو!! فهو العلي لذاته، أو عن ماذا؟ وما هو إلا هو، فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات)[١].

وها هو سلطان العاشقين –كما يسمونه– ابن الفارض يقول:

لها صلواتي بالمقام أقيمها *** وأشهد فيها أنها لي صلت
كلانا مصل واحد ساجد إلى *** حقيقته في الجمع في كل سجدة
وما كان لي صلى سواي ولم تكن *** صلاتي لغيري في أدا كل ركعة[٢]

وأما الشتشتري فيقول واصفاً معبوده:

معبودي قد عم الوجود *** وقد ظهر في بيض وسود
وفي النصارى مع اليهود *** وفي الخنازير مع القرود
وفي الحروف مع النقط[٣]

وهم يسألون الله في دعائهم هذا الكشف... كما في دعاء ابن قيس: (اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار.. إلى أن يقول: وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد)[٤].

وإذا كان كل ما في الكون هو الله... فلا حرج على من عبد حجرًا أو صنمًا... وليس هذا استنتاجًا فقد صرحوا به، يقول ابن عربي: (العارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه)[٥].

ويقول:

---

١ الفصوص (ص١٧٦).

٢ التائية.

٣ انظر: الفكر الصوفي (ص١٧٨).

٤ انظر: الفكر الصوفي (ص١٧٨).

٥ الكشف (ص١٤٣).



لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي *** إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة *** فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف *** وألواح توراة ومصحف قرآني
أدين بدين الحب أنى توجهت *** ركائبة فالحب ديني وإيماني[١]

وهنا تلتقي الصوفية والماسونية، ويقول ابن الفارض:

وإن خر للأحجار في البد عاكف *** فلا وجه للإنكار بالعصبية[٢]

ومن هنا زعموا أن من وصل إلى هذه الحقيقة وأيقن أنه الله سقطت عنه الشريعة.. يقول ابن عربي:

العبد رب والرب عبد *** يا ليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك رب *** أو قلت رب أنى يكلف؟[٣]

وهذا التلمساني لما قرئ عليه الفصوص قيل له: القرآن يخالف فصوصكم. فقال: (القرآن كله شرك وإنما التوحيد في كلامنا، فقيل له: فإذا كان الوجود واحداً فلم كانت الزوجة حلالاً والأخت حراماً؟ فقال: الكل عندنا حلال ولكن هؤلاء المحجوبين قالوا: حرام قلنا حرام عليكم) وهذا مع كفره العظيم متناقض جداً، فإن الوجود إذا كان واحداً فمن المحجوب ومن الحاجب؟ ولهذا قال أحدهم لمريده: (من قال لك إن في الكون سوى الله فقد كذب، فقال له مريده فمن هو الذي يكذب؟)[٤].

---

١ الكشف (ص١٥٢).
٢ التائبة.
٣ في كتابه الفتوحات المكية.
٤ الفرقان، ابن تيمية (ص١١٣).



رابعًا: التصرف في الكون

يزعم كثير من الصوفية أن لمشايخهم قدرة التصرف وأنهم يتحكمون في الكون بحكم النيابة عن الله.

يقول القادرية في حضرتهم: (عبد القادر يا جيلاني يا مُصرف في الأكوان).

ويقول التيجاني: (إن حقيقة القطبانية هي الخلافة عن الحق مطلقاً فلا يصل إلى الخلق شيء من الحق إلا بحكم القطب)[١].

وينسبون إلى الرفاعي أنه قال: (الولي إذا أصلح سره مع الله كلفه ما بين السماء والأرض... ثم لا يزال ترتفع همته وترتقي رتبته عند الله حتى تصير همته خارقة للسماوات السبع وتصير الأرضون السبع كالخلخال برجله ويصير صفة من صفات الحق لا يعجزه شيء)[٢].

وهذا عبيد أحد أصحاب الشيخ حسين أبي علي: (دخل مرة الجعفرية فتبعه نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه فقال: يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة فأصبحوا موتى جميعاً)[٣].

وقال بعضهم: (لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ، فقال آخر منكراً: لو كان شيخاً ما غفل عن تلميذه حتى يقع في الخطيئة)[٤].

ويقول الشعراني: (كتب إلي الشيخ عبد الله أحد أصحاب عمر النبتيتي أنه رآني بحضرة النبي وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب: ألبس عبد الوهاب الشعراني طاقيتي هذه وقل له يتصرف في الكون فما دونه مانع)[٥].

---

[١] جواهر المعاني، البلوي الفاسي (ص١٥٨).

[٢] طبقات الشعراني (ج١/ص١٤٢).

[٣] جامع الكرامات (ج٢/ص١٤٢).

[٤] الكشف (ص٤٧١).

[٥] جامع الكرامات (ج٢/ص١٣٥).



ويقول نور الدين اليشرطي: (يصل الصوفي إلى مقام يقول فيه للشيء كن فيكون والبعض عند الخاطر)[١].

ويقول علي بن محمد بن سهل: تركت قولي للشيء كن فيكون تأدباً مع الله تعالى[٢].

والسؤال الملح هنا أين كان هؤلاء المتصرفون في الكون أيام التتر والصليبيين وضياع الأندلس...؟!!

وإذا كانوا كذلك فإن الغيب عندهم شهادة؛ يقول الغزالي: (ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب وما سيكون في المستقبل)[٣].

يذكرون عن الجريري أنه قال لجلسائه: (هل فيكم من إذا أراد الحق سبحانه أن يحدث في المملكة حدثاً أعلمه قبل أن يبديه) فقالوا له: (لا)، فقال: (ابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئاً)[٤].

ويقول الشعراني في ترجمة شيخه علي الخواص: (ومن كراماته أنه كان يعرف بالنسّابة لكونه كان يعرف نسب بني آدم وجميع الحيوانات إلى آبائها الأول التي لم يتقدمها أب. ومنها أنه كان إذا نظر في الميضأة التي يتوضأ منها الناس عرف جميع الذنوب التي غفرت وخرت في الماء من غسالتها، ويعرف أهل تلك الذنوب على التعيين ويميز بين غسالة كل ذنب عن الآخر من كبائر وصغائر [...] ومنها أنه كان إذا نظر في دواة الحبر يرى الحروف التي تكتب منها إلى أن يفرغ الحبر [...] ومنها أنه كان إذا نظر إلى أنف إنسان يعرف جميع زلاته السابقة واللاحقة إلى أن يموت [...] ومنها أنه كان يرى في الليل والنهار معاريج أعمال الناس إلى السماء على التعيين [...] ومنها أنه كان يعرف مدة أعمار الخلائق [...] وأصل ذلك أن مطمح بصر الشيخ كان اللوح المحفوظ)[٥].

---

١ الكشف (ص٢٩١).

٢ جامع الكرامات (ج٢/ص١٥٨).

٣ المنقذ من الضلال، الغزالي (ص١٨٢).

٤ نشر المحاسن الغالية، أبو السعادات اليافعي (ص٥٦).

٥ لطائف المنن (ص٥٥-٥٧).



وقد تفرع على اعتقادهم في أوليائهم علم الغيب والتصرف في الكون أنهم صاروا يتوجهون إليهم بالدعاء من دون الله... بدءاً بالنبي ﷺ فمن دونه... يقول البكري مخاطباً النبي ﷺ:

يا أكرم الخلق على ربه *** وخير من فيهم به يسأل
كم مسني الكرب وكم مرة *** فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذي خصك بين الورى *** برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذي أشتكي *** فإن توقفت فمن أسأل؟

فأين الله؟

ويقول البوصيري مخاطباً النبي ﷺ:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به *** سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها *** ومن علومك علم اللوح والقلم

جاء في ترجمة جاكير الكردي: (أنه استأذنه رجل في ركوب بحر الهند للتجارة، فقال له: إذا وقعت في شدة فناد باسمي ثم بعد ستة أشهر وثب الشيخ قائما وصفق بكفيه وقال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين... ومشى خطوات يميناً وشمالاً ثم جلس فسأله من حوله فقال: كاد فلان يغرق لولا أن نجاه الله... فأرّخه الجماعة، ثم بعد سبعة أشهر وصل المسافر فأكب على يد الشيخ يقبلها وأخبر أنه حين هاج البحر هتفوا باسم الشيخ يقول: فرأيناه عندنا في السفينة فصفق وأشار بكمه إلى البحر فهدأ ثم أشار إلى الجنوب فهبت ريح طيبة أعادتنا إلى ديارنا ثم مشى الشيخ خطوات على الماء حتى غاب عنا)[١].

[١] جامع الكرامات (ج١/ص٣٧٩).



وهذا محمد الحنفي يقول في مرض موته: (من كان له حاجة فليأت قبري ويطلب حاجته أوفها له فإن ما بيني وبينكم غير ذراع من تراب وكل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل)[١].

وليت الأمر وقف عند دعاء البشر جاء في ترجمة أبي الخير الكليباني: (أنه كان لا يفارق الكلاب في أي مجلس كان فيه حتى في الجامع والحمام وكان كل من جاءه في حملة يقول: اشتر لهذا الكلب رطل شواء وهو يقضي حاجتك فيفعل فيذهب ذلك الكلب ويقضي حاجته)[٢].

بل تعدى الأمر عندهم حتى صاروا يقطعون أن الجنة لمن شاؤوا مضاهين بذلك النصارى في عصور الظلام، ذكروا في ترجمة أحمد الرفاعي أنه با ع رجلاً قصراً في الجنة[٣].

وجاء في ترجمة عبد الله باعلوي أن رجلاً سأله الجنة فدعا له بذلك، فلما مات الرجل حضر الشيخ دفنه وجلس عند قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك واستبشر فسئل عن ذلك فقال: إن الرجل لما سأله الملكان من ربك قال: شيخي باعلوي فتعبت لذلك فسألاه أيضاً فأجاب بذلك فقالا: مرحباً بك وبشيخك باعلوي، فقال بعضهم: هكذا ينبغي أن يكون الشيخ يحفظ تلميذه حتى بعد موته[٤].

بل قال التيجاني: (وعدني رسول الله أن كل من رآني دخل الجنة وإن كان كافراً)[٥].

وتعال بنا أيها المسلم الكريم في جولة سريعة في ظلال القرآن لنرى وصف الله لخير خلقه وأكرم رسله ﷺ..

---

١ جامع الكرامات (ج١/ص١٦٢).

٢ جامع الكرامات (ج١/ص٢٧٣).

٣ جامع الكرامات (ج١/ص٢٩٦).

٤ جامع الكرامات (ج٢/ص١١٧).

٥ مخازي الولي الشيطاني، جمع القطان (ص٩) نقلا عن جواهر المعاني. بتصرف من أبي أنس.

قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ}[الكهف:١١٠]، فهو بشر كسائر البشر يجري عليه ما يجري عليهم من موت وسواه، {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا}[آل عمران:١٤٤]، وإذا كان بشراً فهو لا يعلم الغيب: {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ}[الأعراف:١٨٨]. روى مسلم عن عائشة قالت: (من زعم أن محمداً يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ}[النمل:٦٥]). وهو ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً: {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا}[الأعراف:١٨٨]، {قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا} [يونس:٤٩]. ومن باب أولى ألا يملك لغيره: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ}[الجن:٢١-٢٢]. فالأمر كله بيد الله: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ}[آل عمران:١٢٨]. وقد وصف الله نبيه بالعبودية وأكرم به من وصف: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ} [الإسراء:١]، {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} [البقرة:٢٣]، {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ}[الجن:١٩]... وهكذا كانت سنته ﷺ. روى البخاري عن أم العلاء الأنصارية قالت: (لما توفي عثمان بن مظعون دخل علينا رسول الله فقلت رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال النبي: "وما يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ؟!"، فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: "مَّا هو فَقَدْ جاءَهُ اليَقِينُ، واللَّهِ إنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، واللَّهِ ما أَدْرِي وَأَنا رَسُولُ اللَّهِ ما يُفْعَلُ بِي").

وروى مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "سَدِّدُوا وقَارِبُوا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ"، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: "وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ". وروى البخاري عن ابن عباس سمع عمر يقول على المنبر: سمعت النبي ﷺ يقول: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ"، ولما سأله جبريل عن الساعة قال: "مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" (رواه مسلم).



ومن المؤلم جدًا أن يكون المستشرق نيكلسون أقوم فهماً للقرآن من هؤلاء مع كفره وعجميته حين قال: (إذا بحثنا في شخصية محمد ﷺ في ضوء ما ورد في القرآن وجدنا الفرق شاسعاً بينها وبين الصورة التي صور بها الصوفية أولياءهم ذلك أن الولي الصوفي أو الإمام المعصوم عند الشيعة قد وصفا بجميع الصفات الألوهية بينما وصف الرسول في القرآن الكريم بأنه بشر)[١].

هل نسي هؤلاء أن الدعاء هو العبادة وقد قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ} [غافر:٦٠]. فأوقع العبادة مكان الدعاء، وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ} [غافر:٦٦]، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [الأعراف:١٩٤]، وقال: {إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [العنكبوت:١٧]. وقد نص على هذا نبينا ﷺ يقول كما في سنن أبي داود والترمذي عن النعمان بن بشير: "الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ"[٢].

لقد كان المشركون يقرون بأن الله هو الخالق: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزمر:٣٨]، {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف:٨٧]، وكانوا يعلمون أن آلهتهم لا تملك شيئًا وقد كان يلبون فيقولون في تلبيتهم:

لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك

وما عبدوهم ودعوهم من دون الله إلا على أنهم وسائط: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:٣]، بل لعلهم كانوا أخف كفرًا من بعض من ينتسب إلى هذه الأمة فقد أخبر الله عنهم إذا وقعوا في المصائب نسوا ما كانوا به يشركون: {هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ

---

[١] هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٨٤-٨٥).

[٢] قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.



وَالْبَحْـرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْـكِ وَجَـرَيْنَ بِهِم بِـرِيحٍ طَيِّبَـةٍ وَفَرِحُـواْ بِهَا جَاءتْهَـا رِيحٌ عَاصِـفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُـونَنَّ مِنَ الشَّـاكِرِينَ، فَلَمَّـا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُـونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ...} [يـونس:٢٢]. وهـؤلاء لا يـذكرون في سـرائهم وضـرائهم وشـدتهم ورخـائهم إلا أوليـاءهم وأقطابهم.

كانت تلك جولة سريعة في بيان بعض انحرافاتهم في أبواب العقيدة ولنتمم بذكر بعض انحرافاتهم في أبواب العبادة.



انحرافات في باب العبادة

أولاً: عبادة الحب

ينسبون إلى علي بن الموفق أنه قال: (اللهم إن كنت تعلم أني عبدك خوفاً من نارك فعذبني بها، وإن كنت تعلم أني أعبدك شوقاً إلى جنتك فاحرمني منها، وإن كنت تعلم أني عبدك حباً مني لك، وشوقاً إلى وجهك الكريم فأبحنيه واصنع بي ما شئت)[١]، ويقول الغزالي: (وأغلب البواعث باعث البطن والفرج وموضع قضاء وطرها الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله، وأما عبادة ذوي الألباب فإنها لا تجاوز ذكر الله والفكر فيه حباً لجماله وجلاله)[٢]، وقال أبو يزيد البسطامي: (ما النار؟ لأستندن إليها غداً وأقول اجعلني فداء لأهلها وإلا بلعتها!! ما الجنة؟ لعبة صبيان ومراد أهل الدنيا)[٣].

وقالت رابعة العدوية: (ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً في جنته فأكون أجير السوء بل عبدته حباً له وشوقاً إليه)[٤]، ويقول الشعراني: (معلوم أن مقصود القوم القرب من حضرة الله الخاصة، ومجالسته فيها من غير حجاب وأما الثواب فحكمه حكم علف الدواب)[٥]، واسمع قول قائلهم: (إلهي لا تدخلني النار فإنها تصير علي برداً من حبك)[٦].

أين هذا من ذلك العدد الهائل من الآيات المرغبة في الجنة والمخوفة من النار... لقد وصف الله عباده ذوي الألباب أنهم يقولون: {رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران:١٩١]، وقال: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا} [السجدة:١٦]. وهكذا وصف أنبياءه فقال عن إبراهيم ﷺ: {وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ} [الشعراء:

[١] المختار من كلام الأخيار، محمد علوي المالكي (ص١٥٢).
[٢] الإحياء (ج٤/ص٣٧٥).
[٣] سير أعلام النبلاء، الذهبي (ج١٠/ص٢٦٤).
[٤] إحياء علوم الدين، الغزالي (ج٤/ص٣١٠).
[٥] الأنوار القدسية (ج١/ص٣٤).
[٦] الطريقة الرفاعية، دمشقية (ص٢٨).



٨٥]، وقال عن زكريا ﷺ: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا} [الأنبياء: ٩٠].

وروى الشيخان عن أنس قال: كان أكثر دعاء النبي ﷺ: "اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"، وقد قال أئمتنا: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئي ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)[1].

وقد قال أعرابي للنبي ﷺ: (والله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، وإنما أقول اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار)، فقال عليه الصلاة والسلام: "حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ"[2].

ثانياً: التوكل

يروي الغزالي أن جماعة دخلوا على الجنيد فقال: ماذا تطلبون؟ قالوا: نطلب الرزق، فقال: (إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقالوا: ندخل البيت ونتوكل وننظر ما يكون، فقال: التوكل على التجربة شك قالوا: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة)[3]، ويروى عن إبراهيم بن أدهم أنه سأل بعض الرهبان: من أين تأكل؟ فقال: ليس هذا العلم عندي ولكن سل ربي من أين يطعمني؟[4] وقال أبو سعيد الخراز: (كنت في البادية فنالني جوع شديد فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاماً فقلت: ليس هذا من فعل المتوكلين).

---

[1] مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج١٠/ص٨١).

[2] رواه أبو داود وأحمد.

[3] الإحياء (ج٤/ص٢٧٤).

[4] الإحياء (ج٤/ص٢٤٥).



فهذا الرجل خالف السنة في الخروج بلا زاد وفهم التوكل فهمًا خاطئًا، وقال أبو سليمان الداراني: (لو توكلنا على الله ما بنينا الحيطان، ولا جعلنا لباب الدار غلقاً مخافة اللصوص)[٥].

روى صاحب الرسالة القشيرية عن أبي نصر الصوفي قوله: (خرجت من البحر بعمان قد أثر في الجوع فكنت أمر في السوق فبلغت حانوت حلاوي فرأيت فيه حملاناً مشوية وحلواء فعلقت برجل وقلت: اشتر لي من هذه الأشياء فقال: لماذا؟ ألك علي شيء أو عندي دين؟ فقلت: لا بد أن تشتري لي من هذه، فرآني رجل فقال: خله يا فتى إن الذي يجب عليه أن يشتري لك ما تريد أنا لا هو اقترح علي واحكم بما تريد)[٢].

يقول الغزالي: (إن كان مشتغلاً بالله ملازماً لمسجد أو بيت وهو مواظب على العبادة فالناس لا يلومونه في ترك التكسب.. بل اشتغاله بالله يقرر حبه في قلوب الناس حتى يحملوا إليه فوق كفايته... فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله بما يعطيه أولى لأنه تفرغ لله عز وجل وإعانة للمعطي على نيل الثواب...)[٣].

فهذا في حقيقته توكل على الناس وانتظار لكرمهم وجودهم... وهؤلاء في الحقيقة شق عليهم الكسب وآثروا الراحة والكسل وأخلدوا إلى النوم في زواياهم وصاروا عالة على الناس، حتى أنا وجدنا الغزالي يعقد فصلاً في الإحياء عن أدب التسول والمتسول. ويذكر الغزالي أن من ادخر سنة فأكثر فليس من المتوكلين[٤]. وغفل عما ثبت في الصحيحين عن عمر أن النبي ﷺ كان يعزل نفقة سنة لأهله من سهمه بخيبر.

لقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن الإسلام يأبى الركون إلى الكسل والبطالة وأن الزهد ترك ما في أيدي الناس والاستغناء عنه تنزهاً وقد نهى رسول الله ﷺ عن السؤال وأمر

---

[٥] تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٣٩٦).
[٢] الرسالة، القشيري (ص١٣٢).
[٣] الإحياء (ج٤/ص٢٧٤).
[٤] الإحياء (ج٤/ص٢٧٦).



بالاكتساب والعمل فقال: "والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ على ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ، أَعْطاهُ أَوْ مَنَعَهُ"[١].

وقد سئل الإمام أحمد عن رجل جلس في بيته وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي فقال أحمد: هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي ﷺ: "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلّ رُمْحِي"[٢]، والحديث الآخر في ذكر الطير تغدو خماصاً فذكر أنها تغدو في الرزق[٣] وخاصة القول في هذا أن تعطيل الأسباب زندقة والتوكل عليها شرك والتوحيد أن تأخذ بالأسباب ثم تتوكل على الله.

ثالثاً: الزهد

يقول الغزالي: (وشرط الزهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه، فإذا صار صاحب قميصين وسروالين ومنديلين فقد خرج من جميع ألوان الزهد)[٤].

وهذا مأخوذ من إنجيل لوقا: (ولا يكون للواحد ثوبان) (سطر ٣٠٩).

وهذا مفهوم بوذي للزهد غريب عن الإسلام الذي يأبى تحريم الطيبات: (فكل والبس ما أخطأتك خصلتان: السرف والمخيلة).

رابعاً: الغناء

لقد جعل هؤلاء الغناء وسيلة فعالة للوصول إلى حضرة الله والرسول ﷺ... بل جعلوه أولى من القرآن، وهم يحثون المريد في أول سلوكه ألا يشتغل بالقرآن وأن يقبل على الغناء.

---

١ رواه البخاري.

٢ رواه البخاري.

٣ تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٤٠٤).

٤ الإحياء (ج٤/ص٢٣١).



يقول الغزالي: (اعلم أن قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم إلا للذاهب إلى الله عز وجل)[٥]، وقال: (اعلم أن السماع أشد تهييجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه)[٦]. لقد تطور الأمر عندهم إلى ذكر الله بالرقص والدف والغناء وعندما تقام الحضرة وتبدأ التراتيل بذكر اسم الله المفرد (الله) بصوت واحد ثم يشتد الرقص ويلعب الشيطان بعقولهم يرفعون عقيرتهم أكثر ويتحول اسم الله إلى (هو) ثم لا تسمع بعدها إلا همهمة وقد يجتمع مع هذا الصراخ والقفز في الهواء أخلاط الناس من النساء والأولاد لرؤية هذا التراث الشعبي... حقاً إنها مهزلة ورثوها عن اليهود فقد جاء في مزامير العهد القديم: (ليبتهج بنو صهيون بملكهم، ليسبحوا اسمه برقص، بدف وبعود، سبحوه برباب، سبحوه بصنوج الهتاف)[٧] والله سبحانه وصف الذاكرين له باطمئنان قلوبهم وخشوعهم وإخباتهم وقد كان السلف إذا سمعوا القرآن خافوا وبكوا واقشعرت جلودهم...

وهذا هو الذي قال عنه الشافعي: خرجت من بغداد وخلفت فيها شيئاً أحدثته الزنادقة يسمونه التغبير يصدون به الناس عن القرآن.

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض: قال التنيسي: (كنا عند مالك بن أنس فقال رجل من أهل نصيبين: عندنا قوم يقال لهم الصوفية يأكلون كثيراً ثم يأخذون في القصائد ثم يقومون فيرقصون، فقال مالك: أصبيان هم؟ فقال: لا، قال: أمجانين هم؟ قال له: هم مشايخ عقلاء، قال ما سمعت أحداً من أهل الإسلام يفعل هذا)[٤].

قال القرطبي: (وأما ما ابتدعه الصوفية من ذلك فمن قبيل ما لا يختلف في تحريمه ولكن النفوس الشهوانية غلبت على كثير ممن ينسب إلى الخير، حتى لقد ظهر من كثير منهم فعلات المجانين والصبيان فرقصوا بحركات متطابقة وتقطيعات متلاحقة، وانتهى التواقح بقوم منهم إلى أن جعلوها من باب القرب وصالح الأعمال، وأن ذلك يثمر سني الأحوال، وهذا

---

[٥] الأربعين في أصول الدين (ص٣٧).

[٦] الإحياء (ج٢/ص٢٩٨).

[٧] هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص١٤٣).

[٤] ترتيب المدارك، القاضي عياض (ج٢/ص٥٣-٥٤).



على التحقيق من آثار الزندقة وقول أهل المخرقة والله المستعان). قال ابن حجر: (وينبغي أن يعكس مرادهم ويقرأ سيء بدل سني)[١].

ألا قل لهم قول عبد نصوح *** وحق النصيحة أن تستمع
متى علم الناس في ديننا *** بأن الغنا سنة تتبع
وأن يأكل المرء أكل الحمار *** ويرقص في الجمع حتى يقع
وقالوا سكرنا بحب الإله *** وما أسكر القوم إلا القصع
كذاك البهائم إن أشبعت *** يرقصها ريها والشبع
ويسكره الناي ثم الغناء *** ويس لو تليت ما انصدع
فيا للعقول ويا للنهى *** ألا منكر منكُمُ للبدع
تهان مساجدنا بالسماع *** وتكرم عن مثل ذاك البيع

خامسًا: الجهاد

يظن بعض الناس أن الصوفية لا جهاد عندهم وهذا خطأ.. فلهم جهاد وأي جهاد... جاء في ترجمة محمد العردوك في جامع كرامات الأولياء: (أنه تأهب يوم الأربعاء بعد العصر من سنة ٦٨٠ هـ وتحزم وأخذ عمود خيمة وجعل يقاتل في الهواء غائب العقل ظاهراً والجماعة حوله يعلمون أنه في مهم وبقي إلى مثل ذلك الوقت من نهار الخميس تاليه، ثم استلقى كالميت وكل ما عليه من بدنه وعموده مضمخ بالدماء ثم أفاق بعد ساعة والجماعة حوله يبكون فقبلوا يديه ورجليه، وسألوه عما جرى فأخبرهم بأنه قاتل خفر التتار وقتل كبيرهم وأنهم في هذا اليوم ينكسرون وانكسر التتار بحمص يوم الخميس)[٢].

وجاء في ترجمة الشيخ برق: (أن قاضي دمشق مر يوماً بمكان في دمشق فنظر إلى الشيخ برق قائماً وبين يديه جبة وهو يضربها بعصا غليظة، والدم يرتفع من ذلك المضروب في الهواء ويرشرش ما حول الشيخ والشيخ منزعج يصيح مرة ويهيم مرة، ويصير كالسكران

---
١ فتح الباري (ج٢/ص٥١٣).
٢ جامع كرامات الأولياء، النبهاني (ج١/ص١٣٦).



مرة، فجلس القاضي يتفرج إلى أن أفاق الشيخ ورجع إلى حكم الظاهر[١]، فسأله ما الخبر؟ فقال: حضرت الساعة وقعة المنصورة وكان جميع ما يرى من الضرب وظهر الدماء من تلك الواقعة وقد نصرت المسلمين وخذلت الكافرين... فأرخ الأمر وجد كما حدث)[٢].

إذًا فلقد قسا النبي ﷺ على أصحابه حين كان يخرج بهم في شدة القيظ وقلة الزاد لملاقاة الأعداء– ونعوذ بالله من ذلك–.. إنها أيها المؤمن الخرافة حين تعشعش في القلوب.

لقد كان مؤلما حقاً أن يؤلف الغزالي كتاب الإحياء في زمن احتلال الصليبيين للقدس وسفكهم للدماء وهتكهم للأعراض، والمسلمون يتنادون للجهاد من كل حدب وصوب فلا يذكر الجهاد بكلمة ولا يحث عليه وكأن الأمر لا يعنيه... نعم فقد كان غارقاً في خلوته يردد (الله... الله..) ينتظر أن يكشف له الغطاء وأن يشاهد جلال الحضرة الربوبية..

في مثل هذا الوقت العصيب أيضاً كان ابن عربي يردد:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة *** فمرعى لغزلان ودير لرهبان

هذا في الوقت الذي كان فيه بطرس الناسك على الطرف الآخر يطوف أوروبا على حمارة له يستصرخهم لإنقاذ مهد المسيح ويحثهم على قتال المسلمين...

وقد تعلق بعضهم بحديث ضعيف لا يثبت (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)... وهذا باطل إذ كيف يكون ذروة سنام الإسلام جهادًا أصغر.. واعلم أيها المسلم أن أكثر أحاديث النبي في الصلاة والجهاد[٣].

وذلك أن الصلاة عمود دين الفرد والجهاد عمود دين الأمة فإذا ترك المرء الصلاة هدم دينه وإذا تركت الأمة الجهاد هدمت دينها وأذلها الله تعالى... كما هو مشاهد..

---

١ تذكر أيها القارئ الكريم ما مر معنا من كلام البيروني، في بداية البحث.

٢ جامع الكرامات، النبهاني (ج١/ص٣٦٦).

٣ مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٣٥/ص٣٦).



وأساء بعضهم جداً حين فهموا من قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} [الأحزاب:٣٦]. ففهموا منها عموم القضاء الشرعي والكوني. ولذلك كان كثير منهم عينًا وعيبة نصح للمستعمرين، وخنجراً في ظهور المجاهدين[١]، يقول الصوفية: (إذا سلط الله على قوم ظالماً فليس لأحد أن يقاوم إرادة الله أو يتأفف منها).

فالتيجانية مثلًا أصدرت أمرًا لأتباعها بالقتال إلى جانب فرنسا. يقول محمد الكبير صاحب السجادة الكبرى وهو خليفة أحمد التيجاني في احتفال أقاموه احتفالًا بالكولونيل سيكوني الفرنسي: (أنه من الواجب علينا إعانة حبيبة قلوبنا ماديًا وأدبيًا وسياسيًا ولهذا فإني أقول لا على سبيل المن والافتخار ولكن على سبيل الاحتساب والتشرف بالقيام بالواجب: إن أجدادي قد أحسنوا صنعاً بانضمامهم إلى فرنسا قبل أن تصل بلادنا وقبل أن تحتل جيوشها الكرام ديارنا!)، ثم ذكر بعض الوقائع التي ساعد فيها التيجانيون جيوش فرنسا، إلى أن قال: (ولكي يظهر سيدي أحمد لفرنسا ولاءه الراسخ وإخلاصه المتين وليزيل الريب وسوء الظن للذين ربما بقيا في قلب حكومتنا الفرنسية العزيزة عليه برهن على ارتباطه بفرنسا ارتباطاً قلبياً فتزوج في أمد قريب بالفرنسية الآنسة أوريلي بيكار)[٢].

وللعلم فأحمد المذكور كان أول مسلم جزائري يتزوج بأجنبية، وقد أصدرت هي كتاباً بالفرنسية سمته (أميرة الرمال) وقد ملأته بالمثالب والمطاعن على الزاوية التيجانية، وذكرت فيه أن السيد أحمد هذا إنما تزوجها على يد الكاردينال لافيجري على حسب الطقوس الدينية المسيحية، ولما توفي السيد أحمد خلفه عليها وعلى السجادة التيجانية أخوة السيد علي؛ وقد أنعمت فرنسا عليها بوسام الاحترام من رتبة جوقة الشرف وجاء في تقرير الحكومة الرسمي أن هذه السيدة قد أدارت الزاوية التيجانية الكبرى إدارة حسنة كما تحب فرنسا وترضى وكسبت للفرنسيين مزارع خصبة ومراعي كثيرة لولاها لما خرجت من أيدي

---

١ انظر: التصوف بين الحق والخلق (ص٢١١).

٢ مجلة الفتح، السنة السادسة (عدد ٢٥٧) القاهرة يوم الخميس ١٦ صفر ١٣٥٠هـ، نقلا عن مخازي الولي الشيطاني (ص١٣).



العرب الجزائريين، وساقت إلينا جنوداً من أحباب هذه الطريقة ومريديها يجاهدون في سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص. وبقيت بعد ذلك تعيش في مزرعة لها كبرى في ضواحي مدينة بلعباس عيشة المترفين، ولم تقطع علاقتها بالزاوية التيجانية بل كانت لا تزال تسيطر عليها وتقبض على أزمتها، ومع أن الأحباب التيجانيين يتبركون بهذه السيدة ويتمسكون بآثارها ويتيممون لصلواتهم على التراب الذي تمشي عليه ويسمونها زوجة السيدين فإنها بقيت نصرانية كاثوليكية، ومن العجيب أن إحدى وستين سنة قضتها كلها بين المسلمين من (١٨٧٠-١٩٣١ م) لم تغير من مسيحيتها شيئاً وهذا دليل على ما تكنه في قلبها لهؤلاء الأحباب الذين حكموها في رقابهم وأموالهم[١]. وليس هذا بعجيب أليس التيجاني هو الذي يقول: (إن الكفار والمجرمين وعدني رسول الله أن كل من رآني دخل الجنة وإن كان كافراً ممتثلون لأمر الله ليسوا بخارجين عنه)[٢].

ولذلك ليس عجيبًا ما قاله الفرنسي فيليب فونداسي: (لقد اضطر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية وأكثر تفهماً وانتظاماً من الطرق الوثنية)[٣].

ويذكر مصطفى كامل في كتابه المسألة الشرقية قصة غريبة في أذن القارئ العادي، قال: (ومن الأمور المشهورة عن احتلال فرنسا للقيروان في تونس أن رجلاً فرنسياً دخل في الإسلام وسمى نفسه سيد أحمد الهادي واجتهد في تحصيل الشريعة حتى وصل إلى درجة عالية وعين إماماً لمسجد كبير في القيروان فلما اقتربت جيوش فرنسا واستعد الناس للقتال جاؤوا إليه يسألونه أن يستشير لهم ضريح شيخ في المسجد يعتقدونه... فدخل سيد أحمد الضريح ثم خرج مهولاً لهم بما سينالهم من المصائب وقال إن الشيخ ينصحكم بالتسليم... فسلم الناس ودخلت فرنسا بلا طلقة ولا إصابة)[٤].

---

١ المصدر السابق (ص١٤).

٢ انظر: مخازي الولي الشيطاني، جمع القطان (ص٤) نقلا عن جواهر المعاني.

٣ الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء (ص٥٢) نقلا عن التصوف بين الحق والخلق (ص٢١١).

٤ التصوف بين الحق والخلق، شفقة (ص٢١١).



سادساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولم يكتف هؤلاء بإفساد وتحريف معنى الجهاد حتى عمدوا إلى شرط خيرية الأمة –أعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر– فأبطلوه... يقول النبهاني في جامع الكرامات في ترجمة إبراهيم النبتيتي: (ومن كراماته ما ذكره الحمصاني قال: وقفت أصلي في الجامع فدخل علي رجل من الجند ومعه أمرد وقصد به جهة المراحيض فتشوشت نفسي وقلت: ضاقت الأرض عليه وما وجد إلا الجامع ولم أنطق بذلك، فقال لي الشيخ إبراهيم: ما فضولك وما دخلك؟ يا كذا وكذا وسبني وشتمني وقال: لا تتعرض وما لك وذاك؟!)[1]، ولربما إذا أنكرت تعرضت لغضب الله وعذابه فما يدريك فقد يكون هذا الذي أنكرت عليه ولياً من الأولياء وهو وإن كان يعصي في حكم الشريعة فهو طائع في حكم الحقيقة. وجاء في ترجمة الشيخ علي حسين: (ومن كراماته أنه كان إذا رأى شيخ بلد ينزله من على الحمارة ويقول: أمسك رأسها لي حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة وإن سمح حصل له خجل عظيم، قال الشعراني: أخبرت عنه سيدي محمد بن عنان فقال: هؤلاء يخيلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة)[2]، وفي ترجمة علي أبي خودة: (ومن كراماته أنه كان يفعل الفاحشة في خدمه وعبيده وكان إذا رأى أمردَ راوده عنه نفسه وحسس على مقعدته أمام الناس ولا يبالي بوجودهم)[3].

وفي ترجمة علي نور الدين عظمة: ومن كراماته ما حكاه خشيش الحمصاني أنه مر عليه يوماً فجرى في خاطره الإنكار عليه لعدم ستر عورته فما تم له هذا الخاطر إلا ووجد نفسه بين إصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء ويقول: انظر إلى قلوبهم ولا تنظر إلى فروجهم[4].

---

[1] جامع الكرامات، النبهاني، (ج١/ص٢٤٩).
[2] جامع الكرامات، النبهاني (ج٢/ص١٩٠).
[3] جامع الكرامات، النبهاني (ج٢/ص١٩٤).
[4] جامع الكرامات، النبهاني (ج٢/ص١٩٧).



وفي ترجمة الشريف المجذوب: وكان يأكل في نهار رمضان ويقول: أنا مُعْتَقٌ أعتقني ربي وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال وكان يتظاهر ببلع الحشيش فوجدوها يوماً حلاوة[1].

وهذا كثير في كراماتهم أن كل من أنكر عليهم عوقب في نفسه أو أهله أو ماله وربما سلب إيمانه.. تخويفاً للناس وترعيبا لهم... وبمثل هذا استطاعوا أن يضربوا بسور عريض بين الأمة وقادتها الحقيقيين، فصار الناس يعتقدون في المجاذيب وأصحاب الفواحش ولا يجرؤ أحدٌ على الإنكار عليهم مخافة العقوبة وما يدريك فلعله ولي مكاشف وهو في طاعة وإن كان يخيل إليك أنه في معصية.. يورد ابن العماد الحنبلي في حوادث سنة ٦٥٧: وفيها توفي الشيخ يوسف القميني، قال الذهبي في العبر: (الذي تعتقد العامة أنه ولي لله وحجتهم الكشف والكلام على الخواطر وهذا شيء يقع من الكاهن والراهب والمجنون الذي له قرين من الجن وقد كثر هذا في عصرنا والله المستعان، وكان يوسف هذا يتنجس ببوله ويمشي حافياً ولا يصلي)[2].

وجاء في ترجمة إبراهيم العريان: (وكان محبوباً للناس ومعظماً عندهم معتقداً وكان يصعد المنبر فيخطب عرياناً ويذكر الوقائع التي تقع في الأسبوع المستقبل فلا يخطئ)[3].

وإذا كانت الأمة قد انحدرت إلى هذا الحضيض فليس عجيباً أن يسلط الله عليها الأعداء وأن تذهب دولتها وريحها.

سابعاً: التربية الذليلة

وكان من آثارهم السيئة على الجيل تربيتهم الذليلة للمريد بحيث يربى أن يكون عند شيخه كالميت بين يدي مغسله، ومن قال لشيخه: لم؟ لم يفلح أبدًا، ولو أمره الشيخ

---

[1] طبقات الشعراني (ج٢/ص١٥٠).

[2] الكشف (ص٧٧٦).

[3] جامع الكرامات (ج١/ص٢٤٧).



بمعصية الله فطاعته واجبة ولا تعترض فتنطرد... ويقولون: (إذا رأيت امرأة حسناء دخلت على شيخك وخلا بها فقم سخن الماء له ليغتسل)[١].

وجرت الجماهير المغفلة وراء شيوخ الصوفية يقبلون الأيدي وينحنون لهم بالتعظيم كلما رأوهم، ولا يتكلمون إلا إذا تكلم الشيخ يصدقون بكل ما يقول ويحملون له حذاءه وسجادته، يقول إقبال واصفاً الحال: (أنت أسير في يد الملا الصوفي، أنت لا تأخذ الحياة عن حكمة القرآن، ليس لك بآيات القرآن شأن إلا أن تموت بسهولة بسورة يس)[٢].

كما أنهم جعلوا المريدين مناطق نفوذ، يقول علي وفا: (فكما أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به فكذلك محبة الأشياخ لا تسامح أن يشرك بها)[٣].

ويقولون: المريد بين شيخين كالمرأة بين رجلين[٤]. ويتوعد التيجاني من يعدل عن طريقته بعد انتظامه فيها بالخذلان وأن هذا عهد النبي ﷺ إليه[٥].

لقد ربى النبي ﷺ أصحابه تربية القيادة والرجولة وكان يستشيرهم ويقبل مشورتهم ومع حبهم الشديد له فلم يكونوا يقومون له ولا يقبلون يديه كلما دخل وخرج، فعن أنس قال: (لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك)[٦].

نعم فقد كان ﷺ يكره المبالغة في تعظيم البشر، وعقل عنه الصحابة هذا الأمر فكان أول ما تكلم به أبو بكر: (إن أسأت فقوموني)، وكتب عمر إلى عماله: (لا تضربوا أبشار الناس فتذلوهم)... وذلك أن الشعب الذليل لا خير فيه[٧].

---

١ الهدية الهادية، الهلالي (ص١٢٩).

٢ موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، الدرر السنية، (ج٧/ص١٣١).

٣ الأنوار القدسية (ج٢/ص١٢).

٤ التصوف بين الحق والخلق (ص١٤١)، الحاشية.

٥ الهدية الهادية، الهلالي (ص١٣).

٦ رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب.

٧ انظر: الصوفية (ص٨٠).

ثامناً: الكرامات

يصدق أهل السنة بالكرامات وأن الله الذي خلق الأسباب والمسببات قادر على خرقها ليس يعجزه شيء سبحانه، ولكن ليس كل من حصل على يديه خارق للعادة كان ولياً حتى يعرض حاله على الكتاب والسنة وقد قال الشافعي: (لو نظرتم إلى رجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للكتاب والسنة وحفظه للحدود وأداءه للشريعة)[١].

نعم فالضرب بالشيش ودخول النار ومسك الحيات ليس دليلاً على الولاية إذ أن فعل ذلك مشاهد عند الهندوس والبوذيين وغيرهم...

وقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن عبد الملك بن مروان أمر بسجن الحارث الدمشقي وكان ادعى النبوة فكانت الشياطين تفك قيده كلما سجن وتمنع السلاح أن ينفذ في جسده، وكان الحارث يري الناس رجالاً ركباناً على خيولهم في الهواء ويقول لهم إنها الملائكة ولم يكونوا في الحقيقة سوى جن، وأمر عبد الملك بقتله فلما أمسكوه ليقتلوه طعنه أحدهم بالرمح فلم ينفذ فيه فقال له عبد الملك إنك لم تذكر اسم الله فلما ذكر اسم الله طعنه فنفذ فيه الرمح فقتله[٢].

وهذا المسيح الدجال يأتي بأعظم الخوارق حتى إنه ليقول للسماء: (أمطري)، فتمطر وللأرض: (أنبتي) فتنبت[٣].

وفي حديث ابن ماجه عن أبي أمامة: (وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت إليك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك).

---

١ حلية الأولياء (ج١٠/ص٤٠).

٢ البداية والنهاية (ج١٢/ص٢٨٨-٢٨٩).

٣ رواه مسلم.



وهذا من مكر الشياطين ويقع مثل هذا كثير لعباد القبور، يتضرع الرجل منهم ويدعو الولي المقبور فيتمثل له الشيطان خارجًا من القبر على صورة الولي ويعده أن يقضي حاجته، وهذا كانت تفعله الشياطين أيضاً مع المشركين في آلهتهم.

وينبغي أن نتذكر أن الكرامة ثمرة تضرع ودعاء من قلب مخلص لكشف كربة أو نصرة لدين الله.. فأين هذا من قول بعض الصوفية: تركت قولي للشيء كن فيكون تأدباً مع الله**!!**...

ثم إن كرامتهم من بعد عجب عجاب فبعضها سحر وشعوذة وتعامل مع الجن وكثير منه كذب وافتراء ودجل وبعضها وهو أعجبها مجون وخلاعة ومعاص وكشف عورات... وإليك نتفاً منها:

يذكر النبهاني في ترجمة شيخه علي العمري: (ومن أعجب خوارق العادات وأغربها أنه أظهر الغضب على خادمه وأراد أن يؤدبه فأخذ الشيخ بإحليل نفسه بيديه الاثنتين من تحت إزاره فطال طولاً فاحشاً بحيث أنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه وصار يجلد به خادمه المذكور، والخادم يصرخ من شدة الألم.. ولما حكى ذلك الشيخ إبراهيم حكاه بحضور الشيخ فقال لي الشيخ: لا تصدقه وانظر ثم أخذ بيدي بالجبر عني ووضعها على موضع إحليله فلم أحس بشيء مطلقاً حتى كأنه ليس برجل بالكلية فرحمه الله ورضي عنه ما أكثر كراماته وعجائبه)[١].

وفي ترجمة إبراهيم بن عصيفير: (كان كثير الكشف وله وقائع مشهورة وكان بوله كالحليب أبيض... وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه، وكان يتشوش من قول المؤذن الله أكبر فيرجمه ويقول عليك يا كلب نحن كفرنا يا مسلمون حتى تكبروا علينا[٢]، وكان ينام مع الذئاب في البرية ويمشي على الماء جهاراً)[٣].

---

١ جامع الكرامات (ج٢/ص٢٠٨).

٢ طبقات الشعراني (ج٢/ص١٤٠).

٣ جامع الكرامات (ج١/ص٢٤٨).



وفي ترجمة علي المرصفي: (أنه ختم المصحف بين المغرب والعشاء ثلاثمئة وستين ألف ختمة[١])!!!

وفي ترجمة أحمد الرفاعي: (أنه كان يخاطب أمه وهو في بطنها فقال لها يوماً: السلام عليك يا أماه، فقالت: وعليك السلام يا ولدي ما اسمك؟ فيقول: اسمي أحمد... ولما ولدته أمه خرج منها ويده اليمنى على صدره كما يفعل المصلي ويده اليسرى يغطي بها عورته وكلما رفعوها أعادها وصار يحرك شفتيه فسمعوه يقول سبحان الذي صوركم فأحسن صوركم، ولما ولد أبى أن يرضع حتى أتوا له بمرضعة تقية طاهرة، ولما جاء رمضان أمسك عن الرضاع نهاراً إلا بعد الإفطار واستمر كذلك إلى العيد)[٢].

وفي ترجمة عبد الرحيم القناوي: (صاحب الكرامات الشهيرة، منها أنه نزل يوماً في حلقة الشيخ شبح من الجو لا يدري الحاضرون ما هو فأطرق ساعة ثم ارتفع الشبح إلى السماء فسألوه عنه فقال: هذا ملك وقعت منه هفوة فسقط علينا يستشفع بنا فقبل الله شفاعتنا فيه فارتفع)[٣].

ويحدثنا الشعراني عن بعض كراماته فيقول: (ومن ذلك شدة قربي من رسول الله، وطي المسافة بيني وبينه، حتى إني في بعض الأوقات أضع يدي على قبره الشريف وأنا في مصر)[٤].

وفي ترجمة محيي الدين بن عربي: (ذكروا أن الكعبة طافت به ثم تلمذت له وطلبت منه ترقيتها إلى مقامات في طريق القوم فرقاها لها وناشدته أشعاراً وناشدها)[٥]!!!

---

[١] جامع الكرامات (ج٢/ص١٩٠).

[٢] الطريقة الرفاعية، دمشقية (ص٣٤-٣٥).

[٣] جامع الكرامات (ج٢/ص٦٧).

[٤] لطائف المنن والأخلاق، الشعراني (ص٢٢).

[٥] جامع الكرامات (ج١/ص١٢٠).



وفي ترجمة علي البحيري: (أنه طأطأ رأسه مرة وتمرغ على التراب وقال أستغفر الله وكرر ذلك وبكى فسئل عن ذلك فقال: حكت رأسي في ساق العرش في هذا الوقت)[١].

وفي ترجمة أحمد الفاروقي: (أنه كان كثيراً ما يعرج به فوق العرش المجيد.. ودعاه للإفطار في رمضان عشرة من مريديه فأجابهم فلما كان وقت الغروب حضر عند كل واحد من العشرة في آن واحد وأفطر عندهم)[٢].

وينقلون عن الحسين السوري أنه قال: (من الصالحين من يطير فيقف بعرفة ومنهم من يخطو خطوة وهي أعلى درجة من الطيران ومنهم من يهم فإذا هو في الموضع الذي هم به وهو أعلى درجة من الخطوة ومنهم من يجمع الله له الأرض فإذا هي بين يديه وهذا أعلى من الكل)[٣].

وفي ترجمة حسين أبي علي: و(كان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات فتجده جندياً ثم تدخل فتجده سبعاً ثم تدخل فتجده صبياً وهكذا.. ومكث بخلوته بغيط خارج باب البحر أربعين سنة لا يأكل ولا يشرب)[٤].

وفي ترجمة علي بن أحمد القوصي: (ومن كراماته أنه كان إذا جاء ليدخل باباً فوجده مغلقاً دخله من شقوقه التي لا تسع نملة)[٥].

أيستغرب بعد هذا قولة الشافعي: (لو أن رجلاً تصوف أول النهار، لا يأتي عليه الظهر حتى يصير أحمق. وما لزم أحد الصوفية أربعين يوماً، فعاد إليه عقله أبداً)[٦].

---

[١] جامع الكرامات (ج١/ص١٩٦).
[٢] جامع الكرامات (ج١/ص٣٣٤-٣٣٥).
[٣] جامع الكرامات (ج١/ص٤٠٤).
[٤] جامع الكرامات (ج١/ص٤٠٤-٤٠٥).
[٥] جامع الكرامات (ج١/ص١٧٩).
[٦] تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٥٣١).



ورحم الله الإمام ابن عقيل حين قال: (فالله في الإصغاء إليهم فإنهم زنادقة جمعوا بين مرقعات وصوف وبين أعمال الخلعاء والملاحدة، أكل وشرب ورقص وسماع وإهمال لأحكام الشرع، ولم تتجاسر الزنادقة أن ترفض الشريعة حتى جاءت المتصوفة)[1].

[1] تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٥٣٤).



الخاتمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه ومن لهديه اقتفى، أما بعد:

فهذه أيها المسلم الكريم كانت جولة سريعة في لجج بحر التصوف فإن كنت ممن عافاك الله فاحمده سبحانه على السلامة وإن كنت ممن خاض فيه شيئاً فعجل وانزع قبل أن تستزل قدمك.

فإن قيل فهذا تصوف الغلاة الأقدمين وقد تحول الأمر في صوفية زماننا فيقال لك أيها المؤمن إن الطريق واحد أما ترى أن صوفية زماننا يعظمون الرموز التي نقلنا عنها هذا الغلو والكتب التي سطرت فيها هذه الكفريات وهم يحثون الناس على قراءتها ويجتهدون في نشرها وما بلغنا أن أحدًا منهم أنكر ما فيها من شطحات.

وإياك أن تقول: إنما نعني بالتصوف صفاء القلب والزهد في الدنيا.. فنقول: لِمَ تسمِّي هذه الأشياء تصوفًا وقد أصبح هذا اللقب علمًا على رموز وأشكال تخالف الإسلام؟ فهلا ابتعدتم وتركتم هذه الأسماء التي ما أنزل الله بها من سلطان (والزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف)[1]. فإن قلت: إن لكلامهم تأويلًا قيل إنما أمرنا أن نحكم على الظاهر وقد قال زين الدين العراقي: (لا ولا يقبل ممن اجترأ على مثل هذه المقالات القبيحة أردت بكلامي هذا خلاف ظاهره ولا نؤول له كلامه ولا كرامة)[2].

واعلم أيها المسلم الكريم أن أكثر من عني بنشر التراث والفكر الصوفي حديثًا هم المستشرقون، وليس ذلك منهم سعيًا للأمة في خير وإنما...

[1] تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٢٤٠).

[2] مصرع التصوف، البقاعي (ص٦٦).



اللهم اهد ضال أمة محمد ﷺ، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، واهدنا لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم، آمين. والحمد لله رب العالمين.



يوميات مجاهد من الفلوجة[1]

مقدمة ميسرة الغريب

أبو أنس الشامي (عمر يوسف حديد) عالم مجاهد، ما عاشره أحد إلا أحبه للطيف عبارته، وظرافة إشارته، فكان رحمه الله سَمْحَ النَّفْس، مُقَدِّراً لاختلاف وجهات النظر، وهذه صفةٌ قلَّ أن تجدها اليوم.

وإن مِن حقه على إخوانه في جماعة التوحيد والجهاد أن يُخْرِجوا نُبذَة تُعَرِّف المسلمين بحياته وجهوده، وعسى أن يكون هذا قريباً.

كان -رَحِمه اللهُ- قبيل انتقاله إلى ربه يَسعى أن يُخْرِجَ ما كَتَبَه من ذكرياتِ معركةِ الأحزابِ في الفلوجة إلى عالَمِ الوجود ليقرَأَها الناس ويعرفوا شيئاً من الحقائق، وقد سبق من قبل أن نُشرت هذه الذكريات على (الإنترنت)، إلا أن الأخطاء الإملائية بل حتى اللغوية والنحوية من أكثر ما يكون مما قد يُلَبِّس على القارئ فَهم العبارة.

والسبب في هذا أنه -رحمه الله- كان قلمه عالي الكعب، فمفرداته اللغوية خصبة مما أشكل على كثيرٍ ممن كان يكتب له مسوَّداته على جهاز (الكمبيوتر).

فقمتُ بتصحيح كثيرٍ منها في حياته وبطلب منه رحمه الله، وها أنا ذا أعيد النظر في ضبط الكلمات وشرح الغامض، وقد أضيف بعض الهوامش البسيطة التوضيحية، وقد يتيسر في المستقبل مزيد تدقيق، فقد فعلتُ هذا على عَجَل، وليس كل عجلة مذمومة كما في سورة طه {وعَجِلْتُ إليكَ ربِّ لِترْضى}... اللَّهم فاختر ما فيه خيرا لنا.

---

[1] تم إخراجها باعتناء الشيخ ميسرة الغريب تقبله الله.



فدوري باختصار محصور في المجال اللغوي في ضبطِ الكلمات، وشرح الغامض، ووضع إشارات الترقيم، وتصحيح التصحيف أو نحو هذا، من التصرف اليسير إن شاء الله.

وأما الهوامش التي وضعها الشيخ بنفسه فوضعت بجوارها (أبو أنس) للتمييز بين ما هو له وما هو لي.

وكتبه: ميسرة الغريب



مقدمة أبي أنس

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء:١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠]، أما بعد:

التاريخ يعيد نفسَه، وسُننُ اللهِ في الآفاق ثابتةٌ ولنْ تَجِدَ لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

في غزوة الأحزاب حوصرت المدينة وأحاط بها العدو إحاطةَ السوار بالمعصم، وجَثَمَ الكفر بكَلْكَلِه[١] فأناخَ[٢] حولهَا، وهو يَروم اجْتِثاثَ الدولةِ الفتيةِ الناشئة.

وفي برد شديد وخوف شديد وجوع وعطش ومحنة حَصّتِ[٣] الأنفس، وزلزلت القلوب، ونَجَم[٤] النفاق، وتَضَعْضَعَ البنيان، وبَلَغَت القلوبُ الحناجر، وابتُليَ المؤمنون وزُلْزِلُوا زلزالاً شديدًا...

تَمَايَزَ الصفُّ وانكشفت خَبيئات القلوب، ومُغَيَّباتُ الصدور؛ فأما المنافقون فقالوا: ما وعَدَنا اللهُ ورسولُه إلا غرورًا، ونَعَق قائلهم: أما تَرَوْنَ إلى محمدٍ يَعِدُنا بكنوز كسرى وقيصر وأَحَدُنا لا يَأْمَنُ على نفسه أن يذهب إلى الخلاء.

---

[١] الكلكل: الصدر من كل شيء.

[٢] أناخ الإبل= أبرَكَها فبركت.

[٣] الحَصُّ: ذهاب الشَّعر، والمراد الضيق والشدة.

[٤] نجم= ظهر.

وأما المؤمنون فلما رَأَوا الأحزابَ قالوا: هذا ما وَعَدنا اللهُ ورسولُه وصَدَقَ اللهُ ورسولُه، وما زادَهم إلا إيماناً وتَسليمًا.

فتعالَوا بنا نُبحِرُ في طَيِّ هذا الكلام نَتمَعَّنُ ما فيه من هدى ونور..

في العربية يقال: (وعده) إذا منّاه بالخير.. و (أَوْعَده) إذا تَهَدَّده وأَنْذَره.. ومنه مسألة الوعد والوعيد في العقيدة..

وإذا تأملنا مقولة الصحابة في هذه النازلة الكبرى والمحنة والشدة الضَّروسِ وجدناهم قد قالوا: وَعَدَنا الله سبحان الله.

(وعد) كما أسلفنا بالخير والبشائر، وما رآه الصحابة سيلٌ[١] منحدِرٌ من الكفر المتلاطِم يُغِذُّ[٢] السيرَ إليهم شاكيَ[٣] السلاحِ، والشر يتطاير من عيونه: فهل هذا خيرٌ أم شر؟.. هل هو وعدٌ أم وعيد؟.. وهل يقال: (وعد) أم (أوعَدَ)؟..

لقد فَقِهَ الصحابة –رضي الله عنهم– أن الخير لا يأتي إلا بعد الشر، وأن التمكين لا يكون إلا بعد الفتنة والتمحيص؛ كما قيل للشافعي: أيُّهما خير للمؤمن، أن يمكَّن أو يبتلى؟ قال: وهل يُمَكَّنُ قبل أن يُبتلى؟!

إن سنة الله الكونيةَ القَدريةَ هي الوجهُ الآخَرُ لسُنَّتِه الدينية الشرعية فكما أن الفَلَق لا يجيء إلا بعد شِدَّةِ الغَسَق، وكما أن طفلك أيها الإنسان لا يَسْتَهِلُّ صارخاً في الحياة إلا بعدَ طول حملٍ وآلام تخاض في بحر من الدماء، فكذلك دولة الإسلام وفجر النصر– لا يجيء إلا بعد الفتنة والمحنة والتمحيص وفي بحر من الدماء..

إن دفقَ الدماء عبر الجراح *** يبعث النور في جبين الصباح

---

١ كلمة (سيلٌ) خبر لـ(ما).

٢ أغَذَّ: أسْرَعَ.

٣ شاكي السلاح أي ذو شوكة وحدّ في سلاحه.



وحين استَحْكَمَتْ حلَقات المحنة واشتد لَهيب اللأواء[١]، أَيْقَن الصحابة بقرب النصر. ودُنُوِّ الظَّفَر، وحين بَلَغَ المكرُ منتهاه انْفَرَج وتَحَوَّلَت الكِفَّةُ وانعكسَ هُبوبُ الرياحِ وقَرَّرَ النبي ﷺ هذه الحقيقةَ فقال: "الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنا"[٢].

لقد عِشْنا في الفلوجة معركة الأحزاب بحذافيرها فقد جاءَنا الكفار من فوقِنا ومِن أسفلَ منا وزاغَتِ الأبصار، وبَلَغَت القلوبُ الحناجرَ، ونَجَم النفاق، وزُلزل المجاهدون وتميز الصف ثم كان الفرج... وبعد ذلك النصر...

ومن عجائب أقدار الله أن غزوة الأحزاب استمرت نحو شهر (٢٧ أو ٢٨ يومًا) وهكذا كانت معركة الأحزاب في الفلوجة حَذْوَ القُذَّة بالقُذَّة[٣].. فالحمد لله على توفيقه.

---

[١] اللأواء: المشقة والشدة.

[٢] رواه البخاري.

[٣] القُذَّة ريشة الطائر، والمراد أنها نفسها.



تنويه واعتذار..

جاءت الأحداث على حين غِرَّة[١]، وتلاحقت فصولها وتتابعت أحداثها وهي تَمور موراناً سريعًا أَذْهَلَ العقلاء، فشَقَّ عليهم أن يُنَحُّوا السلاح لِيَمْتَشِقوا ناصية القلم، ويُؤَرِّخُوا مواقفَ الفداءِ والبطولة..

مهلاً...! فهذا تفسيرٌ وليس بتبرير[٢].. ولكن قدّر الله، وما شاء فعل..

لذلك فعذراً إذا لم يكن هناك تأريخٌ دقيقٌ ووصف تفصيلي لما جرى... مع أن ما جرى عموماً لم يكن إبداعاً عسكرياً بقدر ما كان توفيقاً ربانياً وتثبيتاً إلهياً.. لقد كانت المعركة في غالبها دفاعاً ودَفْعاً في معارك في الأَزِقَّةِ والفُروع، وتلك معركة تحتاج إلى قوة قلبٍ وإقدام وجَلَدٍ وشجاعةٍ، وتلك لَعَمْرُ الله صفاتٌ بريء منها الجندي الأمريكي براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

ولذلك فسنحاول أن نرسُم الإطار العام، ونقفَ عند سوانِحَ وإيحاءاتِ الأحداثِ والمنعطفاتِ الخَطِرةِ مُسْتَلْهِمين الدروسَ والعِبَرَ مع بعض تفاصيلِ البطولات الفَذَّة... ناسبين الفضل لأهل الفضل، وحتى تعرف.. أمتي.. مَن الذي صَاول وطَاول ونَابَل[٣].. وفاءً لأمتنا وأداءً للأمانة وشهادةً بالحق لله..... ثم للتاريخ.

---

[١] الغِرَّة أي الغفلة.

[٢] درج الشيخ رحمه الله على استعمال كلمة (التبرير) الشائعة بين الناس والكُتّاب وإن كانت في أصلها اللغوي لا تأتي على المعنى الذي شاع.

[٣] المراد أن يُعرف من كان له أثر فعلي على أرض الواقع.



توطئة

كلما هَمَمْتُ أن أُسَطِرَ تأريخَ أحداثِ المجدِ والفخارِ في الفلوجة تَعتريني رعشَةٌ ورَجْفة، وأسمع لقلبي وَجِيْباً[١] يَسري إلى القلم ليُتَرّجِمه إحجاماً عن الكتابة واسْتِعْجَاماً في البيان...

ربما كان ذلك لشعوري بأن تلك الأيام كانت أياماً من أيام الله صنَعها الله على عينه ورعاها بنفسه وخَصّها بفضله حتى أثمرت نصراً مؤزراً وفَلَجًا ظاهراً، وخَرقاً لكل المقاييس العسكرية والموازين الأرضية... وأنى لمثلي على قلة بضاعتي وقصور بياني وحَداثَةِ تَجْربتي في عَالم الكتابة[٢] أن يُبَلِّلَ شفاهَ القلوبِ العطشى إلى هذا التاريخ بَلة[٣] أن يُرُوِّيَهَا بأخبار العز والسؤدد...

لكنْ.. مُكْرَهٌ أخاك[٤] لا بَطَل.. وما حِيْلَتي وأنا مضطر إلى ركوب خيل الكتابة الجَمُوح، حسبيْ أني لا آلو جَهْداً[٥] وعلى الله التُّكْلان وهو المستعان.

لقد شاء الله بحكمته أن يَجْعَل الفلوجةَ مَعْقِلاً لأبطال العراق ومَهْوًى لأفئدةِ المجاهدين المهاجرينَ في بقاع الأرضِ الذين يَنْشُدون نُصرةَ الدين وإعلاءَ كلمةِ الله، يَشُدُّهم إليها حسن الأُحْدُوثة ويأسِرهم أريجُ وعَبَقُ دماء الشهداء في ساح الفلوجة، حتى غدت هذه المدينة الهادئة والوادعة كابوساً يُؤَرِّقُ الأمريكانَ وفَزَّاعَةً تَرتَعدُ فرائِصُهم لمجرد ذكر اسمها فضلاً عن التفكير في دخولها.

لا يَتَوَهَّمَنّ متوهم أن أمريكا قررت فجأة أن تداهم المدينة ثأراً لكرامة رجالها الذين مُثّلَ بهم وأُحْرِقوا، بل كان ذلك أمراً بُيّتَ بليل ودُبّرَ بدَهاء ومَكْرٍ وخُطّطَ له قَبْلاً، وحَسْبُكَ أن تعلم أخي القارئ أن الأربعة الَذين قُتلوا قبل انفراط عِقد الأحداث كانوا ضباطَ أمن

---

١ الوَجيب: تحرك القلب تحت أبهره.

٢ هذا تواضع منه رحمه الله، وإلا فإن مفرداته اللغوية واستعاراته راقية حتى أنها تعلو على فهم كثيرٍ من القراء ولا يستلذُّ بها إلا الفصحاء.

٣ بَلْة أي فضلاً عن.

٤ كلمة (أخاك) حقها أن تكون (أخوك) ولكن المثل هكذا نطقته العرب على لغة من يعامل الأسماء الخمسة معاملة المقصور.

٥ لم يَألُ جَهْداً أي لم يدع جَهداً ولم يقصِّر.



ومخططي حرب وأوراقُهم الثبوتية ناطقةٌ بهذا، كما وُجِدَتْ بحَوْزَتهم قصاصاتُ أوراق تتحدث عن خُطة اقتحام وفيها هيْكَلِيَّة أولية تَرسُم الخطوطَ العريضةَ وتُحَدِّد الإطارَ العامَّ لمِثْلِ هذه الخطة...... وما يومُ (حَليمة) بِسِرّ. فقد سرى الحديث وانتشرت الشائعات عن استقدام ٢٥ ألفا من جنود المارينز ليباشروا تصفية الجهاد في الفلوجة..



كيف جرت الأحداث؟

قبل الأحداث بنحو عشَرة أيام أو تَزيد قليلاً، وبأمر من القائد أبي مصعب الزرقاوي اجتمع المجلس العسكري في المدينة وجرى استعراض الوضعِ ودراسةِ المتغيرات وكانت النتيجة مؤلمة وقاسية.. ووجدنا أنه وبعد عام من الجهاد ما زلنا لم نحقق شيئاً على الأرض ولا يَجِدُ أحدُنا شبراً يأوي إليه أو مكاناً يلوذ به آمناً في بيته بين أفراد سِرْبِه[١]....

لقد كنا نتوارى في نهارنا ونتسلل كالقَطا[٢] في ليالينا...

هجر جميعنا منازلهم وتَشَرَّد شَمْلُ العَوائِل.. ودُوْهِمَت البيوتُ وطُورد الأبطال.. كانت صورةً قاتمة وشَعَرنا جَمِيْعا بفَشَلٍ ذَريع.. وكان لا بد من حَلٍّ سريع وتغييرٍ لخُطَّةِ العمل وقَرَّرْنا أن نَجعل الفلوجة ملاذا آمناً ودرعاً حصيناً لأهل الإسلام، وأرضاً حراماً ومَفَازَةً دَوِّيَّةً[٣] مُهلكة للأمريكان.. فلا يَطؤوها إلا خائفين ولا يخرجوا منها إلا مذعورين مطارَدين يَحملون جرْحاهم وقتلاهم.

واتفقنا أن تُقَسَّم المجاميع إلى مَفارِزَ تَنتَشِرُ في الليل وتَظَلُّ يَقْظَى في النهار تَحْرُس أطرافَ المدينةِ وتَذُودُ عِن حِماها بالغَدَوَاتِ والعَشِيَّات.

وتَوَزَّعَ الحِمْل وقُسِّمَ العبءُ على المجاهدين مهاجرين وأنصارًا.. وارتفع اللواء وخفقت الراية وانطلقت الشرارة وتَحَمَّسَت النفوس وسَرى في القلوب نشاطٌ وهمةٌ عجيبةٌ وتَقافَزَت الأفئدةُ من الصدورِ شَوْقاً إلى مُواجهة الأمريكان وشَغَفاً إلى الحور والجنان.

---

١ السِّرب: النفس، أي آمن في نفسه.

٢ القطا جمع كلمة (قطاة) وهو نوع من الطيور.

٣ الدَّوِّيَّة والمفازة بمعنى واحد وهي المهلَكة.



انْتَشَـرَت الخلايا وكَمَنَت السـرايا.. وتقـدمت أرتال عسـكرية أمريكيـة تتهـادى بخيلاء وتمطُـو[١] بكبرياء وهي تَأْمُـل باستعلاء أن تُـداهم البيوت وتعتقـل من تشـاء، ومـا دَرَتْ أن الرَّدى قد خُبّئَ لها بين كُثبان الثرى على أيدي ليوث الشَّرى[٢] وفرسان الورى..

فلَعْلَعَ الرَّصاص وزَغْرَدَ الرَّشّاش وارْتَفَع حُداءُ القَواذِفِ مُعْلِناً بَدء عَهدٍ جديد، وتَتابعت الأحداثُ وحَميَ الوطيس ودارت رحى معارِكَ عنيفةٍ واستمرت إحداها (٤) ساعات ليلية شاركت فيها الدبابات وحلقت الطائرات وحصل قصف وعَصْفٌ.. حتى اعترف الكفار بأنها أَعْنَف معركة جرت منذ سقوط النظام البائد..

وبدا أن رَحِمَ الأحداثِ يَحمِلُ مفاجآتٍ جُلّى، وأنه قد تَشَكَّلَت فيه أَجِنّةُ أحداثٍ جِسام تنتظر ولادةً قيصرية بعد مخاض عنيف وعبر أنهار الدماء. وهنا حصلت الزلزلة الكبرى وقاصمة الظهر وأحدوثة العصر.

حين تجرأت سيارتان من نوع جيب بولوج الأرض الحرام[٣] ودخول أَجَمَةِ[٤] الآساد فتَصَدّى لهم أُسدُ الغابِ فأَمْطَروهم بوابِلٍ من الرصاص ودَّعُوا معهم الحياةَ خَزايا ونَدامى، وفي غَمْرَة الحِقْدِ الذي تَنامَى في القلوبِ على هؤلاء الدُّخلاء والأعداءِ الذين قتَلُوا ودَمَّروا وتركوا في القلوب جراحاتٍ لا تَنْدَمل، وقَيحاً لا تمحوه الأيام..

قام بعض الناس بإشعال النار والتمثيل بالجثث شفاء لقلوبهم في ثورة غضبٍ أَصَمَّتْهُم عن سماع نِداء الشرع والعقل والنظر في المآلاتِ والعواقب كما وعُلِّقَت بعضها على جسر المدينة، وسُحِبَت إحدى الجثث بحمار وجرت على الطريق كان منظراً عجيباً يتكرر فقط للمرة الثانية بعد الصومال في زمن (الهيمنة الأمريكية).

---

١ المراد تسير بكبرياء.

٢ الشرى موضع تُنسب إليه الأسد، و(ليوث الشرى) كلمة تقال في الشجعان.

٣ ليس المراد هنا المعنى الشرعي الأرض التي حرمها الله، وإنما المعنى اللغوي، أي التي مُنعوا من دخولها.

٤ الأَجمة الشجر الكثير الملتف، والآجام أحد جموع كلمة (أجمة).



وهنا لا بد للقلم من وقفة قصيرة، نذهب فيها بعيدًا عن التأريخ والسرد لنُعَرّج خلالها على مسألةٍ فقهية ثم نضعَ أيدينا على مرضٍ مُزْمِنٍ وظاهرةٍ عجيبة.. ولنبدأ بعون الله..

- أما المسالة الفقهية.. فهي مسألة التمثيل بالقتلى وحرقهم فنقول:

مسألة الحرق وردت فيها نصوص واضحة بالمنع والتحذير.. منها ما رواه البخاري باب (لا يُعذب بعذاب الله).

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بَعَثَنَا رسول الله ﷺ في بَعْثٍ فقال: إن وَجَدْتُم فلاناً وفلاناً لرجلين فأحرقوهما بالنار، ثم قال حين أردنا الخروج: "إِنِّي أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلاَنًا وَفُلاَنًا، وَإِنَّ النَّارَ لاَ يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا"[١]، وكذلك روى سعيد بن منصور أن هبّار بن الأسود أصاب زينب بنت رسول الله وهي في خدرها فأَسْقَطَت فبعث رسول الله سَرِيَّةً فقال: "إِنْ وَجَدْتُمُوهُ فَاجْعَلُوهُ بَيْنَ حِزْمَتَيْ حَطَبٍ، ثُمَّ أَشْعِلُوا فِيهِ النَّارَ"، ثم قال: "إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُعَذِّبَ بِعَذَابِ اللَّهِ". فلم تُصِبْهُ السرية وأصابته نقلة إلى المدينة فأسلم فأَتِي النبي ﷺ فقيل له: هذا هبّار يُسَبّ ولا يَسُبّ –وكان رجلاً سبّاباً– فجاءه النبي يمشي حتى وَقَفَ عليه، فقال: "يَا هَبَّارُ سُبَّ مَنْ سَبَّكَ، يَا هَبَّارُ سُبَّ مَنْ سَبَّكَ".

قال ابن حجر: (محله إذا لم يتعين التحريق طريقًا إلى الغلبة على الكفار حال الحرب.. واختلف السلف في التحريق..

وقال المهلب: ليس هذا النهي على التحريم بل على سبيل التواضع ويدل على جواز التحريق فعل الصحابة.. وأكثر علماء المدينة يُجيزون تحريق الحصون والمراكب على أهلها.... وأما حديث الباب فظاهر النهي فيه التحريم وهو نسخ لأمره المتقدم)[٢].

---

[١] رواه البخاري.

[٢] فتح الباري، ابن حجر (ج٦/ص١٤٩).



وذكر سعيد بن منصور أن جُنادة بن أبي أمية الأزديّ وعبد الله بن قيس الفزاري[1] وغيرهما من ولاة البحر من بعدهم كانوا يَرمون العدو من الروم بالنار ويُحرِّقونهم هؤلاء لهؤلاء وهؤلاء لهؤلاء.

(وعن عبد الله بن قيس الفزاري أنه كان على الناس في البحر على عهد معاوية وكان يَرْمي العدوَّ بالنارِ ويَرْمُونه ويحرّقهم ويحرقونه، وقال: لم يَزَلْ أَمْرُ المسلمين على ذلك). ولعل الوسط في ذلك منع التحريق لشخصٍ بعينه وأما التحريق العام فلا بأس به، قال ابن حجر: (وهو محمول على من قصد إلى ذلك في شخص بعينه)[2].

وأما المُثلة:

فقد روى البخاري عن عبد الله بن يزيد عن النبي ﷺ: "أنه نَهَى عن النُّهْبَى[3] وَالْمُثْلَةِ". وقد قال الزمخشري: (لا خلاف في تحريم المثلة)[4]. وهذا النقل مُتَعَقَّب فقد قال النووي: (قال بعضهم: النهي عن المثلة نهي تنزيه وليس بحرام)[5].

وكذلك قال ابن قدامة: (يكره نقل رؤوس المشركين من بلد إلى بلد، والـمُثْلَةُ بقتلاهم وتعذيبهم)[6].

ومع ذلك فقد استثْنى من ذلك الشرعِ المقابلةَ والمعاملة بالمثْل كما قال تعالى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} [النحل: ١٢٦].

كما قاس بعض العلماء على ذلك صورًا أخرى إذا تَحَقَّقَ فيها النَّفْع لأهل الإسلام والإرهاب للأعداء..

---

[1] **تعليق أبي أنس**: مختلف في صحبته.. والحق أنهم اثنان صحابي وتابعي. تقريب التهذيب، ابن حجر (ص١٤٢).

[2] فتح الباري، ابن حجر (ج٦/ص١٥٠).

[3] النُّهبى أخذ مال المسلم قهرا جهرًا، ومنه أخذ مال الغنيمة قبل القسمة اختطافًا بغير تسوية.

[4] الكشاف، (ج٢/ص٦٤٥).

[5] شرح صحيح مسلم (ج٧/ص٣١١).

[6] المغني، ابن قدامة (ج١٣/ص١٩٩).



جاء في السِّيَر الكبير وشرحه: (وأكثر مشايخنا على أنه إذا كان في ذلك كَبتٌ وغَيْظٌ للمشركين وفراغُ قلبٍ للمسلمين بأن يكون المقتولُ من قوّاد المشركين أو عظماء المبارزين فلا بأس بذلك)[١]، وهذا مأخوذ من الإشارة في قوله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة: ١٤ – ١٥].

ونحن وإن كنا نؤثر الوقوف مع النص، ولكن المقصود بيان أوجهِ النظر ومَثارات اجتهادِ الأئمةِ في فَهم هذه الأحاديث..

وآن لنا أن نَخْلُصَ من هذا لِنضَع أيديَنا على المرض المزمِن والظاهرةِ العجيبة فنقول: نحن في زمانٍ مُيّعَتْ فيه الثوابتُ الشرعيُ وغَدَتْ فيه أصولُ المِلَّة كلأً مباحاً لكل مُنْتهِب، وكلما نَطَق أهلُ الحق بالحق وثاروا يَذُودون عن حِمى المِلَّة وهم يَسْتَظْهِرون بإجماع الأمة في عصور الهدى والنور.. صاحت بهم عمائم الشر ودَهاقِنَة[٢] التزويرِ فرَمَوْهم بالنَّسْر والعَوَّاء[٣] واتهموهم بالتعصُّبِ وضِيقِ العَطَن[٤] ونفي الآخَر والتحجر والجمود.. إلخ من قائمةِ تثقل الأوراق بسَردها وتضيق بعدها..

أما إذا اجترح أهل الجهاد أو بعض من ينتسب إليهم أمراً يتورم له أنف أمريكا ويَتَمَعَّر له وجه (بلير) وتثور من أجله ثائرة (كوفي عنان).. فإن نكيرهم يباغ عَنان السماء، وتسقط كل مقولات الرأي والرأي الآخر، ويبرأ الإسلام المسكين لا من هذا الفعل فقط بل من الفَعَلَة القَتَلَة الإرهابيين.. إلخ.

ويضعون أيديَهم على تراثٍ فِقْهِيٍّ لأئمةِ سلفوا قالوا بهذا الأمر وبه نطقوا تمامًا كما فَعَل الحبر اليهودي بآية الرجم بالتوراة.. وإلى الله المشتكى.

---

١ شرح السير الكبير، السرخسي، (ج١/ص١١٠).

٢ الدهقان بضم وكسر الدال هو التاجر.

٣ النسر والعواء اسمان لنجمين في السماء.

٤ يقال: واسع العطَن أي رَحْبُ الذِّراع كثير المال.



فهل يلوم عاقل ذو حَصَاةٍ[1] شباب الإسلام إذا نبذوا هذه العمائم نبْذَ الحصاة؟! ولنُتَمْتِم جميعاً مرددين مع الشاعر قوله:

ولو أن أهل العلم صَانوه صانَهم *** ولو عظَّموه في النفوس لَعُظِّمَا
ولكن أهانوه ولَطَّخوا محياه *** بالأطماع حتى تَجَهَّما

ونعود مرة أخرى لسرد الوقائع وتاريخ الحوادث فنقول مستعينين بالله:

تَكَهرب الجو وتلبد بغيوم سوداء تَحمل حقداً أسودَ دفيناً، وعلا فحيحُ الأفاعي وهي تَزْحف في ظلام الليل لتطبق على المجاهدين.. وبدا أن طبولَ الحرب وضجيجَها قد سَدَّ الأُفُق السياسيَّ وأَصَمّ آذانَ الساسة عن الاستماع إلى نداء العقل والمعالجة السلمية.

وقد تَناهى إلى أسماع العالَم التقاريرُ السريةُ عن الأزّ اليهودي للعدو الأمريكي ليبطش ويستعمل سياسة الأحذية الغليظة مبررين بذلك بأن العرب جنس رديء لا يصلح معه إلا لغة القتل والتنكيل.

وتتابعت أرتال جنود الكفر تُغِذُّ[2] الخُطى وهي تَتَلَمَّظُ[3] بهَتْك الحُرُم واستذلالِ أهل الإسلام، وقد تطايرت الأخبار بأن الإدارة الأمريكية قد أعدت نُزلاً -وأيّ نُزُل!- لجميع البالغين في الفلوجة في محاولة منها لكسر. شوكة الجهاد واجتثاث جذوره وحصلت مداولاتٌ من ناحيتِنا وتدارس للخياراتِ الـمُتاحةِ وهل نؤثِر الانحياز والخروج من المدينة أم نثبت في مواقعِنا وندافع عن الحق، لقد كان الشعور بأنها معركة كَسرِ عَظْم وأن الأمريكان قد عزموا أن يَجعلوها نكالاً لكل المدن وأنهم إذا وَلَجُوها فسيستبيحونها دماً وعرضاً وكان هذا واضحاً في ثَنِيّات كلامهم وتصريحاتهم.

لقد كانت معركةَ تحدٍّ حقيقيةً، وكان قرار القيادة الجهادية بوجوب الثبات وكان فيه بحمد الله الخير والرشد، وأُعلن النفير العام للإخوة وتأهَّب الأسود.. وتتابعت المواجهات

[1] يقال: فلان ذو حصاة أي عقلٍ ورأي، والحصاة الثانية في الجملة أعلاه مفرد الحصى أي الحجارة.
[2] أغذَّ أي أسرع.
[3] التلمُّظ يقال تلمَّظ إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفتيه.



بين كَرٍّ وفرّ حتى إذا كان يوم الأحد ليلة الاثنين.. وقد تكامل الحشد وتهيأ الجيش واشْرَأَبَّت الأعناقُ تنتظرُ إشارةَ البدءِ ولحظةَ الصفر فماذا حَدث بعد ذلك....؟

تتالت الأحداثُ سِراعاً ففي نحو الثانيةِ بعد منتصف الليل تَجَرَّأَت ثلاثُ سيارات (همر) فاقتحمت المدينة من ناحية الحي العسكري فتصدى لها صقور العز وأمطروها بحمم الموت فاحترقت غيرَ مأسوف عليها..

وكَـعَّ[1] بقية الرتل وأحجم عن الإقدام وثقلت منهم الأقدام خوفًا من الحمام[2].. فتقهقروا.. وأقبلت –كالعادة– خفافيش الظلام الطائرة، وأمطرت المجاهدين بوابل من الرصاص المنهمر.. وألقت عليهم القنابل العنقودية واستشهد في هذه المواجهة البطل خطاب شاب في نحو العشرين من عمره من اليمن أسدٌ مِقْدام.. وفاحت منه رائحة المسك كأطيب ريح أنت واجدُها.. وتَبِعَه أخوه من جزيرة الحبيب محمد ﷺ محمله ويكنى (المقداد) أحد الأسود.. وتقدم الحجي ثامر من الرمادي (وهو ثامر مبارك الدليمي من أكبر عشائر الأنبار) ليَسْحب جثامين إخوانه، وحاول الإخوة منعه فأبى واقتحم فجاءه الأجل، وهو يقول: مِن أَجْلِ الله لا نعرف الخوف والوَجَل، والحجي رَحِمَهُ اللهُ من أبطال العراق الأماجد، وهو الذي أَشْرف على عملية قتل السفيه (باقر الحكيم)، وقد كان أحد أعمدة كثير من العمليات الاستشهادية إعداداً ومراقبةً وتجهيزاً هو والراحل الخالد حمزة أبو محمد –رحمهما الله–[3].

---

[1] كعَّ تأتي بمعنى نكص على عقيبيه، وجبُن... ونحو هذا.

[2] الحمام هو الموت.

[3] **تعليق أبي أنس:** اسمه نضال محمد عربيات من أنبل عشائر مدينة السلط في الأردن عاش في بواكير عمره حياة طَيْشٍ ثم أدركته رحمةُ مولاه فأحيا مَوات قَلبه وأَخَذ بناصيته إلى أرض العزة والفخار في أفغانستان أواخر ١٩٩٩ ميلادي وتَلَقَّى عدةَ دورات، ثم انتقل إلى كردستان مجاهداً وقبيل سقوط النظام انتقل إلى بغداد والتحق بالأخ أبي مصعب الزرقاوي رفيقاً له في رحلة الجهاد في زمن الذلِّ والاستعبادِ، كان رحمه الله مُسَعِّر حرب مقداماً لا يهاب، خبيراً في المتفجرات، وهو الذي جهز معظم سيارات العمليات الاستشهادية التي زلزلت أركان العدو وعملاءه في العراق، ولكن هذه الصورة الملطخة بالدماء تنقلب إلى نفس حانية وحياء عجيب وصمت عميق مع أهل الإسلام، هذا إلى خِفَّةِ رُوح ومَرح ودَماثة خلق وأدب، ما خالطه أحد إلا وأحبه، وقد كان من أحب الإخوة إلى الأخ أبي مصعب الزرقاوي وكان بينهما علاقةٌ حميمة نسجها التوحيد وشدّ معاقدها ذروة السنام وأخوة الجهاد.

داهم الأمريكان داراً كانت قاعدة للإخوة المهاجرين في لحظة غفلة أمضاها الله عز وجل ليَحقَّ القدر المحتوم، واستطاع الإخوة أن يتسللوا وتخلف حمزة ليحمي ظهورهم وأكرمه الله فجندل عدداً من الأمريكان بمسدسه وكان نِعْمَ الرامي.. وانهمر الرصاص كالمطر وصَعِدَت روح فقيدنا إلى مولاه سبحانه طَيِّبَةً طاهرة، وفاحتْ في البيت ريحُ المسك وتَداعى الناس إلى شَمِّها وبكت عيون الصغار والكبارِ وسرت روح الجهاد في



ولقد أصيب الحجي ثامر قبل استشهاده بليلة فكان يَتَحَسَّرُ.

ويَعَضُّ شفتيه ألماً على فوات الشهادة وأن المنية أخطأته.. ولعل الله اطّلع منه على صدق النية وعظيم الشوق إلى اللقاء فعجّل له الهدية واجتباه إليه سَريعًا..

فرَحِمَكَ الله يا حَجّي رحمةً واسعة..

كما أُصيب في هذا القصف الأخُ الفاضل أبو فارس من عشيرة البوعبيد (من الجزيرة ناحية الرمادي).

واشتد عليه الألم وحمله أحد الإخوة في صندوق (البيك آب) ومضى به إلى المستشفى الأهلي.. وكان العُلوج قد تقدموا من ناحية المنطقة الصناعية فأبصروا السيارة فأمطروها بوابل حممهم فنجا الأخ السائق وأصيب الأخ أبو فارس إصابة الموت فمضى إلى الله طاهرَ الثياب حَسَنَ الأُحْدُوثة جميلَ السيرة في إخوانه..

أبو فارس فارسٌ لم تر العيون مثله، لقد قُدِّر لي أن أرافقه في بعض المشاهد فرأيت منه إقدامًا وشجاعة نادرين..

وأَشْهَدُ أن الخوف لم يكن يَعْرِف طريقًا إلى قلبه أبدًا، لقد كان الخوف يخاف من قلب أبي فارس.. وقد كان يَتَلَف على عملية استشهادية ويُلحُّ في ذلك والشيخ أبو مصعب الزرقاوي يؤخره ويتآنى[1] به ويدخره للمُلِمَّات.. وكان أهلاً لها..

بكى مرة في إثر عملية كبيرة كان قائدَها وأصيب في رجله.. فكان يبكي ويقول: لو كان فيّ خيرٌ لاصطفاني الله شهيدًا..!!

هذا مع رقة نَفْسٍ وحُسْنِ أدبٍ وتواضعٍ جَمٍّ من غير كُلْفَة، وصفاء قلب لإخوانه..

المنطقة كلّها، وتلك لَعَمْرُ الله سيرة النبلاء: علوّ في الحياة وفي الممات، حياتهم للأمة نصرٌ – وفتح، وموتهم للناس إحياءٌ وبعث... فرحمة الله عليك يا حمزة فلقد تركتَ فراغاً لا يملؤه أحد، وأورثت القلوب لوعةً لا يَسْكُن لهيبُها إلا بلقياك هناك في الجنان بإذن الله.

[1] يتآنى أي يتمهل.

وتلك لَعَمْرُ الله أخلاق الشهداء، وقد أَثبَتَ صدقَ ولائه لربه ودينه حتى في وصيته التي كانت تفيض إيمانًا وتُقى وقد ضمّنَها شرطاً عجيباً لا يَخْطُر إلا ببال موحد خالص لربه ودينه.. أوصى أبو فارس ألا يَمْشي أحد إخوانه[1] وكان شرطياً في جنازته.. وإلا فهو بريء ممن أذن له بذلك، فرحمة الله عليك أبا فارس، فوالله لئن سُئِلْنا لنَصْدُقَنَّ ولئن استُشْهِدْنا لَنَشْهَدَنّ أنك كنتَ فارساً من فرسان الإسلام حقًّا.... فسلامٌ على روحك في الخالدين.

له همةً تعلو على كلِّ همَّة كما *** قد علا البدرُ على النجوم الدراري

وأُصيب الأخ أبو ثابت من اليمن، وأُغْمِيَ عليه ولم يفِقْ إلا في بغداد، وما زال يعالَجَ من جراحه فنسأل الله له الشفاء والعافية... آمين.

وأصيب أيضاً أبو حمزة الفلسطيني ونُقل إلى المستشفى، وفي الجولان انبرى بعض الضَّراغِم[2] يُلَقِّمون مدافعَ الهاون حِمَمَ الموتِ هدايا للأمريكان حتى أَثْخنوا فيهم وجاءَهم الصَّريخُ أن حَسْبُكم كُفُّوا قبل أن يَسْتَمْكِنَكم الكفار.. فأَبَوا.. فمَضَوا بقذائفهم حتى جاءَهم قصفُ الموت ليفتح لهم باباً إلى الجنان –بإذن الله– فاختار الله منهم أربعة مَضَوا إلى رَكْبِ الخالدين.

أذّنَ الفجرُ وصاحَ الديك وابتدأ عهدٌ جديد وجاءنا الخبر في الصباح، فانطلقتُ برفقة أحد الإخوة إلى المقبرة التي في أطراف الجولان عند مسجد المعاضيدي وألقينا نظرة الوداع على الشهداء وبكت عيونُ قلوبنا دموعَ الشوق إلى اللقاء هناك في جنان الخلد إن شاء الله..

بدا أن المعركة قد اسْتَعَرَ أَتُونُها[3]، وأنها في هذه المرة معركةٌ لا ككل معارك الكَرِّ والفَرِّ والكَائنة السابقةِ وتَراجَمَت بالناسِ الظنونُ وسَرَت الشائعات في هَشيم النفوسِ المريضةِ

---

[1] يقصد إخوانه في النسب.

[2] من أسماء الأسد واحده ضِرْغام.

[3] الأتُون: المؤقِد.



وتَداعى بعضُ الحثالةِ إلى وجوبِ خروج المجاهدين حِفاظاً على المدينة وأهلِها، فماذا حَدث بعد ذلك؟!

خَرَجْتُ من المقبرة قبل تمام الدفن، حدَّثتْني نفسي أن أقوم في جموع الحاضرين من أهل المدينة واعظاً ومذكراً وحاثّاً على الجهاد ومحرضاً فلقد كان استشهاد هذه الكَوْكَبَة من الأحباب مؤثّراً جدًّا، لكنني ألزمْتُ نفسي الصمت وآثرت السكوت لأننا كنا –نحن المهاجرين– لا نزال نؤثر الاختفاء ونفضّل التواريَ خوفاً من عيون الشر المنتشرة..

وتابع الإخوة الكرام أمر الدفن حتى إذا أوشكوا على الفراغ ونَفْضِ أيديهم من التراب بدأت طلائع العدو بالتقدم من ناحية الجولان.... وكان من أوائل من بَصُر بهم بطل الجولان وقائده أبو خطاب الحطاب[1] وكان حاضراً في المقبرة فانطلق مسرعاً برفقة بعض الإخوة من مجموعتين فأَجْلَبُوا بخَيْلِهم وجَلَبوا أسلحتهم واستصرخوا رجالهم وبدأوا بالانتشار في الأزقة والفروع والتحق بهم أبو عمار السوري وأبو إبراهيم المصري وهما من أعمدة المعركة وفرسانها إلى نهايتها، وانضمت إليهم سريعاً مجموعة عبد العزيز وهم نحو ٧ إخوة من الجزيرة والكويت وليبيا أسودٌ هَزابِرَةٌ[2] في الحروب جَبابرة لا يَخْشون الموت ولا البرابرة[3].

وكانوا قد قَدِموا من بغداد إمداداً لإخوانهم وإرصاداً للعدو، وصاح أبو خطاب: الله أكبر جاء المدد، وتلاحق المجاهدون، ودخلت طليعةُ العدو رَجَّالةً من ناحية المقبرة، وانطلقت رصاصات الجولان الأولى من بندقية أبي علاء الأنصاري من الفلوجة لتُعلِنَ بدءَ عهد جهاديٍّ جديد، يَتوارى فيه الخَوف ويُذبَح فيه التردُّدُ وتُرفع فيه راياتُ الاستبسالِ والفداءِ، وتَقَهْقَر الجند، وتقدمت المدرعات والدبابات، وانتدب لها (أبو مرضية اليماني) وجهًا لوجه وهو يمتشق قاذف (الآر بي جي) وبينه وبين الدبابة نحو ١٥م وبدا المنظر مُغْرِيًا أشبه ما يكون بعصفور يواجه فيلاً ضخماً ثائرًا..!!

---

[1] **تعليق أبي أنس:** تعودت أن أناديه كذلك ممازحاً، وليس بحطاب للأشجار ولكنه حطاب رؤوس الكفار.

[2] الهزَبر الأسد القوي.

[3] البربرة تخليط في الكلام مع غضب ونفور، ومراده هنا والله أعلم بالبرابرة الهمجيون والعتاة، فالبربر معروفون بالغلظة عموماً، والإسلام يحسن الأخلاق.



وسمَّى الله وكبّر وانطلق الصاروخ ليستقرَّ في جوف الدبابة ويفسح لها من بعدُ طريقاً إلى أفران الحديد الصُّلْب، كما وأَحْرَق همراً وقَنَصَ اثنين من الأمريكان.

أبو مرضية ليثٌ هَصورٌ[1]؛ دقيقُ الجسم صغيرُ الحجم، ويُخَيَّلُ إليك إذا لحتهُ أنك تستطيع حمله على كفك من غير عناء.

ترى الرجل النحيل فتزدريه *** وفي أثوابه أسدٌ هَصور..

ويُعْجِبك الطرير[2] فتَبْتَليه *** فيُخْلِف ظَنَّك الرجلُ الطرير

وأثناء هذا أَقْبَلَ رَكْبُ أبي قدامة البغدادي وفي طَيِّه[3] البطل الهمام سالم الذي أحرق الله على يديه أعداداً جَمَّةً من آلياتٍ ومُدَرَّعات العدو، أَقْبَلَتْ دبابةٌ فَصَكَّها بالقاذفة فأَطَنَّ[4] بُرْجَها..

فتقدمت مُدَرَّعَة من ناحية مسجد أبي أيوب فأحرقها أحد الأنصار الأبرار.

وأقبلت السمتيات (طائرات الهيلكوبتر).. فوجَّهَ إليها أبطالُ الجولان وعلى رأسِهم الأنصاري عبد الستار أبو حسن والليبي أبو ناصر بالـ(بي كي سي)، فأَسْقَط كلّ منهما طائرة، وكان من أمر أبي حسن أنه جاء إلى أبي ناصر يستعين به لإصلاح الـ(بي كي سي) وأنها لا تَرْمِي إلا طلقة طلقة، وفي هذه اللحظة أقبلَت الطائرات فسَمَّى الله وكَبّر ورمى، فلَفَظَتْ رشاشته (٩٠) طلقة صَلْياً من غير توقف بحمد الله تعالى، وكانت حصيلة اليوم الأول نحو ٣ دبابات و٣ مروحيات وعدد من الهمرات والمدرعات..

واستشهد في هذه المعركة علي عيد غريب السويداوي من الفلوجة رحمه الله.

---

[1] الأسد الهصور هو الشديد الذي يكسر.

[2] الطرير: المراد ذو المنظر الحسن الناعم.

[3] أي معه.

[4] أطَنَّ أي دمَّر.



وفي حي (نزّال) نَفَرَ الإخوة من مكانهم بقيادة الأخوين أبي هاجر وأبي عائشة السوريين وكانوا نحواً من عشرين مجاهداً.. وتقدموا صَوْبَ الحي الصناعي وكان الأمريكان قد عجّلوا وتسللوا إليه وثبّتوا فيه أقدامهم..

تقدم الإخوة هذه المرة وقد انكسر الحاجزُ وسقطت الأقنعةُ وهم يحملون أسلحتَهم علانيةً، مهللينَ ومكبرينَ يُحَرِّضونَ الناسَ على الجهاد وتقدموا في الأَزِقَّة وقد أحَدّوا أبصارَهم وأَرْهَفوا آذانهم وعلى الزناد أصابعهم..

واستطْرَقُوا بيتاً ففتَحَتْ لهم عَجوز فاستَأْذنوها أن يَرْقى بعضهم ظَهْرَ بيتها ليَسْتَطْلعوا الأمريكانَ فأَذِنَت ورَحَّبَت وقامَت من فَورها وأعدت لهم فُطُوراً وكانَ الوقتُ قُبيل الظهر.. وأَصَرَّت عليهم أنْ يَأْكلوا مِن زادها وتلك لَعَمْرُ الله سَجِيَّةٌ عند كثير من أهل العراق عامة والفلوجة خاصة أعني الكرم والاحتفاءَ بالضيف..

وتَوَزَّعَ الإخوةُ على مجموعتين واتَّخذ أبو عائشة ومجموعتُه -وهم نحو سبعة- أحدَ البيوتِ الخاليةِ قاعدةً لهم ورَقِيَ بعضهم ظهرَه وفَتحوا نيرانهم على القناصة الأمريكان واستمروا على ذلك زمناً ثم نزلوا إلى الطابق الأرضي، وما هي إلا لحظات حتى سمعوا أَزيزَ الطائرات وأصيبَ البيتُ إصابةً مباشِرةً فتَهَدَّمَت منه أركانٌ وَخَرَّ عليهم السَّقْفُ من فوقهم.

يقول أبو حفص.. وقلت في نفسي: رباه.. لقد قُتل الشباب.. ورَكَضْتُ كالمجنون أَتَحَرّى الأمرَ وإذْ بأبي عائشة ومَن معه يَخرجون من بين الأنقاضِ وقد عَلَتْهم غبرةٌ وكأنَّهم موتى نُشروا من قبورهم، وجعلوا ينفضون عنهم التراب ليس بهم من بأس، وانحازوا إلى بيتٍ لم يُسْقَف بَعْد فتَواروا خَلفَ جُدرانه..

مَرَّتْ لحظات وسقط صاروخٌ آخرُ في جوف البيت، وبدَوا كالمستجير من الرَّمْضاء بالنار.



وحُبِسَت الأنفاس وتَهَيّأتْ دموعُ العيونِ للفيضانِ وانْجلى الدخان وهَدَأَ العَجَاج[١].

وإذ بالإخوة قد غادروا المكان بتوفيق الله قبلَ مجيء الطائرةِ بلَحظات، وانْتدبَ البطلُ أبو حفص الليبي بقاذفةِ (الآر بي جي) وبرَزَ للطائرة وأَطْلَقَ وأصابَ منها مَقتلاً وتَهاوت كُتْلَةً من نِيران، وأَقبَل المُخذّلون يَحمِلون بَشائرَ الخِذْلان والذلِّ وصَرخوا في الإخوة مُحَذّرين وآمرين بالانسحاب وهم يُوَلْوِلون ويَلطِمُون زاعمين أن الأمريكان قد طَوَقوا وتَفَوَّقُوا.. ولا أَمَلَ بالفوز والنصر... وجاء الرد سريعاً.. وصَرَخَ أبو حفص فيهم مُوَبِّخاً فأخرسهم.. وتَقَدّم أبو مثنى الأنصاري من منطقة الرطبة راهبُ ليلٍ وفارس ميدان، كان يَصوم يَوماً ويُفْطِر آخَرَ، صامتٌ لا يتكلم كان قد أدركَ أنَّ عَهد الكلامِ قد وَلّى وأَقبَل عهد الرصاص..

أدت رسالتَها المنابرُ وانبرى *** حَدُّ الحسام بدوره ليَقولا
ولقد بَحَثت عن السلام فلم *** أر كإراقة الدم للسلام بديلا

سَمِع الهَيْعَةَ فطار إليها.. وخرج سريعاً يَجُرُّ إزارَه حافيًا.. بَصُرَ ببعض المشاةِ فرماهم فأصابَ نحو اثنين، وكان قدْ رأى قبْلَها بليالٍ أنه يقْتُل أمريكيين ثم يَسْتَشْهد وصَدَق الله فَصَدَقَه الله، وأَقبَلَت طائرةٌ تَحمل حِمم الموتِ فتَصَدّى لها بال(بازوكا)، ورماها فأخطأها لكنها لم تخطئه.. فرمته لتفتح له بصواريخها باباً للجنان بإذن الله.

والتحم الفريقان.. وقَتل من العُلوج نحوَ ١٥ قتيلاً.. وبَقِيَتْ جُثَث ٣ منهم مُلْقاةً إلى الغد.. ثم سُحبت إلى قَليْبِ جهنم وبئس المصير..

وتكررت هذه الصور في سائر مداخل المدينة؛ أرتالٌ تتقدم ومجاهدون يرْتَدُون لأْمَةَ الموت، ويقْتَحمون غَمَرات الحروب يَذُودُون عن الأمة ويرْسُمُون بنيران أسلحتِهم فجرَ الإسلام الباسم.

أثناء هذا كنت أتجول برِفقَة أبي مجاهد على الثغور نَطْمَئِنّ على وضع الإخوة ونسأل عن احتياجاتهم.. وكان الناس في الشوارع يتساءلون ويتَسَقَّطون الأخبار حيارى لا يُدْرِكون

[١] العَجَاج الغبار والدخان أيضاً.



ولا يَدْرُون ماذا يصنعون.. وإن كان غالبُ الناس بحمد الله فَرْحى مستبشِرين بإخوة السلاح والجهاد يَدْعُون للمجاهدين بالثبات والظفَر..

وكان الموقف –حقيقةً– صعباً وما زالت الكثرة الصامتة لم تَحْسِم أمرها ولم تُحِطْ بَعْد بأبعاد المعركة وما زالت الثغور تعاني نقصاً شديداً قياساً إلى ضخامة المعركة المُسْتَعِرة..

هذا الموقف المأزوم حملني على الخروج عن طوري وكشفت اللثام وسَفَرْتُ الوجه ورجعتُ أَسْتَصْرِخُ الناس وأدعوهم للحاق بالثغور والأطراف ذَبّاً عن الأعراضِ وحِفْظاً للبَيْضَة وتقويةً لقلوبهم، ومَضَيْتُ في صلاةِ العصر. إلى مسجد الفرقانِ واستأذَنْتُ الإمامَ أنْ أَعِظَ الناس وأُذَكِّرَهم وحَثَّني على ذلك ما له من جرأة وإقدام ودعوة للجهاد فما خَيَّبَ الظن –جزاه الله خيراً– وأَذِنَ لي، وقمتُ بعد الصلاة وحَضَضْتُ الناس وذَكَّرتُهم ورأيتُ منهم حسنَ الاستجابة والإقدام.

وأثناء هذا انسحب الجنود والشرط وانماعوا[١]، وذابوا كما يذوب الملح في الماء..

وليس ذا بغريب فلم يَسْتَعِدُّوا ولم يُعَدُّوا لمثل هذه المهمة.. أعني حماية أهل الإسلام والذودَ عن الأعراض والحُرمات.

لقد كنا نراهم قبلها بفترة وجيزة منتشرين شاهرين أسلحتهم استعراضاً للعَضلات، وإثباتاً للوجود، تماماً كما قال الشاعر:

وإذا خلا الجبانُ بأرض *** طلبَ الطعنَ وحدَه والنِّزَالا

وكنا نمر مستترين وَجِلين مخافةَ الغَدْرِ منهم وأن يُقَدِّموننا قَرابينَ لأسيادهم.

وحين حَميَ الوطيسُ... غابُوا وذابوا.. إلا قليلاً ممن لم تَنْطَمِس فيهم بقايا المروءة والحَمِيَّة فسلَّموا للمجاهدين أسلحَتهم وسياراتهم وانضموا إلى رَكْب العزة والفخار..

---

[١] أي ذابوا واختفوا.



تَضَيَّفَت[1] الشمس للغروب، وآذَنَتْ بالرحيل حمراء، وكأنها تَسبح في أنهار الدم التي بدا دفَّتُها بالسيلان وكأنها تقول وهي تودعنا: على مثل خاتمتي الـمَمْهُورة بالدم القاني فلتكن خاتمتُك أيها المسلم قتلاً في سبيل الله وإهراقاً للدماء من أجله.

وحَدَث ها هنا –قبيل الغروب– أَمْرٌ نُكُر: ساءنا وآلَمَنا.. **فما هو يا تُرى؟**

بينما نحن في تَجْوالنا نُحَرِّضُ الناس ونَسْتَحِثُّهم تَناهى إلى أسماعنا أصواتُ بعض منابر المساجد وهي تنادي في الناس..؟

بالجهاد؟.. لا.. في ماذا إذًا؟

لقد انتُدِب بعضُ أئمة المساجد وكيلاً عن الاحتلال منادياً بحظر التجوال ولزوم المنازل من السابعة ليلا إلى السادسة صباحاً، وكان لهذا النداء وقع الصاعقة..

فبدل نداء الجهاد.. وأن يقال للناس: يا خيل الله اركبي وبالجنة أَبْشِري.. إذا بنا نسمع هذا النداء المتخاذل، فكنتُ كَمَنْ صَكَّه عدوٌّ بقَبْضَة يَدِه في غَفلةٍ منه وعلى حين غِرَّة ففَقَد توازنه ومادت به الأرض، لقد كنا نسمع لهؤلاء دَوِيّاً كعصف الرياح قبل سقوط النظام دعوةً إلى الجهاد وحديثاً عن ذروة السنام.. ثم صَمَت القومُ صَمْتَ أهل القبور حين طُوِيَت صفحة الطاغية البائد.. فلم يَنْبِس أحدٌ منهم –إلا ما شاء الله– بِنْت شَفَةٍ[2] وغاضَ نداء الجهادِ في الأرضِ السابعةِ ورُدِمَتْ آبارُه وعَفَا أَثَرها.. لم يَكْتَفِ هؤلاء بهذا الخذلان، ولم يَشْبَعوا من القعود على الذل والهوان.. حتى رَضُوا لأنفسهم أن يَخْذُلوا الأمة وأن يُتَخَذّلُوها.. في منعطف اللِّوى.. وإلى الله المشتكى.

أصمَّ الشبابُ آذانَهم ومَضَوا في جهادهم فقدْ أَدرَكوا قديماً أن هذا الثالوث (العمائم، والولائم، والهزائم) مضى زمانه وولى أوانُه.. وأنّ دينَ الله ليسَ تفيهقات وشقْشقاتٍ تُجَلْجِلُ بها الحناجرُ على المنابرِ ثم يَنْفَضّ السامر كأنْ لم يكن شيء....

---

[1] تضيَّفَت أي دنت للغروب وقَرُبَت.

[2] أي لم يتكلم أحدهم بكلمة.



وثبت المجاهدون مرابطين وهم يرددون: إن كنت إمامي فكن أمامي.

أَسْدَلَ الليلُ غِلالَه[١] وهدأت الحركة... ورابط الإخوة في ثغورهم وأصابعهم على الزناد... نام بعض الإخوة من فَرْطِ التَّعَب والإرهاق وتحامَلَ آخرون يُراوحون بين أرجلهم وجباهِهم يتَضَرَّعون بانكسارٍ للواحد الجبار يسألونه العون والسداد والتثبيت.

لقد كنا نشعر بكل جوانِحنا أنه ليس لنا حول ولا طَوْل ولا قوة إلا بالله سبحانه وتعالى فهو وحدَه الغَوْثُ والعونُ في هذه المحنةِ العَبوس.

[١] أي حلّ الليل.



صباح الثلاثاء ١٦ صفر ١٤٢٥ – الموافق ٢٠٠٤/٤/٦

مع إشراقة الشمس وتَسَلُّلِ أنوار الضياء بَدَأَت محاولةُ اقتحامٍ جديدةٌ من ناحية الجولان وتَصَدّى لها ضَياغِمُ[١] الجولان وصَرّحَ أحدُ مراسلي وَكالة أنباء أجنبية أنه رأى جُثَث عشَرةٍ من الجنود الأمريكان صَرْعَى في شوارع الجولان..

وتَقَهقر الفِئْران وتقدمت الطائراتُ فقَصَفَت، وسَقَط في هذا اليوم نحو عشرين قتيلاً من عامة الناس.

وأعادوا الكرة مرة أخرى.. وانبرى لهم (الحلبوسي) رباح شاكي السلاح[٢]، ورمى بقاذِفَته دبابةً اجترأَتْ فتقَدَّمَت بين يَدَيْ رَتْلٍ طويل.. فضَرَبَها أول مرة فأصاب الجنزير فلم تَتَأَثَّر وتَحَوَّلَت نحوه فاسْتَتَار وأَلْقَم القاذفةَ صاروخاً آخرَ وتَهَيَّأ وسَمَّى الله وكبّر، وبرز سريعاً ورمى فأصاب البرجَ فدمره، وكان فوقها نحو ثمانية من الجند تطايرت جُثَثُهم يميناً وشمالاً...

انسحبوا مذعورين لا يَلْوُون على شيء، وأقبلت الطائرات المروحية فتصدى لها أبو حسين الأنصاري، فضرب الأولى فقتل رامي (البكتا) فخّر على وجهه صريعاً..

وأصاب الثانية في المروحة الخلفية فطار دخانها.. وتهاوت بعيداً.

وفي هذا اليوم لَبِسْتُ غيرَ لَبُوسي وتَوَشَّحْتُ بكاميرا أردتُ أن أُصَوِّرَ للأمة بعض صور العز والكرامة وارتقيت سطح بيتٍ في الجولان ومعي أبو الخطاب وثالث لا أذكره يحمل قاذفةً، وأَقْبَلَتْ طائرتا هيلكوبتر فرمى صاحبُنا فأَخْطَأَ..

وتوجَّهَتا من فَوْرِهما نحوَنا وهما تُمشِّطان (بالبكتا)، وتوارى الأخوان في البيت تحت الدرج وبَقِيْتُ وحدي فتواريت في الزاوية وانهمر الرصاص كالطوفان وأنا أَرْقُب وأنظر إلى

---

[١] أي أسود.

[٢] شاكي السلاح أي ذو شوكة وحدّ في سلاحه.



الرماة وهما ينظران إليّ لقربهما ولا أملك إلا الدعاء.. وولّتا سريعاً وتفقدْتُ جسدي فوجدتُني سليماً وعَجِلْتُ إلى الشريط فأعدتُه لأشاهدَ ما حَصَل فلم أجد شيئاً!

فقد كانت الشمس مواجِهَة –وقت الظهيرة– أدركتُ عند ذلك أني خُلِقْتُ لغير هذا فألقيت الكاميرا وتوشّحتُ سلاحي من جديد.

وفي حي (النَّزّال) تَقَدَّم الأمريكان فأَوْغَلوا ودنَوا من مجد عبد العزيز السامرائي وانبْرَت لهم مجموعتا أبي عائشةَ وأبي هاجر.. وتقدموا الهوينى في الأزقة وكان العدو قد تقدم من ثلاثة أفرعٍ.. وفي زاويةِ داخل الحيِّ تواجَه الطرفان، وغمز أبو حفص بندقيته فزغردت تَعْزِف لَحْنَ الموتِ وقُتل نحو ٣ أمريكيين... وتقدم الإخوة مكبرين واقتحم أبو حفص فأُصيب في رجله، ولْنَدَعْه يحدثْنا:

يقول –شَفاه الله–: أُصِبْتُ برجلي في منتصف الشارع وخُيِّلَ إليَّ حين سَقَطْتُ أنّ يداً ما حملتني وقذفت بي إلى الزاوية الأخرى مستتراً بالبناء وتَلَفَّتُّ حولي متعجباً لا أدري كيف حصل ما حصل؟ وأُفرِدتُ في الزاوية والتفَتُّ فوجدت البندقية في وسط الشارع.. وتقدم أبو عائشة محاولاً إخلائي فأصيب برصاصة خرقت بطنه وخرجت من ظهره فسقط إلى جواري، وتقدم أخ أنصاري فلوجي فأصيب، وتأزم الموقف.

وأقبل الأخ أحمد الأنصاري من الفلوجة فاقتحم بسيارته حتى انتهى إلينا وحَمَلَنا في السيارة، وتَراكَبْنا فوق بعضنا بغير انتظام، وكانت رجلي السليمة بين رأسه والنافذة فانطلق يُغِذُّ[1] السير مسرعاً، وأَطْلَق قنّاصٌ صَلْيَةً أصابت إحدى طلقاتِها رجلي فأصيبت فاديةً رأس أخينا أحمد بحمد الله..

نُقل أبو حفص على إثر ذلك إلى بغداد، وفَقَدَ الميدانُ أحدَ شجعانِ الدنيا، أبو حفص، وما أدراك ما أبو حفص؟

[1] أَغَذَّ أي أسرع.



أحاط بهم الشرط في بغداد وكانوا ثلاثةً في مهمة استطلاعية واكتشفوا أنهم عرب وليسوا عراقيين، وأرادوا أن يسوقوهم إلى المعتقل فانقَضّ أبو حفص على أحد الشرط، وسَلَبَه بندقيته، وقَذَفَ به إلى الجحيم وغطّى على إخوانه وانْسَحَبُوا جميعاً سالمين.

كان الأخ أبو محمد اللبناني يقول له: أظنك يا أبا حفص ستُقْتَل سريعاً، ثم رأى أبو حفص أنه وأبا محمدٍ في بيتِ الـمَقْدِسِ وأن أبا محمد أَمَرَه أن يقوم مُؤَذِّناً.. فكانت بِشارَةَ خيرٍ إن شاء الله.

ونُقِل كذلك أبو عائشة أحدُ الآسادِ، وَقُورٌ متواضع يُحبه كل من خالطه حتى أن بعض الإخوة الأنصار في بعض المدن كانوا يُلحُّون في إرساله أميراً عليهم.

وأحيط بالأخوين أبي الخير الأردني وأبي هريرةَ السوري، فقُتل أبو هريرةَ ومَثّل به الأعداء واعتُقل أبو الخير، ومشّط أبو الزبير –من الجزيرة– محاولاً فتح ثغرة لإنقاذهما، ولكنْ سَبَقَ السيفُ العَذَلَ... قُتل أبو هريرة صائماً وفاحت منه رائحة المسك.. رحمهم الله جميعاً.

هَدَأَت الحرب المَوّارة[١] في حي (نَزّال) مع حلول الظلام.

وكنتُ قد عَزَمْتُ على أمرين في الليلة الماضية فلما كان بعد الظهر مضيتُ إلى مسجد الفرقان وأمسكتُ (الميكرفون) وجعلتُ أصرخ وأنادي بكل ما أوتيت من قوة: **حي على الجهاد.. يا خيل الله اركبي وبالجنة أبشري..**

لقد كنتُ أَشْعُر من أعماق قلبي أن ما جرى بالأمس من بعض الأئمة عارٌ لا يَمْسَحه إلا أن تَعود المنابر تَصرخ مرة أخرى بنداء الحق ودعوة الجهاد..

وتناهى إلى أسماعنا أن هيئة علماء المسلمين وَجَّهَت نداءاتِ الاستغاثة إلى أحرار العالم وإلى الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية.. للتدخل لإنهاء الأزمة وإنقاذ الناس.

كما وطالبت الناس بالخروج في مظاهرات سلمية!!

---

[١] مارَ يَمُورُ مَوراً إذا جعل يَذْهَبُ ويجيء ويَتَرَدّد، والمراد هنا أنها حرب شديدة.



وانتَبهْ أخي القارئ الكريم إلى هذا القيد –سِلْمِيَّة– فإنه مهم جداً.. حتى لا يَتَوَهَّمَ مُتَوَهِّمٌ أن هيئة العلماء جماعة متطرفة وتؤمن بالعنف، وحتى لا تُسَوّل لأحدٍ نفسه أن يَحْمِلَ معه خنْجَراً أو سكيناً يُخَوِّف به الجنود الأمريكيين الطيبين..

• أثناء هذا أرسل إلينا الشيخ أبو مصعب الزرقاوي –حَفِظَه الله– يَسْتَشيرنا في المجيء ليشارك بنفسه مع الشباب ويُلحُّ في هذا وبقوة، وكان رأي جميع الإخوة الكبار ألا يفعل، وسألناه بالله وأقسمنا عليه ألا يَفْعَل ضَنًّا به وحفاظاً عليه.... وحتى لا تتوحش أمريكا أكثر وأكثر إذا تَسَرَّب خبر وجوده في ساحة الفلوجة..

ولكننا كنا معه على اتصالٍ يوميّ، وكان رسوله في ذلك البطل الزاجل أبو عبد الرحمن من الجزيرة ناحية الرمادي..

كان يغدو ويروح كل يوم بالبلم (الزورق) تارةً وسباحةً أخرى والرصاص فوق رأسه، وكان لنا نِعْمَ الرديفُ والمعين، فبالإضافة إلى نقل الرسائل تولى نقل كميات من السلاح والإشراف على عبور كثير من الإخوة.

بَقِيَتِ الثغور مشتعلة.. وصرَّحَ أحدُ الضباط قائلاً: لقد كانوا ينتظروننا.. وصدق وهو الكذوب.

حين حل الظلام.. تفرق الأُسْد في الآجام[1] –إلا من كان عنده نوبةُ حراسة– وأَوَيْتُ إلى بيت أحد الإخوة ونمت نحو الساعة ١٢ ليلاً.. ولم أَهْنأ بنومي فقد بقي الضجيج والقصف..

وفي نحو الثالثة شَعَرْنا كأنَّ اخْتِراقاً حَصَلَ فقد كانَ صوتُ المدرعات قريباً جداً فقمنا سريعاً وتوضأت وصليت ركعتين مُوَدّعاً ولَبِسْنا لأْمَة الحربِ، وانطلقنا وتقدمنا في الأَزِقَّة

---

[1] الأجمة الشجر الكثير الملتف، والآجام أحد جموع كلمة (أجمة).



والفـروع.. فلم نجد رَوْعـاً، وكـان الإخـوة قـد ردوهم على أعقـابهم، وهالَنـا منظـر الـدمار، والجثثُ ملقاةٌ أرضاً هنا وهناك بسبب القصف الشديد.

ورابَطْنا نحرس في برد شديد وكنتُ متخففاً من الثياب وبقيت أرتجف وتصطك أسناني، حتى ربما خُيّل لمن يراني أني أرتجف خوفاً وذعراً.. وليس كذلك –علم الله–.

صلينا الفجر فرادى كلٌّ في زقاقه حتى إذا طلع الصباح وبرز جبين المصباح تقدمنا إلى الخطوط الأولى ولَقِيْنا هناك قائد الجولان أبا خطاب الحَطّاب... ومَضينا نُغِذُّ الخُطَى[١] إلى ثغـور الإخـوة، واجـترأْتُ– على غـير عـادتي – فـأوغَلْتُ وحيـداً حـتى انتهيتُ إلى مدرسـة الخليج، أَطْلَلْتُ برأسي فلَمَحْتُ عَدداً من القَنّاصة فوقَ بيتٍ مجاور، وكان بيني وبينهم نحو (١٠٠ م) فَرَمَيْتُهم بالكلاشن فلم أُغْنِ فَتيلاً.... فتَوارَيْتُ وتَسَوّرْتُ سورَ بيتٍ قريبٍ منهم ورَقِيْت السطحَ وقد تَضايَقَتِ المسافةَ إلى نحو من (٤٠م) ورَمَيْتُهم فخَتَلوا[٢]..

وهنا بدا لي رأيٌ.. فتراجعتُ وناديتُ أحد الإخوة الأنصار فجاء بقاذفته وقد أَلْقَمَها صاروخاً مضاداً للأشخاص.. واتّفَقْنا أن أَرْمِيَهم لأُشاغِلَهم حتى يَرْمِيَهم هو بالقاذفة.

ورَقِيْنا السطح وسَمَّيْنا وبَرَزْتُ فرَمَيْتُ.. وانهال عليّ الرصاص من كل جانب فرجعت إلى الـوراء خطـوة وبـدأ صـاحبي فسـمّى ورمى، وكنت حينَها قـد صِرْتُ وراءه، وجـاء عصـف القاذفة في أذني فخُرِقَت[٣] طَبْلَتها وشَعَرْتُ وكأنَّ العصافير تُزَقْزِق حول رأسي.. حَمِدْتُ الله كثيراً أن ذلك لم يكن عَصْفَ نارٍ كما هو المعتاد.. وذلك فضلُ الله علينا.

أَفَقْتُ من هَـوْلِ الصـدمة وطَرَدْتُ العصـافيرَ عـني ونَزَلْتُ أنا وصـاحبي، وكـانَ الـرمي قـد اشْتَدَّ علينا جـداً.. ورَكِبْتُ رأسي واستَعَرْتُ العِنـاد –ولسـتُ بعنيـدٍ في العـادة– ورَقِيْت بيتـاً مواجهاً لهم ولم يكن يفصلني عنهم إلا الشارع وبيت واحـد.. وكـان معي قنبلة يدوية فرميت

---

١ أي أسرعنا.

٢ ختله أي خدعه عن غفلة، والمراد أنه لم يُصَب واستطاع تفاديها.

٣ أي خُرقت... يقصد أن الصوت كان عالياً جداً.



بها عليهم وانتظرتُ الصوت فلم أسمع شيئاً فقد كان الصاعق عراقياً فلم ينفجر، والله المستعان.

فنزلتُ وتقدمت أقصِدُ زاويةَ الفَرْعِ المُواجِهة لهم مباشرة وأُفاجَأُ بـ(الهمر) تَعْلوه (البكتا) قد وَلَجَ الفَرْعَ وتقدم وصرتُ معه وجهاً لوجه.. كانت لحظات عصيبةً.. وتقهقرت إلى الوراء واستندت بظهري فانفتح البابُ خلفي وكدتُ أسقط فسلمني الله –لكنني فقدتُ نعلي– ودخلتُ البيت ورَمَوا البيت برصاصهم وأنا أشعر أنه سينهدم ويسقط لقد (ملخوه) كما يقول إخواننا هنا، ورَبَضْتُ مكاني ولم يكن معي إلا بندقية كلاشنكوف بمخزنين مضمومين إلى بعضهما، وكنت قد فرّغت مخزناً ونصفًا، وكان معي في ثوبي عدد من الرصاص فجعلت أملأ المخزن وأنتظر العاقبة..

لا أدري.. لكنني كنتُ أشعر حقيقة أن أجلي لم يَحن وأن رحلتي في الحياة لم تُؤذِن بانقضاء..

رمى الأوغاد.. ثم انسحبوا مُؤْثِرين السلامة..

وتَسَوَّرْتُ الجُدرانَ من بيتٍ إلى بيتٍ ثم خَرَجْتُ أمشي راجعاً وأنا أشعر بالإعياء، وطَنينُ أُذُني لا يَهْدَأ فلَقِيْتُ أبا خطاب وكان يَصْرُخ باحثاً عني.. فلما أَبْصَرَني صَرَخَ بأعلى صوته: أبا أنس....

وقلت له مداعباً: أبا خطاب جَهِّزْ لي سَرِيَّة حتى أسترد نعلي... وتضاحكنا.

هذه النعل لها قصة طريفة وذلك أنها كانت قد بَلِيَتْ واهْتَرَأت وكان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي يُلحُّ عليّ أن أستحدث أخرى وأنا أسوّف وأقول له: هذه النعل عزيزة عليّ فقد أهدانيها أخٌ عزيز من المدينة النبوية فلا أفرط فيها.

وكان يمازحني ويقول: لا أدري كيف يقاتل مجاهدٌ بمثل هذا النعل..؟



وكَتبْتُ في ذلك اليوم إلى الشيخ أبي مصعب الزرقاوي أُبَشِّره بأن أمُنيتّه قد تحققت وحيل بيني وبين نعلي..

..**أردت أن أقول أيها القراء:** إننا بحمد الله مع فَداحَة الخطر وشدة المحنة فقد كنا نعيش طمأنينةً وسكينة بهمم عَلِيَّة وفي عِيْشَة هَنِيَّة، ومع قصف الرعود فقد كنا نتمازح ونضحك كأننا بين ظَهْرانَيَ أهلنا آمنين، وذلك فضلُ الله علينا.



يوم الأربعاء ١٧ صفر ١٤٢٥ هـ - الموافق ٧/٤/٢٠٠٤م

ابتدأ هذا اليوم بقصف وَحْشِيّ عنيفٍ للمساكن، وتلك أخلاقُ الجبناء حين يَصْطَدِمون بصخرةِ الصمود فيتطاولون على العُزّلِ شفاءً لنفوسهم المريضة وانتقاماً لكرامتهم المسحوقة.

وأثناء هذا بدأت دائرة المعركة تتمدد خارج الفلوجة، وتَطايرَ شَرَر الحرب، وعمّ هَيبُ المعركة البلاد طولاً وعرضاً، وهاج أهل السنة وانكشف المعدن الأصيل لأهل الإسلام في العراق، وانكسر حاجز الخوف، وتجرأ الصقور فتَخَطَّفوا العدو، ومادت الأرض تحت أرجلِ الاحتلال وتَرَنَّح ينتظر الضربة القاضية..

لقد حَدَّثَنا الإخوةُ بعد ذلك كيف أن الطريق السريعةَ بين الفلوجة وبغدادَ كانت تَغْصُّ بآليات العدو المحترقة في منظرٍ يعود بالذاكرة إلى أيام سقوط النظام البائد والتدمير الشديد على طول الطرق لآلياته ومعداته.

في هذا اليوم أماط موقع (سكاي نيوز) الشام عن أن ما يقرب من (١٣٠) جندياً أمريكياً قُتِلوا في مواجهات الأمس في الرمادي..

في هذه الأيام المعضلة برز المذيع المشهور (أحمد منصور) كأحد اللاعبين الكبار في هذه المعركة فتقاريره كانت قذائفَ تَقصفُ أركان الدعاية الإعلامية الأمريكية..

وأثبت بفِعاله وثباته أن الكلمة الحرة الصادقة تَعْدِلِ ألف سيف ولعل ذلك بعض إيحاء قول المصطفى ﷺ: "أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ"[١].

ليس مثلي من يتحدث عن (أحمد منصور) فقد مَلأ سَمْعَ العالَمَ وبصرَه.. لكني أردت أن أنبه إلى حقيقةٍ كان ينبغي أن تكون جليةً واضحةً لكن يا لَلأسَف فقد علاها كثيرٌ من الغبار وتراب الباطل..

---

[١] رواه أبو داود وابن ماجه (صحيح).



الحقيقـة هي أن الإعلامي المسـلم ينبغي أن يَنحـاز إلى أمتـه ودينـه.. نعم.. الإنصـاف شـعاره ولكنّ الإنصـاف شـيءٌ غير الحيـاد.. فالحيـاد في الحيـاة لا مكـان لـه، بـل إمـا إلى فُسطاط الحق وإما إلى أودية الضلال والباطل.

تتابعت الأحداث وسُطّرت بطولاتٌ يَعبقُ التاريخُ بأريجها، وتتسامى بها الفلوجة على الورى، ومِن ذلك أن قصفاً صُبّ على الجولان ليلةَ الجمعة فجَنْدَل بعضَ الأبطالِ منهم أبو عمر الحلبوسي –رحمه الله–، وتقدم إليه أخوه فوجده وقد استأثرت بروحه الحور –إن شاء الله– وإلى جواره مهاجر سوري أصيب بجراحات بالغة، فعمد إليه فحمله وانطلق به سِراعاً إلى المستشفى يرجو إسعافه وترك أخاه الشقيقَ مطروحاً في وسط الطريق.. وتلك لَعَمْرُ الله أخلاق النبلاء[1].

وتَقَـدَّم أبـو قتيبـة – من الرمـادي – وقـد تَوَشَّـح بحزامٍ ناسـفٍ في حي (نَزّال) وتَعَـرَّض لراجِلَةٍ[2] أرادت التسلل فانطلق إليهم وقد حجز لهم تذاكر سفر مؤَكَّدَة إلى جهنم فقَدَّمهم بين يديه فداءً وقرباناً..

وأُسْقِطَ في يد[3] البقية فوَلَّوا كحُمُرٍ مُسْتَنْفِرة فَرَّتْ من قَسْوَرة[4].

مـادت الأرض تحت أقـدام الأمريكـان وسـاوَرَهم فَزَعٌ وجَـزَعٌ، وبَـدَتْ أمريكـا كمصـارع ذَهَبَتْ مُنَّتُه[5]، وخارت قواه فهو ينتظر الضَّرْبَة القاضية، أو كجريح يتَشَحَّطُ في دمه ينتظر رصاصة الرحمة.

لقد حدثنا الإخوة بعد ذلك أنهم كانوا في بغداد يخرجون في المساء في رحلة صيد للبقر الأمريكي فيطوفون المدينة فلا يجدون لهم حِسّا ولا أثراً.. كأنْ لم يكونوا.

---

[1] لو كان أخوه أحق من الثاني لوجب عليه إعانته قيلاً، والشيخ هنا أراد لفتة نظر ليس إلا.

[2] الراجل من الجنود هو الراكب، بخلاف الماشي على رجليه.

[3] أُسقط في يده أي ندم، وكأن الشيخ أراد هنا أنهم فشلوا.

[4] (القسورة) من أسماء الأسد.

[5] المنَّة بضم الميم القوة.



وأَعْجَبُ من هذا ما حدّث به الثقات من جهاتٍ متعددة أن حراس سجن أبي غريب (سُبّةِ التاريخ وعار الأبد) تَقَطَّعت بهم الأسباب فنفِدَ الوَقود حتى بَرَكَت سياراتُهم في ساحات السجن من العطش.

وحَمَلَهم الفَرَق[1] فجاؤوا مُتَسَوِّلين سلامتَهم، وقالوا للمساجين: تعالَوا إلى خُطّة رُشْد فلا نقاتلكم ولا تقاتلوننا على أنْ نُسَلِّمَكم أسلحتنا إذا دُوهم السجن مقابلَ تَعَهُّدِكم بسلامتنا.. وهم يَرْتَجِفُون هَلَعاً كورقةٍ في ليلة عاصفة تتَلَعَّب بها الريح.

تهاوت أسطورة الأمريكان، واجترأ عليهم كل شجاع وجَبان وباختصار (لقد مُسح بها البلاط).

أُسْقِطَ في يد أمريكا، ووَقَعَت في حَيْصَ بَيْصَ[2]، وتَلَفَّتَتْ تَبحث في أوراقها المدَّخرة فهداها شيطانها إلى (الجوكر) الذي طالما خبأَتْه لمثل هذا المأزق فَرَمَتْ به على الطاولة فقَلَبَتْها، وابتدأ فصل جديد من المعركة.

أتدري أخي المسلم من هو الجوكر: إنه -وباختصار- الحزب الإسلامي أو الحزب السينمائي كما يحلو لبعض الإخوة أن يُسميَهم[3].

لقد بدا أن مَرْكَب الإدارة الأمريكية قد غَرِق في لُجّة الجهاد وبحره المتلاطم، وكان مقتضى العقل السليم ومنطق السياسة المعيشية الصائبةِ فضلاً عن الواجب الشرعي والبَدَهِيَّة العَقَدِيَّة أن يُبادر الحزبُ بالقفز عن هذا المركب والانحياز إلى صف الأمة أو على الأقل الوقوف على الحياد[4].

---

[1] الفَرَق هو الخوف.

[2] وقعوا في حيص بيص أي في ضيقٍ وشدة.

[3] **تعليق أبي أنس**: وذلك أنهم اتخذوا مقرهم في موقع السينما سابقاً.

[4] سبق من الشيخ أن الحياد لا مكان له، فقصده هنا والله أعلم أنه إن لم تكونوا مع الحق فعل الأقل لا تكونوا مع الباطل، مع أن الأصل أن يكون الرجل مع الحق.



لكنهم أَبَـوا إلا أن يَظَلُّـوا على الإخلاص والـولاء لسـيد مجلســهم (مجلس الحكم)، ووَليّ نعمتهم الذي أغدق عليهم بوافر الكرم فاجتباهم واصطفاهم ليكونوا جنداً له وأعواناً، وهذا فضلٌ لا يُنْكَر ونعمةٌ لا تُكْفَر، ونحن –بني يَعْرُب– تَعَوَّدْنا أن نحفظ الأيادي البيضاء وأنّ مَن طَوَّقَنا بأفضاله كنا له عبيدا...

على أية حال الحديث عن الدوافع والنيات ليس من شأننا فلندعه جانباً، فالذي يهمنا هنا هو أن الحزب الإسلامي دَقّ صدرَه وتَقَحَّم حقل الأشواك مُنْقِذاً ومسعفاً وهو يروم نزع فتيل أزمةٍ كادت تُطيح بالمعادلة السياسية والعسكرية كلها.....

أقبلَ هؤلاء في صورة الشفوق الحاني والأمِّ الرؤوم وهم يَسُحُّون دموع التماسيح لا على أهل الفلوجة بل على عَبَدَة المسيح...

ولقد نَقَلت شركة (فرست هيد لاينز) في يوم الجمعة ١٩/ صفر/١٤٢٥ هجرية عن (بريمر) تصريحه بأنه يَرغب في عَقد اجتماع بين أعضاء مجلس الحكم والقيادات الإسلامية لإيقاف ثورة الفلوجة، وهو الذي كان يتهدد من قبل ويتوعد بالعقوبة الشاملة والانتقام العنيف..

ندري بحقيقة الموقف العسكري خارج الفلوجة وبدا لنا أن ما حصّلناه من نصر وكَسر لأنف أمريكا يَكفينا في هذه المرحلة؛ فما حصل إنجازٌ ضخم بمقتضى المقاييس العسكرية.

وفي هذا الوقتِ وإتماماً لدائرةِ المكر خرجَ متحدثٌ في الفضائياتِ وتكنى بأبي مجاهد وزعم أنه قائد الجولان وهو من المقاومة الإسلامية الوطنية[١] وأنه يوافق على الهدنة وأنه يمثّل قطاعاً كبيراً من المجاهدين..!!!

---

١ **تعليق أبي أنس**: ثنائية لا تجتمع إلا في أحلام وعقول العصافير.



وأنا أُقسم بالذي رفع السماء بغير عَمَد أنّ هذا كذب.. لقد كان صاحبُنا قائدَ مجموعة صغيرة عددها نحو (١٥) شخصاً يَقفون عند القائمقامية (مركز المدينة) يَحمِلون صورة أحمد ياسين.

وللإنصاف فقد شارك عدد يسير منهم في منطقة حي (نزّال) لكنهم لم يَلْبَثوا أن انسحبوا سريعاً.

وقد عاتبه الإخوة ووبّخوه بعد الأحداث فاعتذر عما بَدَرَ.... ولكن ويا للأسف استمر هؤلاء بالتشبع بما لم يُعْطَوا؛ فضربة (جون أبي زيد) لهم[١]، ومطار المثنى.. إلخ.. وإلى الله المشتكى.

واستغلّ هؤلاء هذا الخطأَ وطَافَتْ وُفُودهم في جَوْلات مكوكية على الجاميع المجاهدة خارج الفلوجة يُقْسِمون عليهم أيماناً مُغَلَّظة أن يَكُفُّوا أيديَهم وأن يُمْسِكوا عن القتال، ويَفْتَرُون كذباً على لسان أهل الفلوجة بأن هذا مطلبهم..

وطافت بعض عمائم الشر والهزيمة بدعوى السوء نفسها:

أرى الإعلامَ يَنْفُخ في أُناسٍ *** تفوح ثيابهم مكراً وغدراً
عمائمهم تَلُفُّ على انحراف *** تُباع بها مبادِئهم وتُشرى
فيا إخوانَنا صبراً جميلاً *** فإن لكم مع العسرين يسرا

وكَذَبَ هؤلاءِ على لسانِ الشيخ الفاضل عبد الله الجنابي[٢]، وافتَرَوا عليه وزعموا أن ذلك رأيُ الشيخ.

---

[١] يعني أنهم نسبوها لهم، وادَّعَوا أنهم هم من نفَّذها.

[٢] **تعليق أبي أنس**: الشيخ عبد الله الجنابي أحدُ وجهاء الفلوجة وعَالمها العامل، وقف مواقف الشجاعة ونطق بالحق يوم خَرِس أكثر الناس، وثبت في ميدان الجهاد إلى آخر لحظة، وهو وإن كان متصوفاً في الجملةِ لكنَّ التصوف بحمد الله لم يخرّب عقله، ولم يُفْسد فطرته، فكان له مواقف مشرّفة وثبت ثباتَ الشُّمِّ الرواسي فنسأل الله أن يجزِيَه عن الإسلام وأهله خير الجزاء.



خَفَتَ هديرُ الحربِ وسَكَنَ لهيبها، ووَجَمَ الأبطالُ، والْتَبَس عليهم الأمر، ولم يَدْروا ماذا يَصنعون، واغْتَنَمَتْ أمريكا الفُرصة فالتَقَطَتْ أنفاسَها، وأغاثَتْ جُنودها وأعادَتِ انتشارَها وتَمَرْكَزَتْ على طُول الطريق، وتَحَصَّنَت في نقاطٍ أمنيةٍ مَنِيعَة..

بدا أن ما حصل كان فَخّا تعاون الحزبُ مع الأمريكان على نَسْجِه ووَقَعْنا فيه.. ونَدِمْنا ولاتَ ساعةَ مَنْدَم.

نَدِمْتُ ندامةً لو أن نفسي *** تطاوعني إذاً لبَتَرْتُ خَمسِي[1]

نَدِمْتُ ندامةَ الكُسَعِيِّ لما *** رأت عيناه ما صَنَعت يداه[2]

حاولنا بعد ذلك جاهدين أن نعيد الأمر جَذعًا[3] كما كان، وأَرْسَلْنا نداءاتِ استغاثةٍ وصيْحاتِ الاسْتِنْجادِ لكنّها ذَهَبَتْ أَدْراجَ الرِّياح، واصْطَدَمَتْ بعَزْمٍ قد تَفارَطَ، وهمةٍ قد انْتَقَضَتْ.

---

١ أي الأصابع الخمس.

٢ الكُسَعيُّ: اسمه مُحارِب بن قَيْس من بَني كُسَيْعة أو بَنِي الكُسَع بَطْن من خميَر يُضْرَب به المَثَل في النَّدامةِ.

٣ الجذع الصغير السن، والمراد هنا أننا وددنا لو يرجع الزمان إلى الوراء فلا نقع في ما وقعنا فيه.



في هذا اليوم الخميس ١٨ صفر ١٤٢٥هـ - ٨/٤/٢٠٠٤م

أرسل إلي بطل الفلوجة وعالمها العامل الشيخ الشاب عمر عبد الجبار يسألني المرورَ عليهم والتعريج بهم، ففعلت.

كان يبدو في ذلك اليوم مُرْهقًا كسيرَ القلب؛ فها هو لليوم الرابع مرابطٌ مجاهد لم يُفْضِ بجنبه إلى فراشٍ ولم يَنَلْ من الراحة إلا خَفَقَاتٍ على عَجَلٍ ووَجَل، كما واستشهد بالقصف وأثناء القتال عددٌ من أركان حربه وإخوان دربه.

كانت الوجوه شاحبةً والأنفسُ مُرْهَقَةً والأرواحُ مَكْدُودَةً.

بادَرَني أبو حفص عمر يسألني أن أقوم في الشباب واعظاً ومُحَرِّضاً.

شعرت بحَرَج[1] الموقف وخطورة الوضع فانْتدبْتُ[2] فيهم خطيبًا بما فتح الله علي، وشعرتُ سريعًا أن وجه الشيخ عمر قد أشرق، وبرَقَتْ أساريرُه وتفَجَّرَ العَزمُ منه مَوَّارًا من جديد.

وَدَعتُه وبودِي لو يُوَدعُني *** صفوُ الحياةِ وأني لا أودَّعُه

داخَلَني شعورٌ غريبٌ، وأنا أُعانقُه مودَّعًا، كنتُ أشعر –حقيقة– أنه الوداع الأخير. لقد رأيتُ في وجهِه بريقًا ولَمعاناً سماويًّا يَشيْ[3] بأن الرجل لم يَعُدْ من أهل الأرض وأن السماء قد أبرقت له تدعوه للقدوم، ويوشك أن يجيب.

كنت بعدَها أسألُ عنه كلَّ غادٍ ورائح إذا سمعتُ جَلَبَةً من نحو حي الضباط حيث كان يرابط أبو حفص، وكيف هو؟ حتى جاء الخبر الفاجع.

في هذه الليلة صلى بهم ثم دعا وأطال الدعاء وبكى وأبكى ثم الْتَفَتَ إلى إخوانه كالمَوَدِّع وقال لهم مُوصِيًا:

---

[1] حِراج الظلماء ما كَثُفَ والْتفَّ، والمراد صعوبة الموقف.

[2] أي دُعيتُ فأجبتُ.

[3] وشى به إلى السلطان أي سعى به، والمراد هنا أنها تُخبر.



أقيموا الحدود في الفلوجة، وأنْفِذوا فيها حكم الله.

انطَلَقَ كمَارِدٍ[١] حَطَّمَ قيودَه والأغلالَ التي رَسَفَ فيها زمانًا، وأَقْبَلَ هو وإخوانُه بِجِدٍّ يَقصفون الأمريكان بالهاون، وتَمادَوا في هذا الأمرِ وأَغْفَلوا احتياطاتِ الأمن، ولم يَرُعْهُم إلا الطائراتُ تُحَلِّق فوقهم وترسِلُ لهم مفاتيحَ الجِنانِ قصْفًا عنيفًا فتَحَ لهم رَوْزَنَةً[٢] إلى الآخرة فمَضَوْا في قوافل الشهداء.

أَحْدَثَ استشهادُ أبي حفص، -نحسبه والله حسيبه-، مع نحو أربعة من إخوانِه ثُلما كبيراً في جدار التحصين وفي نقطةٍ حَسّاسةٍ وخَطرة، وذلك أن الأمريكانَ كانوا قد سيطروا على حيِّ الصناعةِ واسْتَمْكَنوا من الشارع الرئيسِ الواصلِ إلى القائمقامية في عُمْقِ المدينة، وكان حي الضباط هو خطَّ الدفاع الأول في صدهم وردهم ومنعِ تَوَغُّلهم.

أبو حفص بطل السيف والقلم، خطيبٌ مِصْقَع[٣]، فارعُ الطول، يسطو عليك بهيبة تُرَوِّعُك لأولِ وَهْلَةٍ، لتَكْشِفَ لك من بعدُ عن نفس حانية وروح فَكِهَةٍ وصفاءِ طَوِيَّة.

عَرَفْتُهُ وخالطتُه عن قريب بعدَ أن أَبْرَقَ طالبًا أن يُبايع الشيخ وأن يلتحق بالرَّكْب ولكنه سرعانَ ما تَرَقّى في مدارج القلب واستولى على النفس والحب... فبدا لي أني أعرفه منذ دهور.

"وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ" رواه مسلم عن أبي هريرة والبخاري عن عائشة.

كان قَوالاً بالحقِّ مُجاهِرًا بالدعوةِ إلى منهج السلف لا يَنِي[٤] عن محاربة الشرك والبدع حتى صار شَجًى في حلوق المبتدعة فأورَثَ قلوبَهم حَمْرَةً وفضَحَ عُوارَهم وكَشَفَ باطلهم..

---

١ التشبيه في العربية لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه، وقد وردت أحاديث شُبِّه فيها الفاعل بالشيطان مع أن المُشَبَّه ليس شيطاناً حقيقياً، فهذا الأسلوب لا غبار عليه.

٢ الرَّوزَنة الكُوَّة.

٣ خطيب مصقع أي بليغ.

٤ ونى يني أي ضعُف وفتر.



فشَنُّوا علية الغارة سرًّا وجهارًا، حتى أفتى بعض أئمة الضلال بحرمة الصلاة خَلْفَه ورَمَوْه عن قوسٍ واحدةٍ فلم يَضْعُفْ ولم يُغَيِّرْ ومَضى ثابِتَ الخَطْوِ إلى القدر المحتوم.

فرحمة الله عليك أبا حفص، فشهادةٌ لله أنا أحببناك في الله، ونسألُ اللهَ أن يَجمعنا بك في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُنَ أولئكَ رفيقًا.

وأَنْعِمْ عَيْنًا فلن يَهْدَأ لنا بال ولن يَقرَّ لنا قَرار حتى نُطَبِّقَ الشرع الحنيف لا في الفلوجة فقط ولا في العراق فحسبُ، وإنما على ربوع كوكبنا الأرضي كله بإذن الله.

استلم الرايةَ من بعده الأخ الفاضل أبو فاطمة وأَثبت أنه خيرُ خَلَفٍ لخيرِ سَلَفٍ فَجَدّ واجتهد وحَفَّز الإخوة ولَمْلَمَ الجراح واستأنف المسير.

أبو فاطمةَ رجلٌ طُوالٌ مِغْوار[1]، جاءَه خبرُ مقتل أبيه، فترَحّم عليه وثبتَ في موقِعه مجاهدًا ولم يَدَعْ ثَغْرَه ومَضى يُجاهد لا يَلْوي على شيء.

كان حيُّ الضباط مَسْرحًا لمعاركَ شَرِسَةٍ، وكان فيه عددٌ من الإخوة السوريين أُصيبَ أكثرهم فسقطوا بين شهيد وجريح.

وأما واسطة عِقْد[2] المجاهدين هناك والرقم الصعب في المعركة فكان الأخَ أبا خالد.

فلقد صبَّ حمم الهاون (٦٠) على رؤوسهم وأصاب منهم مَواجِعَ وأورثَهم فواجِعَ وكان مَيْمونَ النقيبةِ[3] سعيد الحظ، صَحِبه التوفيق الرباني في رَمْيه، {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ}.

---

[1] أي طويل القامة وكثير الإغارة على الأعداء، فهو من الشجعان.

[2] واسطة العِقد هي أفضل أحجار العقد.

[3] ميمون النَّقيبة أي مبارك النفس.



حاول الأمريكان عبر المكر أن يَتَسَلّلوا إلى عَرين الأسود، فتقدمت خلية منهم في سيارة إسعاف وحاولوا الفَتْكَ بالإخوة على حين غِرَّة فانتبه لهم الكُمَاة[١] وأوردوهم حِياض المنِيَّة وأسعفوهم برصاص الموت.

لم تهدأ دائرة الحرب الزَّبُون[٢]، وأصيب عن قريب أبو فاطمة لكنه تَحَامَلَ على نفسه وداسَ أَلَمَ الجِراح وأبى أن يَسْكن أو يَرتاح، ومضى كالرياح مُزَمْجِرًا في نحور أعداء الله ورسوله.

وبعدَ نحو يومين أُصيب مرةً أخرى في قَصْفٍ جَوِّيٍّ عنيفٍ خَرَجَ مَعه مِن مَيدانِ المعركة للعلاج ومعه زميله ونائبه أبو خطاب.

وانقسم الإخوة مجموعتين بقيادة الأخوين أبي خالد وأبي مريم وبمساعدة الأخ أبي محمد وحملوا الراية جميعًا متآزرين متكاتفين إلى نهاية الأحداث، فلله درُّهم.

كانت الأحداث إلى هذا اليوم مُسْتَعِرَةً وأُوارُ المعركةِ ولَهِيْبُهَا مُضْطَرِمًا داخلَ الفلوجة وخارجَها، واستطاع الإخوة في الرمادي أن يُسْقِطُوها في أيديهم ولم يَعُد يُرى فيها أمريكي ولا شرطي أو جندي من المرتدين أحذيةِ الكافرين.

وقاد الأخ أبو مارية المجاميع بجدارة واقتدار، وأشعل بإقدامه فيهم فتيل النشاط والجرأة، ولم يَلْبَثْ أن سَقَط -رحمه الله- صريعًا برصاص رتل أمريكي من ناحية بيته في (البوعبيد) من ضواحي الرمادي رآهم فلم يَستطع الصمتَ وانْتُدِبَ وحده في مواجَهَةِ الرَّتْل فأصلاه بقذيفة (آر بي جي)، وأصابَ منهم، ولكن الكثرة غَلَبَت الشجاعةَ، فتمكنوا منه.

وقد كان فوتُ الموتِ سهلًا فردَّه *** إليه الحِفاظُ والخُلقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنه *** هو الكفر يومَ الرَّوْعِ أو دُونه الكفر
فأَثبَتَ في مستنقع الموتِ رِجْلَه *** وقال لها من تحتِ أَخْمَصِكِ الحشْرُ[٣]

---

١ الكماة جمع كلمة (الكَمِيّ) وهو الشجاع المتغطي بسلاحه.

٢ حرب زَبُون أي تصدِمهم وتدفعهم.

٣ خلاصة معنى الأبيات أنه كان بإمكانه الفرار وتجنب الموت إلا أن حفاظه على الحرمات وخوف العار جعله يقبل على الموت ولا يبالي، والأجر في الآخرة.



فمضى إلى الجنات راحَ مجاهدًا وشهيدًا، نحسبه و الله حسيبه.

أبو مارية –رحمه الله– أحد رجالات العراق أَدبًا وخُلقًا خطيبٌ مُفَوَّهٌ، عَذْبُ الصوت بالقرآن، وكان شيخُنا يَتَحَسّر بعد ذلك ويقول: تمنيت لو سَجَّل لي القرآنَ بصوته.

وقد أَقَرَّه على الإخوة في منطقة الرمادي فكان نِعْمَ الأمير، قُتل فكأنما فُصل الرأس فخمد الجسد، وخارت همة الإخوة هناك وخَبا فيهم الحماس، وإلى الله المُشتكى[١].

وها هنا ملاحظة عجيبة في هذا الجزء الكريم من أرض الإسلام، لقد وجدنا بالاستقراء أن أكثر أمراء المجاميع إنما هم أئمة وخطباء وطلبة علم على منهج السلف اشْتَغَلوا بالتدريس وتربية الشباب وجَمْعِهم على العقيدة النقية الصافية، فلمَّا وقعت الحاقة، وقَرَعَتْ قارعةُ الاحتلالِ البلاد، قاموا مع تلامِذَتِهم يتَمَثَّلون الآياتِ والأحاديثَ التي كانت حديثَ مجالِسِهم وسميرَهم في لياليهم.

[١] **تعليق أبي أنس:** ولكن –وبحمد الله– وبعد أن وضعت الحرب أوزارها، أرسل إليهم الشيخُ أميرًا جديدًا فأعاد الحرب جَذَعَة واشتعل وميض النار من بين الرماد، وكان لهم نكايةٌ في العدو وأصابوه بفَواقِرَ في مواقعَ متفرقةٍ ولولا التكتيم الإعلامي لرأى الناس قُرَّةَ العين، وذاقوا بهجة النفوس بجهاد هؤلاء الأبطال، والحمد لله على نِعَمِه.



صناعة قرآنية

هذا هو الفرق بين العقل السني السلفي السُّنَنِي الذي تَشَكَّل في ظلال القرآن وتم تكامله في حدائق السنة الغَنَّاء، فتَعَلَّم أساليب التغيير وإدراكَ سُنَنِ الله في الآفاق في حركة المجتمعات أفرادًا وطوائفَ ودُولاً فمَضى يَشُقُّ طريقَه على نور من الله وبصيرة.

وبين العقول الإسلامية التي نَبَتَتْ ورَعَتْ في أرضٍ فكرية غريبة أو قُلْ هَجِينة خُلِطَ فيه الكَلأُ الطَّيِّبُ مع السُّمّ الزُّعاف، فاختلّ الميزان وتَشَوَّشَ النظر وانحرفت أدوات التغيير، ويمكننا أن نرصد هنا اتجاهين في ميدان الفعل والحركة.

الأول: العقل الصوفي.. هذا الذي ألغى المادة ونبَذَ التعاملَ بالأسباب وهَوَّمَ مع الترانيم والتوشيحات، وكلما ضاقت بهم الأرض أو تَزَلْزَلَت أقدامهم أمام زَحْفِ الكفر الضاغِطِ فَزِعُوا إلى قبور الأولياء ودعاء الأموات كما كان يقول قائلهم: (يا خائفين من التتر لُوذوا بقبر أبي عمر).

وربما هتفوا مكبرين وبَكَوا داعين الله بالنصر والفتك بالأعداء وأن يُهلك الكفار في مَشهد بكائيٍّ دراميٍّ يُذَكِّرك بمواكِبِ اللَّطْم.

وهو ما نشهده هنا من القلة القليلة الباقية من مشايخ التصوف والدروشة، فأنت لا تَجِدُ لهم أثرَ الجهادِ ولا حَرَكَةً في الميدان، وغايةُ جهادهم أناشيد يُذِيعُونها ودَعَواتٌ يُرَدِّدونها، إلا من رحم الله.

وهذا يُذَكِّرُك بما حَصَلَ في مصرَ حين قَدِمَتْ جيوشُ الإفرنسيس واجتاحوا البلادَ والعبادَ فَتكاً وقتلاً فهَرَعَ شيوخ الأزهر لا إلى السلاح والكفاح، بل إلى صحيح البخاري يقْرؤونه يَرْجُون بَرَكَتَه والانتصار على جيش الكفر بتلاوته.



وكلما ازدادوا تلاوة ازداد العدو تَغَوُّلًا[١] وتَوَغُّلاً حتى قال لهم الخديوي: (إما أنكم لستم علماء أو أن هذا ليس صحيح البخاري).

وكلا النتيجتين خطأ، لكنّ الله الذي أمرنا أن نُعِدَّ ما استطعنا من قوة وأن نتَّبع الأسباب الكونية {فَأَتبَعَ سَبَبًا} لم يجعل تلاوة البخاري أو قراءة القرآن أو مجرد التكبير سببًا لقهر الأعداء والغَلَبِ على الكفار.

إن التكبير النافعَ هو تكبير المجاهد وهو يرمي الأعداء بِحِمَمِه ويذيقهم حَرَّ لَظى فيكون التكبيرُ زلزلةً لهم وزعزعةً لأركانهم بإذن الله تعالى، وسيرةُ النبي مَلأى بتطبيقه لهذه السنن الكونية وأخذه للأسباب الماديةِ من التوكلِ على ربِّ البَرِيَّة.

عمودُ الدين لن يقْوَى *** بتسبيحٍ وتَهْليلٍ
ولن يَحْدُو بنا أملٌ *** بدعوى القالِ والقيل
فغير السيف لا يُجدي *** يَمينًا فِتيَةَ الجيل

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الغالب والمسيطرُ على ساحة الفعل الإسلامي.. وهو الاتجاه الذي أدرك أهمية الأسباب وضرورةَ التعامل مع السنن، ولكنه انحرف بعيداً عن الهدي الإلهي واستبدل بالهدي النبوي الهدي الغربي والنموذجَ الأوروبي في الفعل والتغيير. فاتخذ المظاهرات مَطِيَّةً والاعتصاماتِ جُنَّةً وعَرائِضَ الالتماس والاستجداءِ وسيلةً.

ويَعْجَبُ المؤمن المراقِبُ وهو يراهم وهم يُعَبِئون الأمة لجهاد المهرجانات ويُفْرِغون حماسَ الشعوب في مسيراتٍ سلميةٍ تَبُحُّ فيها الأصوات وتُشَقُّ الحلوق بالهتافات ثم يَنْفَضُّ السامرُ ويَنتهي الحفلُ وتعود كتائب المجاهدين البواسل إلى قواعدها آمنةً بعد أن أَصَمَّتْ آذانَ عدوها بالشتم والتقبيح، ومَزَّقَت جيشَه بدَوْسِ الأعلامِ وحرْقِ الدُّمى.

وغيرُ بعيدٍ منا ما دَعَتْ إليه هيئة علماء المسلمين في العراق من مظاهرات سلمية ومناشداتٍ لأحرار العالم لفك الحصار ودفع البلاء عن أهل الفلوجة، ويَعْجَب المؤمن مرةً

---

[١] أي ازداد إهلاكاً وتقدماً في الأراضي.



أخرى ويتساءل وهو يضرب كفًّا بكفٍّ: ألم يَسمع هؤلاء قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ...} [الأنفال: ٦٥]، أَوَلَم يَعلم هؤلاء أن الله سبحانه قال: {وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم} [الأنفال: ٦٠]، ثم يكون بعد ذلك التوكل.

وهل بقي لهؤلاء من عذر وهم يَرَوْنَ أفرادًا قلائلَ وأعدادًا يسيرة من المجاهدين وقد مَرَّغوا أنفَ أمريكا بالتراب وألْصَقوه بالرَّغَام[1].

فهذه مساراتُ المجتمع.. لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عن بيّنةٍ ويَحْيَى مَنْ حَيَّ عن بيّنَة (والحمد لله رب العالمين).

إن هناك فرقًا كبيرًا بين إدراك المفردات وحفظ المتون وسَرْدِ المسائل... وبين صناعة العقل.

فالعقل هو الآلة التي تَدْخُل فيها هذه المفردات لِيُنْتِجَ لنا مُخرَجَات تتشكل بحسب هذا العقل.

إن هناك فرقًا كبيرًا بين من يُسْلِمُ عقلَه للقرآن والسنة يصنعانِه صناعةً ربانية.

فإذا أُدْخِلَت إليه المفْرَداتُ أَنْتَجَ لنا تخريجات ربانيةً ومنهاجًا حركيًّا قرآنيًّا، وبين من يَرِدُ حوضَ القرآن والسنة بعقلٍ قد تَشَكَّل على موائد ونُفَاضَات[2] مَزاوِدِ[3] البشر المُتَهَوِّكين[4].

إن الخلل هو في النظام المَعْرِفي والمنهجيةِ العقلية... بين السَّلَفي والبِدْعي، ولذلك فهما على طرفي نقيض، وشتانَ بين مُشَرِّقٍ ومُغَرِّب.

تنبيه مهم:

---

[1] الرغام التراب.

[2] النفاضة بضم النون ما سقط من الشيء إذا نُفضَ.

[3] المزاود جمع كلمة مزادة وهي ما يوضع فيه الماء كزاد.

[4] المتهوك هو المتحير.



يتزامن نزول هذه الحلقة مع اشتعال الحرب جَذَعَةً[1] مرة أخرى –بحمد الله– وينبغي أن يَعْلم الجميع أننا جئنا إلى هنا ونحن ندرك أن المعركة الحقيقية هي مع المنافقين والمرتدين من بني جِلْدَتِنا، وقد كان الشيخ أبو مصعب الزرقاوي قد ضمن هذه النظْرَة، وبَيَّنَ هذه الحقيقة في رسالته إلى الشيخ أسامة بن لادن والتي وقعت في أيدي الأمريكان.

وكنا نتهيأ لهذا اليوم ونُعَبِّئ له القلوب والعقول بلقاح الأدلة الشرعية مستحضرين التجارب التاريخية في الأعصر المتأخرة.

ومنذ وَضَعَت حرب الأحزاب في الفلوجة أوزارها ونحن في سباق مَحْموم، وسعي دؤوب للتحضير لمعركة الفتح المبين التي انطلقت شَرارتها، وسَيَعْظُم أُوارُها ويَمْتَدُّ لهيبها بإذن الله وصولاً إلى التمكين والفتح المبين.

وكان من صنيع الله لشيخنا أبي مصعب الزرقاوي أنْ جمع حوله القلوب وأعلنت الأفئدة حبه، وانقاد له كثير من الإخوة السلفيين وأعلنوا له الولاء وأعطَوْه صفقة أيديهم وثمرة قلوبهم والحمد لله رب العالمين.

لقد كان المرتدون من بني جِلْدَتنا يُحِدّون سيوفهم ويَتَحَفَّزون للبطش بنا بالوَكالةِ في هذا الأمر عن سيدهم الأبيض...

وكان لا بد من المبادرة وأن نتغدى بهم قبل أن يَتَعَشَّوا بنا، ولذلك فقد حدد الشيخ أبو مصعب الزرقاوي ساعة الصفر وأمر بانطلاق إشارة البدء وشرارة الحرب قبل موعد هجومهم علينا بيوم واحد؛ وها قد انطلق قطار الجهاد ولن يقف إن شاء الله دون محطة الخلافة...

---

[1] الجذع الصغير السن، والمراد هنا أننا وددنا لو يرجع الزمان إلى الوراء فلا نقع في ما وقعنا فيه.



عودة إلى الأحداث

أثناءَ هذا كانت شوارعُ الفلوجة تَغُصُّ بالمقاتلين الـمُلَثَّمين وحَمَلة السلاح، وكنتَ تراهم منشورين مدّ البصر...

وشكّل هذا الأمر عبئاً علينا لأن قيادة مثل هذه الأعدادِ الغفيرة مع فقدانها للتدريب وخُلُوِّها أيضا من المواثيق والعهود التي تُلْزِمُها بالطاعة لك والانقياد أمرٌ في غاية الصعوبة...

وحصلَ إرباكٌ شديد في الساحة، وكان حي الجولان قد انْتزَع دفَّةَ القيادة وصار قاعدةً للقادة ومركزاً للتوجيه، ومَجْمَعاً يلتقي فيه الإخوة الكبار لتقرير المواقف ويأتي إليه المجاهدون لتَلَقِّي الأوامر وطلب الإمداد والأعداد...

وبرز أبو خطاب قائداً فذّاً استطاع بهمة دؤوب وعَزمٍ لا يَلين وصَدْرٍ يَسَعُ الجميع أن يكون الرقْمَ الأصعب في الميدان...

أما أبو عزام البطل الهمام فقد كان الأميرَ لعموم الإخوة، ومع صغر سنه وحَداثَة تجربته لكنه تألّق بآرائه السديدة وحسن نظره، مع وُفُور عَقْلٍ وكمال أدب...

أبو مجاهد نائب الأمير، وفي ظل الغياب المتكرر لأبي عزام في مهمات خارجية ملحة كان يقع على كاهله العبء الأكبر، وقد قام بالأمانة خيرَ قيام. هؤلاء الثلاثة إضافةً إلى أبي أَوْس (صاحب القوس)[١] الأمير العسكري للإخوة هم الذين قادوا المعركة وساسوا أحداثها... حتى أَرْفَؤوا بسفينة الجهاد إلى شاطئ النصر والفخر ومن ورائهم كانت أعدادٌ غفيرة من الجنود المجهولين عند البشر، وحسبهم أن الله يعلمهم، وكفى به سبحانه...

وكان الخيطُ الدقيقُ والصفةُ المشتركةُ التي تَرْبِط هذه الأرواحَ هو المنهجَ السلفي، وكان هذا واضحاً جلياً في ساحة المعركة، وكنت أَلْمِسُه واضحاً أثناء تَطْوافِي على الثغور.

---

[١] الشيخ رحمه الله كان يحب المداعبة اللفظية كثيراً من باب السجع.



وألقى اللهُ في رُوعي نكتة سطّرها يَراعي أحببتُ أن يشاركني فيها أهل الإسلام... فهلُم يا شباب الأمة:

إن من عجائب قدرة الله في الأنفس والآفاق صفةً عجيبةً يُبْصِرُها الناظر الـمُتَّئِد ويَلْحَظُها الفاحِص المتأمل... هذه الصفة هي إخراجُ الشيء من نقيضهِ، ولنضرب لذلك أمثلة:

أولاً: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ... } [الروم:١٩]، وقد قيل في تفسيرها: يُخرج البيضة الميتة من الدجاجة ويخرج الدجاجة من البيضة، ويُخرج الشجرة من البذرة، ويُخرج البذرة من الشجرة.

وقول آخر أَسَدُّ: يُخرِجُ المؤمنَ من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، وشاهدُ ذلك حديث الشيخين عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: "مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ".

ثانيًا: في حِجْر فرعونَ وبين جدرانِ قَصْرِهِ وعلى مائدةِ طعامه وبيَدِه لا بِيَدِ غيره أنشأ الله كليمَه موسى ليكون هادمَ الشرك وقامعَ الكفر الفرعوني، وهي سنة الله الساخرة من الكافرين لِيُبَيِّنَ وَهَاءَ بناءِ الكفر وضَعْف مَكْرِه، {وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ}؛ أي ما كان مَكْرُهم لتزول منه الجبال بل هو أضعف من ذلك وأهونُ وهذا هو المعنى الصحيحُ لا كما يَتَبادرُ إلى ذهن كثيرين[1].

ثالثاً: ومثل ذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٣٦].

[1] الصواب أن الآية بهذا الضبط معناها كما ذكر الشيخ لا كما يفهم كثير من العوام، ولكن هناك قراءة متواترة بفتح اللام الأولى وضم الثانية من كلمة {لَتزولُ}، فتصير {إن} مخففة من الثقيلة واللام فارقة، بينما هي في سياق الشيخ أعلاه نافية واللام لام الجحود، فعلى الرواية الأخرى المعنى أن مكرهم كبير حتى أن الجبال تزول منها، ولكنهم لن يهزموا الله تعالى.



ونكتفي بهذه الأمثلة لنجيب على سؤال قد يتقافز إلى ذهن قارئ لماحٍ فيقول ما علاقة هذه السنة بأحداث الفلوجة وظروف الحصار؟

فأقول مسارعاً: لقد لَمَسْنا هذه السنة واضحةً ساطعة في الأحداث التي نعيشها وتُظللنا آثارُها، فالفلوجة أو مدينةُ المساجد -كما تُسَمَّى- مَعْقِلٌ من مَعاقِلِ التصوف ومركزٌ للدروشة، وأهلُها وإن كان يغلب عليهم التدين ويميزهم الحفاظ وينقادون بحبٍّ وتعظيم لأهل الدين إلا أن النَّزَعَة الصوفية -كما قلتُ- هي الغالبةُ، وهي سِمَةُ الأكثر والأعم من أئمة المساجد.

والدعوة السلفية الراشدة فيها حديثةٌ ناشئةٌ، وأهلُها غرباءُ محارَبون تُلْصَق بهم كل نقيصةٍ ويُنْبَزُونَ بكل سوء من كراهة النبي ﷺ إلى بغض الأولياء إلى الوهابية... إلخ من قائمة مكرورةٍ مَمْجُوجة، حتى إذا حَمِيَ الوطيس واحمرت الحِدَق وأَجْلَبَ الكفر بخيله ورَجِلِه وعَمَدَ إلى المدينة يَقْصِدُ استباحتَها وانتهاكَ حُرْمَتِها فَرَّ كثيرون وطارت العمائم واختفى أهل الدروشة.

وتَطُوف بالثغور وتمر على أطراف المدينة فلا تكاد تجد إلا السلفيين في خنادقهم وأصابِعهم على الزِّناد وقلوبُهم موصولةٌ بربِّ العباد يَذودون عن الحِمَى ويُدافعون عن الديار ويَدْفَعون في نحور الأعداء.

ونحن نسأل الله أن تكون هذه المواقف شرارةَ انطلاقةٍ وتمكينٍ للدعوة السلفية الراشدة التي تَصوغ الدنيا وتُطوّع سنن الله في الأنفس والآفاق تمكيناً للدين وذباً عن الملة لتكون الفلوجة -مرتع التصوف وقاعدة الدروشة فيما مضى- واحةَ السلفية وملاذاً لأهل التوحيد ورائدةً للمنهج السديد، ومع ذلك فإعمالاً للإنصاف ومنعاً للاعتساف فلا بد لنا أن نقرر أن هناك من الصوفية غير الغالين ممن لم تُفْسِدْ أمزجتهم جرثومةُ التصوف وكذا من العامة البسطاء ذوي النياتِ الحسنةِ والفِطَرِ السليمةِ مَن كان له أثرٌ وإسهامٌ، وشجاعةٌ وإقدام، وحسنُ بلاء في هذه النازلة، وإنما كان ما قَدَّمْناه توصيفاً للطابع العام والصفة الغالبة.



وما قلناه عن انتصاب أصحاب المنهج السلفي مجاهدين مدافعين عن الفلوجة وهو الصفة الغالبة على المجاميع المجاهدة في طول العراق وعرضه فمن بين المنهج الصوفي الذي طأطأ أكثر رجاله رؤوسَهم للرياح الغالبة، ومَضَوْا يُمْسكون زمامَ الخيلِ للعدوّ الصائلِ إحياءً لسنةِ سابقِهم الذي أخذ بزمام فرس (هولاكو) حين اجتاح بغداد وهو يترنم شاديًا بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} [الأحزاب: ٣٦]، وبين المنهج الإخواني القائم على الاستجداء والبكاء والنحيب واللطم وشقّ الجيوبِ كوسيلةٍ ناجعةٍ وأسلوبٍ آمنٍ لنيل الحقوق واسترداد السيادة.

من بين هذين المنهجين برز أهل المنهج السلفي مُتَوَشّحين بأسباب التغيير الإلهي آخذين بسننِ النصرِ القرآنيةِ فرفعوا راية الجهاد ومضَوا بعزيمةٍ وإصرارٍ يُصاولون العدو ويُثْخِنُون فيه الجراح في ملحمةٍ بدأت أصولها ولم تَسْتَكْمِل بعد فصولها..

ودعونا نقرر هنا حقائقَ مهمةً:

أولاً: لا شك أن الدعوةَ السلفيةَ حديثةُ العهدِ في هذه البلاد، بَدَأَتْ تَباشيرُها وتَسَلَّلَ نورها مع انتهاء غزو العراق للكويت، وهي ماضيةٌ بحمد الله تَشقُّ طريقها بعزم، وتقتحم أسواراً تاريخيةً منيعةً باقتدارٍ في ظرفٍ تاريخيٍّ يُمَثِّل فرصة ذهبية لأهل هذا المنهج لينشروه بعد أن يسْقُوه بدمائهم.

ثانياً: من الإنصاف هنا أن نقرر أن هذه الدعوة قامت على أكتاف مشايخ الجزيرة كتبِهم ومحاضراتهم ورسائلهم وفتاواهم كابن باز والعثيمين خاصة، ومشايخ الجزيرة عامة إضافة إلى الألباني..



ثالثاً: المشهور المشهود من دعوة مشايخ الجزيرة عموماً أنهم يُقَدِّمون لك علماً نظرياً ومفاهيمَ عَقَدِيَّةً صحيحةً في الجُمْلة ثم يَقفون إلى هنا ولا يترجمون هذه التصورات إلى مناهجَ عمليةٍ يتسلح بها المؤمن ويَهتدي بسَناها في حركَتِه وسَعْيِه في هذه الحياة.

رابعاً: وهنا يجيء الحَدَث الحاسم والنازلةُ الكبرى التي هزت كيان العالم وقدمت الأنموذجَ الجهاديَّ الحيَّ الذي حَرَّك الهممَ وأَحْيَى العزائمَ وأيقظَ روحَ الجهادِ والاستشهادِ في قلوب شباب الأمة وعَبَّأ تياراً عريضاً هنا في العراق يَتَحَرَّق شوقاً لتكرار هذا النموذج وإحياء هذا المثال، وأعني بذلك غزوتي نيويورك وواشنطن.

خامساً: وآية ذلك أنك تجد أن السلفية قد تَشَعَّبَت هنا في العراق كما في مواطنَ كثيرةٍ إلى فرقتين؛ فأما الفرقة التي باركت غزواتِ أمريكا[1] وامتدحَتْها وتفاعلت معها فهي الفِرقة التي ترفع الآن لواء الجهاد ورايةَ الفِداء، وأما الفِرقة التي صَغَتْ بقلبها إلى ضجيج علماء السلاطين في الحجاز فهؤلاء قَعَدَةٌ بل يخذِّلون، ويكاد ينطبق عليهم قوله تعالى: {.. لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ.. } [آل عمران:١٦٧]، وهم جماعةُ (بعدين) أو كما يسميهم بعض المجاهدين الظرفاء (السلفية القاديانية) (معلوم أن أحمد القادياني ركز على إلغاء الجهاد ولذلك أعلت إنجلترا شأنه ودَعَمَتْه).

سادساً: هذا الواقع الموصوف ينبغي أن يدفع الصادقين من أهل العلم ممن تَوَرَّطَ في انتقاد تلك الأحداث وإعلانِ النكيرِ على أهلها بزعم أنها مضرَّةٌ غالبة وشَرٌّ فائق إلى أن يراجعوا مواقفهم ويعيدوا وزن حساباتهم من جديد، فإني أكاد أَجْزِمُ عن تجربةٍ ومخالطَةٍ أنَّ هذا الحَدَثَ كان هو الأرضيّةَ الخصْبَةَ التي قام عليها بنيان الجهادِ الحاصِلِ في العراق وهو الشرارة التي تفاعلت فأحدثت هذا الحريقَ الهائلَ الذي اكتوى بناره الأعداء في أرض الرافدين، ولا يَدري إلا الله كيف كانت ستكون الصورة في العراق لو أن الله لم يُقَدِّر تلك الأحداثَ الجسامَ وذاك الفداء والاستبسال في غزوتي نيويورك وواشنطن.

[1] يقصد الشيخ غزوات القاعدة على أمريكا وليس غزو أمريكا للمسلمين كما يتضح عند أدنى تأمل.



استشهد في هذه الأيام –نحسبه والله حسيبه– إمام مسجد المعاضيدي الشيخ عثمان وكان على تصوّفِه مجاهدًا مقدامًا وقد آوى كثيرًا من الإخوة المهاجرين...

ومسجد المعاضيدي هذا له بَرِيْقٌ خاصٌّ فهو يقع في أطراف الجولان في نهاية الفلوجة ولكنه كان في قلب الأحداث...

فمنارته لعلوها اتخذها الأمريكان قاعدةً للقناصة وقد جاء الشباب واسْتَفْتَوْني في ضرب المنارة بالصواريخ لأن ذلك هو السبيلُ الوحيد للقضاء على خطر القناصة... فأفتيتهم بالجواز وذلك أن قطرة دم من مسلم أغلى عند الله من منارات مساجد الدنيا... وقد تَكَرَّرَ هذا الأمرُ أيضًا في مسجد الخلفاء والسامرائي... وغيرها من المساجد وكان خاتمةُ المطاف أن منارة المعاضيدي سقطت تُعانِقُ الأرض بسبب القصف الأمريكي عندما تغيرت رياح المعركة واتخذها الشبابُ المجاهدُ قاعدةً لهم.

وقد حاول الأمريكان في هذا اليوم الاستيلاءَ على منارة مسجد السامرائي في حي (نَزّال) وانبرى لهم أَسَدُ الجولان أبو الخطاب في سرية طاردت فُلُولهم وكَنَسَت آثارهم، فَوَلَّوا الأدبار، وأَذَّن أبو خطاب في المسجد معلِناً بأذانه نصرَ الله وهزيمة الأمريكان.

كما وحاولوا السيطرة على مناراتِ مسجد الخلفاء فصبَّ عليهم الشبابُ حمم صواريخ الآر بي جي و(سي فايف كي) فارتدوا على أعقابهم خائبين. وقد أصدرت هيئةُ العلماء بياناتٍ تستنكر فيه وبشدةٍ استهدافَ المساجد[١].

وفي الحقيقة فقد كان سلاح القناصة من أنكى الأسلحة وأوقعَ فينا كثيرًا... وكان هؤلاءِ القساةُ العتاة لا يُفَرِّقون بين مجاهدٍ ولا امرأةٍ ولا سيارةِ إسعافٍ... فقد كان كل متحرك هدفاً لهم مشروعاً.

---

[١] **تعليق أبي أنس:** لاحظ أخي هذا القيد (وبشدة) مخافةَ أن يقع في وهلك أن العلماء قَصَّروا أو لانوا... لا فلقد استنكروا وبشدة!!!



ولم نجد لهم حلاً أنجحَ من القناص، فالقناص دواؤه القناصُ، وعلى قلة الكوادر في هذا الباب والمتُقِنين لهذا الفن فقد أبلى (قناصونا) بلاءً حسنًا وقلَّموا أظفار قناصة العدو بحمد الله.

وقد اعترف العدو في هذا اليوم بسقوط قناصَيْن أمريكيين على يد قناصة الإسلام.

لا يَسَعُنا هنا أن نُغْمِضَ العين وأن نطوي الصفحة قبل أن نُشيد بالحرائر الصابرات على الدوائر والمُخدَّرات في بيوتهن... فقد ثبَتَ عددٌ كبير من العوائل وتآزرَ رجالها ونساؤها وكانوا نِعْمَ العون لنا. فأمورُ الطعام والشراب وغَسْلُ الثياب... إلى غير ذلك من المستلزمات الضرورية والمدد الأساسي لمسيرة الجهاد قام بها أولئك الجنود المجهولون.

وهكذا تظل المرأة المسلمة حَجَر الأساس وقاعدةَ البناء في كل جهاد... وهكذا فلتكن النساء.

في هذا الوقتِ انتُدِبَ الأسدُ الهَصور، والشُّجاع الجَسُور أبو عبد الله البغدادي رسولاً بيننا وبين أهل بغداد وكان يُوْقِر[1] راحلته في كل رحلةٍ أسلحةً وعتادًا.

وإذا لم تَخُنِّي الذاكرةُ فقد أَرْدَفَنا في هذا اليوم بخمسة من الإخوة الأكراد منهم الأخ (جند الله) رحمه الله... ولعل قصته تأتي لاحقًا...

وتقدم هؤلاء الأكرادُ إلى الصفوف الأولى وبقُوا مرابطين في نحر العدو إلى آخر لحظة في المعركة.

وقد كنتُ أَشَرْتُ عليهم أن يَكْشِفُوا للناس هُوِيَّتَهم وألا يُخْفُوا جِنْسَهم وأن يَسْتَعْلِنوا بهذا الأمر حتى يُثْبتوا للأمة أن الأكرادَ أحفادَ صلاح الدين ما زال ولاؤهم وحبهم لهذا الدين ولأهله وإن غَشِيَتْ أرضَهم غاشيةٌ سوداءُ من غواشي الكفر والردة على يد الطالباني والبرزاني وحزبيهما...

---

[1] الوِقْر هو الحِمْل، أي كان يُحَمِّلُ راحلته.



قد تسامع الناس أن البشمركة -جند الطالباني- قد شاركوا في الحرب إلى جوار الأمريكان وكذا (فيلق الغدر بدر) وقد اعترف بذلك بعض أعضاء مجلس الحكم.

وقد أعلنت وكالات الأنباء في يوم السبت (١٠/٤) عن مقتل ٢٠ من البشمركة.

وقد حدثنا عددٌ من الثقات من أهل المدينة أنهم شاهدوهم في السيطرات الأمريكية وأنهم سبوهم وشتموهم هم وسائر أهل الفلوجة بحقد وغيظ.



الجمعة ١٩ صفر ١٤٢٥ هـ – الموافق ٩ /٤/٢٠٠٤م

انفجر الفجر مع انفجارات القصف والعصف المستمرة... وبدت المدينة خاويةً على عروشها والناسُ في حذر ووَجَل.

وأَقْبَلَت غربان الشر، فقصفت (ف١٦) منطقة (نَزّال) ودارت معارك ضارية في الجولان واعترف الأمريكان بسقوط ١٢ قتيلاً أمريكياً.

كما ودَمَّر الأبطالُ ٨ دبابات وأحرقوا ٦ سيارات همر... وانتقم الأمريكان من مصور عراقي يعمل لصالح (القدس برس) فقتلوه بدم بارد.

واعترف أحد قادتهم ببسالةِ أبطال الإسلام قائلاً: (إنهم يَبْقَوْن إلى أن يَقْتُلوا أو يُقْتَلوا).

وما لهم لا يَفْعَلون وهم يقرؤون قوله تعالى: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} [النساء: ٧٤].

وانتظرْنا خطب الجمعة وأَرْهَفْنا آذانَنا وتتبعْنا الأخبار ونحن نُمَنّي أنفسنا أن نجد فُتْيًا صريحةً أو حضًّا وتحريضًا.

واشْرَأَبَّت الأعناقُ نحو رئيس هيئة علماء المسلمين في العراق ننتظر منه صرخة وإعلانًا صريحًا، وتَمَخَّض الجمل فولَدَ فأرًا..!

كان غايةُ ما اجترأ على النطق به أن أفتى بوجوب مقاطعة البضائع الأمريكية! لقد كنا في واد وكان هو في واد آخر.

سارت مُشَرِّقَةً وسِرْتُ مُغَرِّبًا *** شتَّانَ بين مُشرّق ومغرب



تَلَفَّتْنا حولَنا نبحث عن وارثٍ لابن تيمية أو نظيرٍ لأحمدَ بن حنبل أو سَمِيٍّ للعز بن عبد السلام ويا للأسف فقد رجعَتْ ركائبُنا خائبةً وارْتَدَّ البصرُ كسيرًا حسيرًا وانطوى القلب على ألَمٍ يُمِضُّ وشعور بالأسى.

لقد كنا نشعر أن الأمة خَذَلَتْنا وأَسْلَمَتْنا لعدوٍّ شَرِسٍ ومَكْرٍ كُبَّار... وهي تتفرج من بعيد لا تَجُود لنا إلا بدموعٍ لا تُسْمِن ولا تُغْني من جوع.

مع تَضَيُّفِ[1] الشمس للغروب في هذا اليوم بدأت طائرات الهيلكوبتر بالانسحاب من سماءِ المدينة ولم تعُدْ تَجْرُؤ على التحليق مُفْسِحَةً المجالَ للطيران الحربي... وكان هذا إعلانًا غير صريح بانكسار الموجة وفَشَلِ الخطَّة...

وقد أصيب في القصف ليلاً أبو عمر الحلبوس شهيدًا -نحسبه- فسَقَطَ يَتَضَرَّجُ بدمائه، وجُرِحَ الأخ أبو إبراهيم المصري جرحًا أَقْعَدَه عن المعركة عدةَ أيامٍ عادَ من بعدِها ليُعاوِدَ الجهادَ والجلاد.

وجَهِدَ العدوُّ في هذا اليومِ خمسَ مراتٍ في أن يَقْتَحِمَ المدينةَ من مَسارِبَ شتَّى منها مرتان في الجولان؛ كل ذلك يصطدم بإرادةٍ لا تَعْرِفُ القهر، وعزيمةٍ وضاءة كبرى... وأُسْقِطَت مروحيتان: واحدةٌ في الجَوْلان والثانيةُ في العسكري...

كما وأسقطت اثنتان أخريان في منطقة الكرمة... واعترف (كيمت) بسقوط ١٥ جنديًّا أمريكيًّا...

وأما مصابُ أهل الإسلام فبلغ إلى هذا اليوم نحوًا من (٣٠٠) قتيل و(٥٠٠) جريح.

طُوِيَتْ صفحةُ الخميس وحلَّ الظلام وهَلَّ[2]، وسَكَتَ الرصاصُ وخَيَّمَ سكونٌ لم يَكن يَخْرِقُه إلا هديرُ النَّفَّاثات تُحَلِّقُ وتَقْصُف بين الحين والآخر.

---

[1] أي اقتربت.

[2] هلَّ المطر أي انهمر بشدة.



وحفظًا للجميل وإقرارًا لأهل الفضل بالفضل فنشير إلى أنه قد ابتدأت بحمد الله قوافلُ الإغاثة تَتْرى بغير انقطاع....

بل أَعْظَمُ من هذا أنه تَناهى إلى سمعنا أن دَفْقَ السلاح والأموال هلَّ كمَوْجٍ هادرٍ[1]، وإن كنا -عَلِمَ الله- لم يَصِلنا شيء البتّة لا سلاح ولا مال... ولم يكن يصلنا إلا الخيار والبندورة والبسكويت........... إلخ

وما عدا هذا... فكان كعَنقَاءِ مُغْرِبٍ[2] يُسْمَعُ بها ولا تُرى... لقد كان منتهى القوافل إلى مقرِّ الحزبِ الإسلامي وكذا الحضرة النبوية.... ثم يختفي كلُّ شيء..

ولم نكن نستطيع في مثل هذا الظرف أن نَتَتَبَّع أو نستقصيَ أو نفتح على أنفسنا أبوابَ فتنةٍ، وكان عندنا ما يَشْغَلُنا (والمشغولُ لا يُشْغَل).

استَمَرَّ الكَرُّ والفَرُّ وتسارَعَتْ حُمَّى الهروبِ الكبيرِ من المدينة... وأَوْحَشَتِ الطرق وطُوِيَتْ صفحةُ اليومِ واستُؤنِفَت الحياةُ صباح السبت.

---

[1] **تعليق أبي أنس:** لقد سمعنا بعد انفراج الأزمة أخبارًا عن الأموال الطائلة وصناديق الذهب التي جاد بها الكرام في هذا البلد، عدا الأموال التي جاد بها الكرام من خارج البلاد.

[2] عنقاءُ مُغرِبٍ أي جائية من بعيد يعنون العُقاب، ويقولون: طارت به عنقاء مغرب أي ذهبت به الداهية.



صباح السبت ٢٠ صفر ١٤٢٥ هـ - ١٠ /٤/ ٢٠٠٤م

وصرح في هذا اليوم أحد قادة المارينز قائلاً..- وصدق وهو كَذوب- أن المقاومة في الفلوجة أشرسُ من أيّةِ مقاومةٍ واجَهَها الجيش الأمريكي في فيتنام بالرغم من استخدام القوات الأمريكية لِأَعنف الأساليب العسكرية وأكثرِها فتكا.. كما وَصَرَّح (باول) بأنه فُوجِئ بضَراوةِ المعارك..

هذا الانكسارُ العسكري حَمَلَ الخبيثَ والحية الرَّقْطاء (مارك كيميت) على التصريح مُرْغَمًا في مؤتمرٍ صحفي بأن إدارةَ الاحتلالِ مستعدّةٌ لتَنْفيذِ هُدْنَة مع العناصر المعادِية.

وجَعَلَتْ قافلةُ الوسطاء تَغْدُو وتَروحُ بيننا وبين الأمريكان كالشاةِ العائرة[١] بين قطيعين وكانت شروطنا كالآتي:

١- وقف الغارات

٢- وقف المداهمات وترك دخول المدينة

٣- الانسحاب الكامل

٤- التعويض

وأرسل الأمريكان يشترطون الآتي:

١- تسليم الأربعة الذين مَثّلوا بالأمريكان

٢- تسليم المجاهدين العرب

٣- تسليم أسماء المُنْشَقّين من الشرطة

٤- التعهد بعدم إطلاق النار على الجيش.

[١] العائرة هي التي لا يُعْرَف لها مالك، أو المترددة بين قطيعين لا تدري أيها تتبع.



ومن الغد الأحد ٢١ صفر (٤/١١)

تم الاتفاق على وقفٍ لإطلاق النار لمدة ١٢ ساعة وخرجَت الحية الرقطاء (كيميت) فزعم -كاذبًا كعادته- أنهم قبضوا على خمسة مقاتلين من مصر والسودان وسوريا.

واعترفَت أمريكا بمقتَل جنديَّيْن على يدِ قنَّاصٍ.

وفي نحو ١١ صباحًا حَصَلَ اقتحامٌ من ناحيةِ حيٍّ (الجغيفى) واسْتَعَرَت لَظَى حربٍ زَبونٍ[1] امتدَّتْ ستَّ ساعاتٍ ونصفًا إلى نحوِ ٥,٥ فهدأ عند ذلك ضجيج الحرب وأَمْسَكَتْ حقولها عن الدَّقِّ وانسحب الكفارُ يحملون ٢٥ قتيلاً، وانجلى عَجاج المعركة عن تدمير ٤ مدرعات وحرق ٥ همرات.

وفى الحي العسكري دُمِّرَت مُدَرَّعَةٌ وقُتل أربعة جنود.

وكان من الفَواقِرِ[2] التي وَقَعْنا فيها أننا وافَقْنا على هُدنةٍ للتفاوض... وكانت خَدْعَةَ أريبٍ وَقَعْنا فيها بشكل غريب... وإلى الله المشتكى.

---

[1] حرب زُون أي تصدمهم وتدفعهم.

[2] الفواقر جمع كلمة (الفاقرة) الداهية، يقال: فَقَرَتْهُ الفاقرةُ؛ أي كَسَرْتُ فَقَارَ ظهره.



وفي يوم الاثنين ٢٢ صفر ١٤٢٥ هـ – الموافق ١٢ /٤/ ٢٠٠٤م

أَسَرَّ الأمريكان إلى الوفد المفاوِض بإسقاطِ جميع الشروط، ومن الطرائف أنهم قالوا لهم: بالنسبة للعرب فنحن نعرف أنهم انسحبوا!!

وبدا أن المشكلة هي فيمن سيتولى الأمر ويمسكُ بزمام الأمن في المدينة بعد رحيل الأمريكان... وتشاورْنا في هذا الأمر وبدا لنا أننا لم نتهيأ بعدُ لِحُكْمِ المدينةِ وأنه لا يُعْقَلُ مِن بَعْد أن تقيم دولةً في الفلوجةِ فقط، فسكتْنا وأغمضْنا العين على رجوع الجنود والشرطة، شَرْطَ ألا يتعرضوا لمجاهد...

وبموازاة ذلك أعلن الربيعي غير الموفق استقالته من مجلس الحكم ليُعَيَّن مستشارًا للأمن القومي الأمريكي عفوًا العراقي!!

وقد تَسامع الناسُ بأنه والجلبيَّ وعلاوي كانوا يضغطون لجهةِ إنهاء المعركة وحسم القضية بقنابلِ دمارٍ شامل تمسَح المدينة من الخارطة ليُصار إلى مسحها بعد ذلك من الأذهان، وأنه المَخْرَج من هذه الوَرْطة والحلُّ لهذه المعضلة المسماة بـ(الفلوجة).

وفي ذات الوقت نَشَرَتْ بعضُ وكالاتِ الأنباءِ خبرَ احتفال الجنود الأمريكان بعِيْدِ الفصح وأنَّ إبليسَ قد أرسلَ لهم بقِسِّيْسٍ يشارِكُهم عيدَهم ويرفع لهم من معنوياتهم الهابطة...

وأنه قال لهم مثبتًا: لم نَعتَدْ بأن تكون المهمة سهلة... لكن أخبرَنا الرب بأنه معنا على طول الطريق.

وأضاف قائلاً –وكذب–: لسنا خائفين من الموت لأن السيد المسيح سيُعْطينا حياةً أبديةً.



كان ذلك محاولة يائسة لرفع معنويات منهارة لجنودٍ سُكارى يحبون الدنيا والحياة... فهل لهم من دواء؟

وقد أخبرَنا الدكتور (رافع) أن الجنود احْتفَوا به وأقبلوا يَسْتَثْبِتونه عن خَبر الانسحاب وأن أساريرَهم قد انفرجت وضحكاتِهم قد خَرَقَت السماء فرحاً وغِبْطَةً بهذا الخبر.

وقد طارت طُرْفَةٌ في أنحاء البلاد تحكي هذه الحقيقة... وهي (إذا أردت أن تُخِيْفَ أمريكيًّا فقل له: الفلوجة).

وفي هذا اليوم أُفْرِج عن الرهائن الصينيّين بإشراف هيئةِ العلماء!!!

وهنا لا بد لنا من تسليط الضوء على هذا الحَدَثِ وأمثالِه... فلقد رأى الناس كيف جَدَّ هؤلاءِ واجْتَهدوا وبثُّوا عيونَهم وأَرْهَفوا آذانهم وكانوا يَبْحَثون بجِدٍ منقطع النظير عن الأسرى من الكفار الذين وَقَعوا بأيدي المجاهدين.

وأَشْهَدُ أنهم جاهدوا في هذا جهادًا صغيرًا؟! ولم يَأْلُوا جَهْدًا[1] واستعملوا كل أساليب الإقناع وطرائقِ التوسلِ والرجاءِ مع كثيرٍ من الاستجداء ليَظْفَروا بهذا الشرف العظيم أعني إطلاق الرهائن.

لقد كانت فرصة عظيمة للمجاهدين لو قتلوهم وقطعوا رؤوسهم أن يُحْدِثوا شرخًا في بناء التحالف وأن يُشَرِّدوا بهؤلاء مَن خَلْفَهم ليَذُوقوا عاقبةَ انقيادهم للأحمق المطاع...

لكن هؤلاء -العمائم- لا يُحسنون إلا فقهَ الهزائم...!

نعم والله فقهَ الهزيمة هو الذي يُحْسِنُونَهُ ويُجيدون التنظيرَ له، أما فقهُ العزةِ والظفر، والاستعلاء فحرام عليهم كظهورِ أمهاتِهم.

---

[1] لم يَألُ جَهْداً أي لم يدع جَهداً ولم يقصِّر.



ولعل الأمة لم تنْسَ بعدُ إنقاذَهم لنحو ٢٠٠ روسي في الوقت الذي يَفْتِك فيه الروس بإخواننا الشيشان فتكًا ذريعًا.

أما الرهائن اليابانيون فهذه.. وايم الله.. مذلة العصر. فبَدَلَ الإنجاد والإمداد والإعداد للجهاد ونصرة إخوانهم المحاصَرين... وبَدَلَ أن يرْكَب هؤلاء خيلَ المنايا ويُسْرِجوا جياد الفداء والاستشهاد رَكِبُوا سياراتِهم الفارِهَةَ ومَضَوا يُسابقون الزمن ويتراكضونَ بسعي مَحْموم للوصولِ إلى هؤلاء البرآء -(خَطِيّة)- لِيَظْهَروا أمام العالم أنهم حِملانٌ وديعةٌ بل شياهٌ منقادةٌ لا تُحسن إلا الثُّغاءَ[1].

لا أظن أن الأيام تمحو من ذاكرتي أو تنخ من مخيلتي صورةَ مندوب هيئة العلماء وهو يُعانق الأسرى اليابانيين بل يقيمهم من مجلسهم ليَحْظى بهذا العِناق الكريم. لقد كان تلك الليلة برّاق الثنايا وثغرُه قد افْتَرَّ عن بَسْمَةٍ تحاكي فَرَحًا غامرًا بهذا النصر الحاسِم في الوَقْتِ الذي كانت طائراتُ العدوِّ تَصُبُّ حِمَمَ الموتِ الزُّؤام على رؤوس الأبرياء من أهل الإسلام.

قصةٌ مُبْكِيَةٌ تَحكي مأساةَ هذه الأمة بعلمائها المزعومين

يا علماء الدين يا ملح البلد *** من يصلح الملح إذ الملح فسد

ولنردد مع الإمام عبد الله بن المبارك:

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ ***وأحبار سوء ورهبانها

---

[1] الثغاء صوت الشاة والمعز ونحوهما.



الثلاثاء ٢٣ صفر ١٤٢٥هـ الموافق- ١٣/٤/٢٠٠٤م

في هذا اليوم تجرأت دبابة فاقتحمت ناحية حيّ (نَزّال) وحصلت زعزعة وزلزلةٌ، وانتُدِبَ لها أبو أوس (صاحب القوس)[١] فرماها بصاروخ آر بي جي فلم ينْطِق، وانتحى جانبًا وألْقَم قاذفتَه الصاورخَ الثانيَ فخاب كأخيه.. ثم أكرمه الله فبسمل ورمى فأصاب منها مقتلاً.. وتعالَى في السماء دخانها، مرت لحظاتٌ قاسيةٌ وشديدة فقد بدا أن العدو قد اخترق تحصيناتِنا ودَمَّرَ دفاعاتِنا ومضى حتى وصل إلى العمق... وابتدأت سنةُ التمحيص، وداخَلَ القلوبَ رُعْبٌ شديدٌ، وخوفٌ هائل أقبلت بعد ذلك الطائراتُ المقاتلة فألقَتْ أحمالَ بطنها وصَبَّت جَامَ[٢] غَضَبِها، وكان هذا قُبيل الغروب وبدت تلك الليلة وكأنها مِرْجَلٌ يَغْلي بأَتُوْنِ[٣] الفتنة التي لاحت نُذُرُها في الأفق.

ومع الصباح أَقْبَلَ جمعُ المرْجِفين وتَرَاكَضَتْ خيولُ المخَذِّلين وعلى رأسِهم بعض عمائم الشر والسوء يَبُثُّونَ في الناس الوَهَن، ونَعَقَ ناعِقُهم بأنَّ المجاهدين قد بدَؤوا في الانسحاب وتسليم السلاح وأن الأمريكان سيَدْخلون المدينة.

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ١١]، وبدأت رحلة التصفية الحقيقية في أَتُونِ المعركة وساحة الفداء.. لا التصفية الصوفية الغنوصية والتي يدعو إليها ويا للأسَف بعض السلفيين في هذا العصر.

وبدأت الوحشة تسري في القلوب فلقد خَوَت طرقات المدينة وأَقْفَرَت أَزِقَّتُها.. وتلك السنة الإلهية في الابتلاء.. وذلك أنه وبسبب من البطولات والفداء التي سَطَّرَها المجاهدون -مهاجرين وأنصاراً- فقد التحق بالقافلة ورَكِبَ القطارَ الغثُّ والسمين وغَصَّت الثغورُ بمن هَبّ ودَبَّ وحَمَلَ الجميع السلاح.. فكان لا بد من التمحيص والحَصْحَصة[٤].

---

[١] الشيخ رحمه الله كان يحب المداعبة بهذا الشكل كثيراً.

[٢] الجام: الإناء أو الكأس.

[٣] الأَتُونِ: المَوْقِد.

[٤] الحَصْحَصةُ: الحركةُ في شيء حتى يَسْتَقِرّ فيه ويَسْتمكن منه ويثبت.



كنتُ في هذا الوقتِ أشعرُ بالعِبْءِ الرَّزاح[١] ينوءُ[٢] به كاهلي وأنا أطوف على الثغور واعظاً ومذكراً، لقد كانت الوجوه شاحبةً والأرواح مكدودَةً والقلوبُ مرهقَةً والجميعُ يتساءل أحقًّا سننسحب؟..، وهل سيَدْخُل الأمريكان؟...

ووجدتُني مدفوعاً من حيث لا أدري إلى أن أقوم فيهم فأقول: والله إنكم لمنصورون.. ولن يَدْخل الأمريكان، ووالله... إننا سننتصر في غَزَاتِنا هذه ولن نُهْزَم...

لم يكن هذا الموقفُ –عَلِم الله– تَقَمُّصاً ومحاكاةً لموقفٍ سَلَف في التاريخ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله...

ولكنه كان شعوراً غريباً خامَرَني، ويقيناً ربانياً سكَبَه الله في أعماقي لا بِحَوْلٍ مني ولا بطَوْل، لم يكن المِقام مَقامَ تَقَمُّص ولا محاكاةٍ فلقد كان الموقفُ شديدَ الخطورة والموتُ يَرْقُص لنا في كل مُنْعَطَف.

لكنه كان شديدَ الإرهاقِ لي وذلك أن المَقام لم يكن مَقامَ وَعْظٍ مُجَرَّدٍ، لقد كنت أسكب في الكلمات روحي وعزيمتي.... وهذا أمر مرهِق يعرفه مَن جَرَّبَه.

وبينما أنا ذاتَ ليلةٍ أَتَهيَّأُ لصلاةِ العشاء تَناهى إلى سَمعي صوتُ إمام المسجد المجاور يردد سورة الفيل ففتح الله عليّ خاطرةً قرآنية نعيش ظلالها ونَشُمُّ عبيرها ونتَنَسَّمُ أريجها... وبين يدي سردها.. لا بد لنا من مَدْخَل.

فنقول:

معلوم أن أمريكا يتناوب على حكمها ويتبادل أزمة القيادة فيها حزبان.. الجمهوري والديمقراطي. ومعلوم أيضًا أن شعار الحزب الديمقراطي هو الحمار؟! أو بِلُغَةِ القوم الـ donkey. وشعار الحزب الجمهوري هو الفيل!!

---

[١] رزَح أي سقط من الإعياء هُزالاً.

[٢] ناء بحمله أي نهض بجهد ومشقة.



فحكام أمريكا إذًا هم أصحاب الفيل.. هنا دعونا نعود إلى القرآن لنرتل: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ} [الفيل: ١-٥].

تُرى ما قصةُ أصحابِ الفيلِ؟! باختصار واعْتصارٍ أراد أبرهة النصراني أن يصرفَ وجوهَ العرب عن ميراث أبيهم إبراهيم وعن كعبتهم.. فبنى لهم (القُلَّيْس) وسألهم أن يصرفوا وجوههم إليها فأبوا وامتنعوا واستمسكوا بتراثهم وقبلتهم..

لم يقف الأمر إلى هنا.. بل حَمَلَت النَّخْوةُ ودَفَعَت الغَيْرَة رجلاً منهم فتسلل إلى (القليس) فقعد فيها -أي قضى فيها حاجَته- استصغاراً لشأنها وسخرية من بانيها وهنا ثارت ثائرةُ (أبرهة) واتخذَ هذه الحادثةَ ذريعةً لإنفاذ ما يَعْتَمِل في صدره ويُخطط له سراً بمكر وخُلَّب[1].

فجهز جيشاً لَجِبًا طَعَّمَه بدبابات جرارة (الفيلة) وأقبل يَزْحَفُ بزَهْوٍ وخيلاء وهو يُحَدِّثُ نفسَه بنصرٍ-سهل ليُسَطِّر اسمَه في سجل الخالدين وكأني أنظر إليه متبختراً وللأرض منه وَئِيدٌ يَنْظُر باحتقارٍ وازدراءٍ إلى فِئام المقاومين الذين تساقطوا سريعًا أمام يديه وبين عينيه.. حتى إذا دَنا من غايَتِه وأوشَكَ على تحقيق أمانيه حَقَّتْ عليه سنة الله تبارك وتعالى: {... حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [يونس:٢٤].

وهكذا صنيعُ الله بالمتكبرين مكراً بهم وسخريةً منهم فأخذه الله فلم يُفْلِتْه: {وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود:١٠٢]، تُرى كيف كانت النهاية؟ {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ}، وهذه سنة ربانية أخرى..

---

[1] الخُلَّبُ: السحابُ يُومِضُ بَرْقُه حتى يُرْجَى مَطَرُه ثم يُخلِفُ ويَتَقَشَّعُ، وكأَنه من المخِلابَة وهي الخِداعُ بالقَولِ اللَّطِيفِ.



وخلاصتها أن الإنسان كلما طغى وبغى وعلا واستكبر واختال وتجبر سقاه الله الذل أكؤساً ثم تكون خاتمتُه وَبيلةً وعبرة للعالمين.

لقد جاء (أبرهة) بأفيالٍ لم تشهد العرب مثلها من قبل فأرسل الله عليه طيراً أبابيلَ بحجارةٍ في مناقرها ومخالبها من سجيل.. وكانت النهاية {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ}.

ومن قبلُ قال النمرود: {أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} فأمر الله برغوثةً تسللت إلى دماغه فكان يَئِنُّ ويشتكي ثم لا يَهدأ حتى يُضْرَب بالنعال.. ومات وهو على هذا الحال.

وهذا فرعون قال: {وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي} فأَجْراها الله من فوقه، سنةٌ لا تتغير وناموس لا يتبدل.

والآن أين هذا مما نحن فيه؟

ها هي أمريكا بقيادة أصحاب الفيل –الحزب الجمهوري– جَهِدَتْ أن تحرف الأمة عن دينها وأن تَصرف وجهها عن قِبْلَتها وميراثِ نبيها.. فلم تُفلح..

وهنا يَسَّرَ اللهُ إخواناً لنا سَلَّمَ الله أيديَهم وتَقَبَّلَ اللهُ شهداءَهم سَلَحُوا[١] على حضارتها وقعَدوا على صرحها وبنيانها..

فاتخذ (أبرهة) العصر. هذه الحادثة ذريعةً لإنفاذ المخططِ المرسومِ سرّاً فأَقبَلَ يَزْحَفُ بجيشٍ لم تَسمع البشريةُ بمثله يريد دينَ المسلمين وكعبتَهم وهو يُرْغِي ويُهَدِّد بالانتقام.. وتهاوت أمامه فئامُ المقاومين وتَمَزَّقَت كتائب الدفاع واخْتُرِقَت الحصون وسُلِّمَت الديار وزأر أبرهة مبتهجاً بالفتح وعيونه على الكعبة وهو يَفْرُك يديه ينتظر اليوم الموعود... وهنا حَقَّتْ عليه سنةُ الله... وبَدَأَت طيرُ الأبابيل تَرْميهم بحجارةٍ من سِجِّيْلٍ... ولم يَبْقَ إلا المشهدُ الأخيرُ فجَعَلَهم كعَصْفٍ مأْكول.

---

[١] سَلَح عليه أي تغوط، والمراد هنا أنهم أهانوها.



لقد كان من عظيم نعمة الله علينا وخالِصِ مَنِّه وإحسانه إلينا أن اختارنا هنا في الفلوجة الباسلة لِيَكْتُبَ بنا وبدمائنا فصلَ الكرامة والعزة والنصر. فنحن -بإذن الله- الطير الأبابيل المُدَجّجَة بحجارة السِّجِّيل أمامَ أَفْيالِ أبرهة وجيشِه اللَّجِب.

ألم يقل (جون أبو زيد) في أول أيام الحصار: (نحن أعتى قوة في التاريخ وسننتصر)، وقد صدق في أول الكلام وأَكْذَبَه الله في آخره، وسنظل بإذن الله هنا نصاول ونُطاول حتى يُسْدَلُ السِّتار على الفصل الأخير {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ}.

بدا واضحاً أننا نحتاج إلى العديد من صناديد العلم والدعوة، وبدا واضحاً أيضاً أن الساحةَ فارغةٌ وأن الميدانَ خالي الوِفاضِ وأن التقصير شديد جدّاً..... وإلى الله المُشتكى.

التربية التربية.. شعارٌ حالِمٌ وجميلٌ يَتَدَرَّعُ به كثيرٌ مِن الدُّعاة كلما دَعوا إلى القيام بالواجب الجهادي ودفع الصائل على أمة الإسلام.... ولنا هنا وقفات:

أولاً: المتأمِّلُ لسيرةِ النبي ﷺ وحركَتِه بدينِ الله في الحياة يَجِدُ أن النبي قد رَبَّى الصحابةَ تحتَ ظلالِ السيوفِ فكانت غزواته رِحْلاتٍ تعليميةً وسياحاتٍ تربويةً ودوراتٍ تأهيليةً عمليةً يَتَلَقَّى فيها المجاهدُ التعليمَ الشرعيَّ والتهذيبَ الروحيَّ والتطبيقَ العمليَّ للمعاني الشرعية من توكُّلٍ وإيثارٍ وصبرٍ.. إلخ بالإضافة إلى التصويب والتقويم للأخطاء والانحرافات التي تَنْشَأ في أثناءِ المسيرِ، وهنا يَظْهَرُ سِرٌّ من أسرارِ الفَرْقِ الشاسعِ بين جيل الصحابة ومَن بَعْدهم، فأولئك الأفذاذ تَلَقَّوا الإسلامَ حياةً عمليةً وواقعاً حياً ومفاهيمَ حركيةً، بينما تَلَقَّى مَن بَعْدَهم العلمَ والتربية نظرياتٍ تُحفَظُ ودروساً تُتَلَقَّى ومتونًا تُشْرَح....

ثانياً: وفوقَ هذا فالمتأملُ في سيرة النبي ﷺ يَجِدُ أن هذه الشعيرة (أعني الجهادَ..) اسْتَحْوَذَتْ على القِسْطِ الأكبرِ من حياتِه ودعوتِه.. فبَعْدَ سبعةِ أشهرٍ من الهجرة بدأت سلسلةُ السرايا والغزَواتِ لتَصبغَ وَجْهَ حياتِه كلِّها بعد ذلك حتى سنتّه القوليةَ كان للجهاد



منها نصيبُ الأسد كما قال شيخ الإسلام: (وأكثر الآيات والأحاديث في الصلاة والجهاد).

ثالثاً: هناك مفارقةٌ غريبة عند أهل هذه النّظْرة أشار إليها أبو قتادة الفلسطيني وخلاصتها أن التربية الشرعية هي في التطبيق العلمي للفريضة لتُثْمر -إذا أُتِيَ بها على الوَجْهِ الصحيحِ- آثارُها النفسيةُ والإيمانية في قلب مَن يُباشِرُها فالصوم للتَّقْوى والصلاةُ أداةُ تطهير وتزكية وهلم جراً. وهكذا فالجهاد تربيةٌ عمليةٌ على الجهاد والتضحية.

رابعاً: نَعم لا بُدَّ من التربية والتعليم للمجاهد لمباشَرَتِه أَمْرَ الدِّماء يَحتاجُ إلى مزيدٍ من الضبطِ الشرعيِّ والتهذيبِ النفسيّ. ولذلك فالواجبُ أن يُقْدِمِ إلى ساحِ الجهاد الخُلَّصُ من العلماءِ والنوابغِ من الفقهاءِ ليُباشِروا التعليمَ والتَّوجيه والتصويبَ وليُمارِسوا بأنفسهم تنزيلَ الأحكام على النوازلِ التي يُداك بها المجاهدون.

إن المجاهد في ميدان المعركة أكثر الناس تَهَيُّؤاً وأَعْظَمُهم اسْتعداداً للتلقِّي الشَّرْعي والالتزامِ الفِقْهي والعروجِ إلى مقامات الكمال الإيماني إذا وُجد العالم الرباني الذي يأخذ بيده..

وهو أولى بالجُهْدِ الدَّعَوي، ووقتِ العالم من ذلك المُخْلِدِ إلى الأرض المتكئ على أريكته، النائم في حِضْن زوجته..

لقد كنت أحاول -على تقصير- أنْ أَطوفَ بالمرابِطينَ على الثُّغورِ في الفلوجة مُذَكِّراً لهم وناصحاً لهم، وكنتُ أَجِدُ نفوساً ظامئةً وقلوبًا عَطْشَى إلى الهدى والعلم وأرواحًا تتقافزُ طلبًا للكمال، وحين يَعْظُم البأسُ ويَشْتَدُّ ليلُ المِحَنِ كنتُ أجد نفوسًا قلقةً تتَلَهَّف إلى موعظةٍ تسكب فيها طمَأْنينة وتتَلَفَّتُ تبحث عن تذكرةٍ تَرُدُّ بعض الأمل والثقة بالنصر..

وربما أَلَحَّ عليَّ بعضهم ألَّا أُفارِقَهم فأَتَعَلَّل -صادقاً- بأن هناك غيرهم ممن يحتاج إلى مثل ما يحتاجونه.



وكنتُ أتساءل في نفسي فأقول: أين طلاب العلم وحملة الدعوة ودعاة التربية؟ أليس لهؤلاء المجاهدين حقٌّ في رقابهم ونصيب في عملهم وهم يذودون عنهم وعن أمتهم.

وأقولُ جازمًا: إنه لو كان في هذه المِحْنَة عددٌ من النِطَاسِيّين[1] في التربية وطلبة العلم الربانيين لَتغَيَّرَ وَجْهُ مدينةِ الفلوجة ولكانتْ هذه المِحْنَةُ خطواتٍ واسعةً نحو التمكين.

خامساً: من المُفارقات الغريبةِ أنّ أكثرَ مَن يَنْفِرُ إلى الجهاد هُم أصحابُ الفِطَر السويةِ والقلوب السليمةِ وربما حديثو التوبة ممن لم يَسْبِق لهم أن خضعوا للتشكيل الفكري والتربوي في مَحاضِنِ الجماعات الإسلامية، ولذا فإن كثيرًا منهم تَغْلِبُ عليه الأمية الشرعية حتى أن أكثرهم لا يُحْسِنُ أَلِفَ باءِ التجويدِ والتلاوة. وهذا يَضَعُ يَدَكَ على خللٍ عظيم في مناهج التربية المزعومة.

ففي الوقت الذي يتغنى كثير من هؤلاء بقصص البطولاتِ في سُوح الجهاد ويتبنون نصرةَ هذه الميادين نظريًّا فإنك لا تجدُ أحدًا منهم يُجشّمُ نفسه عَناءَ الذهابِ للمشاركةِ الفَعّالة الحقيقية.

فيا تُرى ماذا تَعَلَّم هؤلاء وعلى ماذا تربَّوا؟

لعلي لا أبالغ عندما أقول: إن كثيراً من هؤلاء إنما تَعَلَّموا الجَدَلَ والتنظيرَ الـمُجَرَّدَ واقتحامَ المعاركِ الكلاميةِ وربما بدا لأحدهم أنه صار ثمينًا مع تعلمه لبعض فنون القول وزخرفة الحديث بحيث لا يليق به أن يموت كسائر الجند المساكين!

أليس مخجلاً حقاً أن يكون جهاد كثير من الدعاة حصاداً سهلاً لدماء المجاهدين الصادقين وأن يَبْتَنِيَ هؤلاءِ صروحَ المجد الكاذب على جماجمِ أولئك الخُلّصِ الساذَجين.

ولكنْ عزاؤنا أنه عند الله تَنْكشف السرائر...

[1] النَّطاسيُّ بكسر وفتح النون هو العالم.



ويُذَكِّرِني هذا بطُرْفة تقال عندنا وخلاصتُها أن شَرْكَسِيًّا اشترى أُضحيَّة للعيد ودفعها لسَلْطِيّ[1] ليذبحها فأَضْجَعَها، وقال: بسم الله، اللَّهمَّ عني وعن أهل بيتي، فقال له الشركسي: (بابا اذبح.... الله بيعرف مين دفع الفلوس). والله من وراء المقصد.

[1] تعليق أبي أنس: هكذا الطرفة وأنا بريء من عهدتها. والسلط مدينة في الأردن.



• استشهد في هذه الأيام جمال أبو البراء الأنصاري من الخالدية، كان يَتَحَرَّق للشهادة ولَمَّا سَمِعَ بأمر الهدنة وظن أن الحرب ستضع أوزارها ابتأسَ وبدا عليه حُزْنٌ عميق وهو يقول:

ها قد ضاعت مني فرْصَةُ الشهادة، مشى يوماً فأَبْصَر. على الأرض ظروفَ طلَقاتٍ فارغةٍ فالتقط بأنامله ظرْفاً وقال: وهو يتأمله حسيرًا كسيرًا طلقة أو اثنتان ثم الشهادة (صدق مع الله فصدقه الله)، كان واقفًا بعد ذلك مع نحو أربعةٍ من الإخوة ناحيةَ القائمقامية وفجأةً تعمده قنّاصٌ برصاصة في جبهته فخرّ صريعَ اليدين والْفَم.. وانطبعت على محياه ابتسامةٌ رقراقةٌ تحكي فَرحتَه بتحصيل أُمْنِيَّتِه.. فرحمه الله.

كانت الساحة تَمُور بالجواسيس والسَّقَطَة الذين باعوا دينهم وأمتهم مقابل لُعَاعَةٍ من مال، وقد أَثَّر هؤلاء في بعض المواقِفِ وأَنْكوا فينا نِكاية شديدة؛ من ذلك أن أحدهم ألقى قرصاً في كراج أبي سرمد فقُصفوا، واستَشْهَد عدد منهم، وأصيب آخرون واحترقت حاوية سلاح كنا نَدَّخِرُها للمُلِمَّات، وانسحب الإخوة، وخلا ثغر الجبيل من الحراسة، ولبثنا نحو ثلاثة أيام لا نجد أحدًا يَسُدُّ هذه الثَّغْرَة... حتى يَسَّرَ اللهُ بعدَ ذلك الأمرَ ولَمْلَمْنا بعضَ الإخوة من هنا وهناك فرابطوا على أن يُشاغلوا العدو إذا دَهَمَهم لحينِ حُضورِ المَدد والعون من سائر الثغور والنقاط في المدينة.

نعم –أيها المسلم– ثلاثة أيام وهذه النقطةُ فارغةٌ ليس فيها أحد، ولو دخل منها العدو لاقتحم إلى قلب المدينة من غير قتال أو مقاومة.

لقد كنا ننام تلك الليالي بقلوب وَجِلَةٍ وأفئدة قلقة، لا نملك إلا الدعاء والتضرع لرب الأرض والسماء أن يأخذ بعيون الكفار عن هذه النقطة.

ومثل هذا أن العدد نقص جداً في الجولان، وكان الإخوة يُرابطون في الوَسط من منطقةٍ ممتدةٍ، ولنَقْصِ العددِ لم نكن نستطيعُ أنْ نُغَطِّيَ كلَّ المداخل.



وشاء الله أنهم قرروا الاقتحامَ وتَهَيَّؤوا للدخولِ والتسللِ مع بواكيرِ النهار..... أتدري ماذا حصل أيها المسلم الكريم؟

لقد ساقهم الله بحكمته واستدرجهم بمكره إلى النقطة التي يرابط فيها الإخوة... ولو تسللوا من الجناحين لالتفوا حول الإخوة وبطشوا بهم.

سمع حِسَّهم أبو عمار السوري فغمز البي كي سي فزغردت وأصاب عددًا منهم وتصايحَ الإخوة وقاموا من نومهم مبادرين ودارت رحى حرب ضَروسٍ وقَذفت الدبابة بحِمَمِهَا فهَدَّمَت بعضَ البيوتِ وصَيَّرَتْها أنقاضاً، وكان الوحيدُ الذي أُصيبَ الفتى عمار السوري أصغر المجاهدين في هذه المعركة.. في نحو الثانية عشرة من عمره (ومن شابهَ أَبَهُ فما ظَلَم).

استمرت المعركة إلى ما بَعْدَ العَصر وكانَ الإرهاقُ أَخَذَ من الإخوة كلَّ مَأْخَذٍ بحيث أنه لو طالت المعركة ساعة أخرى لأخذهم العدو مَسْكَ اليد... لكن الله ألقى الرعب في قلوبهم فانسحبوا خائبين وأَقْبَلَت في إثْرِهم المقاتلاتُ تَقْصِفُ بكل أنواع القنابل المحرمة دَوْليًّا..؟!!!!

أَصْغَيْنا تلك الليلةَ إلى الأخبار فزعم الأمريكان أنهم صدوا هجوماً للإرهابيين وكبدوهم نحو ٣٨ قتيلاً... ولم نَدْرِ أنضحكُ من هذا الهراء أم نبكي لأننا لا نستطيع أن نُفْرِحَ أمتَنا بالحقيقة التي عِشْناها؟

لم يُقْتَل أحدٌ في هذا اليوم حاشا أحد الإخوةِ برصاصِ قَنّاصٍ في الحي العسكري –إذا لم أكن واهماً– ولعل الأمريكانَ عدُّوا قتلاهم ثم انقلب عليهم الأمر فخالوهم منا!!!

كلما تذكرت تلك الليالِيَ وهاتيكَ الأيامَ تتراءى لي حقيقةٌ تتراقصُ أمام عيني وتأخذ بمجامع قلبي، أَشْعُرُ من الأعماقِ وبيقينٍ راسخ أنَّ اللهَ قدْ أَذِنَ بانقلابِ الحالِ وذهابِ



عصرِ–الذلِّ وانكسارِ مَوْجَةِ الكفر وأن الأمةَ نَهَضَتْ مِن كَبْوَتِها وستَظَلُّ تَرْتَقي صُعُداً حتى تَسْتَحْوِذَ على أَرْدِيَة المجد وأُزُرِه فتكْتَسِيَ. من جديد لِباسَ العز والفخار.

أشعر أن الله يَصنع هنا في هذه الساحة لهذه الأمة مجداً جديداً بيديه لا بحولٍ منا ولا بطَوْل، بل هو محض الفضل الإلهي.

إن لكل أمة إقبالاً وإدباراً وارتقاءً وتَسَفُّلاً، والأيامُ دولٌ وأمةُ الإسلامِ بَلَغَتْ في العقود الماضية القاع وها قد بدأت بالإقلاع من جديد.

.. ولن تَنِيَ أو تهونَ حتى تَفتح روما ويَمُدَّ الإسلام رُواقه على الدنيا، ويَضْرِبَ بِجِرانِه في الخافقين مرة أخرى.

لقد ابتدأت الملاحم هنا في العراق وسَتَمْتَدُّ حتى تَنتَهي بالشام كما أخبر سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

إن الهلال إذا رأيتَ بدوّه *** أَيْقَنْتَ أنْ سيكونُ بَدْراً كاملاً



ودرس آخر تلقيناه في معركة الأحزاب هذه..

درسٌ عملي يكشف لنا عن حقيقة التوكل وفاعلية هذه العقيدة.. وأنها الديناميكية التي تضبط حركة المؤمن بدين الله في الحياة، والحادي الذي يحْدو المطايا حتى تلتحق بالرَّكْبِ فلا تتَخَلّف عن المسير، إنّ الدار دارُ سننٍ لا يَجوز تعطيلُها {فَأَتْبَعَ سَبَبًا}، ولكنِ الواجب على المؤمنِ أنْ يُعِدَّ ما اسْتطاعَ وألا يَأْلُو جَهْدًا[١] .. فإذا عزم وهزم شيطان التردد فليتوكل على الله.

لقد أمر الله قديماً مريمَ –رضي الله عَنْهَا– أن تَهُزَّ النخلة فتُسَاقِطَ عليها رُطباً جَنِيّاً وما تصنع هزة ذراعٍ من امرأة ضعيفةٍ نُفَسَاء تتحاملُ على نفسها لتَقِفَ على قَدَمَيْها؟

لكنها السنن!

تَذَكَّرْ أيها المؤمن أنّ الله كانَ يُقَلِّبُ فِتيَةَ الكهفِ يميناً وشمالاً حتى لا تأكلَ الأرضُ جُنوبهم... وقد كان يمكن أن يأمر الأرضَ فتَمْتَنع........ لكنها السنن.

وقد قال أئمتنا: إن تعطيل الأسباب زندقة، والاعتمادَ عليها شِركٌ.

ونَحْو الأسبابِ أن تكونَ أسباباً لنقص في العقل[٢]، لكنَّ محلَّ الوهم في هذا الباب عند بعض المعاصرين والمفكرين أنهم يحسبون أن الإعداد الذي يبيح لك مباشرة القتال أو يتيح فرصة الفوز هو الإعداد المادي المكافئ لعدوك، وهذا وهم وخيالات تكذبها شهادة التاريخ على مر الأعصر وكَرِّ الدهور، وإذا تَصَفَّحَ اللبيبُ التاريخَ ووَقَفَ عندَ القِمَم الشوامخِ والانتصاراتِ البَاهرةِ لأهلِ الحق في المعارك الفاصلة.. وَجَدَ باطّرادٍ أن الكِفَّةَ المادية كانت دائماً راجحةً لصالح أهل الكفر من لدُنْ داودَ وطالوتَ إلى بدرٍ والقادسية واليرموك.. وقبل ذلكَ وبَعدها.

---

١ لم يَألُ جَهْداً أي لم يدع جَهداً ولم يقصِّر.

٢ من يهمل السبب مع علمه أن الله جعله سبباً فهذا نقص في العقل، وكثيراً ما ترى أناساً انحرفوا فتركوا الأسباب أو بعضها ظناً أن هذا من الدين، فمن هنا أُتيَ.... من قلة علمه مثلاً.



ولم نذهب بعيداً فلقد عشنا هذه الحقيقة بقلوبنا وأجسادنا.

أتدري أخي المسلم.. أن الذين ثَبَتوا مرابطين على الثغور حتى انكشاف الغمة وانكسار الموجة لا يتجاوزون المئتين وخمسين.. فقط!!.. نَعم والله.... بهؤلاء القِلَّةِ كَتَبَ الله فصلاً من فصول العزة.... وجَعَلَهم للأمة مثلاً وللحقِّ مَضْرِباً وللعالَمِ أُحْدوثَةً، وأَعْجَبُ من هذا أن العَتادَ قد تَناقصَ والذخيرةَ قد شَحّتْ وشُدِّدَ الخِناق، وضاق بنا الفَضاء في آخر الأيام بحيث صِرْنا نَجمع للإخوة طلقات بنادق الكلاشينكوف تسوُّلاً من الثغور؛ طلقةً من هنا وأخرى من هناك، ولعله لو قامت معركة تستمر ربع أو نصفَ ساعة لَما بَقِيَ معنا شيء نَرْمِي به العَدُوَّ... لكنه الفَضْلُ الإلهي.. ومع هذا الضيقِ كنا نشعر حقيقةً أن الله مولانا ولا مولى لهم... وأَدْرَكْنا معنى حديث الصادق المصدوق: "نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مسيرة شهْرٍ".

ومن المواقف المُعْجِبَة في هذه الحرب أنهم كانوا ينادوننا قائلين استسلموا لقوات المارينز التي لا تُقْهَر... كنوع من الحرب النفسية ولم نَلْبَث إلا أياماً حتى رأينا مُدَرَّعات العدوِّ وجندَه يَرفعونَ الراياتِ البيضاءَ... إي والله وذلك بفضل الله.

ولا أَنْسَى تلك الحادثة العجيبة التي تحكي الخوف والرعب الذي داهم قلوبهم و اقتحم أفئدتهم.

حين أقبل رَكْبٌ من خمسة جنود من (المارينز) يتقدمهم واحد منهم يحمل راية بيضاء من نحو الحي العسكري ولما رآهم صاحب النوبة لم يَدْرِ ما يَصنع فأصلاهم من فوره حمم البي كي سي فجَنْدَل مُقَدَّمَهُم حاملَ الرايةِ ووَلّوا الأدبار.

.. ولعله لو لم يفعل لكان للتاريخ حديثٌ آخر.

وأَطْرَفُ من هذا أن مناديهم نادى من ناحية السوق –الجسر القديم– قبل انكشاف الغمة بيومين.. يقول:.. هيا اخرجوا أيها الجبناء لتقاتلوا نساء قوات المارينز...



فرماهم عماد بالهاون فوقع وسطهم فأَقْصَدَهم... وما هي إلا لحظات وإذا بصائِحهم ينادي ويقول: الرجاء التزامُ الهدنة، الرجاء التزام الهدنة...... وقلنا سبحان الله....

ولا أنسى هنا أن أشيد بالبطل (عماد) قائد كتيبة الهاون هو ومجموعته فقد

كانوا السلاح الـمُنْكِي واليدَ الباطشةَ التي رَجَّحَ الله بها كِفَّةَ المجاهدين فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.....

عبد الحق البغدادي وما أدراك ما عبد الحق؟ قناصٌ وأيُّ قناصٍ.. لقيني هذه الليلة فبادرني مبشراً بأنه ترك التدخين وتاب منه.. فالحمد لله على توفيقه رابط في حي الشهداء مع مجموعة أبي عبد الله التونسي فصدوا وردوا عدداً من غارات العدو وكسروا عدة موجات بحول الله وقوته.

تتابعت الأحداث على هذا المنوال، ورأينا من غَدْرِ الأمريكان ونَكْثِهم بالعهود ما لا يوصف والشيء من مَعْدِنه لا يُسْتَغْرَب.

وائذن لي هنا أيها القارئ الكريم... أن أحدثك عن الجندي الأمريكي وأن أصفه لك وصفا يُقرّب الحقيقة ويُجَلّي الواقع.. فأقول:

الجندي الأمريكي دمية لوحش مخيف، مملوءةٌ هواءً يوشك أن تطيش بوخزة إبرة ولها (ووووش)، وهكذا الجندي الأمريكي ما أسرع أن يَنقلب على عقبيه ويُولِيَ الأدبارَ، وله ضُرَاط عند أول مقاومة يَجِدُها... وأشدُّ من هذا أنهم يبدؤون سراعاً بالعُواء كالجِرَاءِ عند أول صَلْيَةِ نار...

هذه هي حقيقة الجندي الأمريكي عارية عن الرُّتُوشِ الزائفة التي تُخْفِي وراءها هُزالاً وخُواراً قَلَّ في التاريخ نظيرُها.



مشكلتنا دائماً مع هؤلاء هي الطيرانُ سلاحُهم القتّال، وفي ظلِّ غياب دفاعات أو مضادات للطيران فإن الكفة تظل مائلة راجحة في حقهم..... وإلى الله المشتكى.

لقد كنا ننام ونستيقظ على أزيرِ الطائرات وهديرِ القاذفات وأصواتِ القصف حتى صارت لنا كأهازيج النوم التي تُهَدْهِدُ الأمُّ بها ولدَها الصغيرَ حتى مرت الليالي قاسيةً بطيئةً، الكواكبُ كان ظلامها دامساً وليلُها طامِساً.. لا ينام.

لا حَظَّ فيها للضياء إلا أنوارَ الإيمان تضيء للمؤمن الدربَ متفاوتةً قوةً وضعفاً بين شخص وآخر.

وكان أمرُ الهُدْنَةِ ضبابِيّاً.... فقد كنا نشاهد غير ما يُنْقَل، ونُقاسِيْ غيرَ ما يُشاعُ ويُذاع.. وكانَ الإزْهاقُ قد بَلَغَ من النفوس أَعْماقَها وبَدَأَ يَفْتِكُ بطاقةِ الصبر والمصابرة، لكنا كُنّا نَشْعُر أنّ عَدُوَّنا يُعَانِي ما نُعاني أو أشدَّ ويَتَمَثَّلُ أحدُنا قولَ الحقِّ تعالى: {إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} [النساء:١٠٤].

آية كانت تنزل على الجُرْح فيبَرأ وتُشِعُّ أنوارها على القلب المكْدودِ فيُنْشَط.. وهذه أعجوبةُ القرآنِ الكُبرى..

فحين ينقاد المؤمن بالقرآن ويتَمَثَّله واقعاً حركياً ثم يَتواصل معه تلاوةً يَشْعر وكأن القرآن يتنزل عليه غَضّاً طَرِياً يلامس أحاسيسه فيُوجهها، ويشرح له الأفعال وردودها فيُجَلِيها، يُحدِّثه عن خَلَجات النفوس، وزَمْزَمَات القلوب، ومواقفِ الطوائفِ، وأطيافِ البشرِ يحكي له ماذا سيفعل الناس من عدو وصديق ويُوَجِّهُه إلى المواقف التي ينبغي أن يُسَطِّرَها، والقَراراتِ التي يتَّخِذُها، يَعيش معه فيَفْتَح عينَه على الحقائقِ ويُنَوِّر بصيرتَه حتى لا تَتَجاذَبَه السُّبُل وتَنْحَرفَ به الدروب.



هـذه الحقيقـة يَخْفِـقُ بها القلبُ وتَسْـتَلِذُّ بها النفسُ حينَ تَهُبُّ عليهـا نسـائمُ الإيمان والصفاءِ من كُوَّة السماءِ إذا تَوَجَّه إليها المؤمن في رمْضاءِ المحنةِ ولَهَبِ الفتنةِ وهو يَطْلُبُ العَوْنَ ويَنْشُدُ التثبيتَ من الرب الكريم –سبحانه–.

لقيتُ هذا اليومَ أبا حفصِ المقدسيَّ بعد طول غياب لأنه يرمض بعيداً عنا في مكان آمن.. وبعد العناق الحار تذاكرنا أيام المعركة وحديث الجهاد فأفضى إليّ ببعض الرؤى التي رآها بعضُ إخواننا؛ ومن ذلك رؤيا رآها عبد الرحمن من الجزيرة العربية رأى فيها عموداً من نور نزل من السماء إلى الفلوجة فأضاء ليلَها ثم انتشر عَرْضاً في طول البلاد وعرضها....

وهي رؤيا حق –إن شاء الله–..



يوم الأحد ٥ ربيع الأول ١٤٢٥هـ – الموافق ٢٥/٤/٢٠٠٤م

مع إشراقة هذا اليوم بدأت العوائل المُهَجَّرة التي ضاق بها الفضاء ولم تسعها الأرض بما رَحُبَت بالعودة إلى المدينة.

وكان أمرُ الهُدْنة ما زال ضبابياً... وإن بدا واضحاً للعِيان أن إرادة القتال قد أفلست عند الأمريكان وأنهم يبحثون عن كُوَّةٍ في جدار الذل الذي أحاطت بهم أسواره ليَخْرجوا منها ببعض ماء الوَجْه...

وكنا نحن نشعر بهذا ولذلك وافقنا على دخول عدد محدود من العربات الأمريكية في الطريق الرئيس الواصل إلى القائمقامية وفي مسار محدود ولأجَل محدود وميقاتٍ مضروب... كنوع من ردّ الاعتبار...

وفوجئنا ليلة التنفيذ بالحية الرقطاء (كيميت)[١]...

صرّح كيميت بأن القوات الأمريكية لن تدخل المدينة مخافة أن يَغدر المقاتلون و يأخذوا الأمريكان رهائن ويتخذوهم دروعاً بشرية؟!!!!

كل هذه الأحداث والقصف الجوي مستمر لا ينقطع...

ومن المضحكات أن الجنود الأمريكان كانوا يتعمدون فتح الموسيقى الصاخبة طوال الليل و بأعلى صوت عبر سماعات ضخمة وما دَرَيْنا أهو غَيْظٌ منهم للقرآن الذي كانت تبثه منابر المساجد أم هو أفيون تخدير ينقلهم من المأساة التي يعيشونها إلي عالم الطرب وسَكَر النفوس هرباً من الحقيقة شديدة الوطأة.

---

[١] **تعليق أبي أنس:** ثبت عندنا بالبينات والبراهين بعد ذلك أن هذا الرجل يهودي.. وأما حقده على الإسلام وأهله فتقرؤه في عينيه.



الاثنين ٦ ربيع الأول ١٤٢٥هـ - الموافق ٢٦/٤/٢٠٠٤م

تقدم عدد من الإخوة تسللاً إلى أطراف الجولان بقيادة أبي ناصر الليبي ومنهم جند الله الكردي وأبو الحارث البغدادي ومجيد الفلوجي وأبو الوليد الكويتي وأبو الزبير النجدي وأبو علي الفلوجي وأبو مسلم اليمني وأبو معاذ الفلوجي وعبد الهادي اليمني وعمر وعبد المجيد من الفلوجة كان الإخوة في أطراف الجولان بإمرة أبي عمار السوري قد اجتمعوا وتحادثوا في أمرِ بيتٍ عَسْكَرَ فيه الأمريكان، واتفق الجميع على خطة اقتحام.. وتقدم المذكورون من جهتين، وحين دَنَت المجموعة الأولى من البيت الملاصق للهدف.. سقطت علبة دخان فارغة ألقاها أحد الجنود الأمريكان على رأس أحد الإخوة فتبين لهم أن العدو متمركز في بيتين لا بيت كما توهموا، وانقسموا مجموعتين، واقتحم الأسود:

عبس الليل فابتسم *** وطغى الليل فاقتحم

تقدم الأبطال وعلى رأسهم جند الله وعبد الهادي اليمني وباستعمال القناديل اليدوية تم التمشيط بالبي كي سي والكلاشينات فأخمدوا لهم كل مقاومة، ورَقِيَ الإخوة السطح واستهدفوا البيت الآخر فأخرسوا مقاومته ورأى أبو المهاجر وقد أشرف على المقبرة القريبة جموعاً من جنود المشاة فصاح: العلوج! وغمز البي كي سي فجَنْدَل منهم عدداً... وابتدأ قصفٌ رهيبٌ شاركَتْ فيه مدرعةٌ كانت بالقربِ من الموقع وانضمَّ إليها جموعٌ من الأمريكان كانوا فوقَ ظهر بيتٍ في نهاية الجولان وهم الذين ظهرت صورهم على شاشات التلفاز.

وانسحب الإخوة سريعًا وأُصيب في الانسحاب جندُ اللهِ بطلقةٍ في بطنه فاضت معها روحه الطاهرة إلى الله كما وأصيب أبو الحارث البغدادي برصاصة في رأسه نُقِلَ بعدها إلى بغدادَ لتغادر الروح الجسد إلى الله تعالى.

وعبر جدرانٍ وأسوار المنازل انسحب الإخوة يحملون جثامين إخوتهم من سور إلى سور حتى أَفْضَوا إلى مكان آمن....



وتتابع القصف الأمريكي على الموقع فدمروه وأجهزوا على من عساه يكون حيًا من جنودهم.

كنا نتربص هاتيك الأيام وننتظر ضربة البصرة البحرية.. وذلك أننا كنا نؤمل أن تكون ضربة قاصمة تزلزلهم وتَهُدُّ بنيانهم فيضطروا إلى فك الحصار وتخفيف الضغط علينا..

وكلما رُسِمَت في شاشات التلفاز إشارة خبر عاجل تحفزت النفوس واشرأبت الأعناق..

حتى أذن الله بالفرج فكانت أولاً ضربات مراكز الشرط في البصرة وكانت ضرَباتٍ موجعةً منكية -بحمد الله- وتَبعَتْها بحمد الله - قاصمةُ الظهر لهم (أعني غزوة يوسف العييري -رحمه الله- البحرية).

صحيح أن العملية لم تكن تماماً كما قُدِّرَ لها، وذلك أن دوريةً من أربعة عشر. جندياً بريطانياً اشتبهت في أحد القوارب فأوقفوه وانتقلوا إلى قاربه للتفتيش فما كان منه إلا أن فجر فانتقل وإياهم إلى الدار الآخرة... وليسوا سواء إن شاء الله، فتوتر الجو وانكشف الأمر قبل أن تبلغ بقية القوارب منتهاها... ومع ذلك فقد كانت ضربة موجِعةً وحسبُك أنهم لم يُظهروا صورة للميناء ولميدان العملية، كما وانقطع ضخ النفط شهوراً متطاولة.. وكان ينبغي أن تُفَجّر ناقلتان كبيرتان وثلاث مدمرات حربية للقوات الأسترالية، كانت الضربة موجعة، ومع ذلك فنحن نُقِرُّ أنا لا ندري حجم الخسائر ذلك أن الموقع كان على بعدِ خمسِ ساعاتٍ من الشاطئ، لذا فقد كان تصوير الأحداث متعذراً.. ولكن حسبُك إضافةً إلى ما تَقَدَّم أن رئيسَ الوزراءِ الأستراليّ جاءَ سريعًا وفي زيارةٍ خاطفة إلى العراق.. وكفى بهذا شاهداً...

وتتابعت بعد ذلك العمليات:



ففي يوم الثلاثاء ٧ ربيع الأول ١٤٢٥هـ - ٢٦/٤/٢٠٠٤م

فجر استشهادي سيارته في الرضوانية وتطايرت أشلاء نحو ٧٠ جندياً أمريكياً. ومن الغد الثلاثاء ٧ ربيع الأول تبعتها أخرى في اليوسفية كان حصيلتها نحو ٥٠ جندياً أمريكياً أثلجت الأخبار صدورنا وقرت بها عيوننا وانفسح أمامنا ميدان الأمل مَدَّ البصر بقرب النصر والظَّفَر.

في يوم الخميس ٩ ربيع الأول ١٤٢٥هـ - الموافق٢٨/٤/٢٠٠٤م

دَمَّر الأمريكانُ مَنارةَ المسجد المعاضيدي.

في هذه الليلة -تقديراً- عُدْتُ برِفْقة أبي خطاب وأبي عبد الله بعض الإخوة المصابين منهم.. سامَرْناهم قليلاً وصَلَّيْنا العشاءَ جميعاً ثم قَفَلْنا عائدين صَوْبَ الجولان والقصفُ لا يَفْتُر فوقَ رؤوسنا، وحَلَّقَت فوقنا طائراتُ الموت الزُّؤام، ووقفنا برأس فرع ناءٍ ناحية بيت أبي خطاب على نحو خمسين متراً، فعقب علينا مازحاً وقال: هلا أتممتم عملكم وأوصلتموني باب البيت... فاعتَذَرْنا بسُخونة الأجواءِ وحَرَجِ الموقف، وتَرَجَّلَ حَذِراً يَمْشي بمحاذاة البيوت، وأطلقنا سيقان السيارة للريح لحظات وانهالَ قصفٌ كالمطر على الشارع ودُمِّرَت ثلاث سيارات كانت تَعْبُر فيه.. ومضينا نحن تحت أزيز الطائرات حتى أَرْفَأنا إلى[1] بيتنا سالمين.

من عجائب السنن في الفتن أن المحنة إذا انجلت وانقضت فكأنها لم تكن، وبدت وكأنها حلم أَفَاق منه الرائي فصارَ كأضغاثِ أحلام.

بل هذه هي الدنيا.. حُلُمٌ يُوشك أن نستيقظ منه على وَقْعِ حقيقةِ الغَيب... وكما قال أحد السلف: (الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا).

---

[1] أرفأ إليه: لجأ.



أخبرني أبو عبد الرحمن البغدادي بعدَ الأحداث أنه رأى في منامه رجلاً ملثماً يحمل قاذفةً يقاتل مع المجاهدين فسأل: من هذا؟ فقيل له: هذا رسول الله.. فكانت بشارة خير.

اشتد القصف في هذه الليالي جواً وبراً بالطائرات والدبابات والمدافع.. وبدا أن الأمريكان قد اسْتكْلَبوا بين يدي انسحابهم تغطيةً لجنودهم المنهزمين.. حتى كان يوم السبت.



السبت ١١ ربيع الأول ١٤٢٥هـ – الموافق ٣٠ /٤/٢٠٠٤م

في هذا اليوم ابتدأت القوات الأمريكية بالانسحاب، وتزامن انسحاب الفوج الخامس من الكتيبة الأولى لمشاة البحرية من الأطراف الغربية الجنوبية للفلوجة مع دخول لواء الجيش العراقي.

ومن الأخبار الطريفة أن الشرطة العراقية في الحي الصناعي تفاجأت بقيام أحد الجنود الأمريكان بالصياح والصراخ والبكاء بحالة هستيرية فرحاً بالانسحاب.

كما وحلقت في هذه الليلة طائرات (ب–٥٢) مُحْدِثَةً دَوِيّاً رهيباً.. وهي تروم –بظنهم– إرهاب المجاهدين وإخافتهم.

وفي محاولات أخيرة فاشلة حصل هجوم على الجولان في نحو (٧,٤٥) واستمر إلى (٨,٢٠) وباء بفضل الله بفشل وانكفؤوا خزايا وندامى..



وفي يوم الأحد ١٢ ربيع الأول ١٤٢٥هـ الموافق – ١/ ٥/ ٢٠٠٤م

سُمع قصفُ ودوي ثمانية انفجارات قوية في حي الجغيفى والعسكري قبيل الظهر –كما وأُعْلِنَ عن وصول ٧ جثث لـ (البشمركة) إلى كركوك وامتنع الناس الصلاة عليهم.

تتابع الانسحاب سريعاً، وتتابعت جموع العائدين تَتْرَى...

وطويت صفحات محنة ومنحة خافضة رافعة.. ارتفع معها بعض الناس فطاولوا عَنان السماء وانحط آخرون كانوا فيما مضى– بُدوراً وأقماراً أو هكذا ظن الناس.. وهذا شأن الفتن وحديث المحن وصنيع الابتلاءات صفَحَات لا تنسى أحداثها.. ولا تَنسخ الأيام عَبقَها وأريجها في صدور أهل الإيمان.

كانت تجربة فريدة ومعجزة خارقة فتحت للنصر– كوةً وأحيت للظفر أملاً ... سَطَّرها والأرضُ تحت أقدامنا تمور، والحرب جَذَعة[١] لم تضع أوزارها... تحريت فيها الصدق وآليتُ على نفسي الدقة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.. فما كان من حق فمن الله وما كان بضد ذلك فمن نفسي ومن الشيطان.

---

[١] الجَذع الصغير السن، والمراد هنا أننا وددنا لو يرجع الزمان إلى الوراء فلا نقع في ما وقعنا فيه.



تنويه واعتذار

أسلفْتُ في المقدمةِ أن هذه اليوميات ليس مقصودُها الإحاطةَ ولا التأريخ الدقيق بسبب تأخر المواكبة وسرعة مَوَران الأحداث، وإنما شأنها وهدفها أن تضع النقاط على الحروف وأن ترسم الإطار العام لأحداث جسام عظام رأينا أنه من حق أمتنا علينا أن نسطرها.. لله.. ثم للتاريخ.

وكم من بطل أغفلت ذكره وكم من شهيد سقط اسمه.. لأني لم أعرفهم.. فمعذرة...

وما ضَرَّهم ألا يعرِفَهم عمر.. فحسبهم أن الله الكبير يعرفهم...

والصدر من بعدُ رحيبٌ قابل للنقد والتوجيه... ورَحِمَ الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي

وإلى اللقاء في فلوجات أخرى،

والحمد لله رب العالمين...



المراجع

١- مراجع سيرة أبي أنس:

الراوي	المورد	تاريخ النشر
أبو أنس الشامي	الحث على طلب العلم	قبل جهاده في العراق
	الاختلاف بين العلماء وموقف المُكلَّفين منه	قبل جهاده في العراق
	سرور ... بل أحزان	١٤٢٤هـ
	عندما يضل الهداة وينعق الحداة	رجب ١٤٢٤هـ
	شبـهٌ وأباطيل	١٤٢٥هـ
	يوميات مجاهد في أرض الفلوجة	١٤٢٥هـ
	إصدار مرئي أسد الرافدين أبو أنس الشامي	منتج في ١٤٢٥هـ
أبو حمزة المهاجر	الجامع لسير أعلام الشهداء (سيرة أبي أنس الشامي، أبي عزام، أبي المرضية)	١٤٤٦هـ
أبو خطاب	إصدار مرئي أسد الرافدين أبو أنس الشامي	منتج في ١٤٢٥هـ
	مجلة ذروة سنام الإسلام العدد الأول	المحرم ١٤٢٦هـ
أبو سيف الشامي	إصدار مرئي أسد الرافدين أبو أنس الشامي	منتج في ١٤٢٥هـ
	مجلة ذروة سنام الإسلام العدد الأول	المحرم ١٤٢٦هـ
أبو عزام	إصدار مرئي أسد الرافدين أبو أنس الشامي	منتج في ١٤٢٥هـ
	مجلة ذروة سنام الإسلام العدد الأول	المحرم ١٤٢٦هـ
أبو مصعب الزرقاوي	رِثَاءُ الشَّيخِ أَبِي أَنَسٍ الشَّامِيّ	شعبان ١٤٢٥هـ
	أَيَنْقُصُ الدِّينُ وَأَنَا حَيٌّ؟!	جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ
	بَيَانٌ وَتَوضِيحٌ لمَا أَثَارَهُ المَقدِسِيُّ فِي لِقَائِهِ مَعَ قَنَاةِ الجَزِيرَةِ	جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ
	القِتَالُ، قَدَرُ الطَّائِفَةِ المَنصُورَةِ	شعبان ١٤٢٦هـ
	حوار أبي اليمان البغدادي مع الزرقاوي	١٤٢٧هـ
أبو ياسر	إصدار مرئي أسد الرافدين أبو أنس الشامي	منتج في ١٤٢٥هـ
	مجلة ذروة سنام الإسلام العدد الأول	المحرم ١٤٢٦هـ
ميسرة الغريب	سلسلة خفايا من التاريخ	١٤٢٨هـ

٢- مراجع الكتابات والتفريغات:

تنبيه: الترتيب على الحروف الأبجدية عدا الكتب الستة.

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

كتب السنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين وأهل العلم.

أ- الكتب الستة:

- صحيح البخاري، طبعة بيت السنة، ط١.
- صحيح مسلم، طبعة دار التأصيل.
- سنن أبي داود، طبعة دار التأصيل.
- سنن الترمذي، طبعة دار التأصيل.
- سنن النسائي (المجتبى)، طبعة دار التأصيل.
- جامع ابن ماجه، طبعة دار التأصيل.

ب- المسانيد والصحاح والمعاجم:

- السنن الكبرى، النسائي، طبعة دار التأصيل.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، طبعة دار التأصيل.
- المسند، أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة الرسالة.
- المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
- المعجم الصغير والأوسط والكبير، ومسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني.
- الموطأ رواية أبي مصعب الزهري، مالك بن أنس، طبعة دار التأصيل.
- صحيح ابن حبان، التقاسيم والأنواع، طبعة دار ابن حزم.
- مسند أبي يعلى الموصلي الصغير، طبعة دار التأصيل.
- مسند البحر الزخار، أبو بكر البزار، طبعة مكتبة العلوم والحكم.
- مسند ابن الجعد، جمعه أبو القاسم البغوي، طبعة مكتبة الفلاح، ط١.

ج- جوامع الأحاديث:

- الترغيب والترهيب، زكي الدين المنذري، طبعة دار الكتب العلمية.



– مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، طبعة مكتبة القدسي.

د–المصنفات:

– مصنف سعيد بن منصور، طبعة الدار السلفية (الهند).

– مصنف عبد الرزاق، طبعة دار التأصيل، ط٢.

هـ– كتب الطبقات المسندة:

– الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، ابن سعد، طبعة مكتبة العلوم والحكم، ط٢.

– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، طبعة دار السعادة.

– معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، طبعة دار الوطن.

و–كتب الرقائق وفضائل الأعمال المسندة:

– الزهد، أبو داود، طبعة دار المشكاة، ط١.

– الزهد الكبير، أبو بكر البيهقي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، ط٣.

– الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، تحقيق الأعظمي.

– الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا، طبعة دار الكتاب العربي.

– المحتضرين، ابن أبي الدنيا، طبعة دار ابن حزم، ط١.

– فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة الرسالة.

– عمل اليوم والليلة، ابن السني، طبعة دار القبلة.

القرآن وعلومه:

أ– تفسير

– أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.

– الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، طبعة دار الكتب المصرية، ط٢.

– الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري (معتزلي)، طبعة دار الريان، ط٣.

– تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، طبعة دار ابن الجوزي، ط١.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، طبعة دار هجر.

– معالم التنزيل، البغوي، طبعة دار طيبة، ط٤.

ب– علوم القرآن:



- الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية.
- التبيان في آداب حملة القرآن، أبو زكريا النووي، طبعة دار ابن حزم، ط٣.
- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، طبعة دار ابن كثير، ط١.
- متن الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع)، الشاطبي المقرئ، طبعة مكتبة دار الهدى، ط٤.

الحديث وعلومه:

أ- علوم الحديث:

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، طبعة مكتبة المعارف.
- الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم، طبعة مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١.
- الضعفاء الكبير، العقيلي، طبعة دار المكتبة العلمية، ط١.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني، طبعة دار طيبة، ط١.
- الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، طبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، ط١.
- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ العراقي، طبعة دار ابن حزم، ط١.
- شرح علل الترمذي، ابن رجب الحنبلي، مكتبة المنار، ط١.

ب- شروح الحديث:

- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، الطيبي، طبعة مكتبة نزار الباز، ط١.
- شرح صحيح مسلم، أبو زكريا النووي، طبعة دار إحياء التراث.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة المكتبة السلفية.

العقيدة وعلومها:

أ- العقيدة:

- الاعتصام، الشاطبي، طبعة دار ابن الجوزي.
- السنة، عبد الله بن أحمد، طبعة دار ابن القيم، ط١.
- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، طبعة مكتبة الرشد.

ب- الفرق:

- أبو حامد الغزالي والتصوف، دمشقية، طبعة دار طيبة.
- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر القفاري، طبعة دار الرضا، ط٢.



- التحفة الاثنا عشرية، شاه عبد العزيز الدهلوي، مخطوطة، مكتبة الأوقاف بغداد.
- التصوف بين الحق والخلق، محمد شفقة، طبعة الدار السلفية.
- التصوف في الإسلام، عمر فروخ، طبعة مكتبة منيسة بيروت، ط١.
- الخمينية وريثة الحركات الحاقدة والأفكار الفاسدة، وليد الأعظمي، طبعة دار عمار، ط١.
- الشيعة والتصحيح، موسى الموسوي، ١٤٠٨هـ.
- الطريقة الرفاعية، دمشقية، طبعة الدار المصرية.
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر البغدادي، دار الآفاق، ط٢.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، طبعة مكتبة الخانجي.
- الفكر الصوفي، عبد الرحمن عبد الخالق، طبعة مكتبة ابن تيمية.
- الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود القاسم، طبعة دار الصحابة، ط١.
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب.
- الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، محمد تقي الدين الهلالي، ط٢.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر، طبعة دار الكتاب العربي، ط٣.
- تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، البيروني، طبعة عالم الكتب، ط٢.
- رسالة الرد على الرافضة، محمد بن عبد الوهاب، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.
- مخازي الولي الشيطاني الملقب بالتجاني الجاني، جمع: إبراهيم القطان، طبعة المطبعة الوطنية عمان.
- مختصر التحفة الاثني عشرية للدهلوي، اختصره الألوسي، طبعة المطبعة السلفية.
- مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر القفاري، طبعة دار طيبة، ط٣.
- مصرع التصوف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)، برهان الدين البقاعي، طبعة عباس أحمد الباز.
- مؤتمر النجف، عبد الله السويدي، طبعة المطبعة السلفية.
- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، موقع الدرر السنية، طبعة ربيع الأول ١٤٣٣هـ.
- هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، طبعة دار الكتب العلمية، ط٤.

الفقه وعلومه:

أ- أصول وقواعد الفقه:

- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، طبعة دار الكتبي، ط١.
- الرسالة، الشافعي، طبعة مصطفى البابي الحلبي.
- الموافقات، الشاطبي، طبعة دار ابن عفان.
- جامع بيان العلم، ابن عبد البر، طبعة ابن الجوزي.
- متن السلم المنورق، عبد الرحمن الأحضري.



ب- عام:

- الزهر النضر في حال الخضر، ابن حجر العسقلاني، مجمع البحوث الإسلامية، ط١.
- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، طبعة دار ابن حزم، ط١.

ج- المذهب الحنفي:

- الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، علاء الدين الحصكفي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- الهداية في شرح بداية المبتدي، المرغيناني، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- شرح السير الكبير، شمس الأئمة السرخسي، طبعة الشركة الشرقية.

د- المذهب المالكي:

- التمهيد، ابن عبد البر النميري، الطبعة المغربية.
- الكافي، ابن عبد البر النميري، طبعة مكتبة الرياض الحديثة، ط٢.
- المقدمات الممهدات، ابن رشد الجد، طبعة دار الغرب، ط١.

هـ- المذهب الشافعي:

- الأم، الشافعي، طبعة دار الفكر، ط٢.
- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا النووي، الطبعة المنيرية.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا النووي، طبعة المكتب الإسلامي.

و- المذهب الحنبلي:

- المغنى، ابن قدامة، دار عالم الكتب، ط٣.
- مسائل الإمام أحمد، رواية أبي داود، طبعة مكتبة ابن تيمية، ط١.

مصنفات ابن تيمية:

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، طبعة دار عالم الكتب، ط٢.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، طبعة عطاءات العلم، ط٤.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، طبعة مكتبة دار البيان،.
- الفتاوى الكبرى، طبعة دار الكتب العلمية.
- درء تعارض العقل والنقل، طبعة جامعة الإمام.



- مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن القاسم.
- منهاج السنة النبوية، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

مصنفات ابن قيم الجوزية، طبعة عطاءات العلم.

- أعلام الموقعين عن رب العالمين.
- الوابل الصيب.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.
- زاد المعاد في هدي خير العباد.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل.
- مدارج السالكين في منازل السائرين.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة.

الرقائق والمواعظ:

- الآداب الشرعية والمنح المرعية، شمس الدين ابن مفلح، طبعة عالم الكتب.
- التوابين، ابن قدامة المقدسي، طبعة دار ابن حزم، ط١.
- تلبيس إبليس، ابن الجوزي، طبعة دار المنهاج، ط٢.
- صيد الخاطر، ابن الجوزي، طبعة دار القلم.

التاريخ والسير:

أ- السيرة النبوية

- السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، طبعة دار الفكر.
- دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية.
- مغازي موسى بن عقبة، طبعة الهيئة العامة للعناية بطباعة ونشر القرآن الكريم والسنة النبوية، ط١.

ب- تاريخ:

- البداية والنهاية، ابن كثير، طبعة دار هجر، ط١.



- العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون)، ابن خلدون، طبعة دار الفكر، ط١.
- الكامل في التاريخ، عز الدين بن الأثير، طبعة دار الكتاب العربي، ط١.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، طبعة دار الفكر للطباعة.
- تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، طبعة المكتبة التوفيقية.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الغرب الإسلامي، ط١.
- تاريخ الرسل والملوك، ابن جرير الطبري، طبعة دار المعارف، ط٢.
- تاريخ الخلفاء، الجلال السيوطي، طبعة مكتبة نزار الباز، ط١.

ج- التراجم والطبقات:

- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، أبو حفص البزار، طبعة المكتب الإسلامي، ط٣.
- الأنساب، السمعاني، طبعة أمين دمج، ط١.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف العثمانية، ط٢.
- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه: محمد شمس والعمران، طبعة عطاءات العلم، ط٦.
- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، السخاوي، طبعة دار ابن حزم، ط١.
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، كمال الدين الأدفوي، طبعة الدار المصرية.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن عبد الهادي، طبعة عطاءات العلم، ط٣.
- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، ط١.
- تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، طبعة دار الرشيد، ط١.
- تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا النووي، طبعة دار الكتب العلمية.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، القاضي عياض، الطبعة المغربية، ط١.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، طبعة دار الحديث، ط١.
- طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، طبعة دارة عبد العزيز.
- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن السبكي، طبعة هجر للطباعة، ط٢.
- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ابن فهد، طبعة دار الكتب العلمية.
- مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، طبعة دار هجر، ط٢.
- مناقب الشافعي، أبو بكر البيهقي، طبعة مكتبة دار التراث، ط١.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، دار المعرفة، ط١.
- معرفة القراء على الطبقات والأعصار. شمس الدين الذهبي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.

اللغة العربية:



- النظرات، مصطفى لطفي المنفلوطي، طبعة دار الآفاق الجديدة، ط١.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، الطبعة الكويتية.
- لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار صادر، ط٣.

مجلات وصحف:

- الرأي العام الكويتية، ١٧ شعبان ١٤٠٠هـ.
- مجلة الأسرة العدد ٧١، صفر ١٤٢٠هـ.
- مجلة البيان، العدد ١٤٩، المحرم ١٤٢١هـ.
- مجلة المجتمع العدد ٤٨٨، في ١٩٨٠\٧\٨م.
- مجلة الفتح، العدد ٢٥٧، السنة السادسة، ١٦ صفر ١٣٥٠هـ، القاهرة.

عام غير مصنف:

- خطط الشام، محمد كرد علي، طبعة مكتبة النوري، ط٣.
- حاضر العالم الإسلامي، لوثروب ستودارد، ترجمة شكيب أرسلان، طبعة دار الفكر.
- من نهر كابل إلى نهر اليرموك، أبو الحسن الندوي، طبعة دار الإيمان، ط٢.
- تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار (المعتزلي)، طبعة دار العربية.
- إنجيل لوقا، لوقا.

مصادر ومراجع الرافضة:

- الاحتجاج، أحمد الطبرسي، طبعة مؤسسة الأعلمي.
- أصل الشيعة وأصولها، محمد آل كاشف، طبعة مؤسسة الأعلمي.
- أصول الفقه، محمد رضا المظفر، طبعة النجف.
- أصول الكافي، محمد الكليني، طبعة دار الكتب، ط٣.
- أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي، طبعة مطبعة زيدون.
- إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة، ابن بابويه القمي، طبعة المطبعة الحيدرية.
- الإرشاد، محمد النعمان (المفيد)، طبعة مؤسسة الأعلمي، ط٣.
- الأرض والتربة الحسينية، آل كاشف الغطاء طبعة دار التعارف.
- الاعتقادات (عقائد الصدوق أو دين الإمامية)، ابن بابويه القمي، الطبعة الإيرانية ١٣٢٠هـ.
- الأنوار النعمانية، نعمة الله الجزائري، طبعة مؤسسة الأعلمي.
- الإمام الصادق، محمد المظفر، طبعة دار الزهراء، ط٣.



- الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، محمد العاملي، طبعة المطبعة العلمية.
- البرهان في تفسير القرآن، البحراني الكتكاني، طبعة طهران، ط٢.
- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي، طبعة مؤسسة الأعلمي، ط٣.
- الثورة البائسة، موسى الموسوي.
- الحكومة الإسلامية، الخميني، طبعة وزارة الإرشاد الإيرانية.
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني، طبعة دار الأضواء، ط٣.
- الرجال، أحمد النجاشي، الطبعة الإيرانية.
- السقيفة (كتاب سليم بن قيس)، طبعة مؤسسة الأعلمي
- الشيعة، محمد الصدر، طبعة طهران.
- الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، طبعة دار التعارف.
- الغيبة، محمد النعماني، طبعة مؤسسة الأعلمي، ط١.
- الغيبة، محمد الطوسي، طبعة مكتبة الألفين.
- الفروع من الكافي، محمد الكليني، طبعة دار صعب، ط٣.
- الفهرست، محمد بن الحسن الطوسي، طبعة مؤسسة الوفاء، ط٣.
- المقالات والفرق، سعد القمي الأشعري، طبعة المطبعة الحيدرية.
- المعالم الزلفى في بيان أحوال النشأة الأولى والأخرى، البحراني الكتكاني، الطبعة الإيرانية.
- الموضوعات في الآثار والأخبار، هشام معروف الحسيني، طبعة دار الكتاب اللبناني، ط١.
- الوافي، الفيض الكاشاني، طبعة المكتبة الإسلامية، طهران.
- أمالي الصدوق، محمد القمي، الطبعة الإيرانية.
- أوائل المقالات في المذاهب المختارات، محمد العكبري (المفيد) طبعة مكتبة الدواري.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد المجلسي، طبعة إحياء التراث العربي، ط٣.
- تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، عبد الله فياض، طبعة مؤسسة الأعلمي، ط٢.
- تنقيح المقال، عبد الله الممقاني، طبعة المطبعة المرتضوية.
- تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، طبعة مؤسسة الأعلمي.
- تفسير العياشي، محمود بن سعيد العياشي، طبعة المكتبة العلمية.
- تفسير فرات، فرات الكوفي. طبعة المطبعة الحيدرية.
- تفسير القمي، علي القمي، ط٢، بيروت.
- تنزيه الأنبياء، المرتضى الحسين، طبعة منشورات الراضي قم.
- تهذيب الأحكام، محمد الطوسي، طبعة دار الكتب الإسلامية، ط٣.
- دائرة المعارف الشيعية، حسن الأمين، طبعة دار التعارف، ط١.
- دلائل الإمامة، محمد رستم الطبري، طبعة المطبعة الحيدرية.



- رجال الحلي، الحسن الحلي، طبعة مطبعة الحيدرية، ط٢.
- رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي، تصحيح وتعليق حسن المصطفوي.
- رسالة التعادل والتجريح، الخميني، طبعة المطبعة العلمية.
- روضات الجنات في أحوال العلماء السادات، الخوانساري، طبعة المطبعة الحيدرية.
- سفينة البحار، عباس القمي، طبعة مؤسسة الوفاء.
- شرح جامع على الكافي، محمد صالح المازندراني، طبعة المكتبة الإسلامية.
- شرح نهج البلاغة، ميثم البحراني، طبعة المطبعة الحيدرية.
- طبقات أعلام الشيعة، آغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية، النجف.
- عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، طبعة دار الغدير.
- علل الشرائع، ابن بابويه القمي، طبعة المكتبة الحيدرية، ط٢.
- فرق الشيعة، الحسن النوبختي، طبعة دار الأضواء، ط٣.
- فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب، حسين الطبرسي، الطبعة الإيرانية ١٣٩٨هـ.
- كشف الأسرار، الخميني، طبعة طهران ١٣٦٣هـ.
- كشف الغطاء عن خفيات مبهمات الشريعة الغراء، جعفر النجفي، طبعة دار طباعة مرضى.
- لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث، يوسف البحراني، طبعة مكتبة العلوم العامة.
- مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، البناطي الفتوني، طبعة مطبعة الأفتاب.
- مرآة العقول، محمد باقر المجلسي، الطبعة الإيرانية ١٣٢٥هـ.
- مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، رجب البرسي، طبعة مؤسسة الأعلمي.
- مصابيح الأصول، علاء الدين بحر العلوم، طبعة المكتبة الإسلامية.
- معجم رجال الحديث، أبو القاسم الخوئي، طبعة مدينة العلم، ط٣.
- مناقب آل أبي طالب، هاشم البحراني، طبعة دار الخلافة، طهران.
- منهاج الكرامة، ابن المطهر الحلي، طبعة مؤسسة عاشوراء، ط١.
- نهج البلاغة، المنسوب كذبًا لعلي بن أبي طالب، طبعة دار الكتاب اللبناني.
- ودايع النبوة في الولاية والمقتل، هادي الطهراني، طبعة مكتبة دار العلم.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، محمد العاملي، طبعة دار إحياء التراث، ط٥.

مصادر ومراجع الصوفية:

- الأربعين في أصول الدين، الغزالي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، طبعة دار المعرفة.
- المختار من كلام الأخيار، محمد علوي المالكي، ط٢ ١٤٢٨هـ.
- المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، طبعة دار الكتب الحديثة.



- إيقاظ الهمم شرح الحكم، ابن عجيبة.
- جامع كرامات الأولياء، النبهاني، طبعة دار صادر.
- جواهر المعاني وبلوغ الأماني، البلوي الفاسي، طبعة دار الفكر.
- الرسالة، القشيري، مكتبة محمد صبيح.
- روضة التعريف بالحب الشريف، لسان الدين بن الخطيب، طبعة دار الثقافة.
- الصوفية، محمد عبده -طارق عبد الحليم، طبعة مكتبة الكوثر.
- الميقات، الشعراني، طبعة المكتبة الشعبية.
- عوارف المعارف، السهروردي، طبعة دار التقوى، ط١.
- الفصوص، ابن عربي، طبعة دار الثقافة، العراق، ط٢.
- لطائف المنن والأخلاق (المنن الكبرى)، الشعراني، طبعة دار التقوى، ط١.
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، الشعراني، طبعة دار القلم العربي.
- لوافح الأنوار في طبقات الأخيار (طبقات الشعراني)، الشعراني، طبعة دار العلم.
- مشكاة الأنوار، أبو حامد الغزالي، طبعة الدار القومية.
- ميزان العمل، أبو حامد الغزالي، طبعة دار المعارف، ط١.
- نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية، أبو السعادات اليافعي، طبعة دار الكتب العلمية.



لا تنسوا إخوانكم من الدعاء



